تفسير القرآن الكريم
سورة الفصص

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين

عن عمار الله ووالدته ووالدته

من إصدارات
مؤسسة التنوير بمصر والعالم الإسلامي
حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
لا يُطبع الكتاب من دون إذن مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية
القسيس - عنيزة - 1911 ص.ب. 1929
 هاتف: 2642009 ناشر: 01/16/2009
حوار: 2642107
www.ibnothaimeen.com
info@binothaimeen.com

الموزع المعتمد والحصري في جمهورية مصر العربية
دار النشر والتوزيع - شارع محمد ملقد - مقرع من مستشفى النحاس
بجوار سوبر ماركت أولاد رجب
 هاتف: 4455007 - محمول: 01010444777

إن الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونتستفرقوهُ، ونнюدُ بالله من شرور أنفسنا ومن سِينات أعيننا، من يهدِّه الله فلا مِصِل له، ومن يضلِّ جالهُ هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبد الله ورسول الله، أُرسلَ الله بالهدى ودين الحق؛ فبلغ الرسالة، وأدأ الأمة، ونصّح الأمانة، وجاَهَد في الله حَجِهَه، حَتَا أنَّهُ الَّتيين، فصولات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعده:}

فَوين الدروس العلميَّة المُسِجلة صوتياً، والتي كان يعدها ساحب الفضيلة شيخنا العلامة الفايز محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - في جامعه بمدينة عنيزة صباح كل يوم أثناء الإجازات الصيفية؛ لحلقات في تفسير القرآن الكريم كانت ببدايتها من سورة النور وما بعدها؛ حتى بلغ قوله تعالى في سورة الزخرف:}

وَكَانَنَّ أَرْبَعَةَ مِنِّي أَرْسَالًا مِنْ ذَيَّةٍ مِنْ رُسُلِي أَجْعَلْنَاهُ مِنْ ذَوِّ الرُّحُمَ أَلَّهُمَّ يُعْبَدُونَ (٦١).

وقد اعتمد رحمه الله تعالى في تفسيره لِتليَ السُورة كِتَابُ بِنَبِي الْطَّلاَب هو (تفسير الجلالِين) للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المكي، المُؤرِّخ سنة (٨٦٤)١، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمَّد (١) أنظر ترجمته في: الضوء لللامع (١/٣٩)، حسن المحاضرة (٤٤٣).
ابن سابق الدّين الحضري السّيوطى، الموتى سنة (1191هـ). تعمّدها الله تعالى رحمته ورضوته، وأسكنها فسيح جناه، وجزاؤها عين الإسلام والمسلمين خير الجنّة.

وسعاً – بإذن الله تعالى – لتعزيز التفعّل بتلك الجهود المباركة في هذا الميدان العظيم باشر القسم العلمي بإمّة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجريء وإجباره في مشروع الإعداد والتجهيز للطباعة والنشر لإخراج ذلك التراث العلمي، إنفاذًا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قرّرها فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الشأن.

تسلم الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، وأن يجري فضيلةشيخنا عين الإسلام والمسلمين خير الجراء، ومضاعفًا له المئويّة والأجر، ويغلي درجته في المهدين، إنه سميع قريب جميل.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، خاتم الأنبياء، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، نبيًا حمداً، وعلى آله وأصحابه والتاليين لهم بإحسان إلى يوم الذين.

القسم العلمي
في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجريء
20 جمادى الآخرة 1436 هـ

---

(1) انظر ترجمته في الأعلام للمركلي (3/1-2011).
سورة القصص (الأيتات: 1-2)

الآيات (1-2)

قال الله عز وجل: «طَسَّرَ، يَتَّلِى مَا تَّلَّيَّتُ الَّذِينِ يُؤْمِنُونَ، مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفَرَعُونَ وَالْحَقِّ لَقَوْرُهُمْ» [القصص:1-2]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد، وعلى آله وأصحابه.

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وابعد:

قال المفسر (1) رحمه الله: [طَسَّرَ] الله أعلمني، ينوى بذلك، {يتكل} أي هذه الآيات، {يتأثث الكتب} الإضافة يتمعى من، {الثرين} المظهر الحق من الباطل، {نزلوا} نقص، {على كثرة من نزلته} خبر، {الثرين وفرعون والحق} الصدوق {لقوم نحوه} لأجلهم، لأجلهم الانتظرون يه وابعد.

الحكمة من القصص في الآيات واضحة، فهؤلاء ينكر على الناس لكي يؤمنوا، فإن كانوا مؤمنين في الأصل فهو لم يثبتهميبهم وزيادته.

من فوائد الآيات الكريمة:

الفائدة الأولى: بيان عظم القرآن وعلوه، وذلك عن طريق الإشارة إليه بالبعد.

(1) المفسر بالفسر هنا: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم جلال الدين المحلي، الموت في سنة (884ه).
الفائدة الثانية: هذا القرآن مكتوب، لقوله تعالى: «الكتب»، ونحن نعلم أن:

كتابة القرآن متحفظة في ثلاثة أماكن:
1- في اللوح المحفوظ.
2- في صفح الملائكة.
3- في المساحف التي بَيْن أَبْدِيِنا.

الفائدة الثالثة: أن هذا القرآن مظهر مبين للأمور، لقوله تعالى: «الملحقون»، فهو مظهر ومبين للأمور.

وحدث متعلق (الملحق) يستفاد منه عموم إبابة القرآن لكل شيء.

وحدث هذا من القواعد التفسيريّة، فإن حذف المتعلق يُفيد العلم، كما في قوله تعالى: «وَوَجَّهَكَ عَالِيًا فَأَفَغِنْيَ» (الضحى:8)، حيث لم يُقل: (أَفَغِنْيَ)؛ لأن الله أغناه، وأُغِنِي به، وقال تعالى أيضًا: «وَوَجَّهَكَ مَضَلَّةً فَهَدَّئَ» (الضحى:7)، فهذا إهدى وِهَدَى به.

فقوله: «الملحقين» يدل على أنه مبين للكلي من شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: (النحل:89).

ولذلك فإن أي مشكلة تُفرض لنا في ديننا تجد حلها في القرآن، والقرآن يرشدنا إلى الأخذ بالسنة، قال تعالى: «وَمَا آتَيْنَا الرَّسُولَ مَثْلَهُ» (الحجر:7).

إذن: القرآن والسنة تجلان كل ما يفرض لنا من مشكلات في أمور ديننا، أو دينان، ولكن المشكلة هي القصور في فهم النص لدَى بعض الناس، ويرفع الأمور إلى سببين: إِنَّا هُوَ الْمُثَّبِعُ، وَإِنَّا جَهَّلُ.
فهناك من الناس من يريد اتباع الهوئي، ولا يريد اتباع الحق، فيذهب إلى الكتاب والسنة عليه حدد ما يبرر ما ذهب إليه.

فمثلًا هناك من يبرر للاشتراعيّة، ويبحث في القرآن والسنة عم يؤيد رأيه هذا، فإن وجّد ما يخالف رأيه تركه وتجاوزه إلى غيره، فهذا الرجل لا يقصده الحق.

وكذلك بعض الذين يسرعون القوانين، أو الأمور الفقهية، أو ما شابه، لا يرفعون إلى الكتاب والسنة إلا من أجل تبرير مواقفهم، فإذا رأوا ما يخالفها أغضصبوا أعينهم، وإن رأوا ما يشير إليها ولأبطالها ففتحوا أعنيهم.

وهؤلاء هم عرض في صدورهم في تصفحهم للقرآن والسنة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (العقيدة الواسطية)، وهي كلمة عظيمة المعنى، قال (1) "ومن تذُّرب القرآن طالبًا للهدى منه، تبين له طريق الحق. كلمة عظيمة، فيها أمران: تذُّرب، وطلَّبُ الهدى. ف(تذَّرب): الفعل، و(طالبًا) للهدى: النية الصالحة، (تبين له طريق الحق) جواب الشرط.

فالشيخ رحمه الله جزم به لاهو موجود في القرآن لشك في هذا.

إذن: القرآن مبين لكل الأمور، إنما من القرآن نفسه، أو ما يرشد إليه، أي السنة النبوية.

أحيانا تطرحنا مسائل، ونبحث عنها في كتب الفقهاء، ففهاء الحنابلة، وفقهاء الشافعية، وغيرهم، فناجدها، ترجع إلى القرآن والسنة، فنجدها واضحةً جليًا.

(1) العقيدة الواسعية اعتقاد الفرقة الناجحة المتصورة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص 47).
والرُجُوع إلى الكتاب والسنة يُفيد الإنسان - حقيقة - فائدته عظيمة.

الأولى: الطمأنينة والاستقرار؛ لأن اتباع كلام أهل العلم - وإن كان الإنسان قد يطمئن إليه بعض الشيء - ما تكون الطمأنينة إليه كطمأنينته إليه ما ذل عليه الكتاب والسنة.

الثانية: أنه يستطيع أن يُقنع غيره، ويُطمئن غيره.

فمثلًا إذا قلت لِإنسان ما: هذا حرام. ي قول لك: ما الدليل على الحرام؟ فإذا قلت: له حرمه الله، أو حرمه رسوله؛ اطمئن قالولي، أما إذا قلت له: هنالك كتاب ما قد حرمه. قال لك مستنكرًا: أي كتاب هذا؟ هل هو موحى به من عند الله؟

إذن الرُجُوع إلى الكتاب والسنة يُثبت الطمأنينة في قلب المخاطبين ويُفعّلهم. ولذلك أنا أميل إلى الرُجُوع دائمًا إلى الكتاب والسنة، ولا يغني كلامي هذا طرح كلام أهل العلم، لا، فكلام أهل العلم مفتيح لهذه الخزائن، فكم من إنسان لا يثبت بالكتاب والسنة إلا إذا دخل من حيث دخل هؤلاء العلماء.

وهناك فرق بين من يقول: اتبع الكتاب والسنة، وأقيد بكلام أهل العلم. وبين من يقول: اتبع الكتاب والسنة، وأطرح كلام أهل العلم، فهو ليس ببيه، وهذا خطأ كبير.

وعلَّم أن الحق دائمًا بين طرفين متطرفين.

الفائدة الرابعة: في الآية دليل أيضًا على أن القصص يسمى تلاوة، يقال: قص الإنسان القصة، إذا كلاها علينا؛ وذلِك مأخوذ من قوله تعالى:  «نُناول عليكم من نبائكم». »
القائدة الخامسة: بيان أهمية قصّة موسى مع فرعون، وهذا كفاية لله تعالى يُتلاوّتها على النبي ﷺ لأمه قديماً، وبيان فوائدها.

وإني لأرجو أن تجمعوا القصّة من جميع أطرافها في القرآن، واستخرجوا ما فيها من فوائد، فهذا القصة من أهم القصص التي وردت في القرآن الكريم، وقدّ تكررت في مواضيع مختلفة بأسلوب مختلف.

القائدة السادسة: أن ما أخبر الله ﷺ هو الحق، فجمع ما أخبر الله ﷺ عن هذه القصص هو حق، وقد سبق أن قلنا: إن الحق إذا وصف به الحكمة، فهو بمعنى الصدق، وإذا وصف به العدل، فهو بمعنى العدل.

القائدة السابعة: أن هذه القصص سبب ل حدوث الإيمان، وكذلك سبب لزيادته أيضاً، أي سبب لين لم يؤمن حتى يؤمن، ولمن آمن حتى يزداد إيمانه، ثبانته وكمية.

والدليل على أنه يبتغى بها غير المؤمن قوله تعالى: ق لَقدَ كَانَ في قَصَصِهِمْ عَجْبٌ لِأَوَلِى الْأُلُبِّينِ} (يوسف: 111)، فكَلٌ إنسان عنده لب – أي عقل - فلا بد له أن يُعتبر ويستوعب.
قال الله عزوجل: "إِنَّ فَرَعُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا بِتَسْتَضْيِفِ طَيِّبَةً مِّنْهُمْ يَدْخِلُونَ أَبْناَهُمْ وَنَسْتَخْيِنُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسْتَخْيِنِينَ" (القصص: 44).

قال المفسر رحمه الله: "إِنَّ فَرَعُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ" تَعْظَمُ إِلَى اْرْضِ مُسْتَرِّجٍ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا فَرَأَهَا فِي خِصْمِهِ "تَسْتَضْيِفِ طَيِّبَةً مِّنْهُمْ" هُمُ بِنُو إِسْرَائِيلَ وَذُبَّحَ أَبْناَهُمْ المُؤْلُودِينَ وَنَسْتَخْيِنُهُمْ يَسْتَبْقَىهمُّ أَحْيَاءًا لِّقَوْلٍ بَعْضِ الْكَبِيرَةِ لَهُ إِنَّ مُؤْلُودَ يَوْلِدُ فِي بَيْنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِيلٌ لِّكَالِمِلْكِ مَلكِكَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ المُسْتَخْيِنِينَ بِالْقَتَلِ وَغَيْرِهِ".

وَنَسْتَخْيِنُهُمْ: قَالَ الْمُفَسِّرُ رَحْمَةً اللهِ: "بِيْسَتَبْقَىهمُّ أَحْيَاءًا" لَاتَّبَعَهُ في الأَصْلِ أَحْيَاء، وَلَا يُقِدِّرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمُوْتِي إِلَّا الْلَّهِ وَجَمْلَةً "يَذْبُحُ" وَ"يَسْتَخْيِنُهُمْ" حَالًا مِّنْ فَاعِلٍ (عَلَا) وَ(جَعَلَ).

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: يُبَانِي مَا كَانَ عَلَيْهِ فَرَعُونُ مِنَ الْعُلُوِّ وَالجَبْرُوتُ، وَذَلِكَ فِي قُوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّ فَرَعُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ".

الفائدة الثانية: أنَّ مَنْ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ، وَتَلَبِّبُ الْعُلُوِّ عَلَى الْخَلِيقِ؛ فَهُوَ شَبِهٌ بِفِرَعُونَ وَوَارِثُهُ، وَبَيْنَ الْرُّجُلِ مِّنْ كَانَ فَرَعُونُ إِمَامُهُ.
الفاتحة: أنَّ تفريق الأمة سبب لْفسِيلها وذَٰلِكَ في قوله تعالى:
«ومن نعلم أنَّ الحَكْمَة الإنجليزية المشهورة (فَرَقْ تَسْدِ) أصلها فيَّلَوَّن؟ لأنَّ فيَّلَوَّن هوَ أول من جَعَل أهل الأرض شيعًا حتى يُسوَّد عليهم.
الفاتحة: أنَّ بني إسْرَائِيل من أهل مصر، مع أنَّهم في الأصل من أهل الشَّام.
فَيَنْفِرُ علَى هَذِه الفاتحة: أنَّ من سكن أرضها وأقام فيها، وإنَّ لم يتكن من أهلها في الأصل، نسب إليها، وصار من أهلها.
الفاتحة الحاصلة: بيان شدة استضافة فزِعَون لبني إسْرَائِيل، حيثُ كان.
"يَذِبحُ أَبَاءَهُم وَيَتَسْعَنِي، يُسَاءُهُم.
وقذ قيل في سبيله فعل هذا: إنه أَحِب بِأنَّه سُيُولَد من بني إسْرَائِيل ولد،
يكون هَلاكُه على يَديه.
وَقَيل: لأنَّ ذلك هو الطَّريق لإذلال الأمة؛ لأنَّه إذا ذَهَب الرجل، وبقيت النساء صرن إما للسُّتعبد، وهم بلا شك ما عَندهم فيهم عليهن، ولا مدافع عنهن.
الفاتحة الساَدِسة: أنَّ العَلَو في الأرض، والعُنُو على الحق، والسعي بينهم بالتفريق يعُد من الإِسْبَاس، وذَٰلِكَ من قوله تعالى: "إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفِيدِين".
ويوضح من الآية أنهُ من كان على تقيض ذلك من التواضع للحق والحقّ، جمع شمل الأمة، وقصر عدوانة عنها، يكون من المُصلِّبين، وَكَّا قَيل: ويضدُّها تميز الأشياء.
قال الله تعالى: "وَرَّدَ أَنْ نَمَنْ عَلَى الْبِتَابِ أَسْتَضْعَفْوَانَ فِي الأَرْضِ وَيَقْطَعُهُمْ أَيَّامَهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ الْوَرَتَيْنِ۝ وَلَمْ يُنَحَّسْنَ فِي الأَرْضِ وَلَوْ قَضَّأْنَ وَهُمْ يَكْرَهُونَهُمْ وَيَنْتَهُونَ مِنَ الْوَرَتَيْنِۚ وَمَا أَسْتَضْعَفْوَانَ يُعْدُدُونَكَ فِي الْقُصُصِ:۵-۶۶۶۴۷"

قال المقَسَرِ وَحنَانُ الله: "وَرَّدَ أَنْ نَمَنْ عَلَى الْبِتَابِ أَسْتَضْعَفْوَانَ فِي الأَرْضِ وَيَقْطَعُهُمْ أَيَّامَهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ الْوَرَتَيْنِ۝ وَلَمْ يُنَحَّسْنَ فِي الأَرْضِ وَلَوْ قَضَّأْنَ وَهُمْ يَكْرَهُونَهُمْ وَيَنْتَهُونَ مِنَ الْوَرَتَيْنِۚ وَمَا أَسْتَضْعَفْوَانَ يُعْدُدُونَكَ فِي الْقُصُصِ:۵-۶۶۶۴۷"

الإِرَادَةُ الواَرَدَةُ فِي الْآيَةِ هَٰذَا هِيَ إِرَادَةُ كَوْنِيَّةٍ، وَهِيَ المَشِيَّةُ، وَيَتَعَلَّقُ بِهَا الحَكَمُ الْقَدِيرُ، فَالإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ مُرَادَةُ للَّمْشِيَّةِ، وَيَتَعَلَّقُ بِالْأَمْوَرِ الْكُوْنِيَّةِ.

أَنَّا الإِرَادَةُ الْشَرْعِيَّةُ فُمِرَادَةُ للْمَحْبَّةِ، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بالْأَمْوَرِ الْشَرْعِيَّةِ، فَمَثَلًا: الْلَّهُ يُرَيِّدُ مِنْهَا أَنْ تَصْلِّي فِي جَمِيعَةِ، فَهَذِهِ إِرَادَةُ شَرْعِيَّةٌ.

وَهُلِّ (الْبِتَابِ أَسْتَضْعَفْوَانَۚ هَٰذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلِۚ فَطُنِّ، أَمْ مِنْ عَمُومِ أَهْلِ يَمِّرٍ، الْذِينَ أَسْتَضْعَفْهُمْ فُرَعُونَ؟ مِنْهَا فَلَمِنْ يَدْرِّضُهُمْۚ فُرَعُونَۚ
فقد كانوا مُضطهدتين، ولذلك أراد الله أن يُمنِّع عَلَيْهمُ بِهِدَايَةِ والإِيمَانِ والإِمامة، وكذلك بِمرآثِمهم لِفَرُوعُونَ وَجُنُودُهُ.
وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْمُستَقْبِلِ؛ لَانَّهُ أَتَى بِالفَعَّلِ المُضَارِعِ (تُرِيدُ) الَّذِي يَدْعُ عَلَى
الْمُستَقْبِلِ، أَيْ: يُرِيدُ أنْ يُمَسِّهِ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ.
قَوْلُهُ: "وَفَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً" أَيْ: أَيْمَةً فِي الْحَيْثِ، وَالإِيَمَامُ هُوَ كُلُّ مِنْ يَقْتُدِئ
هُوَ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْحَيْثِ، أَوْ فِي الْمَرْاطِبِ، قَالَ اللّهُ ﷺ تَعَالَى: "وَفَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً كَذَٰلِكَ
إِلَى الْأَكْبَارِ" (الْقُصُور: ٤٤)، وَلَكِنَّ المُرَادَ هُمَا: أَيْمَةً فِي الْحَيْثِ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَفَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً" أَيْ: يُرِيدُونَ فَرُوعُونَ وَجُنُودُهُ، قَالَ تَعَالَى:
"وَأَوْرَثْنِهَا بِنِسَابٍ إِلَى مَلِكِ" (الشَّعَاءَر: ٩٥).

من فَوَائِدَ الْأَيْنَاتِ الْكَرِيمَاتِ:
الفَائِدةُ الأُوْلِيَّةُ: إِبْنَاتٌ إِرَادَةِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: "وَتَرِيدُ"، وَوَجْهُ إِبْنَاتِ الإِرَادَةِ هَنَّا،
مع أَنْهَا فَعَلُّ، وَلَسْبِ اسْتَيْأَا، هُوَ أَنَّ الْفَعَّلَ يَدْلُّ عَلَى الْحَدِيثِ وَزِرَامِيْهِ.
قَوْلُهُ: "وَتَرِيدُ" مُشْتَقٌ مِنْ الإِرَادَةِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَقْوَلُ: إِنَّهُ يَدْلُّ عَلَى إِبْنَاتِ
الإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّوُ جَلَّ.
المَعْتَزِّلُةُ لَمْ يُشْتَبِهَا الإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّوُ جَلَّ بِنَفُوْهَا، فِي الْوُقُوفِ الَّذِي أَتَبَّعَهَا الْأَشَاعِرُ
لِهُ عَزَّوُ جَلَّ، وَاسْتَدَلَّوا بِكُونَ اللَّيْلِ لَيْلًا، وَالْيَوْمِ نَهَارًا، وَالْحَرُّ حَرًا، وَالْبَرُّ بَرًّا أَنَّهُ يَدْلُّ
عَلَى الإِرَادَةِ; إِذْ لا يَمْعَدُ هَذَا التَّحْصِيْصُ إِلَّا بِإِرَادَةِ
ولَكِنَّهُمْ يُسْتَدَلُّونَ عَلَى إِبْنَاتِ الْصِفَاتِ عَانَةً بِالْعَقْلِ، فَقَمْ وَافِقُ عَقوَبَهُمْ قَيْلُوهُ،
وَمَا خَالَفَهَا أَوْلُوهُ وَضَعْفُوهُ حَتَّى يُؤْفِقَ عَقْلُهُ.
وقد ببين لنا قَالَ ذَلِكَ فَسَأَدَّهُ هَذَا النَّهَجُ، فَهُوَ مَطْالِبٌ لِلْقُرآنِ الْكَرِيمِ، يَقُولُ
الأَنْبِيَءُ عَزِيزُ: {وَلَوْ أَنَّى أَلَّهُ أَحْيَاهُمْ لَقَسَمَتْهُمْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ} (المؤمنون:71).
قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: {كَلِمَةَ جَانِيَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ أَرَادَ أَنْ نُرِدْ مَا
جَآءَ بِهِ جَبِيلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ} (١).

نعم، هذا أمرٌ لا يُستَثْبِينُ، فإنِّياء صَفَاتِ اللَّهِ بِالْطُرُقِ العُقْلِيَةِ، وَنَقْلٌ مَا أَمْضَيْهَا
عليهِ العقلُ، هوُنَّ في الحَقِيقَةِ عُذْوَانٌ، وطريقٌ فَايْسَدُ.

ويمكننا أن نَرِدْ عليهم بأننا نستطيع أن نُنْتِبْ ما نَقْوَهُ بِطَرِيقِ العقل، كَمَا أَنْتَبَوا
هُمْ مَا أَنْتَبَوا بِطَرِيقِ العقل، بِلْ بِصُورَةٍ أَفْتَلُعَ وَأَبْلَغَ.

فَظَهَّرَ صَفَةُ الرَّحْمَةُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ أَبْلَغُ مِنْ ظُهُورِ صَفَةِ الإِرَادَةِ، وَكَذَلِكَ
الإِنسانُ إِلَى الخَلْقِ بِالْرَّزُقِ، والإِمَادِ، والِإِعْدَادِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَنْتَمِعُونَ بِهِ، وَهَذَا
ثَابَتُ لِكُلِّ إِنسانٍ.

فَأَمَّا كَونُ الْبُزُوْدُ بَرَداً، وَالْحَرُّ حَرَاءً، فَهَذَا لَيْسَ دِلِيلًا قُوِيَّاً عَلَى الإِرَادَةِ، فَدَلَّلَهَا ما
سَبِّقَ عَلَى الإِرَادَةِ أَقْوَى مِنْ دَلَّالَةِ النَّعْمِ عَلَى الرَّحْمَةِ بَلا شَكَّ.

أيضاً إِذَا نَظَرَنا لِنَصْرِ اللَّهِ للطَّائِعِينَ، وَفِقَادَاهِنَّ لِلمَعَاصِينَ، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْحَبَّ
وَالْكُرُهُ، فَلَوْلَا أَنَّهُ نَصَرَ هُؤُلَاءَ مَا نَصَرَهُمْ، وَلَوْلَا أَنَّهُ نَبِضَ هُؤُلَاءَ مَا نَصَرَهُمْ، وَهَذَا
مَعْرُوفٌ، حَتَّى إِنَّ الإِنسانَ إِذَا صَارَ يُبْضَعُ أَحَدًا مَا فِي نَصَرَهُ، وَلَا أَجْهَزَ
إِذْنَ: نَصَرُ هُؤُلَاءَ، وإِذَا لَوْلَا هُؤُلَاءَ دَلُّ عَلَى إِنْبِاتِ اللَّحْبَةِ وَالْبُضْعَ، وَهُمْ مَعَ
ذَلِكَ يَنْكُرُونَ، وَيَقُولُونَ: الْعَقْلُ لَا يَدْلُّ عَلَىٰ.
سورة الفاتحة

فَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَقَّ وَاضِحاً، فَمَا يَنْسَاهُ عَلَى جَهَّالٍ أَنَّ الْعَقْل
ينكرهُ، أَوْ لَا يُشْهَدُ. إِلَّا وَجَدْنَا أَنَّ الْعَقْلَ يُبْتَهَ كَأَبْتَهُ الْشَّرْعُ.

الفَائِدَةَ الْأَنْفُقَةِ: تَمَّ الْقِدرَةُ اللَّهِ عَرْجَةً، وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَعَلَ هُؤُلَآئِكَ المُسْتَضْعَفِين
أَلِمَ، وَوَارِثِينَ هُؤُلَآئِكَ الطَّغْانَةُ، وَذَلِكَ بِإِرَادَةِ يَنْتِهِنَّ مِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ بَقَدْرِهِمْ، فَالْسُلْطَانُ
مِثَالًا - وَرَتَّلُوا دِيَارُ السُّرَّ وَالْرُّؤْمُ بِفَعْلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، وَإِرَادَةَ اللَّهِ.

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَتَّلُوا فِرْعَوْنَ بِلا قَتَالٍ، وَلَا فِي عَدِيدٍ مِنْهُمْ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ
بِإِرَادَةِ اللَّهِ المُحْصَنَةِ فَطْرًا، وَهَذَا مِنْ طَوْلِ عَهْدِهِمْ: "فَأُعَمِّرُوْمُ "الْوَرَيْشَاءِ"، فَاللَّهُ يَنْصُرُ
لِيِّابَةَ يَنْتِهِنَّ مِنْ النَّضْرَ ما لَمْ يَنْصُرِهِمْ، وَلَا في حِسَابِهِمْ.

الفَائِدَةُ الْفُؤَادِ: أَنَّ مِنْ استِصْفَعَ عَلَى عَقْلِهِ بِالْحَقَّ فَلا بُدُّ أَنْ تكونَ العَقْلَةُ لَهُ، لَوْ أنَّ
قُولَهُ: "فَوَرَكَتْ أَنْتُمْ عَلَى الْذِّبَحَةِ أَسْتَضْعَفْوَهُمْ"، وإِنَّ كَانَتْ فِي سِباقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَغَيْرُهُمْ دَاخِلُ فِي العَمُوْمِ اللَّفْظِي، إِذَا قَلَّنَا "عَلَى الْذِّبَحَةِ أَسْتَضْعَفْوَهُمْ" فِي أَيْ مَكَانٍ
وَزَمَانَ، أوِ العَمُوْمِ المَعْنَويَّ، وَذَلِكَ بِقِيَاسِ غَيْرِهِمْ عَلَى عَمُوْمِهِمْ، لَوْنَ دَلََٰلَّاتُ العَمُوْمِ إِنَّا
لَفْظِيَّةً، أَوْ مَعْنَويَّةً، فَالْقِيَاسُ الصَّحِيحُ دَلََٰلَّةَ الْلَّفْظِ عَلَى الْقِيَاسِ دَلََٰلَّةَ مَعْنَوِيَّةٍ، فَحَيْنَئَذِ
نَقُولُ: "عَلَى الْذِّبَحَةِ أَسْتَضْعَفْوَهُمْ فِي الْأَرْضِ" إِذَا جَعَلْنَاهُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَطْرًا،
فَالْسُلْطَانُ فِي عَمُوْمِهِمْ بِإِرَادَةِ طَغْرِهِمْ وَهُمْ، وَلَيْسَ بِعَمُوْمِ هُمْ، لَوْنَ اللَّهُ تَعَالَ يُقُولُ: "فَسَنةَ أنَّهُ
اللَّهُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لَسْتَةَ اللهِ بَيْنَكُمْ" (الْحُجَرَاتِ: 13).

فَسَنةُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ وَاحِدَةً، لَيْنَ الْبَيْنَةُ وَرَكَالَةُ لِيِّ بَيْنَكُمْ أَصْحَابٌ، أوْ حَسْبُ
إِلَى يُرَاهَةً، يُقُولُ لِيْلَاءُ: "إِنَّ أَكْسَرَكُمْ عَنْ يَدَيْنَ أَنْتُمْ فِتَامِيمَ" (الْحُجَرَاتِ: 13).

قد يُقُولُ قَاتِلٌ: هَلَّاكَ أَنْاسٌ أَسْتَضْعَفْوَهُمْ بِالْحَقَّ؟ وَقِيلَ: أَوْ عَرَوْتُوا، أَوْ مَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، فَأَيْنَ الْعَقْلَةُ أَلَّي تَعْمَونَ؟
فنقول: إن العاقبة لا تكون للشخص الجسدي فقط، بل للشخصي العقلي، فأفاقته هذه لا بُد أن تنصر.

وانظروا الآن إلى من سبق من أجل الله، كم من عالم أوجي في الحق، سواء قُتِل أم لا، تجدوا مقالات ما زالت باقية، ومُستمرة أكثر من غيرها، وهذا واضح لِئِن تأمله.

إذن: النصر لقاتل الحق في حياته، أو لمقاتله بعد وفاته، والإنسان المجاهد له هو لا يُريد أن يُنذر لنفسه، بل همَّه أن يبقى هذا الحق الذي قام به، لا يظهِر بقاؤه هو، أو مكانه إذا كان يدعُو إلى الله، أما من يدعُو إلى نفسه - ونسأله الله أن يعيدنا من ذلك جميلا - تجده يقُول: إذا أودي، أو أصبه صبر، أنا ما انتصرت.

ولكن من يدعُو إلى الله لا يُشغَّله إلا أن تنصر الدعوة، وهذا فإنه يقاطع من أجلها. لا بد من نصر الحق بأسبابه، فإذا أعينك الأمور جاء النصر من عينه الله بلا سبب.

لكنك مأمور بِسلوك طريق مُعَمَّنِي حتى تنصر، وقد لا تتأل النصر بسبب خالفتك لهذا الطريق، وتقصيرك فيه، فليس كُل من حسنت يثبت حسن فعليه ونصر.

فالامر هنا مختلف، وسائل هذا النَّبَّاب من أدق المسائل، وقد تكشف عنها كثيرا.

فلا تجيب على الإنسان أن يكون كالنكرة في بُعيد غيره، يقُلبه كَيف يشاء، أو تذهب به ريح عاصفة بعيدا جدًا، بل تجيب أن يكون مَرتَنا، لا مُتهورًا، فإذا تهوَّر، ثم خالف النصر فالبلاء من عند نفسه.
الفائدة الرابعة: بيان فضائل النبي إسرائيل، ومناقب النبي إسرائيل، فقوله:

وتقاتلهم أيهمة.

وهنا قد يشكل على الإنسان أن الله تعالى يقول ذلك، وفي آيات كثيرة يذم النبي إسرائيل، ولكن الله سبحانه وتعالى بيّن السبب في جعله هؤلاء أئمة، فقال تعالى في سورة السجدة: وجعلنا منهم أيهمه أميته بهدوء يأخذها لنا صبرًا وحكاواها بيانًا.

(السجدة: 24)، فحينها كانوا مناصرين للذين عندهم الصبر واليقين، كانوا أئمة، وقد أخذ شيخ الإسلام من هذه الأئمة جملة، فقال: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين».

لكن ما تخلّف الصبر، وتخلّف اليقين منهم، صاروا (فَرَّضَهَا خَيْرَ الْمَلِكِينَ) [البراءة: 46] وجاءت الآيات في ذمهم، فالآيات لا يكذب بعضها بعضًا، ولكن هناك أشياء توجب تخلّف أحكام بعض الآيات لتخلّف السبب.

الفائدة الخامسة: أن المسلمين إذا استولوا على بلاد الكفار ملكوها، وذلك في قوله تعالى: وجعلناهم عرّافين، والوارث يملك ما ورث، فهم الذين يجعلهم الله الوارثين، وليتこれが قال أهل العلم إن الأراضي مملوكي.

الفائدة السادسة: أن الأراضي ليست من الغنائم المحضة، فله تعالى يقول:

وَمُعَمَّلْهُمْ الزَّوْرَاتِ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ: أَجَلَّتِي السَّنَّةِ، وَمَنْ تَحَلَّلَ لَأَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الْأَخْرَى» (4).

(1) قاعدة في الصبر، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص 94).
(2) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، باب رم (ط 135)، مسلم: كتاب المسجد ومواضع الصلاة، باب جملت في الأرض مسجداً وظهراً، رقم (51)).
انظروا هذا التأقير هو غير صحيح؛ لأن الله تعالى وَرَث بني إسرائيل أرض بني فرعون وأسواهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرِجْهُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَشَغْرٍ وَذَوْرٍ وَمَقَارٍ﴾ [الشعراء: 76-79].
فَلَو ادْعَ أَحَدْهُمُ أنَّ اللَّهَ أَخْرِجَ الَّذِينَ فَرَعَعُونَ مِن أَرْضِهِمْ، وَجِعْلَهَا مَعْنَاً لِّبَيْنِ إِسْرَائِيلِ بِقَولِهُ: ﴿وَأَرْوَاهَا بِيَبِينِ إِسْرَائِيلِ﴾ [الشعراء: 76-79]. فَكَيْفَ نُنَجِّهِ عَنْهُ؟
نَقُولُ: إِن هَوَّلَاءِ لَا يَأْخُذُونَ بَعْدَ قَتَالِهِ، فَالغَنِيَّةُ مَعْروَفَةٌ، إِنَّما أُخْذَتْ عَنْ طَرِيقَ قَتَالِ الأَعْدَاءِ، وَلَكِن هَوَّلَاءِ مَا وَطَنُوهَا بِالقَتَالِ، بَلْ يَقْوَةُ اللَّهِ عَيْنِ الدُّنْيَا لَن يَتَذَاوَجَنَّهَا بِأَيْضَانٍ مِنْ إِسْرَائِيلِ لَن تَعْدِي مِنَ الغَنِيَّةِ، بَلْ هِيَ مِن وَفَقِهِ اللَّهِ فَلَا قَتَالِ.
وَعَلَى هَذَا فَلَا تَعَاوَضُ بَيْنَ الْآيَةِ وَبَيْنَ قُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ: "أَجْلَتْ لِالْمُغَانِئِ، وَلَمْ تَجْلَ نَفْخَقَةً قَلِيبٍ.
وَلْكِن هَذَا لَا يُنْفِقُ أَنَّ الغَنِيَّةَ كَانَتْ مُوْجُودَةً فِي المَاضِيِّ، لِكَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْفِقَهَا لِلْمَقَاتِلِينَ، بَلْ كَانَتْ تَنَزُّلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ تَحْرَقُهَا، وَإِنْ كَانَ فِي هَا الشَّيْءِ مِنَ الْغَنِيَّةِ فَلَا تَنَزُّلُ النَّارُ.
الجِحَمْةُ مِن إِحْراقِ الْغَنِيَّةِ هِيْ قَطْعُ الدِّيْلِ ﰲهَا مِهَانَةً؛ لَأَنَّهَا لَوْ بَقَىَتْ كَتَذَاوَلَهَا النَّاسُ بِالْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ وَالإِنْفَاعِ، وَصَارَ يَلْكَهُمْ.
وَمِنَ الْمُعْرُوفِ أَنَّ اللَّهَ سَبَأَهَا وَتَعَالَ يُمِدُّ الأَمْرَةَ بِأَشْيَاءِ تَسْتَعِينُهَا فِي حِيَائِهَا؛ فَهُوَ يُمِدُّ الإِنسَانَ عَامَّةً بِأَشْيَاءِ مُعْمِيَّةٍ لَأُجِلِّ أَنْ يَصُّلِّ إِلَى الْفَضْيَلَةِ.
فالنبي ﷺ يستغفر ربه، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، ونحن مأمورون بأن نصلي عليه، والله تعالى يقول: ف إن الله وملاكك في الكعبة ﷺ. ولقد قال قائل: كيف نجعل لنا الغنائم ونحن أفضل الأمم؟ ماذا لا يحكم الأمر إلى مناقينا وفضائلنا؟

فنقول له: هذا من يعمة الله علينا، لا لأن تصل إلى درجة الكمال، ولكنه أحلل هذه المغاني حتى نستعين بها.

القياسة السابعة: تمكن الإنسان في الأرض من يعمة الله عليه، لقوله: ف وَرَكَّزَ هَمُّهُ فِي الْأَرْضِ [القصص: 62]. لأن هذا من جملة ما أنعم به على بني إسرائيل؛ أن تمكنهم في الأرض فكون الإنسان يمكن له في الأرض، سواء كان هذا التمكن عن طريق سلطة السلطان، أو عن طريق سلطة القرآن.

والتمكين في الأرض ليس معناه أن الإنسان يحكم الناس؛ ليكون سلطانًا عليهم، بل قد يكون التمكن للإنسان في الأرض يتمكن قوله؛ حتى يكون له سلطان على المؤمنين.

ولناخذ شيخ الإسلام ابن تيمية مثلًا، فقد مكن الله له في الأرض أعظم من تمكن الولاة أنفسهم، فتمكن الولاة قد انقضى بمؤومهم، أما ابن تيمية ﷺ فقد مكن الله له بأن يجعل قوله معتبرًا بين الناس، وما زالت أقواله باقية حتى الآن.

فقوله من قال بالحق له سلطان وقوة، وهذا أيضا جاء به الحديث، بأن الله تعالى كما أخبر رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إن أحب ثلاثًا.
فَأَخْبَاهُ، قَالَ: "قَبِيلَةُ يَهُودُ، فَمَا بَنَادُي فِي السَّنَّاءِ قَبْلَ الْآخِرِ، فَلَبِّهِمْ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ." (١)

أَي: يُكُونُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَلْفَوْلِهِ فَقَادٌ، وَهُذَا مِنْ مُكَيْنِكِ الْهَدْيَةِ فِي الْأَرْضِ، لِكَانَ قَبْلَ الْآخِرِ، كَانَتِ الْأَمْثَلَةُ عَلَى قَدْرَةِ الْلَّهِ عَزِيزٌ.

الْكُلُّوَّةُ الْأَمْثَلَةُ: أنَّ فُرُوعٍ وَقُومَهُ كَانُوا يُجَذَّرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأُرَاهُمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانُوا يُجَذَّرُونَ.

وَهُنَا إِسْكَالٌ، وَهُوَ: كَيْفَ أَرَاهُمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانُوا يُجَذَّرُونَ مِعَ أَنْفُسِهِمْ هَلْكُوا؟

وَالجَوْبَ: أَنْ تَنْسَى إِذْ أَدْرَكُوا ذَلِكَ فِي أُخْرَى حَظَائِرَ مَعَتَامِمِهِمْ، وَقُبْلَ خَروجِ الْرُوحِ،

وَذَلِكَ ظَاهِرُ فِي قَوْلِ فُرُوعٍ عِنْدَمَا أَدْرَكَهُ الْعُرُقُ: "كَانَتِ الْأَنْثَى، لَا إِلَهَ إِلَّا أَلِيِّ الْأَلِيِّ مَائُونَ.

وَبَعْضُهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِنَّ: "فُرُوعٍ إِسْرَائِيلُ، وَكَيْفَ مَا يَجَذَّرُونَ مِعَ أنْفُسِهِمْ هَلْكُوا؟

[القصص: 22] لَيْسَ الْمَرَاضِيُّ الْمَلَائِكَةُ، بَلْ الْمَرَاضِيُّ بَيْنَ أَيْنَاءَلْ وَكَذَٰلِكَ يُجَذَّرُونَ مَنْازِعًا

فِي آلَ فُرُوعٍ وَفِي آخِرِ قَبْلَ الْآخِرِ، مَا بُعْثُ موسى إِسْرَائِيلُ، وَقَصَةُ السَّحْرَةِ وَضَحْلَةً فِيهَا،

لَمْ يَجُذَّرُوا، وَأَجِيبَهَا بَيْنَ الْمَرَاضِيِّينَ، وَابْنِي إِسْرَائِيلِ، وَأَجِيبَهَا بَيْنَ الْمَرَاضِيِّينَ،

لَا إِلَهَ إِلَّا أَلِيِّ الْأَلِيِّ مَائُونَ. وَهٌرَوْنَ سُجُدُوا وَتَعَالَ فَهِذَهُ هَزِيمَةُ مَعْنَويَةٍ، إِلَّا الْهَزِيمَةُ الْجَسَّيَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ البَخَارِيُّ: كَبَابُ التَّوَهِيد، بَابُ كَلَامَ الْرَّبِّ مَعَ جَبِيلٍ، وَنَذَا اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ، رَقَمُ (٧٤٠٧).

وَمَسِلِّمُ: كَبَابُ الْبَرِّ وَالْحَلَّةَ وَالآدَابُ، بَابُ إِذَا أَحْبَبَ اللَّهُ عَبْدَهُ حَبُّهُ لِعَبْدَهُ، رَقَمُ (٢٢٣٧).
وَهَذَا مَا غَاطَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودُهُمَا، وَهَذِهِ أَيْةٌ عَظِيمَةٌ، فَظُهُورُ بَنِي إِسْرَائِيلٍ عَلَى آل فَرْعَوْنَ فِي ذلِكَ الْمَجْمَعِ الْعَظِيمِ كَانَ لَهُ أَكْبَرُ الْأَثْرَ، فَقَدْ وَعَدُّهُم مُوسى عَلَى الْقِسْمِ بَيْنَ يَتِينَاهُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ الْأَلَّمِيَّةَ {طَ15:89} وَيَوْمَ الْأَلْبَابَةَ {طَ15:89} فَهُوَ يَوْمٌ عَلَى الْجُنُودِ يَتَسَلَّمُونَ فِيهِ {طَ15:94} يُجْمَعُونَ فِي رَابَعَةِ الْمِهَارِ.

نَعَمَ هَذَا الْمَوْعِدُ الْعِجْمِيَّةُ مُوسىُّ لَعَلَّهُ وَاتِّقَ يَوْمَ الْيَوْمِ الْأَلَّمِيَّةَ فَأَنَّ اللَّهَ سِيْنُصِرَهُ، وَحَصَلَ هَذَا الْجَمْهُورُ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَصَارَ فِي الْحَقِيقَةِ يَوْمَ عِيدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَوْمُ شَرْعٍ وَسُوَى لِفِرْعَوْنَ، وَهُوَ نَظَرُ وَمَا قَالَهُ آبُو جَهْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ كَثْلِ بَعْضُهُمْ أَخْلَاءٌ بَعْضُهُمْ أَخْلَاءٌ {وَاللَّهُ لَا تُرِجَعُنَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} وَكَانَتْ بَعْضُهُ مَسَاءَةً مِنْ أَسْوَاقِ الْعَرْبِ فَقُلُوهُ بَيْنَهَا كَلَاتَا، فَنُظِفُّهَا بِالْطَّعَامِ وَنَشْرِهَا الْجَرْفُ وَتَسْقِيَهَا الْقَمَرُ وَتَعْفِي عَلَيْهَا الْقِيَانُ وَتَسْمَعُ بَيْنَا الْعَرْبِ وَيَنَافِرُنَّ فَلَا يَزَالُونَ يَهْبُونَا بَعْدَهَا أَبْداً {طَ15:92}

وَلَقَدْ ثَقَفَ ذلِكَ بِالْقَافِلَةِ، وَسَمِعَ الْعَرْبُ بِمَا حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ بَدرِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ فَمَا غَطَّتْ لَهُمُ الْقِيَانُ، وَلَكِنَّ غَطَّتْ عَلَيْهِمْ فَقَدْ ظَهَرَ عَوْرَاهُمْ وَجَبَرَوْنَهُمْ فَتَوَافَّهُمْ، حَتَّى أَعْرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُمْ.

نَعَودُ لِفَصِلَةِ مُوسى مَعَ فِرْعَوْنَ، قَالَ تَعَالَ: وَعَلَى جَبَّاحِ كَحِيْرَةٍ {الشَّرَاءَةٌ}. نَعَمَ لِقَدْ حَصَلَ مَا كَانَ يَجْدِرُ فِرْعَوْنُ وَاللَّهُ وَجَعَلَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَّةً وَمِنْهُمْ نَذَكَّرُ أنَّ الْجَعْلَ لَهُ مَعْنَىٰ مَتَدَعَّدُ وَكُلُّ مَعْنَاهُ تَعَوُّرَ لِلْتَصْبِيرِ فِي الْحَقِيقَةِ لِكَنَّ التَّصِيرِ هُوَ تَصِيرُ المَعْدُومُ مَوْجُودًا.
قال الله عزّ وجلّ: "أُوحِيَ إِلَىٰ أَمِرِي مَوَّسِعَ أَنْ أَرْضِعَهُ فَإِذَا خَفَّىٰ عَلَيْهِ فَأَكُلْهُنَّ" [الفَصْص: 7].

قال المفسر رحمه الله: ["أُوحِيَ إِلَىْٰ عِنْصِرَةٍ مَّا بَلَغَهَا أوْ مِنْهَا (إِنَّ أَمِرَٰئَ)" وُهُوَ المُوْلُودُ الْمَذْكُورُ، فَمَا يُشْعِرُ بِهِ فَأَنْجَىٰهُ عِنْصِرَةٍ (فَإِنَّ أَمِرَٰئَ) فَإِذَا خَفَّىٰ عَلَيْهِ فَأَكُلْهُنَّ].

وقوله: "أُوحِيَ إِلَىٰ عِنْصِرَةٍ" هو الحiname في اللغة: الإعلام بسرعة وخفاء، ودليله قوله تعالى: "فَأُوحِيَ إِلَيْهِمْ أنْ سَيْحُوَا بِكَرْةٍ وَعَشَرَا" [مريم: 11]. ويطلق على معانٍ متعددة;

منها:

الوحي الشرعي: وهو وحي النبوة، أو الرسالة.

ووحي الإلهام: وهو ما يعطيه الله تعالى وفداً في نفس الموحي إليه.

ووحي النوم، فإن الرؤية الصالحة جزء من سنة وأربعين جزءاً من النبوة.

(1) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من سنة وأربعين جزءاً من النبوة، رقم (6858).
فإنما نظرنا في قوله تعالى: «وَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَمَّمٌ مَّوْحِيَةً أَنْ أَضْغِيَهُمْ» فهنا وحي,
ولكن وحي النبوة، أو الرسالة خير منه، لأن الذي أُصِيبَ إليها ليس بشر، بل هو 
أمر بإرضاع موسى، إلى آخره.
ثم إن الصحيح أنه لم بُعث واحدة من النساء لتكون نبيًا، قال تعالى: «وَمَا 
آرْسَلْنَا مِن قَبْلِهِ إِلَّا رَجُلًا نَّوحِي إِلَيْهِمْ» (بوب: 109).
إذن: يكون الوعي هنا إذا إلهامًا، وإما مناما، فالإلهام ليس بشيء غريب أن 
ُنَأْرُبهم إمراً ما يكون من مصلحتها، إذن تقولوا أن بلهم بني آدم ما 
فيه مصلحتهم. «وَأُوحِيَ رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ أَتَخَالِدَنَّهُمْ مِنَ الْيَمِينِ مُوَياً» (النحل: 78). 
وهذا قال المفسر رحمه الله: «وَأُوحِيَانَا» وحِي إِلَهَام، أو منام، أو نبوءة، أو هنا 
للتنويع، يعني لبيان الخلاف في هذه المسألة، فإن بعض العلماء يقولون: إن الوعي 
وحي إلهام. وبعضهم يقول: إن الوعي وحي منام. 
والله: أن ليس وحي رسالة، أو نبوءة. 
وكنا قد تكلمنا عن الوعي، وقمنا أنه ينقسم إلى ثلاثة أنواع: 
الأول: الوعي بالشرع، ويكون إلهامًا، مثل وحي الأنبياء، قال تعالى: «إِنَّا 
أُوْحِيَنَا إِلَيْكَ كَمَا أُوْحِيَ إِلَى نُوحَ وَاَلْيَتِينَ مِن بَعْدِهِ. وَأُوْحِيَنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ 
وَإِسْحَاقَ» (الناساء: 138). 
الثاني: الوعي بالإلهام، مثل قوله تعالى: «وَأُوْحِيَ رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ أَتَخَالِدَنَّهُمْ 
مِنْ الْيَمِينِ مُوَياً وَمِنْ أَلْيَمِ» (النحل: 78). 
ثالث: الوعي بالشئ، كما يقول رسول الله ﷺ: «الرُؤُوْيَا الصَّالِحَةُ جَزْءٌ مِّن سَيْنَةٍ 
وَأَرْبَعِينَ جَزْءًا مِّن النَّبُوَّة». 

سورة القصص (الآية: 7)
وقوله تعالى: «وَأَنْجِسَةَ ﻟَيْلَةٌ أوْ مَوْصَأٌ ﻟَيْلَةٌ أَرْضَيْهَا» [القصص: 72]. يُحْسَبُ أَنْ يَكُونَ الوَحِيُ هَٰذَا ﻋَنْ ﻤَنْوَىَةِ ﺛَانِئِيَّةٍ وَتَالِئِيَّةٍ، أَيَّ الْوَحِيَّ الْبَالِغِيَّ بِالْإِلَهَامِ، أَوَّ الْوَحِيَّ بِالْبَالِغِيَّ بِالْإِلَهَامِ. 

وقوله تعالى: «إِنَّ أَمَامَتُهُمْ ﻻَ إِلَى ﺃَلِيَّ وَلَدْنَهُمْ» [المجادلة: 2]. 

وَأَمَّا الْأَمَامُ ﻣِنَ الْرَّضَاعَةِ، فَلاَ تُذَكَّرُ مُطلَقَةً، إِذَا أَذَكَّرُ مُقَدَّمًا، وُهُدَا قَالَ ﺗَعَالَ: «وَأَمَّامَتُهُمْ ﻣِنَ الْرَّضَاعَةِ» [النساء: 23]. ﺗُمْ قَالَ ﺗَعَالَ: (وَأَمَامَتُهُمْ ﻣِنَ الْرَّضَاعَةِ) [النساء: 22]. فَالْأَمَامُ ﻣِنَ الْرَّضَاعَةِ ﻻَ تُذَكَّرُ ﺑِمُطَلَقَةِ الأَمَامِ، ﺑِلْ ﻻَ بَدْ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّمًا. 

وإنّا قَرَرتُ هَذَا لِيُبْيِنَ أنّ قَوْلَهُ ﺗَعَالَ: (وَأَمَامَتُهُمْ ﻣِنَ الْرَّضَاعَةِ) [النساء: 23]. 

مُرَادُ ﺑِهَا ﺍًلْمَآءُ ﺍًلْتَيْ وَلَدْت، وَلِيسَ الأَمَامُ ﺍًلْتَيْ تُرَضَعُ. 

قَالَ ﺗَعَالَ: (وَأَنْجِسَةَ ﻟَيْلَةٌ أَرْضَيْهَا)، ﻭَهُوَ الْمُولُودُ الْمَذْكُورُ، ﻭَلِمَ ﻳَشْعُرُ بَوَلَادَتِهِ ﻋِيْرَ أَخِيهِ. 

وَنَهَنُ هَٰذَا ﻥَسَأَلُ: أَيُّ الْمُولُودُ الْمَذْكُورُ؟ الْمُولُودُ الْمَذْكُورُ ﻫُوَ مُوْسِيٌّ ؟ لِأَنْهُ مَنْ أُمَّةٌ إِلَّا وَلِدَвоْلَادَتِهِ ﻋِيْرَ أَخِيهِ. هَذَا ﻣِنْ الأَقْوَالِ الْإِسْرَأَيْلِيَّةَ، الْتِّي لَنْ تُصْدَقَ، وَلَا ﺗُذْكَرَ، فَنَعْنُوْنَ لَا ﺗُمِلَّكُ دَلْيَةً عَلَى أَنْهُ لَيْسَ ﺑُشَعْرُ ﺑِهِ إِلَّا أَمَهُ. 

وَقَوْلُهُ ﺗَعَالَ: (وَأَنْجِسَةَ ﻟَيْلَةٌ أَرْضَيْهَا)، ﻭَضَابِطُ الْتِفَصِّيْرَةِ، ﺍًلْتِي تُقُعُّ ﺑَعْدَ ماَ فِيهِ مَعْنَىَ الْقُولُ ﺑِدْرَوْيِهِ، فَكَلِمَ (أَنَّ) إِذَا وَقَعَتْ ﺑَعْدَ ماَ فِيهِ مَعْنَىَ الْقُولُ ﺑِدْرَوْيِهِ، فَهُوَ تِفَصِّيْرَةُ، ﻟَيْسَ ﺑِقَوْلُهُ ﺑِذَاتِ الْبَيَانِ: (وَأَنْجِسَةَ ﻟَيْلَةٌ أَرْضَيْهَا). [المؤمنون: 27]
قوله تعالى: "إِفَأَدَا جَفَّى عَلَيْهِ" هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَن هَنَاكَ خَوَافٌ مِن فَرْعُونٍ وَاللَّهُ أَنتَ، الَّذِينَ كَانُوا يَبِحُونَ عَن الأُوْلَادِ لِيُتِمُّوْهُمْ، وَهَذَا قَالَ إِفَأَدَا جَفَّى عَلَيْهِ مَكَانَفَةَهُ فِي آيَاتِهِ، فَسَقَرَّ بِقُوَّةِ الْبَحْرِ، ثُمَّ قَسَرَ الْبَحْرَ بِقُوَّةِ الْبَحْرِ، فَقَالَ الْبَحْرُ: "أَيُّ الْبَحْرِ؟ فَلَمَّا كَانَ الْبَحْرُ مُثْلُ الْبَحْرِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "فَأَخْضَعَكَ بَسْطَهُ، فَأَخْضَعَهُمْ فِي آيَاتِهِ" [الْقَصَدَةَ: ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
تنويعين، وَهَذَا قَالَ: «إِنَّا رَأَدُوهُ إِلَيْهِ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ». قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّا رَأَدُوهُ» هَنَّاء جَائَتِ الجَمْلَة اسْمَيَةً، وَلِيسَ فَعْلِيَّةً، كَانَ يُقَوَّلُ مثلاً: نَرْدُهُ. وَالجَمْلَة الاسْمِيَّة تَدْلُّ عَلَى الصُّبُورِ واَلْإِسْتِقْرَارِ.

وَقَوْلُهُ: «إِنَّا» بَضْمِيمَ الجَمْعِ لِلْتَعْظِيمِ، فَاللَّهُ بِبَالِدَةِ الْقُدُّوسِ يَجْعَلُ عَنْ تَفْسِيرِهِ بَصِيغَةَ الْتَعْظِيمِ.

وَقَوْلُهُ: «رَأَدُوهُ إِلَيْهِ» أي: مُرْجِعُهُ، وَلَا يَبْيَضُ اللهُ بِبَالِدَةِ الْقُدُّوسِ. أَمْهَهُ فِيهَا، وَلَكِنَّ الْظَّاهِرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٌ، كَمَا سَيْبَيْنَ فِي أَخْرِيّ الْقِصَّةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ» هَذِهِ بِشَارَةُ فَوْقَ الْبِيْشَارَةِ الْأُولِي، وَهَوْهُ أن يُكُونَ هذَا الْمُوْلُودُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، أي: مِنْ أَرْسَلْهُمْ اللَّهُ بِبَالِدَةِ الْقُدُّوسِ وَأَفْضِلْهُمْ بِالرُّسْلَانَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا أَمْرَانَ: وَهَيْنَا، وَبِشَارَّتَانَ.

أَمَّا الأَمْرَانِ: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أَرْضِيْهِ» وَقَوْلُهُ: «فَأَلْقِيْهِ».

وَأَمَّا الْهَيْنَاَ: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَرِي».

وَأَمَّا الْبِشَارَّاتَانِ: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّا رَأَدُوهُ إِلَيْهِ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

نَمَّ قَالَ الْمَسْرُورُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: [فَأَرْضَعَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَا يُنْبِكَيْ وَخَافَتْ عَلَيْهِ، ۖ فَوَضَعَهُ فِي تَأْوِيْلٍ مُطْلِبٍ بِالقَّلَبِ مِنْ دَاخِلِ مَهْمَدٍ وَأُعْلِقَهُ وَأَلْقَاهُ فِي بَحْرِ النَّيلِ لِيَلَّا].

قَوْلُهُ: [أَرْضِعَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ]. لَا تَنَجِّدُ فِي الْآيَةِ مَا يُدْلُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهَا -لا شِكٌّ.

فِي ذَلِّلِكَ -أَمْتَثِلتْ لَأَمْرِ اللهِ بِإِرَاضِيَّاهُ، وَلَمْ نَخَافَ عَلَيْهِ أَلْفَتَهُ.
وقول المفسر رحمه الله: [فُوِضَعْتُم في تَابِعٍ] أَحَدُهُم من آيَةٍ أُخْرَى: «أَنْ أَفْدِيَهُمْ في التَّابِعَ فَاخْتَذِيفُهُ فِي الْبَحْرِ» [ط: 93]. وَهَذَا مِنَ إِرْشَادِ اللَّهِ ۖ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ؛ لَكِنْ ما أَمْرُهُ أَنْ تَلْقَيْهُ فِي تَابِعٍ لَيَكُونَ حُفْظَةً لَهُ، وَتَابِعٌ بَلْ يَكُونُ مِنَ الحَجَابِ، وَالجَحَابُ عَادَةً يَطِفُوْعَ عَلَى المَاء، وَلا يُحَرَّقُ، فَإِذَا جَعَلَهُ فِي الْقَاعَة، فَإِنَّهُ أَيْضًا يَجْمَعُ مِنْ دَخْوَلِ المَاء إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ رَبُّهُ إِذَا دَخَلَ المَاء إِلَيْهِ، وَتُسَلِّمُ فِي الحَجَابِ يَتّقَلُّ ثُمَّ يُغْوِسُ.

وَأَمَّا قُولُهُ: [وَأَلْقَيْتُهُ فِي بَحْرِ النِّيْلِ كَلِمَا] رَبُّ يَوْهُدُ مِنْ قُوَّلِهِ: «وَأَصْبَحَ قُوَّادُ أَدْرَسٍ مَوْسِفٌ فَرَيقٌ» [القصص: 101]، مَنْ أَلَقْتُهُ فِي النِّيْلِ، ثُمَّ جَعَلَتْ تَوْسِعَ فِيهِ، وَهَمَّهُ ۖ فَهُمُّهُ ۖ حَتَّى كَانَتْ لَا تُفْكِرُ فِي غُرُوبِهِ، كَـِّـا سِيَابِيٌّ.

تَمَّ إِنَّهُ مَا يُؤِيدُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرَّةَ وُقِفَتْ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَافَتْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَبِدِّ عَادَةً أَنْ يَتَخُّرِجَ بِهِ نَهْارًا، وَتُطْلِيَهُ أَمَامُ النّاسِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ جَلَالًا، فِي كُونُهُ هَذَا الْحَكِيمُ بَيْنَهَا (أَلَا) مَأخُوذٌ مِنَ الآيَةِ، وَمِنَ الْعَادَةِ، بَلْ هُذَا لَا يُكُونُ إِلَّا فِي النِّيْلِ.

من فوائد الآية الكريمة:

الْكَافِيَةُ الأَوْلَى: قُولَ اللهُ ﴿ٚوَأَوْحَيْنَا إِلَى أَبِي مُوسى﴾ فِي هِيِّهِ ذِلِّلَ عَلَى إِكْرَامِ اللَّهِ سَبِيعَانَ وَتَقَالُ لأَمَّ مُوسى، وَهْذَا الإِكْرَامُ يُفْهُمُ مِنْ عَدَدٍ أُوجُهُ حَقِيقَةً، يُفْهِمُ مِنْ الْوَحْيِ وَالْإِلَهَامِ، وَمِنْ تَطْمِئِنِّيْهَا فِي قُوَّلِهِ: «وَلَا تَحَفَّظِ وَلَا تَخْرَجِّى»، وَمِنْ بِتَارِيْحِهَا بَأْنَهُ سَيُرُدَّ إِلَيْهَا، وَيَجْعَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُرْسِلِينَ.

الْكَافِيَةُ الثَّانِيَةُ: فِي هَا بُيُوْنِ عَنْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِمَوْسِى.

الْكَافِيَةُ الثَّالِثَةُ: فِي هَا ذِلِّلَ عَلَى أَنَّ الْآنِبَاءَ كَعَبْرِهِمْ مِنْ الْبَشَّرِ يُخْتَاجِونَ إِلَى

الْغِدَاءِ؛ لَقُولِهِ ﴿أَنَّ أَرْضِيَهُ﴾.
الفائدة الرابعة: وجب الإرضاع، إذا جعلنا الأمر للوجوب، لا للإرشاد، ولكن القواعد الشرعية تقضي وجب الإرضاع، وإنفاذ المعصوم.
الفائدة الخامسة: بيان قوة إبن إسحاق في هذه الوالد الصغير، الذي ألقته الصغر في اليم، وهو ابنها، وهذا شيء لا يقهر إلا للمؤمن حقًا.
الفائدة السادسة: بيان قدرة الله عزوجل في هذا الوالد الصغير، الذي ألقته في اليم المهلك، ولا حافظ له إلا الله سبحانه وتعالى، كيف صار في آخر أمره من الرسلي.
الفائدة السابعة: أنه ينبغي طمأنة المحزون بشارته بمستقبله، لأن له يقول: 
"إذًا ردوه إليه وجماعوه من المرسلين".
الفائدة الثامنة: إثبات الرسالة لموسى عليه السلام، لقوله سبحانه وتعالى: "وجاعلوه من المرسلين".


قال الله تعالى: {فَالْقَطْسَةُ، مَا أَرْضَىٰ لِيَحْكُمُونَ لَهُمْ عَدْوًا وَحَرَّمًا إِنَّكَ فَرَجَعْتَ وَهُدُنَّى وَجَعَلْتَهُ سُكَانَاءا هُدِيْتِيَ} {القصص:8}.

قال المفسر رحمه الله: {فَالْقَطْسَةُ}. بالتالي صبيحة الليل: {أن}. أعوان فرعون. فُرَجَعْتِ. فوضعوه بين يديه وفتح، وأخرج موسى منه وهو يمس من إبهامه. لبحكم لهم في عاقبة الأمر. عدوا يقتل رجاهم حرصا يسعد بسياهم. وفي قراءة بضم الحاء، وسكون الراي لمتان في المصدر، وهو هنا يمعنى اسم الفاعل. من حزنه كأخرجته {فَالْقَطْسَةُ. وهمن. وزيرة {فَجَعَلْتَهُمَا سُكَانَاءا هُدِيْتِيَ}. من الخطيئة، أي عاصين، فعوقبوا على يديه.

قوله: {فَالْقَطْسَةُ}. أي: أخذ الله فرعون التابوت صبيحة الليل، ولم يقل (آخذه). لأنه أصبح في حكم النليق المنبوذ، وأهل العلم يُقولون: إن النليق هو الطفل المنبوذ الذي طرح، فهو يسبي لاقتيا، وهذا قال: {فَالْقَطْسَةُ}.

وقوله: {فَالْقَطْسَةُ}. قال المفسر رحمه الله: {أَللهَ أي}. أعوانه. فيتحول أن الله أي قراه.

على كل حال: المهم أنه أخذ من ينسب إلى فرعون، وهو الملك.

والانطباق يكون بقصد؛ لأن المنطق الذي يُلقيَّط النليق المنبوذ مثلا في
الشاعر، أو المُسِجِّد، بَرِيد أَحَدَهُ، لَكَن هَنَاكْ قَد يَشَعُّر بِأنَّ شَيْءًا ظُفْرَ بِهِ، لِكَنِ الْعَلَاء
يَقُولُونَ: الْاِلْتَنْقَاط يَكُونُ في الْطَفْلِ المَنْبُودٌ. فِوْضَعَةٌ آل يِقْرَعُونَ بِيْنَ يِدَيْ يِقْرَعُونَ،
وَكَانُوا لا يُقَرِعُونَ بِالْذِّي فيْهُ، وَرَبَّا يَظْنُونَ أَنَّ الْذِّي فيْهُ مَالٌ مِنَ الْأَمْوَلَ.
وْفَتَحَ الْتَابُوتُ، وَأَخْرَجَ مُوسٍى بِنَهُ وَهُوَ يَمْعَصُ مِنْ إِيْهَامِهِ لَبَنَا] مَعْنَاهُ: يُرْضِع
تَفْسِيهُ مِنْ نُفْسِهِ، وَهَذَا إِمَّا لَا يُتَعْلَمُهُ، لِكَنْ مَا لا شَكَّ فِيهِ أنَّ التَابُوتُ فَتَحَ كَالعَادَةَ;
لِأَنَّ الْبَقَّاء المُعْلَق لَأَبْدَ أَن يَفْتَحِهِ الإِنسَانُ، وَيَنْتَجَرُ مَا فيْهُ، وَأَنَا كُونُهُ يَمْعَصُ مِنْ إِيْهَامِهِ
لَبَنَا، فَهُذَا مِنَ الْأُمُورِ الإِسْرائِيْلِيَّةِ الَّتِي لا تُصْدَقُ، وَلا تَكُذَّبُ، إِنْ لمْ تُنَّقِلُ إِنَّهَا كَاذِبَةَ;
لِأَنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْعَادَةِ.
وَقُولُهُ: "يَقْرَعُونَ لَهُمَّ" فِي عَادِيَةِ الْأَمَرِ، وَالْضَّمَّرِ في قُوْلِهِ "يَقْرَعُونَ" يُبْعَدُ
عَلِيِّ مُوسَى، وَالضَّمَّرِ فِي "لَهُمْ" يُبْعَدُ عَلِيِّ آل يِقْرَعُونَ، وَيَبْخَلُ فِي آل يِقْرَعُونَ نَفْسِهِ.
وَقُولُهُ "يَقْرَعُونَ" قَالَ الْفَسْرُ رَبِّهُ: [في عَادِيَةِ الأَمَرِ] إِسْرَاءٌ إِلَى أَنَّ الْلَامِ
هَنَا لِلْعَادِيَةِ، وَلَيْسَ لِلْتَعْلِيلِ؛ لَا تَكُونُ لَهُمْ عَدْوًا وَخَزَةً لَكَثْلُوهُ،
وَلَكِنَّ الْعَادِيَةَ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ.
وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عِنْدَ أَبِي كَثِيرٍ رَزْقُ اللَّهِ مِنْ أَنَّ الْلَامِ هَنَا لِلْتَعْلِيلِ، بِاعْتِبَارٍ عِلْمِ اللَّهِ، لَهُ
وُجُهُ، يَعْنِي: "أَقُلُوْنَ" مُوسَى مَعْلُومًا يَقْرَعُونَ لَهُمْ عَدْوًا وَخَزَةً، فِي عَلِيمِ اللَّهِ، وَلَيْسَ
تَعْلِيلًا لِلِلِلَّيْلَةِ، هَذَا لِوُجُهُ، لَكِنَّ الأَقْرَبْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ نَمْجُوْنَ وَغَيْرُ مِنْ أَنَّ الْلَامِ
هَنَا لِلْعَادِيَةِ، وَلَيْسَ لِلْتَعْلِيلِ.
وَالْلَامَ الَّتِي تَدْخَلُ عَلَى الْفَعْلِ الْمَضْرَعِ تَقْسِيمٌ إِلَى قَسْمَيْنِ زَائِدَةٌ، وَغَيْرُ زَائِدَةٍ.
الْلَامُ الزَّائِدَةُ تَوْجِهُ لِلْتَعْلِيلِ، وَتَوْجِهُ لِلَّعْدِيَةِ، وَتَوْجِهُ لِلَّعْدِيَةِ، وَهَذَا لَيْسَ
لغير الزائدة، والزائدة هي التي تقع في الغالب بعد فعل الإرادة، مثل قوله تعالى:

"يريد الله ليتعدى عنيكم" (النساء: 22)، وقوله: "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْهُمْ أَلِيْخَاتِسِ" (الأحزاب: 32)، فإن اللَّهُ هذا زائدة؛ لأنك لر حذفتها وقدرت (أنه) "إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيَذْهَبَ إِنَّا يَرِيدُ اللهُ أن يَذْهَبَ، تَمَّ الكلام.

واللام غير الزائدة تكون للتعليل، مثل قوله: "حَصْرُتْ لاتعلَمَ، أي: من أجل أن تعلَمَ، وتكون لتأكيد النفي، مثل قوله تعالى: "لَمْ يَكُنَّ اللَّهُ يُعْجِرِ نِمُّهم" (النساء: 127)، و"لَمْ يَكُنُّ نَيْسَانَ" (النساء: 3).

وهلذا يعمِنها النحويون لام الجُّمُود، يعني: النفي، فهي لتأكيد النفي.

والثالثة تكون للمعاقبة، مثل هذه الآية "ليـسْكُنُنَّ لَهُمْ عُدُوًّا وَخَزْيًا"، وهي الآية التي تكون بعد (كان) مضرعا كامنا، أو فعلاً ماضياً.

وقوله: "ليـسْكُنُنَّ لَهُمْ عُدُوًّا" يقل رجاهكم، "وَخَزْيًا" يستعجل نساءهم،

هذا فيه نظر، بل الظاهر أنهم "عدوا"، لا يحصل على يد فيه من الأضرار البالغة لآل فرعون، "وحزينا" لأنه سوف يجزهم حين يظهر الله من الأنتصارات العظيمة، وأبلغها حين انصر يوم الزينة، فإنه انصرف عليهم انصاراً بالغًا بالرئا، وحصل لهم هداً من الحزن ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

وأم نعلم أن موسى قتل رجال آل فرعون، ولا آله استعبد نساءهم، وإنها المعروف أن الله سبحانه وتعالى أغرهم بفعله، ووفي قراءة يضم الحاء وسكون الزاي لعنان في المصد، وهو هذا بمعنى اسم الفاعل من حزنة كأحزانه، إذا قال المفسر حمدا الله فيه قراءة. فهو يعني: سُبْعَة، وإذا قال قريء، فهو يعني قراءة شاذة.

قال: [يَضُعمُ الحَـاءَ وَسـُكَوْنُ الزَـايَ] «ليـسْكُنُنَّ لَهُمْ عُدُوًّا وَخَزْيًا» حَزْنًا وَخَزْيًا.
معناها واحده، وجهما لغتان في المصدر، يقول: حَرْزُه كأحْزَنُه. يعني: أن الحزٍ الذي ليس مزيدا بالهمزة مثل: أحَزَن له المزيد بالهمزة من حيث التعدد.

وقوله: [بمعنى اسم الفاعل هنّا] أي: حازن، أي: حَزَن، وقد أوله المفسّر رَجُل الله إلّا هذّا؛ لأن الحزون شعور بالنقش، وموسى مَذْيَل هذا الشعر هو الحَزْن في أَنْفِسِهِم، وعلى هذا فيكون «وحَزْنًا» بمعنى: حازنًا.

وال مصدر أحياناً يأتي بمعنى اسم الفاعل، وأحياناً بمعنى اسم المفعول، فيقال:
فلان عذب رضي، ويقال أيضاً: فلان ثقة. وعذب، ورضي، يثبَت مصدراً بمعنى اسم الفاعل: عادل، وهو اسم فاعل، ومرَضي، وموثوق، وكلاهما اسم مفعول.

وقوله: «آن عَمَّل عملاً ليس عليه أثراً فهو رِدًا»(1)، هذا مصدر بمعنى اسم مَفْعُول.

فالنقطة: «ال ذَوَّ يَبْتَكَرُون لهُم عذباً وحَزَناً، العذَّب عند الفقهاء حذوه
بتعرف، هو الحكم في الواقع، فقالوا: إن العذاب من سرّة مسأة شخصي، أو غمّة فرحه، فهو عذابه.

كُل إنسان يَبْتَكَر أن تساء، ويُجْزِيه أن تساء، فهو عذابه، وكل إنسان يَبْتَكَر أن تساه.

تُسِر، ويُجْزِيه أن تسر؛ فهو ولي.

قوله تعالى: [إن ذَوَّ يَبْتَكَرُون لهُم عذباً وحَزَناً] كأني قيل: لماذا يكون لهُم عذباً وحَزَناً؟

فثبت أن السبب في ذلك هو حُطاَت هؤلاء.

(1) أخرجه البخاري: كتاب البيعة، باب إذا اصطحلوا على صلح جور، رقم (2697)، مسلم:
كتاب الأفكار، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (1718).
فَعَرَّبُوا ﴿اللَّ�كَ، ﴿وَحَنَّمَتْ ﴿وَزَيْرُهُ، ﴿وَحَيْرَوْهُمْ﴾: أَبْتَغَاهُمَا الَّذِينَ يَمْتَلِئُونَ بِأَمْرِهِمَا، وَكُلْمَةً جَنُودٍ: جَمِعُ جَنِّدٍ، وَالجَنِّدُ هُمْ أَنْصَارُ الإِنسَانَ. ﴿قَوْلُهُ تَعَالَ:﴾ ﴿سَكَانُوا خَطِيئَةَ﴾ ﴿مِنَ الخَطِيئَةِ، أَيْ: عَاصِمٍ، فَعَرَّبُوا عَلَى يَدِهِ. ﴿وَهُمْ فُرُقُ بَينَ الحَرَاطِي وَالْمَحْطُورِ؛ فَالْحَرَاطِي -مَثَلًا- مِنْ قَُلْلٍ مُّتَعْمَدٍ، أَنَّا مِنْ قَُلْلِ غَيْرِ مُتَعْمَدٍ فَهُوَ مَحْطُورٌ، وَلَذَلِكَ فَإِنَّ الحَرَاطِي مُعْذُبٌ، وَالْمَحْطُورٌ جَعْلُ مُعْذُبٍ، ﴿قَالَ الْلَّهُ تَعَالَ:﴾ ﴿نَاصِرُ كُرْمَةِ حَائِتِهِ﴾ ﴿[الْعَلْقُ: 16].﴿وَالْمَحْطُورِ لَا يُنَسَّى عَلَيْهِ إِنْمَا، قَالَ تَعَالَ:﴾ ﴿رَيْبًا لَا تَوَاضُعَ إِنْ دَيْنَا أَوْ أَخْطَاكَا﴾ ﴿[الْبَقْرَةُ: 286]، وَالفَعْلُ مِنْ خَطِيَّةٍ: حَطَّىَ، وَالْفَعْلُ مِنْ مَحْطُورٍ: أَحَبَا. هَذَا هُوَ الْفَرْقُ. ﴿إِذنَ: قَوْلُهُ سَبَحَةَ وَقَالَ:﴾ ﴿خَطِيئَةَ﴾ ﴿أَيْ: وَأَعْيَاهُنَّ فِي الْحَقْطَةِ عَنْ عَمَّدِ وَقَضَدٍ، ﴿وَهُذَا قَالَ الْمَلَّسُ رَبُّ جَمَاعَتِهِ:﴾ ﴿أَيْ: عَاصِمٌ فَعَرَّبُوا عَلَى يَدِهِ.﴾

من فوائد الآية الكريمة:

الفَائِدةُ الأُولَى: أنَّ أَنَابِيَ الرَّجُلِ وَحَاشِيَتِهِ مِنْ أَلِهِ؛ لَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ﴿وَعَرَّبُوكَ﴾ ﴿وَقَدَ عَلَمَنَا أَنَّ الْفَسَّرِ رَجَحَةَ فَاَسَرَّهَا بِقَوْلِهِ:﴾ ﴿أَعَوْانُ فَرَعُونَ﴾ ﴿الْفَائِدةُ الْثانية: أَنَّ الإِنْسَانَ مَهَا بَلْغَهُ فِي الْعَمُوِّ وَالْاَسْتِكْبَارِ، فَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ الْمُستَقِّبُ، وَهَذَا مُأْخُوذُ مِنْ أَنَّ الْفَرَعُونَ مَا عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الطَّفْلُ سِيَّوْنُ عَدْوَاهُم وَحَرُّوا. ﴿الْفَائِدةُ الثالِثَة: أَنَّ الْرَّجُلَيْنَ أَعْدَاءَ لِلْكَفَّارُ؛ لَقَوْلِهِ:﴾ ﴿يَسْكُونُ لِلْكَفَّارِ عَذْوَاهُ﴾ ﴿وَأَهْمِيَتْ أَحْزَانَهُمْ، وَهَذَا أَمْرُ ظَاهِرٌ}
الفائدة الزائدة: أن الإنسان قد يسعى لما فيه حتفه، لأن هؤلاء يسعوا فيه حتفهم، فقُدَّم التقطوا هذا الطفل الذي سيكون عدوًا لهم وحروناً.
الفائدة الحادثة: يبني قُدْرَة الله سبحانه وتعالى في هذا الطفل الصغير من بنى إسرائيل، الذين كانوا يقتلقُّل أبناؤهم، فأراد الله بِقُدْرَتِه أن الذي يُؤدوا ويربيه في بيته هو فرعون نفسه، الذي أمر بالبحث عن الأولاد من بنى إسرائيل ليقتله.
فكان الله تعالى يقول له: أن تقتل الأولاد من بنى إسرائيل، وقد أرسلتك وك واحد منهم، فعاشر في جحرك.
وهذا من أكبر الأدلة على قُدْرَة الله عظيمًا، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يعتمد على الأسباب المادية، فإن الله تعالى يَغيث الأحوال.
الفائدة السادسة: يبني أن فرعون وهمان وُجِنُودهُما كانوا على باطل، لقوله: إن فَرَعُون و همَّان و وُجِنُودهُما سَكَنَوا خِنْطِيبٍ، و طَرَقَ بُيُنَ الحَاطِر و المخيطِ، فالمحاور: الذي يرتكب المعصية عن عميد، والخاطئ: الذي يرتكبها عن غير عمد، أو عن جهل.
الفائدة السابعة: فيها دليل على أن فرعون -واهو وزير فرعون- سلطة كبيرة في ملكية فرعون، لقوله: وَجِنُودُهُمَا سَكَنَوا خِنْطِيبٍ، ففي عدة آيات يُضيف الله عَرْفَل الجنود إلى فرعون واحده، باعتبار أن فرعون هو الَّذِي، ولكنه هنا أضاف الجنود لفرعون وهما، وذلك لِيَبيِّن قوة تأثيره في الحكم.
قال الله عز وجل: {وَقَالَتْ أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ فَرَثُ عَبِيَّ في وَلَكَ لَا قَبُولُ لَكُمْ عَسَى أَن يُقُعنَا أَوْ نَخَذِهَا.} {القصص: 9}.}

قال المفسر رحمه الله: {قالت أمرات فرعون فرّقت عنى في وليكم لنقلبها على أن ينفعنني أو يأخذوني.} {وهم لا يشعرون} {يعاقبة أمرهم معه}.}

قال المفسر رحمه الله: {قوله تعالى: {وَقَالَتْ أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ}} {وقد هم مع أعوانه يقتله هؤلاء}. أي: يقتل موسى، {هو} {فرّقت عنى في وليكم}. كلمة {فرّقت} مكتوبة بالباء المفتوحة، والقاعدة أن تكون بالبناء المربوطة، وهي كذلك فيما يلي من الآيات بالمربوطة {ربشته آنا من أراحيك وذرّيتنيا قصرة أعيت} {القرآن: 74}. بالبناء المربوطة، ولم تأتي مفتوحة إلا في هذا الموضع من القرآن، وذكرت في القرآن في موضعين، يسوى هذا بالبناء المربوطة.

وإذا قيل: ما الفرق؟

نقول: إن هذا يتبع في الرسوم العثمانية، هكذا رسمه الصحابة والعلماء.

وقوله {وَقَالَتْ} {توجه الخطاب فيه إلى فرعون}.{وقوله: {فرّقت عنى}} {قدّر المفسر رحمه الله [هو]}. ليبين أن الله خبر مبدأ خذف، وهو ماأخذ في القرى، أو من القرار.
ويصع منها جَمِيعًا، من القرء، وهو الصرد، لأن العين إذا برزت، فإنها تكون علامة علی السرور، وهذا يقال: دم السرور بارد، ودم الحزن حار.

ويقال: يبكي عليه بدم حار، يعني: من الحزن.

إذن نقول: قرّة العين كتائبة عن برودتها، وبرودة العين دليل على السرور.

وقيل: إنها من قر بالمكان، وهو القرار وعدم الاضطراب؛ لأن الإنسان إذا كان خائفًا بدأ عينه تجول بين من هنا ومن هناك، تتشخص وتخلع وتلتئم، لكن هذا دليل على أنها قارئة، ولكن قرارها دليل على أنها لم تخف.

قوله تعالى: "فرَّطَ عِينِي لَوَلَكْ لَا نُقَلَّتُوْهُ عَسِيَّ أَنْ يَفْخَسَوا أَوْ يَنْخُذُوا، وَلَدَآ." قولها:

"لَا نُقَلَّتُوْهُ" يدل على أنهم هموا بقتله، وإلا لم كان لقولها: "لَا نُقَلَّتُوْهُ" فائدة.

وقوله تعالى: "فِي وَلَدِكُ" لا شك أن وقع الأمر كما توقع، وصار هذا الوُلد قرّة عينه لها، ورفعها لها في الدنيا والآخرة، وأما لفرعون فلها صار له بعد ذلك قرّة عين، بل كان له عدوى وحرونًا.

ومن غرائب التفسير أن بعضهم كان يقرأ هكذا: "قَرَّتْ عِينِي لَيَ" ويقف، ثم يقرأ: "وَلَكْ لَوْ لَا نُقَلَّتُوْهُ" جملة مستأنفة، وهذا في الحقيقة من التلاعب بالقرآن؛ لأن الله لم كان كما يقولون لقال الله تعالى (نُقَلَّتُوْهُ)؛ إذ إن حذف التون هذا لا تعليم له سبيلًا سوى النهي، فكيف يفسر كلام الله يثني هذه التفسير الواردة، ولكن ذكرنها؛ لأنه قد قيل به، حتى إنه روي عن ابن عباس رضي الله عنه(1) ولهن هذا من أبعد ما يكون عن ابن عباس؛ لذا فيه من تفكيك الكلام وتبانره.

---

(1) معاني القرآن للفراء (2/202).
وعدم التسامع بعضه مع بعض، ولأن النون في الفعلِ {مَّفَضَّلَة} مخصوصة، ما يدل على أن {لا} مسلطة عليه.

ولكن امرأة فرَعَون رضي الله عنها، إما أنَّها قالت ذلك من باب التهدئة له، وترفه، وإما أنها قالت ذلك معتقدة له، ولكن ليس من اعتقاد شيئاً يكون الأمر عليه وقائما اعتقاداً، بل قد يُلمع الله سبحانه وتعالى اعتقاد الإنسان، لحكمة يبردها، وهذا لا مانع من أن تقوم معتقدة أنه سيكون قرة عينه له وها أيضًا، ويُذَّل على هذا قولا: {عَسَى أن ينفعنا أو ننجده، ولداً}.

قوله تعالى: {عَسَى} للترشي، وقاله: {نفعنا} للخدمة، {أو ننجده، ولداً}.

نتبناه.

وقد قيل: إِنَّهُ لَيْسَ لِفَرْعَوْنَ مِن أَمْرٍ أَيْنَ وَلَدًا، فقالت: {أَوْ نَنْجِدَهُ، وَلداً}.

ومعلوم أن بين الأمرين فرقًا، فإن انتفاعهم به لا يجعلهم يstinian عليه كما ينفعون على الولد، فخلال عند الإنسان بأمره وينهاه، ولا يكون في قلبه له من الرحمه والرفاعة والعطف ما يكون للولد، ولهذا قالت: {أَوْ ننْجِدَهُ، وَلداً}، وهذا انتقال من الأدتي إلَى الأعلى.

إذن: هي تريد أن تقول: نحن لسنا محرومين من هذا الولد، فإما أن ننخذه خادماً ننفع به، وإما ننجدُهُ ولداً نفخر به، ويكون لنا في منزلة الولد.

وهناك احتفال ثالث لـَنَبِيّ، فلا ينفعهم، ولا ينخدعون ولداً، ولكنِّه لا ينطغى أن يقال في مثل هذا السياق، لأنها تريد ترغيبهم في إيقافه، والترغيب في الإبقاء لا تذكر فيه إلا الصفات المرغوبة، وهي أن ينفع، أو ينخدع ولداً.
وقد يدلّ تبينها لموسى على أنّها كانت عاقرًا لا تلد، وقد لا يدلّ على ذلك؛
فالمرأة قد تتخذ الولد زيادة على ما عندها، ولكننا عندما لا نجد ذيلًا بيتًا لما نقول:
وربما يكون كذا.

قوله تعالى: «وهم لا يشعرون»، هذى جملة الظاهر أنها من كلام الله، يعني
«وهم» أي: أنَّ فرزون ومنهم المرأة، «لا يشعرون» بعاقبة أمٍّ هذا الولد؛ لَاهِم
لم شعروا بعاقبة أبنه ما قيلوا منها مشورتها، ولكن الله سبحة وتعال أعزى ذلك
عنهم.

بعضهم يقول: «وهم لا يشعرون» أنَّ فرزون لا يشعرون بما تريده المرأة،
وكأن المرأة أعمرها الله عينه مال هذا الرجل، وأمّا هم فلا يشعرون، لكن الأقرب
أنه من كلام الله سبحانه وتعالى.

ومن الظاهر أنّ امرأة فرزون لم تكن قد آسملت حينئذ، فقد كنت زوجته،
ولا بد أن تكون مطيعة له، وأن تكون على ديبه.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: بيان فضيلة امرأة فرزون من قوتها: «لا تشعرُون»، وفيها أيضًا
دليل على فضيتها؛ لأنّها توقعت أن يتعففهم، ولكن حدث بغض ما توقعته، فقد
تفعّها هي فقط، وصار فرزون.
الفائدة الثانية: فيها دليل علّ ما قيل: (إنّ البلاء موكِّل بالملتقيّ)، والتفاؤل
كلام؛ فامرأة فرزون قالت: «فرَّتْ عني لَّي وَلَك»، فتفاءلت به خيرًا، فحصل لها
ذلك، وصار فرّة عيني.
الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَنْبِيِّي أَنَّ تَسْتَعْمِلِ الأَسَالِيْبَ الَّتِي تُحْقِقُ المَقْصُودَ; لِقُوْلِهِ: "قُرِّنْ عَبْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوا عَسَى أَنْ يُقْتَلَ"، فَإِنَّ هَذَا الْقُولُ مِنْهَا، سَوَاءَ كَانَت تَتوَقَّعُ ذَلِكَ، أَوْ لَا تَتوَقَّعُهَا، لَبِدَ أَنْ يَكُونَ سُبْبَةً فِي مَوَافِقَةٍ ﻓِرْعَوْنَ لَمْ يَبْلَغْهُ.

الفَائِدَةُ الْرَّابِعَةُ: أَنَّهَا تُنَّثِّلُ عَلَى أَنَّ ﻓِرْعَوْنَ هُمُ بِقِتْلِ مُوسِى، وَذَلِكَ يُؤْحَدُ مِنَ قُوْلِ امْرَأَةٍ ﻓِرْعَوْنَ: "لَا ﻓَتْنَةُوهُ«، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ هُمْ يَهُوَأ.

الفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: قُصُورٌ عَلِمَ الْإِنسَانِ مُهْمَّةً بَلْغَ فِي عُلُوْهُ وَاسِعَ كُبْرَهُ؛ لِقُوْلِهِ:

"وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ".

الفَائِدَةُ الْسَّادِسَةُ: هَذَا الْآيَةُ لَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى ﻓَرْعَوْنَ الْبَيْنِيِّ، فَقُوْلُهُ تَعَالَى: "وَأَنْ تَسْتَجِدَنَّ وَلَدًّا" يَجْعَلُ أَنْ يَكُونَ ﻣَعْنَاءً: نُكَرِّمْهُ وَنَجِلْهُ فِي بَيْتِهِ ﻣِثْلُ الْوَلِيدِ، وَقُوْلُهُ:

"وَأَنْ يَنْفِعَنَا" أي: ﻣِثْلُ الْحَادِمِ، وَيَجْعَلُ أَنْ يَكُونَ قُوْلُهُ: "وَلَدًّا" ﻣَعْنَاهُ:

نُبَيَّهُ.

وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَلَا دَلِيلٌ عَلَى ﻓَرْعَوْنَ الْبَيْنِيِّ، فَالْبَيْنِيِّ كَانَ مُسْرُوُّ عَنْهُ فِي عَهْدِ الْبَيْنِيِّ، فِي بِدَائِةِ الْدُعَاةِ، ﻗُلْ نَبِيّ وَحْرِمٍ.
قال الله ﷺ: "وصَبِحْ فَوَازَ أوَّمُوَسَٰى قُرَارًٰا إِنْ سَكَاتُ لِلْبَيْنِ يَهُوَٰلُ، أَوْلَـا أَنْ يُرْبِطَكُمْ عَلَىٰ قَلْبِكُمْ لِتَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ (الفَصْص: 10)."

قلّ المفسر زمخشتر: "وَصَبِحْ فَوَازَ أَوَّمُوَسَٰى لَّا عَلِمَتْ بِالْيَقَاطِعِ قُرَارًٰا ..." 

قلّه ابن عدار: "هذا بناة على أنها ألفته ليلة، وتأي كلمة (أصبح) بمعنى: (صار)، بغض النظر عن الزمان، وتأيي (أصبح) بمعنى (صار) في الإصباح، يقال مثلًا: أصبح الماء ثلجًا، أي: صار الماء ثلجًا.

وفي اللغة العامية الآن دائماً يعبر الناس يقولهم: أصبح كذا، وأصبح كذا، يريدون بذلك أنه انتقل إلى هذا، كما أن الإصباح انتقال من الليل إلى النهار، لكن هنا ليس بعيد أنه في الصباح تلك الليلة استولت عليها الوسواس والمحاجس، حتى صار قلبه فارغًا من كل شيء، لا تنسك في أي شيء إلا بهذا الوحد، وهذا يعني: أن المراة بالإصباح هنا الدخول في الصباح، وهو أولى من أن تجلعه بمعنى: صار; لأن الشيء يُجزَء عليه عند فقيده، كني إذا طال الزمان، فإن عليه قد ينضى، لأن الحوادث
نسانيسه، فالظاهر أنّه (أصدق) أي: في ذلك الليلة.
قوله تعالى: "ومازاَكَرْتُ قُرْءَاءٍ، قالوا: "مازاكَرْتَ قُرْءَاءً".
يقول: ماذا سواء، أما قول المفسّر رحمه الله: [ما علَّمته باليقين] فهذا لا يُتبع، أنها علمت؛ لأنك بمجدد أن ألقنه سوف توسوس به.
"إِنَّكَ مُّقَدِّمٌ فِي الْقِتَالِ، وَاسْمُهَا مُخْفَى، أَوْ إِنَّكَ حَكَاهَ تَنْبِئَهُ يَهُودِيَّ".
أي: بأنه ابنها، "إِنَّكَ أنْزَلْتَ عَلَى قَلَبِهَا" إلى آخره.
المفسّر رحمه الله أَعْرَب قَوْلَةُ تَعَالَى: "إِنَّكَ مُّقَدِّمٌ فِي الْقِتَالِ، وَابْنُ مَالِكِ يُقُولُ:
وَخَفَقْتُ إِنْ فَقَلَ الْعَمَّلُ
وَرَزَّةٌ لَّهَا إِنْ أَرَادُتْ عَنْهَا إِنْ بَدَأَةً
والفَعْلُ إِنْ لَمْ يَكُ نَسْخَاً فَالَّا
فَالْآيَةُ إِذْن جَآئِرُهُ عَلَى اللُّغةِ القَصِحِيَّةِ لَانَ (كَادَ نَاسَخًا، وَالْلَّآمِ فِي "الْبَيْدَمِ يَهُودِيَّ" جَآئِرُهُ غَيْر لَازِمًا، وَلَو حذَفْنَاهَا وَقَلْنا: إِنَّ كَادَتْ تَبْدِي بِه. فَتَوْكَّدُ بِمَعْنَى (مَا)،
يَعْنِي: ما كادت تبدي به. جاز ذلك.
ولذللك فإن اللآم يجب ذكرهُ إذا كأن حذفهُ يوقَع في الإشكال؛ لأن إن حذفها، وإن أوجدت تحايل، فين يكون هناك استدلال لأن لام التوکید لا تأتي مع الفعّ.

(1) ألفية ابن مالك (ص 2).
وقيل: تخفف المعنى؛ لأن قوله تعالى: "إِن سَكَّاتَ لِتَبَيَّنِ ٍ يَدٍ،" معناه: أنه قرب إبداؤها لذلك، لكن ما كنتا لتبدييها يمعناها مستحيل، لأن السياق يدل على أنها جائزة، ولأن السياق يدل على المعنى، وهو قوله تعالى: "وَلَا تُبَيِّنَ اللَّهُ لَّا تُنَابِسَ أَنْ تَكُونَ (إِن)،" نافية، يعني: ما كانت تبدي به.

ولربه عن القلب يقتضي الكتاتب، ولا يضلح أن تكون: ما كانت تظهر
كُلَّا أَن رَبِّكَ، لأن "كُلَّا أَن رَبِّكَ" يستلزم "أَنَّهُ يَنطَوَّرُ،" فعلى هذا تكون اللهم هنا جائزة، وَهَذَا جَارِيٌّ مِن جَنْحِ الصَّنَاعَةِ النَّحوَيِّةِ، أَنَا مِن جَنْحِ الْتَّلَاوَةِ الْقُرَآنيَّةِ، فلا يجوز حذفها، والسبب أن كلام الله لا يعمَن أن يبدوا، لا بالنزقة، ولا بالزيادة. قوله تعالى: "إِن سَكَّاتَ لِتَبَيَّنِ ٍ يَدٍ،" تبدي أي: تظهر به، وأيما قول المفسر رحمه الله: [أي: باتِيّتهما)، فهو بناء منه على أنها وصلت إلى اليمين، ولولا أن ربط على قلبيها لقلت: هذا بني، ولا شك أن هذا بعيد من القصة، بعيد من المعنى، ولكن معنى قوله: "إِن سَكَّاتَ لِتَبَيَّنِ ٍ يَدٍ،" أي: تظهر بما فعلته به، وهي تحدث الناس، وتقول: والله أنا فعلت كذا، وفعلت كذا، وأتيت أبي في البيت، إلى آخره، وإنما قال: "إِن سَكَّاتَ لِتَبَيَّنِ ٍ يَدٍ،" لأن المعروف أن الإنسان إذا خرَّ، فإن البني، فإنه يخفف من آلام الذكر على نفسه، أو يتحدث به إلى أحد من الناس لينصبه عليه.

ولذلك تجد الإنسان يضيق صدره بالبيه حتى يجلدته به، وهذا البيت معلوم، قول الله: "لَا أَنَّ الَّذِي رَبِّكَ" على قلبيها لأبدت ذلك الأمر. لا أنها تبدي وقول: هذا بني، بل أبديت الامر الذي وقع منها، وهي أنها ألقحت في نابوت، وألقته في البيت.
لا فعلت هذا لطائر الخمر، كما يقول الناس؛ لأن الخبر مكتوب ما لم يظهر، فإذا ظهر لواحد، فعند أن يشتري، فلو أبدين، ولي أقرب الناس إليها - أظهر أمر الطفل، وعلمه به، ولكن الله سبحانه وتعالى ربط على قلبيها، فهذا قال: "لا أن ربطنا على قلبيها" بالصبر، أي: سنكته، والربط على النبي، معناه: شدد الرباط عليها.

وانظر إلى قوله: "لا أن ربطنا على قلبيها"، فهو أبلغ من: أسبكتا قلبيها، والربط عليها معناه: أن لا يمكنك أن تتحرك، فهذا أبلغ، والله تعالى ربط على قلبيها، بحيث إنها صبرت، ولم تحدث أحدا بيا جرى.

قوله تعالى: "لكنكم من الأنبياء" أي: المصدقين بوعدي الله، وجواب (ولأ) فذل عليه ما قبلته، وتقديره: لابدته به.

وقد قال الفصیر رحمه الله: إنه دل عليه ما قبلته، ولم يقبل: إنما ما قبلها، ولكن دل عليه. وقد سبيل لنا أن مثل هذا التعبير لا يحتاج إلى جواب، وذكرنا أن بعض العلماء قال: يحتاج إلى جواب. ولكن لو أثبت بالجواب لكان الكلام ركيما، فقوله مشا: أكره الطالب إن كان مجهدًا. وهذا لا يحتاج إلى جواب؛ لأنك لو أجبت: أكره الطالب إن كان مجهدًا فأكره لم يكن الكلام ركيما، وهذا المعني الذي ذكرناه آثار.

إليه ابن القيم في كتابه (البيان في أقسام القرآن) (1)

وهو قوله: "لا أن تركنا على قلبيها" أي: شددنا بالربط، والمراذ به السكن، وقوله: "لكنكم من الأنبياء" اللام للتعليل، والمتعل ربط القلب، يعني: ربط الله على قلبيها هذه الغاية، وقوله: "لكنكم من الأنبياء" ليس المراذ الإيمان الجديد، لأنها مؤمنة بلا شك، وأدل دليل على أنها مؤمنة أنها امرأة ألقبت ابنها في اليدين بفقة بوعبد الله عزيزًا، وليكن

(1) انظر على سبيل المثال التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص 2).
المَرَاضُ هُنا بالإِلَّهِ الإِيَهَانُ الرَّأَيِّنُ عَلَى أَصْلِهِ، يَعْنِي: الْمُصْبِحِّينِ، وَهُذَا هُوَ الَّذِي
وَقَعَ.

وَفِي الْقَصَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَواَلَدُ عَظِيمًا، وَمِنَاَقِبٌ لَّا مُوسَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا" الْالْتَقَاطُ غَيْرِ الْأَخْدَ، فَالْالْتَقَاطُ يَكُونُ
عَنْ طَلِبٍ، وَهُوَ يَحْتَصُّ بِالْأَدَمَيْنِ، فَالإِلَّهُمْ فَقْطُ هُوَ مِنْ يَتَلَّقَّى عَلَى اسْمٍ (اللَّقِيطِ)
وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الطَّفِيلِ الْمِجْذَوبِ، أَوِ الْطَّفِيلِ الصَّائِمِ، هَذَا هُوَ التَّشَبيهُ.

وَقَدْ قَالَ إِنَّهُمْ التَّقَطُوهُ، بِمَعْنَى: أَخَذْهُو، أَيْ: يُذْوَى أي عِروضٍ، وَعَلَى سَبِيلِ
الْأَمِينَةِ كَمَنِيَّةٌ أَخَذُوُهَا.

وَاللَّهُمْ فِي قَوْلِهِ: "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا" لَيَحْكُمُ عَلَيْهِ وَحْرَانًا" لِلْعَالِقَةِ،
وَلَا تَكُونُ لِلْتَعْلِيلِ، لَا يَمْتَلِئُهُ، لَيْسَ كُلُّ عَدَوَى لَهُمْ، وَلَكِنَّ الْعَالِقَةَ كَانَتْ
كَذَلِكَ لِيَسْتَبْعِدُهُمْ أَنْ يَبْدِئُهُمْ عَدَوَى وَحْرَانًا لِلْقِبلَةِ. وَهَٰذَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ
قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ لِلْتَعْلِيلِ، "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا"، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْعَالِقَةِ، وَلَا يَكُونُ
لِلْتَعْلِيلِ، "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا"، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْعَالِقَةِ، وَلَا يَكُونُ
لِلْتَعْلِيلِ، "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا"، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْعَالِقَةِ، وَلَا يَكُونُ
لِلْتَعْلِيلِ، "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا"، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلْعَالِقَةِ، وَلَا يَكُونُ
لِلْتَعْلِيلِ، "فَأَلْقُطْحْهَا، أَلْلَهُمْ، وَلَمْ يَلْقَطْهَا".

قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَأَلْقِحُ جَوَادَ أَيْ مُوسَى، قَرْنَا"، أَيْ: فَأَصْحَبْ قَوْدَاً أَيْ مُوسَى، قَرْنَا، "فَاَلْحُقَّةُ مَنْ ذَكَّرَ كُلُّ شَيْءٍ، مَا
في قُلُوبِهِ إِلَّا مُوسَى."
وقوله تعالى: «إن صفاً يقع في ذلك»، فإن هذا ليست نافذةً، كما في قوله تعالى: «إن هذين لا ملك لهما» (يوسف: 31)، بل هي مخففةً من (إن) الثقيلة، ووالآله من كونها نافذةً أثناً:

الأول: مانع للفظٍ: وهو وُجُودُ اللام.

والثاني: مانع معنويٍ: وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن كادت تأتي به، ولذا يقول في بحري الآية: «ولأ أني ريبك؟»، والربط يقتضي أنهما ما أبدت.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن الإنسان يكون على حال، فإذا تزول به البلاء تغير حاله، فهذه أم موسى كانت في البداية مطمئنة، ولذلك وضعته في النَّبُوت، تم وضعته في اليم، وهذا يدل على أعلى درجات الطمأنينة، ولكنها أصبحت بعدما فارقه كا قال تعالى: وأصبح قُدِّرتُ أَمْ مُوسى فَرْجًا، فقد صار قلبه الآن فارغًا، وأصبحت قلبه كأنه ليس في الدنيا سوى إلينا، فالواقع أن الإنسان له حال قبل تزول البلاء، وله حال بعد تزوله، وهذا لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للبلاء.

يذكر أن سمًّن من حريّة، وهو أحد مشايخ الصوفية، وكان على درجة عالية من العبادة والزهد، ولكلنها قال يومًا:

فَلْيُثْبِتُ لَيْنَ في سَوَاءٍ حَظٌّ فَكِيَّةٌ فَشَتِّتُ مَآمِتِي جَنِّ

فابلٍ يَحْبِس النَّبُولَ، فَلْمَ يَقْرَرُ لَهُ قَرَارًا، فكان بعد ذلك يطوف على المكتبة

ويبيده قراره يقطر منها بوله ويقول للصبيان: ادعوا لِعْمَكم الكذاب (١)، وذلك لأنّ

(1) حلية الأولياء، لأبي نعيم (١٠٠٩/١٣٠٢ هـ)، وتلخيص إيليس، ابن الجوزي (ص ٦٠٣).
الصبيان ترجى إجابة دعوتهما.

فلمهم: أن الإنسان له قليل البلاء حلال، وبعد البلاء تتغير حاله، وهكذا أيضا في الأمور الشرعية، قال: من سمع بالدجال فليؤمن عنه، فوالله إن الرجل ليأتي وهو يحسب أنه مؤمن فيبعة، بما يبعث عليه من الشهابات، أو ما يبعث به من الشهابات.(1)

وهذا هو الواقع، فالإنسان يجب أن يتحرر من البلاء، وقد ذريي عن النبي أنه قال: لا يبخض للمؤمن أن يديل نفسه. قالوا: وكيف يديل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لا يطيب.(2)

الفائدة الثانية: فيها دليل على أن الطبيعة البشرية لا يأخذ بها المرء، فما تقتضيه الطبيعة البشرية لا يؤخذ به المرء، وجه ذلك أن فؤاد أم موسى كان يبخض ألا يكون فارغاً يذكر الله عز وجل ومن الدار الأخرى، لكنه أصبح فارغاً ليس فيه شيء أبدا ليذكيه، سوى ذكر موسى، وهذا مقتضى الطبيعة البشرية؛ لأن الأمور العظيمة التي تنزل بالمرء تنسى كل شيء.

الفائدة الثالثة: فيها دليل على فضيلة أم موسى صلى الله عليه وسلم، لكونها لم تذهب في قلبيها لأحد، لقوله: إن سكنت لذلك وبديل لولا أن ربتنا على قلبيها.

الفائدة الرابعة: فيها دليل على أن المرء مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى في كل أحواله.

(1) أخرجه أحمد (4/431)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (19). (2) أخرجه الترمذي: كتاب الفتنة، بعد باب ما جاء في النهي عن سب الريح، رقم (254)، وابن ماجه: كتاب الفتنة، باب قوله تعالى: "فيّ أثاباً اللّه مَاتِئًا عَلَيّمَانٌ، أثَانُكمَ" (المائدة: 100)، رقم (4016)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
ولا يسبح الإنسان عند نزول الحوادث؛ لقوله: (ولا يسبح الإنسان في ظلمته) فالأمر من الإنسان مقتصر إلى الله عزّ وجل، ولولا معونة الله وما فعل الإنسان شيءًا، لا صلى على بلاء ولا شكر عند الرحمن.

الفائدة السادسة: فيها دليل على إثبات العلل والأسباب؛ لقوله: (إنما ظهرت الأسباب)، فهذه من الأسباب والعلل، وهم الجمعية والاشتراك، فهم ينكر الأسباب حتى الأسباب الظاهرة الجلية، ويقولون: إن الشيء يحدث عندنا لا يهم فلو أخذت حجرًا وضعته الزجاج وأنكسر، فلا يقولون: إن الزجاج أنكسر بالحجر، بل أنكسر عندنا. مع أنّ إذا وضعت الحجر على الزجاج لا ينكسر، ولكن إذا ضربتهم به انكسر.

وكل ذلك عند تناول المريض الدواء، هم يدعون: (اللهم اجعل شفائي عند الدواء). وذلك بناء على إنكارهم الأسباب، تسأل الله تعالى.

الفائدة السابعة: في قوله: (إنما ظهرت الأسباب)، دليل على أن الإنسان والكلام في الرجال أكثر؛ لأنه لا يقبل، ينكر من المؤmeye، ويبدل على ذلك أيضًا قولة تعالى في مريم: (وصَلِّتُ يَكُونُ مِثْلَهَا وَكُلِّيَّةِ النَّسَاءِ) [المحرز: 12]، وطبقًا جامعًا في الحديث: (كل من الرجال كثير، وله يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومرير بن عمران).

ولا ريب أن الإنسان في الرجال أكثر وأثبوا وأزيدوا، فهي الحكمة على النبي ﷺ.

(1) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنياب، باب قوله تعالى: (وَصَلِّيْتُ مَثُلَّهَا وَكُلِّيَّةِ النَّسَاءِ) [المحرز: 12] إلى قوله تعالى: (وَكُلِّيَّةِ النَّسَاءِ) [المحرز: 12]. رقم (1311)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، رقم (2431).
ما رأيت من ناقصات عقلًا وبدين أذهب لقلب الرجل الحاذي من إحداكم
وإنا قررنا هذا من أجل أنه يجيب على الرجل مراعاة الرجل، وأنا متاحة إلى الرعاية، وكذلك يجيب ألا تحاب إلى كل ما تطلب لأنها ناقصة عقلًا وناقصة دين، كما وصفها النبي عليه السلام بذلك.

القياسة السابعة: فيها دليل على إنشات القضاء والقدر، نأخذه من قوله تعالى:

«أولئك أن يربطوا على قلبيها» فإن هذا من قضاء الله سبحانه وتعالى وقيمه.

ولا يصح أن نشتق الله اسمًا من الفعل المسند إليه ربطنا فنقول: الرابط.


---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الخالص الصور، رقم (4043)، ومسلم: كتاب الإبان، باب بيان نقصان الإبان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بإله، رقم (80).
قال الله تعالى: «وَقَالَت لِأَخِيهِ قَصَبْنِيْهُ يَدٍ عَن جُنُبِهِ وَهُمْ لَا يُشَعَّرُونَ» (القصص: 11).

قال المفسر رحمه الله: [وَقَالَت لِأَخِيهِ قَصَبْنِيْهُ يَدٍ عَن جُنُبِهِ وَهُمْ لَا يُشَعَّرُونَ] تعليصي خبره قصبت يد أبيضرته عن جنبي ين مكان بعيد ابتدالا وهم لا يشعرون أنها أخته وأنها تربه.


ولو كان مهبا لبني الله سباحة وتعال.

وقد يقول البعض في قوله تعالى: «لأخيه» إنها كانت أخته من أبيه أو من أمه، ولكن الأخوة هنا مطلقة، فيكون المراود شقيقته، ولو كانت من أمه أو أبيه لقيدت.

قوله تعالى: «قصبته يد» أي: أعلي يأبرضه حتى تعليمي خبره والقص معناه التبتيع يعني تتبع آثره، وابحرني عنه.


وقوله تعالى: «عن جنبي» أي: من مكان بعيد، وعلى هذا فالموصوف محذوف.
والقدير: عن مكان بعيد، بعيد منها، لكنها عرفت أن هذا أخوها، وقوله: (فقصرت يده عن جنب) أي: من مكان بعيد اختلاسا، والاختلاس معناه: المصارقة، أي: كانت تنظر إليه دون أن تُفيد النظر إليه، فلو أنها فعلت، وأقبلت إليه مسرعة، وظهرت منها علامات على أنه مقصودها، لعرفوا منها ذلك، ولكنها جعلت تنظر إليه خليسة حتى لا يشعروها بها.

قوله تعالى: (وهلم لا يشعرون) أي: إن الله فروعون لا يشعرون أنها أختها، وأيها ترقبه، فإنها كانت ذكريه، ما فعلت ما ذل على شخصيتها.

وجملة (وهلم لا يشعرون) حال من فعل (قصرت)، والجملة الحالية لا يسرف أن تكون وصفاً لصاحب الحال، ولقد تقول: جاء ريت الشمس طالة. فجملة (والشمس طالعة) حالية، مع أنها ليست من صفات ريت، لكن الجملة الحالية يكتفي فيها بأذن ملابسة مع الفاعل.
قال الله عز وجل: "وَرَحِمْنَا عَلَيْكُمَّ الْمُعَضْدِمِينَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هُلْ أَذَّنْكُمْ عَلَى أَهْلِ".

"بَيْتِ يَكْتُولُونَ لَهُمْ وَهُمْ لَنَصْحَبُوهُ" (القصص: 11).

قال المفسر زمخشتر: "وَرَحِمْنَا عَلَيْكُمَا الْمُرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ" أي قَبْلُ رَدُّهُ إِلَى أُمَّهُ، أي مَّعَانٍهُا مِنْ قَبْلٍ. يُذْكَرُ ذَلِكَ مِرْفَعًا عَلَى أُمَّهُ، فَلَمْ يَقَلَ ذَلِكَ وَاحِدًا مِنْ الْمُرَاضِعِ المُحَضْرَةِ لَهُ "فَقَالَتْ" أَخْتُهُا "هَلَ أَذَّنْكُمْ عَلَى أَهْلِ"مَا رَأَتْ حَنْوُهُمْ عَلَيْهِ "يَكْتُولُونَ لَهُمْ وَهُمْ لَنَصْحَبُوهُ" بِالْمَلِكِ جَوَابًا لِمَا فَجَأَتْ، فَجَاءَتْ يَا مَلِكٌ فَقَبَلَ ذَلِكَ مَا رَأَتْ وَأَجَاوَزْتُهُمْ عَنْ قَبْوَهُ بِأُمَّهُ طَيِّبَةٌ الرِّيحِ طَيِّبَةٌ اللَّهِ فَأَوْلَى هُنَا إِلَى إِرْضَاعِهِ فِي بِيْتِهَا فَرَجَعَتْ بِهَا كَأَا قَالَ تَعالَى.

كان الطفل عند عمر فوَّعون يبكي فَرِيد الوراء، ولهما خرجوا به يطلبون المرضعة، فصادر أن رأته أخته، فقد تكون أم موسى قد طلبت من أخته الخروج إليه بعد ما سمعت عن طلبَ الله فوَّعون مرضعة لموسى، وقد تكون قد أمَّرتها بالخروج إياها منهما يوَّعد الله هُنا كأن يرددها إليها.

قوله تعالى: "وَرَحِمْنَا عَلَيْكُمَا الْمُرَاضِعَ" أي قَبْلُ رَدُّهُ إِلَى أُمَّهِ

وقوله: "وَرَحِمْنَا" أي: مَّعَانٍهُ، وَالْمَحْرُومِ في اللُّغةِ: المُعَذَّبُ، وَالْمَحْرُومُ يُقَسِّمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: مَحْرِيمَ شَرِعِيَّ وَمَحْرِيمَ قَدْرِيَّ، وَالْمَحْرُومُ الشَّرِيعِيِّ مَتَعَلِّقُ بالأحكام الشرعية.
والتحريم القرآني متعلق بالأحكام الكنوزية، ومثال قوله تعالى: "وَلَصْحَبُوهُمْ عَلَىٰ صُدُورِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمَا أَنْتُمُ لاَ يُرِيدُونَ" (الأنبياء: 95)، و قوله تعالى: "قَالَ فَإِنَّهَا مَحْرُومَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَابَعًا يُهْوَثُ فِي الأَلْدَارِ" (المائدة: 22)، فالتحريم هنا تحريم قدري.
قوله تعالى: "عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ"، ولم تُقل: عَلَىٰ أَهْلِهِ. فلما قَالَتْ ذَلِكَ افتقض أمرها، وقالت: يُصْحِبُوهُمْ عَلَىٰ صُدُورِهِ. وقالت بصيغة التنكير؛ حَتَّى لا يعرفوها، مع أنها أحش موسى، وصاحب البيت هي أَمُهُ، فأخذ موسى لما زاد حتَّى آل يقرون على هذا الطفل؛ لأنهم يُجْنُون أن يجدوا من يقوم بِكفايته وإرضاعه، وقالت: "هَل أَنْذَرُكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَحَسْمٍ" للإرضاع وغيره.
قوله تعالى: "يَكْفُلُونَ لَحَسْمٍ"، الكُفَّر معناه القيام بِحضانة الطفل، ويسمى كِفَّارًا، كَمَا في قوله تعالى: "وَكُفَّلَهَا زَرْقُيَّةٌ" (آل عمران: 37)، وفي قَوَاعِد ثَانِيَة "وَكُفَّلَهَا زَرْقُيَّةٌ"، والمعنى: أَنَّا أَذْكُرُونَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يقومون بِحضانته على أمّه، بدليل قوله: "وَقَدْ لَمَّا نَصَحُوْتْ".
هنا الكفالة عِبَّرًا عنها بالفعل "يَكْفُلُونَ"، والنصيحة عِبَّرًا عنها بالجملة
الاسمية "وَقَدْ لَمَّا نَصَحُوْتْ"، فالنصيحة مُنبِّئَةٌ على الْيَتِّيَّة فِي الْقَلْبِ.
قوله تعالى: "نَصَحُوْتْ"، أي: خَلَصُونَ، وأصل النصيح: إخلاء الشَّيء مِن الشؤون، وَمِنْهُ قَوَاعِد ثَانِيَة "نَصَحُوْتْ"، أي: تَنْصِيْحٌ إِلَى الْيَتِّيَّة فِي ظُلُومٍ
[التحريم: 88]، أي: خَلَصَةٌ مِن الشؤون لله وحده، وهي هنا صادفة في قوله هذا.
وقوله: "وَقَدْ لَمَّا نَصَحُوْتْ" الصَّمشاركة في "لَمَّا" يعود إِلَى هذا الطفل بلا رَبِّ، و."يشدّد أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ لَمَّا يَعْجِبُ آلٍ يقرون؟ لأَنْهُم أُحَبُّوا هَذَا الطَّفْلَ، وَرَجَعِوا في الْبَحْثِ عِنْمـِ يَكْفُلُونَ وَيُسِيرِهِ عَلَى الْرَجُلِ الأَمْئَ."
يقول المفسر رحمه الله: [وقَرَّتْ صُمِّيرُ ﷺ ﺑَاءُ ﺍِبْنِهِ ُهُب، فَأَجَبَبَهُ،] هذا مبنيًّا على قصة إسرائيلية، أنها لم كانت: {وَهُمْ لَنَصَصِبُونَ} كأنهم شكونا فقالوا: ما الذي أدرakk أنهم ينصحون له؟ فقالت: أريد أنهم ينصحون للملك، أي فرعون. يعني: وهم للملك ناصحون.

وهذه قصة لا شك أنها بعيدة عن الصحابة، وإنها المراد ﷺ للطفل، وليس هنالك ما يمنع أن يكون الصمير عائداً إليه، ولا حاجة أيضاً إلى تفسيره بالملك؛ لأن آل فرعون يخونون من ينصح له، فليسوا بساناً على هذا النهي، فتكون المفسر رحمه الله هذا لا داعي له.

يقول: {فَجَاءَتْ بِأَمَامِهِ فَقَصَّلَ نَتْنِيَّهَا، وَأَجَابَتْهُمْ عِنْ قَبْوَلِهِ بِأَنَّهَا طَيِّبَةُ الْرَّيْحُ طَيِّبَةٌ} اللَّهُمَّ فَأَذِنْ لَهَا فِي إِكْرَامِهِ فِي بَيْتِهَا، فَرَجَعَتْ بِهِ. هذا التفسير الذي ذكره المفسر رحمه الله أيضاً بطل في الآية عليه، هو يقول: {إِنَّهَا جاءت، وَقَصَّلَ نَتْنِيَّهَا} أمام الناس، واتتهمت به ودافعت عن التهمة بأن لديها طيب الريح، ولبنها طيب.

وكل هذا لا أصل له، والصواب أنهم لم يقال: {هَلْ أَذَكَّرُوهُ عَلَى أهْلِ بَيْتٍ يَكْفُنُوهُ} لسماحهم: وهم لَنَصَصِبُونَ قالوا: نعم، دلّينا. فالقصة واضحة جدًا، قلوا: دلّينا ذلك، فنجوا به إلى أمه وها أبلغ في المعجزة، والآية أن أمه في بيتها أمرت أخته أن تخرج في طليعة، فها رجعت أخته إلا يه إلى أمها.

•••
قال الله عز وجل: ﴿فرددته إلى أمي كنفر عينها ونال تخربت ونعلم أن وعد الله حق وليكن أصبهاء لا يصلموه﴾ (القصص: 13).

قال المفسر زمخشاه: ﴿فرددته إلى أمي كنفر عينها﴾ بقائله ﴿ولا تخربت﴾. كيف إذن ﴿فرددته إلى أمي كنفر عينها﴾ ﴿ولا تخربت﴾ ﴿وفى الوعد، ولا بناء هذه أخته، وهذه أمه، فتمكت عنهما إلى أن قطعتمه، وأخرجت عليها أجرها كل يوم دينار، وأخذتها لابنها مال حربي، فأتت به فروعه، فتربي على عينها، كما قال تعالى: حكایة عنك في سورة الشعراء: ﴿قال ألم ترَ إبك فينا وليست فنيّا من عميّ سبب﴾ (الشعراء: 18).

ما حكایة المفسر زمخشاه من أن الأم ذهبت إلى اليوم، وأنها انفردت بها، ودفعت بأنها طيبة الريح، أو طيبة اللب، ليس بصاحب. ووُلِّدُ هذا الأمر لا يلزم أن تكون له أسباب حسنة معلومة، لأنها بين حوارات العادات، وحوارات العادات لا تحتاج أن توجه لها أشياء تناسب العادات، بل هي فوق العادات.

فقال هذا نقول: المسألة سائرها على حسب ما جاء في القرآن الكريم، فإن الأم لم تأت إليهم، كما أخبر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿فرددته إلى أمي﴾ أي: ﴿رددنا.}
١٠٢

หน่วย ٤: تفسير القرآن الكريم

سورة القصص (الآية: ١٢)

موسى إلى أمه: "لكِ نَذَورُ عُينُكَ" بجوارها، "نَذَورُ" سباق أنها مأخوذة إما من القرءاء وكلمة البُروة، وإما من القرآن والسكون، ولعله يشمل المَعْنَىُّين.

وهذا "نِقْرٌ" هنا حرف تعليل، وهي مصدرية تنصب الفعل المضارع، وهذا "نِقْرٌ" منصوبة، وعلامة نصي فتحة ظاهرة على الراء.

قوله تعالى: "كِ نَذَورُ عُينُكَ" بجوارها، "وَلَ تَحَرَّكَ" حينئذ، يعني: لا تحرك على ما مقصى، بل يزلو عنها الحزن، نظر العين، ويزول عنها الحزن، "وَلَ تَحَرَّكَ" وعند أن تحرك "أَنَّ اللَّهَ بَرَزَّهَا إِلَى هَاذِهِ"، وهذه أيضًا ثلاث فوائد:

الأولى: "نَذَورُ عُينُكَ"، الثانية: "وَلَ تَحَرَّكَ"، والثالثة: "وَلَ تَحَرَّكَ أَنَّ اللَّهَ بَرَزَّهَا إِلَى هَاذِهِ".

أما الأوليان فظاهر أنها نثر عينها بجوابه، وأينها لا تحرك، بل يزلو عنها الحزن.

لكن قوله: "وَلَ تَحَرَّكَ أَنَّ اللَّهَ بَرَزَّهَا إِلَى هَاذِهِ" هذه العلة سبقت؛ لأنها منذ أن ألقاها في اليض قد علَّمت أن "وَلَ تَحَرَّكَ"، ولولا علمها ويبقينها بأن "وَلَ تَحَرَّكَ أَنَّ اللَّهَ بَرَزَّهَا إِلَى هَاذِهِ" ما ألقاها، فتكون هذا المراذ بالعلم عين الاليقين، أو "حَقَّ الاليقين إن شَئَتُ".

فيعلمها بالأول: علم عين الاليقين خبراً، وعلمها الثانية علم عين الاليقين وقوعًا، وفرق بين علم الإنسان بالشيء خبراً، وبين علمه به وقوعًا، وقيدًا قال إبراهيم: "رَبِّ أَرْبَى صِفَافٍ نَّعْمَى الْمَوْصُولَ قَالَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: أَيْبِسُ الْخَيْرَ كَمَفْعَلًا" (٢٢٠، البقرة).

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: "ليس الحبَّ كمفعولًا" (١).

(١) أخرجه أحمد (١/١٢٠، رقم ١٤٨٣)، والحاكم (٢/٣٥١، رقم ٣٣٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين، والطبراني في الأوسط (١/١٢، رقم ٢٦)، والضياء (١٠/٨٢، رقم ٧٦)، وابن حبان (١٤/٩٦، رقم ٦٢١٣).
وقوله: "ولعلمت" يعني: علم النبي نبأ بعد وقوعه، وأمّا علمها و هو خبر فقد تقدم، ولولا أنّها واقعة في الأول ما فعلت.

وقوله: "أراك وعد الله حقًا"، ذكروا أنَّ الوعد هو الوعد بهي يسر، والوعيد بما يخير، يعني: الوعد بالخير، والوعيد بالشر، وأن الشر من (أواعد)، والخير من (وعد)، فقالوا: أوعدة أي: بالشر، ووعدته بالخير.

«كُنْ تَقُولُ عَينَكَ وَلَا تَخْرِبْ» قُرْتُ عينه ينمي الحزن والسلام، أي تفي الحزن.

هنا لاتجلي أن بَيْنَ أنْ الفَرْج كَامِلٌ؛ لَوْنِه قُدْ تَقُولُ عينه مع شيء من الحزن.

والوعيد حق، والوعد حق، وво قلنا: إن الوعد ليس بحق. أنَّم اى أن يكون في خبر الله كذب، وهذا غير ممكن، لكن الوعد قد لا ينقئ تفضلاً من الله عزّ وجلّ؛ لأنه حقه، الوعد حقه لله، والله ﴿بَارِزَةً وَقَتَالَةً﴾ قد يتجاوز عنه، أَما الوعد فإنه حق للموعد، وَهَذَا لَا يَمْكِنُ أَن يَتَخَلَّف، قال الشاعر(1):

وَإِنِّي وَأُوْنَدَتْهُ أُوْنَدَتْهُ لَمَّا خِفَّتْ إِبْعَادَي وَبَرَزَهُ مَوْعِدَيُ هُمَذَا لَرَضْنِي وَعَلَى أَوْعَدٍ لِلْمَوْعَدَ وَالْوَعِيدَ حَقٍّ لِلْمَوْعَدَ وَلِلْوَعِيدَ حَقٍّ لِلْمَوْعَدَ.

و أَضْرَب لِذَلِك مَلَائِكَةٌ: إِذَا قَلَت لَهُ هَذَا الرَّجُلَ، إِنْ قَعَدَت كَذَا أَعْطَيْكَ مَايْدَى دِينَارْ، فهذا وعد، لأنه فيخير، فهذا فعل ما قلت، يجب علي أن أوفيه؛ لأن الحق له، لكن لو قلت لولد في مثله: إن قعلت كذا خَبْسُتَك، ثم فعله، ولكن عفوت عنه، فهذا جائز، ويكون أفضل، لا سيما إذا عفا عنه مع القدرة، قال الله تعالى: «إن بُدِّوا خيرًا أو خُفْقُوهُ أُوْعَدُوا عَنْ سَيْوِى إِنْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَقَبًا فَرَّقًا» (النساء: 149).

(1) البيت لعامر بن الطفيل، كا في لسان العرب: ختأ، وتاج الرواس: ختأ، ويلا نسبة في إثاب الرواة.
والحاضر: أن وعد الله ووعيده كلاهما حق، لكن وعد لما كان حقًا للموعد صار لا بد منه لوقوعه، ووعيده لما كان حقًا له إن شاء عفا عنه; تكَّرَّما وتفضلاً، حسب ما تقضيه حكمه سبحانه وتعالى.

ولكن في قوله تعالى: {قد وجدنا ما وعدها ربنا حقًا فهبل وجدتم ما وعد ربكم حقًا} [الأعراف: 44]، هذا عبد أطلق على الوقوع؛ إما لأنّهُ في المقابلة مع قولهم بهذا صار مشاكلًا له، أو آنّهُ يطلق عليه أحياناً.

قال تعالى: {ولتَّسْتَمِرَّ أنتَ وَعَدَ الله حَقّ} {حَقَّ} هنا بمفهوم: ثابت، وقد قلنا: إن الحق إذا تعلق بالأخبار، فمعناه الصدق، وفي الأحكام معناه العدل، وعلى هذا فيكون هذا بمفهوم: الصدق.

{ولتَّسْتَمِرَّ أنتَ وَعَدَ الله حَقّ} أي: صدِّق، ولا يمكِّن أن يتخلف؛ لأن تخلف الوعد إذا أن يكون عن كذب الواعد، أو عن عجزه عن تنفيذه، وكلا الأمرين في حق الله مستحيل، فلا كذب في قوله، ولا عجز في فعله؛ وهذا فإن عباد الله سبحانه وتعالى يحتمون الدعاء بقولهم: {إنك لا تخلف الميعاد}.

قوله تعالى: {ولكن أَكْثَرُوهُم} أي: الناس لا يعلمونه بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته.

والمسير رحمت الله خصص الآية، والحقيقة أن الآية عامة: {ولكن أَكْثَرُوهُم} لا يَسْتَمِروْنَ أي: ليس عندهم علم يدفعهم في وعد الله، فنفي العلم هنا إما لإثبات الجهل، أو لبني العلم الناقع، فأكثر الناس لا يعلمون أن وعده الله حق.

وقوله تعالى: {أَكْثَرُوهُم} أي: الناس، أقول: أكثر الناس لا يعلمون أن وعدهم.
اللهُ حقٌ؛ إما لجهلهم، وإما لعدم انتفاعهم بهذا العلم، ونفي العينية لنيفي الانفعال به. ثابتُ في القرآن: «ولا تكُونوا كاذِبِينَ، قالُوا سَكَعْنَاهُ وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ» (الأنفال: 21). ودائمًا ينفي الله سبحانه وتعالى العقل، أو السمع عن الناس، وما أشبه ذلك؛ لعدم انتفاعهم بذلك، فأكثر الناس لا يعلمون.

والمفسر جمع الله خصَّ هذه بقصة موسى، والآية عامة، فأكثر الناس لا يعلمون.

أن وعُدَ الله حقٌ.

أقول: إما للجهل بذلك، لكونهم لا يعرفون من أسماء الله وصفاته ما هو اللائق به، وإما كونهم لا ينتفعون بهذا العلم.

فالذين لا يحرصون على فعل الخير، أو على ترك الشر في الحقيقة هم كالأجحِيلين.

فإن وعُد الله حقٌ؛ إذ إن الطبيعة البشرية والعقل يقتضيان أنك ما دُمْت مؤمنًا بهذا الشيء، سواء كان وعدًا، أو وعده، فإن يسعي له بمقتضى إياك، وإذا كنت تعلَم أن الإنسان سيموت، وإن المؤمن إذا مات سيجد الخير، ويكون في الجنة، وينبغي من النار، هذا حق، لكن الذي لا يسعى إلى الجنة، ولا يسعى إلى هذا الخير.

ويتَنُهْك بسِباعه للدنيا الفانية، هذا في الحقيقة ليس عاملاً بأن وعُد الله حقٌ، أو متنفعدَ عليه، فلو انتفع به ما فوَّت هذه الفرصة العظيمة، فإن الإنسان يعرف أن المعصية سبب لدخول النار، ويعرف أن وعُد الله حقٌ، لكن مع ذلك ينبرأ على المعاصي.

نقول: إن علمه هنا ناقص؛ إذ لو آمن بذلك حقًا لتجنب هذا الشيء، فصدِق.

معنا قوله تعالى: «ولكن أُكْسِبْتَهم لا يَعْلَمُونَ».

حَلَ المُسْرر رجِّحَتَهُ. هذا الآية فقال: [لا يَعْلَمُون هَهذَا الوعيد]. يعني: بما وعُد الله أمتَ من رَأَدها إليها، ولا لأن هذه أخْتُه.
وعلى هذا، يقول: الضَّمَّيرُ في {أَسْتَرَهُمْ} يعود على آل فَرَغُونَ، وهذه فَكَّت عندها إلى أن قَطَمَتْهُ، وأجري عليها أَجرَتْها لكل يوم دينار.

أما [كونه بقي عندها إلى أن قَطَمَتْهُ], فهذا واضح؛ لأنَّهُ ما دَامَ يحتاج للرضاع فسوف يبقى عندها.

وأما [أَجري عليها أَجرَتْها]، فهذا أيضاً صحيح؛ فإنه جَعل لها أجرة، وصاروا يرسلون إليها بالهدايا والتحف ويكرمونها؛ لأنَّها كاملة هذا الطَّفْلُ الذي قَالُوا: إنه {فَرَتْ عَيْبَهُ}، و {عَسَى أَن يَتَّبَعَنَا أو تنْجِدّهُ}. ولذا، وهذا رُوي عن النبي ﷺ ﻟَقَالَ: {مِثْلُ الَّذِينَ يَغْرُونَ مِن أَمْثِلٍ، وَيَأْخُذُونَ الجُلُعَ يَتْفَوَّنُونَ بِهِ عَلَى عَدْوَهُمْ مِثْلُ أَمْ مُوسَى}.

{يُرْضَعُ وَلَدُهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا}.{1}

وَهَذَا مِن آيات الله، يأتيها ولدُها وترضعها، وتكَّرم عليها، فلو لم تلقه في الْيَمِّ، ولم يلطقه آل فَرَغُونَ، لَبِتَ خَائِفَةً وَجِلْطَةً، ولا تحصل لها أجرة، ولا إكرام، ولا إعزاز من هؤلاء الطغاة.

وأما قوله: [لِكُلِّ يَوْم دِينار] فهذا غير مُسلم؛ لأن طريقتنا في يَتِلُّ هذِهِ الْأَمْوَر أن نقول: ما ثبت عن الرسُول ﷺ فهو مقبول، وَمَا لَيْبَثت مِن أَخْبَار بَيْنِي إِسْرَائِيلِئٍ. 

فإننا نتوقف فيه، وَلَا لَيْبَثُ أن نَجْزِم بِهِ هذَا الْجَرْم، بِلْ تَحْدِيث بِهِ، وَلَكِنَّا لَا نُجْزِم بِهِ.

يقول: [لِكُلِّ يَوْم دِينار، وَأَجْرَتْهَا لَأَنَّهَا مَال حَرِيبٍ]. سبحان الله العظيم! ذهب وَهُم بَعْضُهُم مَّدْخَلًا غَرِيبًا، هَل أَخْذُهُم لَأَنَّهَا مَال حَرِيبٍ؟ أَمِ أَخْذُهُم لَأَنَّهَا أَجْرَةٌ على إِرْضَاعُهُم؟ بَل هٰلِي أَجْرَة، فهذَا هُوَ الْأَمَر الطَّبيعِي، أَمَا كُونُهَا تَأْخُذ الأَجْرَةٌ;

{1} أَخْرِجَهُ ابْنَ أَيْضَ شَيْبَةٌ (۱۲۸/۴، رَقْم ۱۹۵۳۲، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورِ (۱۴۷/۴، رَقْم ۲۳۶۱)، أَبُو دَادُ بِالْمُرَاسِلِ (۲۴۶/۷۱، رَقْم ۲۳۶۱)، والبَيْهَقِيِّ (۱۷۶۸/۱۹۷۲، رَقْم ۱۷۶۸).
لأنها مال حربي، فهذا لا وجه له، فلا يقال مثلًا: إن أم موسى لم يقبل ثديًا غيرها كان إرضاعها إياها فرضًا عليها، والفرض لا يجوز أخذ العوض عليه، ففسر أخذ المال هنا على أنه مال حربي.

نقول: حتى مال الحربي إذا جاء بصيغة عقيد، فلا يجوز أخذه، إنما تأخذه بمقتضى العقد، والموقف بينك وبين الحربيين مثل الاستثمار، بل هي استثمار في الواقع.

فالصواب أنها أخذتهما؛ لأنها أُجرِرت عليه على كفالتها وإرضاعه؛ لَانَّهُ لَوَ لم تأخذ لكان في ذلك بلاء، ولعلتم أنها قريبة له وَأَوْ ما أَشِبَّهَ ذَلِكَ، ففي أخذتهما؛ لَأَنَّمِم يعتقدون أنها ليست أمه، ويعتقدون أن هذا الطفل سوف يكون لهم، وذلك جائز باطناً؛ لَأَجَل كفالتها بالنسبة لهم.

يقول المفسُرُ رَحمَّ اللهُ: {قُلْتُ يَا فُرُوعُونَ، قَنْتَيْ عِنْدَهُمَا، كَيْ قَالَ تَعَالَ حُكْمَاهُ عَنْهُمَا}.

في سورة الشعراء: {قَالَ آلُ نُوحٍ لِّلَّيُهُونَ يَا بُناي وَلَبِينَ وَلَبِينَ مِنْ عْرَاءِ بَيْنِينَ} [الشعراء: 18]،

تربي عند فرعون في بيت الملك، وكان يركب كي يركب الملوك، ويلبس لباس الملوك، فبدلًا من أنه لَو كان عند أمه ما حصل له هذا البلاء بلا شك، أمَّا الآن فاصبح مُعرَّزًا مُكرَّمًا، وذَلِكَ مِنْ تَسْخِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَاهُ.

وقد ظل موسى يتردد على أمَّه بعُدّ الدِّفيما وبعد أن كَبَرَ، فهي أمُّهُ من الرضاعة.

ومن المظنون عقلاً أنها أخبرته بالحقيقة بعدما كَبَرَ، فعَرَفَ وَكَمنَ الحُبُرَ عن آل فرعون.

فائدة: لا يُعرف تجديدًا من أسماء باسمه هذا، هل هي أمَّهُ أم آل فرعون.
ولكن الاسم عبّري، وقد يكون اسمه البُنِيّ الذي كان عند فرعون هو اسمه الذي سمّته به أمه إكراماً له مِن الله سبحانه وتعالى، فقد قَال تعالى: { فَقَالَ أَلَّهُ تُرُبِّي فِيَّ ثُمَّ وَلْيَشْتَ فِيَّ نَفْسٍ مِنْ عَمْرِي سَيْبَينَ } (الشعراء: 18)، فبقي الرجل عند الملك مُكرّماً مُعزّزاً. 

٦٢
قال الله عزّ وجلّ: "ولَبَّ أُنَّى، وَأَسْتَوَى عَلَى نَشَأَتِهِ حَكِيمًا وَعَلِيًّا وَكَذَلِكَ تَجْرِيرُ
المُحْكَمَاتِ" [القصص: 14].

قال المفسّر، د. محمد: [«لَبَّ أُنَّى» وهو ثلاثون سنة، أو: وثلاثة، "وَأَسْتَوَى" في أربعين سنة، فقَدْ قَالَ أنَّهُ تَجْرِيرُ
أيّاً يَلْفَغُ وَأَنْثَى.»]

أيّاً يَلْفَغُ وَأَنْثَى.»]

الأُنَّى: إنه ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: قرابة من
أربعين، وذلك أن الله يقول: «حَيًّا» إذا بلغ أَنَّى، وبلغ أربعين سنة، [الأحقاف: 15،
فدَّل هذا على أن بلغ الأُنَّى غير الأربعين، لأنَّه قال: "بلغ أُنَّى، وبلغ أربعين سنة"،
على أنه يُحَجِّرُ أن بلغ الأُنَّى معناه كيَال العقل، ولا ينافي أن يكون كيَال العقل عند
تمام الأربعين.

قله تعالى: "وَأَسْتَوَى" أي: بمعنى: كُلُّ، والاستواء في اللغة العُرَبِيَّة بمعنى:
kemal، ومنه قولهم: استوئت السمرة، أي: كُلَّتَ، وهو في كُل موضَع بِحُسْبِه،
ولكنه إذا غَلِّي بِإِلَى فُهِم بمعنى القَصَد، وإذا غَلِّي بِعَلَى فهو بمعنى: العَلُوّ
والاستقرار؛ لأن ذلك هو الكمال.

قال المفسّر، د. محمد: [«نَشَأَتِهِ حَكِيمًا، وَعَلِيًّا»] فقُرِّهَا في الدَّين قَبِل
أن يبعث تَبَيّناً.

«الإنتِهاء» بمعنى: أعطيناه، وهذا الإنتِهاء كونيٌّ، والإنتِهاء يكون كونيٌّ، ويكون شريعي، وإن كان متعلقًا بالقضاء والقدر، فهو كوني، وإن كان متعلقًا بالشرع فهو شريعي: «ولِّيَأْتِكُمْ رَسُولُ اللهِ وَهُدْيُكُمْ وَهُدْيُ عِيْنَكُمْ» [النور: 59].

هذا الإنتِهاء شريعي؛ لأنه يتعلق بالشرع والقصد، وهنا «الإنتِهاء حكماً وعبّاماً» كوني، لأنه يتعلق بالقضاء والقدر.

أما قوله تعالى: «وَأَثَّارَهُمْ مِنَ مَّالِ اللَّهِ أَلَّمْ يُسْكُنُوْنَ» [النور: 32]، فكلمة «أَلَّمْ يُسْكُنُوْنَ» شريعي، و«الإنتِهاء ما سكنهم» قدّراً، فهو قدّر لهكم، فالإنتِهاء إذن يكون شريعيًا، ويكون كونيًا بحسب متعلّقته.


وقد قسّر الحكم بالحكمة؛ لأن العلم هو علم الأحكام، فإنما قسّراً الحكم بأنّه الحكم الذي هو مقتضى خطاب بالشرع، صار فيه نوع من التكرار؛ لأنّ العلم، ولكنه يجوز أن تكون آتتاه حكماً، أي: علماً بالأحكام الشرعية، وعلماً بالأخبار والأسرار، وحينئذ ما يكون في الآية تكرار، ولا نلأ إلى تفسير الحكم بالحكمة؛ لأن المعروف أن الحكم غير الحكمة، فالحكم هو مقتضى خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين، والحكمة هي علة ذلك الحكم.

وكلًا بلغ: (لما) هنا شرطية، يدلّي أنه جاء لها فعل وجواب، «ولما بلغ أشتده» واستوّى «ائيتته»، فهي إذن شرطية، وهم يرد في اللغة العربية شرطية كأنها، وقرر بمعنى: (إلا)، مثلا قول الله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ آتِيّ مَعَاهُمْ حَافِظًا» [الطارق: 4]، أي:
إِلَّا عَلَيْهِما حَافِظًا، وَتَرَدُّ ذَرَّةً، مِثْلِ: جَنَّتْكَ مَا عَرَفْتُ أَنْكَ مِستِّيْفُتُ، أي: حَيِينَ عَرَفْتُ،
وَالذِّي يُعْتِبُهُ مَعْلَمَةً هُوَ السِّباق.
فَوَلَّهُ تَعَالَ: {وَكُلَّفْتَ نَجْرَى الْمُحْشِيِّينَ}، قَالَ الْقَرَأَةُ رَجُمًا للَّهِ: {وَكُلَّفْتَ}.
كَأَنْ جَزِينَهُ، {نَجْرَى الْمُحْشِيِّينَ} لَأَنفَسِهِمْ.
فَوَلَّهُ: {كَمَا جَزِينَهُ} يُنْبِئُ أَنَّ الإِشَارَةَ هَنَا إِلَّا هَذَا الإِعْطَاءُ الَّذِي أُعْطَاهُ اللَّهُ,
يَعْلِنُ: وَمَثْلُ ذَلِكَ، وَالكَافِ حَنَا -وَهِيْ كَبِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ- مَفْعُولٌ مُّطَلُّقٌ، بَعْنِي:
وَمِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءُ {نَجْرَى الْمُحْشِيِّينَ} إِذَا كَانَ مَفْعُولًا مُّطَلُّقًا، بَعْنِي:
وَمِثْلُ، أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءُ {نَجْرَى الْمُحْشِيِّينَ} إِذَا كَانَ مَفْعُولًا مُّطَلُّقًا، بَعْنِي:
مِثْلُ، فِيهِ اسْمٌ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:
شَبَّةٌ بِكَافِ وَبِهَا التَّغْلِيْلُ قُدُّدَ
وَإِنَّ أَجْلًا ذَا عَلِيْهِا مِنْ دِخَالًا
فَالكَافُ ثَانِيَ بِمَعْنَى: مِثْلٌ، وَنُعْرِب عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ لا حَرْفٍ جَرِي
فَوَلَّهُ تَعَالَ: {نَجْرَى} أَي: نَكَافِي، وَقَوْلُهُ: {الْمُحْشِيِّينَ} يُقُولُ لَأَنفَسِهِمْ،
وَ{الْمُحْشِيِّينَ} فِي الْوَاقِعِ يَشَاءِل الإِحْسَانِ فِي عَبَادَةِ اللَّهِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ،
وَالدُّلْيَلُ عَلَى هَذَا أَنَّ جَرِيْلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: {أَخْرُجْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟} فَقَالَ: أَنْ عَبََّدَ اللَّهُ كَانَ كُلُّ نَزْرَةٍ، فَلَمْ يَتَّقِنَّ نَزْرَةَ فِيْلَكَ يَزَارَكَ.

(1) أَلْفَيْةُ ابْنِ مَالِكِ (ص 35).
(2) أَخْرَجَهُ البَخْرَي: كَاتِبُ الْإِبَانَ، بَابُ سَؤُلُ جَبِيلِ الْنَّبِيِّ ﷺ عَنِ الإِيَّاَنِ وَالإِلْيَاهَةِ،
وَعَلَمُ السَّاعَةِ، رَقْمُ (50)، وَمَسْلِمُ، كَاتِبُ الْإِبَانَ، بَابُ بِيَانِ الْإِيَّاَنِ وَالإِلْيَاهَةِ، رَقْمُ (9).
فهذا إحسان في عبادة الله، وقوله: «أن تعبد الله كأكل ترآه» هذه عبادة الطلب، وقوله: «فإن لم تكن ترآه فإنه يراك»، هذه عبادة الإرب والخوف، ولا شك أن العباد باللغة الأولى أكمل من العباد بالمعنى الثاني؛ لأن العباد الأول مربى عليه، يعبد الله كأنه يراه، فهو يخصب الله، وله شوق كبير إلى ربي سبحانه وتعالى.

أما الثاني، فإنه يعبد الله كأن الله يراه، فهو خائف من ربي، فعبادته هي عبادة الإرب والأسوأ عبادة طلب.

ولكن الإحسان بالنية إلى الحق إذا فسرنا بأنه إرادة الخير فقط لا يكفي، يقال: إنه بذل الندى، وكف الأذى، وهذا هو الإحسان إلى الناس، والندى بمعنى: العطاء، وكف الأذى واضح، فالإحسان إذن له شقان: بذل الندى، سواء كان ذلك بمعنى بالمال، أو بالجاه، أو بالبنى، وكف الأذى القوي والفعل، وقد يختلف أحدهما ويكون الإنسان محسناً من وجه، غير محسن من وجه، ويكون منسياً إذا تخلف كف الأذى.

ومن هذه التعرف لا يدخل العلم في الندى، نحن قلنا: إن الإحسان يشمل المال والبنى والجاه، وتعليم العلم من الإحسان البدني، وكذلك النصيحة.

على كل حال: الإحسان هو عبارة عن: بذل الندى، وكف الأذى.

وأنا أرى أن هذه العبارة هي أحسن ما قيل، قالت لا تؤدي الناس فتكون مسيتاً، ولا تحرمهن خيرك، فلا يكون فيك إحسان، فليس هناك إحسان إذا لم تبذل الندى.

قوله: «المحسنين» الإحسان هنا يكون في عبادة الله، وإلى عباد الله.
فأما الإحسان في عبادة الله، فقد فسرها النبي ﷺ بقوله: "أن تعبد الله كأنك ترَاه، فإن لم تكن ترَاه فإنه يراك". وأما الإحسان إلى عباد الله فهو بذل الندى، وكف الأذى.
قال الله ﷺ: "ودخل المدينة على جبين عقيلة بين أهلها فوجد فيها رجالين يفسبان هذين من شعبه. وفدًا من عدوه، قاستعته أهلده من شعبه، على أهلده من عدوه، فعمره موسى فقضى عليه قال هذين من عمي السفيان، إنه عدو موسى مبين.» [القصص: 15].

قال المفسر زكريا بن عبد الله: [ودخل] موسى المدينة مدنية فرعون، وهي منفث. بعد أن غاب عنه مدة (على جبين عقيلة بين أهلها، وقت القليلة،) فوجد فيها رجالين يفسبان هذين من شعبه، أي إسرائيلي (وهذا من عدوه) أي قبطي يسحر إسرائيليا ليخلح حطبا إلى مطغى فرعون، قاستعته أهلده من شعبه، على أهلده من عدوه، فقوله: إنه قال موسى جل سله، فقيل: إنه قال موسى قلتم أن أجملت أن أحيث علبيك فكرتك: موسى أي ضرره يجمع كبير، وكان شديد القوة والبطش فقضى عليه، فقلةً، ولم يكن قصد قلته، ودفنه في الرمل قال هذا قلته على عمي السفيان المهيج عصبي (إياهم عدو) لابن آدم (مصدر) له (ميين) بين الإضلالة.

كان هذا الدخول بعد بلوغ الأشده؛ لأن الأصل أن ما تقدم ذكره فهو متقدم ووقعًا وعملًا، هذا هو الأصل، وفعلاً إن كان في الأخبار، وعملاً إن كان في الأحكام.

وهذا أقبل النبي عليه السلام على الصفا، وقال: إن أضفًا والصورة من
قال تعالى: [القرآن: 136]، ثم قال: "أَبْنَ أَبَا بَكْرَةَ اللَّهُ بَيْناً".

وقال العلمان: إن الفقراء أشد حاجة من المساكين، لأن الله بدأ بهم في قوله:

"إِنَّمَا أَصَدَّقَتْ لِلْفَقِيرِينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ" [النور: 30].

فهنا نقول: لما ذكر الله: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشْهَرَ، وَأَسْتَوَى مَالِعَيْنِهُ حَكَا وَعَلَىَ"، ثمّ قال:

"وَدَخَلَ" عَلَيْهِ بِغَايَةِ دَخُوله المديّنة بعد أن بلغ أشهره.

قال المفسّر رحمه الله: "وَدَخَلَ" موسى، "السيّة" أي مدينة فرعون، وهي منف أو منف - يقُسمّ الميم وسكون اللال- بعد أن غاب عنه مدة.

تعين المدينة بأنها مدينة فرعون في تفسير من هذا شيء؛ لأن الرجل تربى عند فرعون، في مدينته نفسها، وفي مكانه نفسه، اللهم إلا أنه يقول: إن فرعون كان في مصر، وإن منف هذه بلد خارجة عن القاعدة الأصلية، يعني: قصبة البلد، وإن خرج في يوم من الأيام، فدخلها، والأحسن في مثل هذه المقام إذا لم ترد على النبي: "أَنْ تَفْقُولَ مَدَنَّ مَدِينَةَ مَدِينَةً وَيَسْكُنُهَا إِسْرَائِيْلُ".

وقوله تعالى: "وَدَخَلَ السَّيَّةَ عَلَى جَبَرِيلَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ"، قال المفسّر رحمه الله:

وقت الفيلولة.

قال بعضاً العلما: المراد على جبريل عفّله زمناً، يعني: أَنْ تَفْقُولَ مَدِينَةً مَدِينَةً، ويطال الزمن، فدخل على جبريل عفّله.

من التحدث في هذا الأمر.

ولكن المعنى الأول أظهر، وهو أنه دخلها في وقت أهلها غافلون، ولا يعيب.

(1) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (1218).
أن يكون وقت القبلة، الذي قد يكون بالليل، أو في الغرب، الله أعلم، إنها هو في وقت أهل البلد غافلون.

قوله تعالى: "فُجِّدْ فِيهَا رِيحٌ عَظِيمٌ يَقْطَعُّ يَقْطَعُهَا شَيْعٌ تُعْبِدُونَ" قال المفسر رحمه الله:

[أي: إسرائيلي، "وهذا من عدوكم" أي: قبطي].

الاقتثال بمعنى: المنازعة والمخاطمة، والمضاربة أيضاً، وليس المراذ فيها يبدو أنها يريدان أن يقتل أحدهما الآخر.

قوله تعالى: "هَنَّاءٌ يَدْعَاهُ شَيْعُهُمُ" شيعة الرجل: أتباعه، قال الله تعالى: "وَرَفَعَهُ مِن شَيْعِهِمْ [الصافات: 82].

وقيل: إن الشيعة من ينأصرك، كل من ينأصرك فهو شيعة لك، سواء كان مطيعًا لك، أو غير مطيع.

وعلل كل حال: المراد بالشيعة: أنه من قبلته، وفجأ قال المفسر رحمه الله:

[أي: إسرائيلي].

قوله تعالى: "وَهُدَايَ مِن عِدُوِّي" من عدو موسى، أي: من آله فرعون، وهم الأقباط.

قول المفسر رحمه الله: [أي: قبطي يسخير إسرائيليًا ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون].

هذا من العجب.

على كل حال: يقتبسان يقتبا من ويتنازعان، وربما يحصل بينهم ضرب.

كعادة الناس إلا أعداء تعاصم بعضهم بعضًا دائيًا، ويقاتلون بعضهم بعضًا.
وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُنا عِبَّادُ الرَّحْمَنِ السعْدِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهُ فِي تَفْسِيرِهِ، بِأَنَّ هَذَا يَدْلُّ عَلَى فُوُؤُدَ شُعْبٍ بَني إِسْرَائِيلٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَذْلِئَا، يُقَلَّلُ أَبَانَهُمْ، وَيُسْتَحِيُّ نَسَاؤُهُمْ، أَصْبَحُوا آن يَرُونَ أَنفُسَهُمْ أَنَّ آن يَفْرَعُونَ الأَقْبَاطَ لَكَانَهُمْ يُعَرَّفُونَ أَنَّ مُوسَى مِنَهُمْ، وَأَنَّ مُوسَى فِي مَنْزِلَةِ عَظِيمَةٍ عَنْدَ يُفْرَعُونَ، فَقَدْ أَسْتَقَوْتَ زُوْهُؤُهُمْ بِهِذَا الْشَّيْءِ، وَهُذَا وَاَضْحَى، سُوَّفَ يَقْعُونَ بِهِذَا الْشَّيْءِ، وَيِرُونَ أَنفُسَهُمْ آنآً لَّآ يُفْرَعُونَ.

أَمَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُسَحِّرْهُ لِيَجَلِّلُهُ الْحَلَبَ إِلَى الْمَطْخَمِ، فَهَذَا لَيْسَ ظَاهِرًا، وَيَخْتَاجُ إِلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ، وَلَا كَلِيلِهِمْ هَنَا، فَيُشْرِحُ الْمَوْقِفَ عَلَى قُوَّاهُ: فَوَدْخَلَ المَدِينَةَ عَلَى جَيْبِ عَضُلَةٍ مِنْ آخِلِهَا.

مِنْ فَوَانِدِ الْآيَةِ الْكَرِيَّةِ:

الْفَائِدَةُ الْأَوْلَى: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُمْ وَرَفَعَهُمْ يُجْرِي الأَمْوَى بَأْسَابِبٍ، وَأَصْلُ القَصْةِ دَخُولُ مُوسَى عَلَى أَلْمَاكَهَا الْمَدِينَةَ، وَوَجْدُ الْرَّجُلِينَ، وَقُتْلُهُ الْنَّفْسُ، كَلَّا هَذَا كَانَ سَبَبًا لِخُروْجِ مُوسَى، ثُمَّ نُبُوِّيَهُ.

الفَائِدَةُ الْثَانيَّةُ: قُوَّةُ تَعْالَى: فَأَشْتَعَلَهُ، فِي جَوْرُ الْاِسْتِغْتَانَةِ بِالْمَلَحِلْقِ، فهِي مُشْرُوعَةٌ بِأَنْ تَفْيِدَ فِيهَا، أَمَّا مَا لَا يُفْيِدُ فِيهَا، فَأَلْيَخْوُرُ.

فَعَلْتُ هَذَا إِذَا استَغْنَى إِنْسَانٌ بِمِنْهُ كَمِّيَّتٍ، فَلَا يَجْوُرُ لَكَانَهُ لَا يُفْيِدَهُ، وَإِذَا استَغْنَى بِحَيٍّ بِيْنَهُ لَا يَقُدُّرُ عَلَيْهِ، فَلَا يَجْوُرُ لَكَانَهُ لَا يُفْيِدَهُ، وَإِذَا استَغْنَى بِحَيٍّ فِيْهَا بِيْنَهُ لَا يَقُدُّرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ جَائِزٌ.

إِذْنَ: الْاِسْتِغْتَانَةُ بِالْمَلَحِلْقِ جَائِزَةُ بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ فِيهَا يُفْيِدُ، كَذَلِكَ فِي حَيٍّ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الشَّدَةِ.
المقدمة الأولى: إثبات العدوان والولاية، لقوله: "فاستغفثنا الذئب من شيعته، على الذئب من عدوه"، وهو أصل في الدين، فإن ولاية المؤمنين من واجب المؤمن، والبراءة من الكفار من واجب المؤمن، قال تعالى: "قد كتب لكم أسوار حسنة في إيزاهم وذلدين معاً، إذ قالوا لقومهم: إذا برووا بمن كونه وطعاً تعبدون من دون الله" [المحتمة: 4]، فهذه أمر لا بد منه، فلا بد أن يتبأ الإنسان من كل كافر.

المقدمة الثانية: فيها دليل على قوة موسى، لقوله: "فقتضي عليه".

المقدمة الحاكمة: فيها إثبات عظيمه، وسرعة استجابته، لأن له متعلقاً في الأمر، بل باذر فيه.

المقدمة السادسة: جوز دفع الصادق بما يصل إلى القتل، ففي الشريعة الإسلامية معروف أن الإنسان إذا صال عليه أحد، ودفعه بأثليته من أحسن، ولم يدفع، فله أن يقتله.

المقدمة السابعة: أن المعاصي من أوجه الشيطان وأعماله، لقوله: "هذا ين عم الشيطان".

المقدمة الثامنة: إثبات السبب، لقوله: "من عن على الشيطان"؛ لأن "من" هنا سببية.

المقدمة التاسعة: ثبوت عداوة الشيطان ليحيي آدم (إنه، عذرا)، وأكذب بـ"إن" لشدة التنفير منه، لأن عداوته ليس فيها التباس.
قال الله عز وجل: "قال ربي: يأيض نسي فاعفني لفاضر فلك يحكم. هو العفو الرحيم" (المسد: 16).

قال المفسر رضي الله عنه: "قال: نادما: "رببي: يأيض نسي يغفر لفي فاضر فلك يحكم. هو العفو الرحيم" أي المتصفا بهما أزلا وأبدا".

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: في قوله تعالى: "قال ربي: يأيض نسي يغفر لفي فاضر فلك يحكم. هو العفو الرحيم"، إن الله آيات الرسول عليهم الصلاة والسلام قد يخطئون، ولكن يكون ذلك قبل الرسالة، لكن لا يقع منهم فساد الأخلاق وشرب الحمور، وما أشبه ذلك، أما الغيرة والحرصية لهذا فقد يقع منهم.

الفائدة الثالثة: في قوله تعالى: "رَبِّ إِنِّي صَلَّتْ نَاصِرَةً لَكَ" دَلِيلٌ عَلَى إِثْباتِ الأسباب، وذَلِكَ لَانَّ (الفاء) هنا سببة، يعني: فِيَسَبَّب ْكُلُّ ظَلَمٍ نَفْسِي، فإِنِّي أَسْأَلُكَ أنْ تَعْفِرْ لِي.

الفائدة الرابعة: في قوله تعالى: "فَعَفَّرْ لَهُ" استجابة الله سبحانه وتعالى، ومَا تَضَمِّنَهُ هَذِهِ الاستجابة ْمِنْ صُفٍّاتْ; لِأَنَّ الاستجابة تَتَضَمِّنُ السَّمَعَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ والْغَيْبِ، فَإِذَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لِإِسْمَٰعِيلٍ فَعِنْيَهُ أَنَّهُ كَانَ ْقَدْ سَيَعِثْ، وَعَلِيمُ بِحَالَهَهُ، وَقَدَرَ عَلَيْ إِعْطَاهُ سُؤُلَهُ.

الفائدة الخامسة: إِثْباتُ كَرَمِ اللَّهِ لِقُوَّةِ تَعَالَى: "فَعَفَّرْ لَهُ".

الفائدة السادسة: جَوَازِ التوْسِّعِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالَ الْدَّعَاءِ، وَيُؤْحَدُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "رَبِّ إِنِّي صَلَّتْ نَاصِرَةً لَكَ"، فَالْظَّالِمُ لَنْفَسِهِ مَنْ خَتَّاحَ إِلَى مَنْ يَنَصَحُهُ، فَهُوَ تَوْسِّعُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالَ الْدَّعَاءِ، وَمَنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ مُوْسَى: "رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنْزِلَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَقَطِيرٍ" [القصص: 24].

والتوْسِّعُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُكَانُ بِحَالَ الْدَّعَاءِ، وَيُكَانُ بِالْسَّمَاعِ عَلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَصِفَائِهِ، وَكَذَلِكَ بِأَنْعَالِهَا، الَّذِي يَنْبَعُ بِهَا، وَقَدِ اسْتَجَابَ الْجِمَاعُ فِي تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَأَيُّ بِكِيرٍ، وَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَكُونَ ْقَدْ أَذُوْنَيْنَى فِي صَلَايَتِي؟ قَالَ: "قَلَّ اللَّهُ إِنِّي ْبَلِغْتُ نَفْسِي ْكَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الذِّنُوبَ إِلَّا أَنتَ، فَاغْفِرْ لِمَنْ عَذَابَهُ. وَارْكَحْ، إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ".

الفائدة السابعة: إِثْباتُ أنَّ الدَّعَاءَ سَبْبٌ، خَلَافًا لِمَّا أَنْكَرَ سُبُبِهِ.

(1) أَخْرِجَهُ الْبَحْرَاءُ: كِتَابُ الآذَانِ، بَابُ الدَّعَاءِ قَبْلِ السَّلَامِ، رَقْمٌ (824)، وَمَلَكُ: كِتَابُ الذَّكْرِ، والدَّعَاءِ، بَابُ اسْتَجَابَةِ خَفْصِ الصُّوَّرِ بِالذَّكْرِ، رَقْمٌ (270).
فقد يَقْولُ قَاتِلٌ: إِنَّ الْشَّيْءَ إِنَّ كَانَ قَدَ كُتِبَ لَهُ لَن يُتَّجِرَ إِلَى دُعَاءٍ، وَإِنْ كَانَ
لَمْ يُكْتِبَ لَهُ، فَلَا فَائِدةٌ مِنَ الدُّعَاء.
وَالجواب عَلَى ذَلِكَ أَن يَقُولُ: هُوَ مَكْتُوبٌ لِكَ بِالدُّعَاءٍ، مَكْتُوبٌ لِكَ بِهِذَا الْشَّرْط
بِالدُّعَاءٍ، مَثَلًا لا يَقُولُ قَاتِلٌ: أَلَا لا أَدْعُوْ لَكَ مَكْتُوبٌ لَّا بَدَّ أَن يَحْصُلَ، وَمَا لا يَكْتُبُ
لَا يُكْنِى أَن يَحْصُلَ. فَهَذَا لَيْسَ يَصْحِبُهُ؛ لَوْ حَتَّى كَتبَ لَكَ بِهِذَا السِّبْبِ
كَيْماً لَوْ قَالَ قَاتِلٌ: أَلَا حَتَّى أَزَّوْجُ إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدَرٌ لَوْلَا فَسَيَكُونُ، وَإِنْ لمْ يَكْنُ
قَدَ قَدَرَ لِلَّدَا، فَلَا فَائِدةٌ مِنَ الْزَّوْجِ. نَفَعَلْ وَلَكَهُ مَقْدُرٌ بِالْزَّوْجِ، فَهَذِهِ الْأَمْوَرُ
الْعَيْبِ مِثْلَ الأَمْوَرِ المَشَاهِدَةَ، كَيْماً أَنَّ الْأَمْوَرَ المَشَاهِدَةَ لَا تُضَلِّعُ إِلَّا بِفَعْلَ الأَسْبَابِ
الَّتِي تُوُسِّعُ إِلَيْهَا، فَكَذَلِكَ الأَمْوَرُ الغَائِبَةُ لَا تُضَلِّعُ.
إِذْن نَفَعَلْ: لَا تَعْمَلُ عَمَّا صَلَحَهُ إِلَّا لَكَ إِذَا كَتَبَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّكَ سَتَكُونُ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كُنتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَنَ تَكُونَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ: أَنتُ
تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِعَمَلِكَ.
وَهُذَا لَمْ يَقُلَ الرَّسُولُ ﷺ لَأَصْحَابِهِ: «مَا يَنْكُمُ مِنْ أَحِيدٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ مَقْعِدُهُ
إِنَّا فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ». قَالُوا: يَا رَسُولُ اللَّهِ، أَلَا نَدْعُ الْعَمَلَ وَنَكْتُلُ على الْكِتَابِ؟
قَالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيَسِّرٌ لَّا خَلَقَ لَهُ، أَوْ: «فَكُلُّ مُيَسِّرُ» ثَمَّ نَدْعُهُ تَعَالَ;
قَالُوا: مَا نَعْلَمُ وَأَقْرَنْ ٥ وَرَضَى ٦ بِالْعَلَّامَةِ ٦ مَسْتَيْرٌ ٧ وَأَنَا مِنْ مَجِلْ وَأَسْتَفَقَّ ٨
وَكَذَّبَ بِالْعَلَّامَةِ ٨ مَسْتَيْرٌ لِّلْعَلَّامَةِ» (اللِّيْلِ: ۵-۱۰) . ١).
(1) أُخْرُجَ الْبَخَارِيُّ: كَتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قُوْلِهِ تَعَالَ: «فَأَنَّا مِنْ أَطْعُمْ وَلَفْتِ»، رَقْمٍ (۴۴۴۵)،
وَمُسْلِمُ: كَتَابُ الْقُدْرَةِ، بَابُ كِيْفَةِ خَلْقِ الْأَدْمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رَزْقِهِ وَأَجْلِهِ وَعَمْلِهِ وَشَقَاوَتِهِ
وَسَعَادَتِهِ، رَقْمٍ (۲۶۴۷).
فَفَيِّقِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرَهَا مِنَ الآيَاتِ الكَثِيرَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَأَثِيرِ الدُّعَاءِ فِي حُصُولِ المَطلَبِ؛ لَنَّمَّا أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُكَاابِرُ، أُوْ جَاهِلٌ.
قال الله عزّ وجلّ: «قال ربي فيما أنتمت عن فنان أكره ظهيرا لل مجرمين».

[القصص: 17].

قال المفسر رحمه الله: [«قال ربي بما أنتمت» يحق إنعامك على بالمغفرة
أعصمني فنان أكره ظهيرًا عونا لل مجرمين الكافرين بعد هذين إن عصمتني].

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: هذه الآية - كا مر علينا - من العلماء من يقول إنها دعا.
ومنهم من يقول إنها خبر بمعنى التزام.
فإن قال: إنها دعاء فإنها يستفاد منها ما يستفاد من الآية السابقة، فيستفاد
جوار التوسّل ينعيم الله عزيزالّ حسن: لأن قوله: "بما أنتمت" أي: بسبب إنعامك علي.
وإن قال: إنها التزام فإنها تدل على شكر النعم، وإن الإنسان إذا انعم الله
عليه؛ فإنّه يجيب ألا يكون عونًا بهذه النعمة للمجرمين.
وقلتنا: إن المعنى الثاني أقرب وأرجح: لأنظ ظاهر الآية، ولا ينفعي العدول عن
ظاهرها، وإن كانت تحمل المعنى الثاني.
فستفاد منها إذن كمال موسى عليه السلام والمجرمين، حيث النزوم لله تعالى شكرًا
على نعمتيتأذى يكن ظهيرًا لل مجرمين والمجرمين.
الفَائِدةُ الثَّانِيةُ: فيَّها ذِي الْأَرْزَقَ الْمَذْهَبُ أَنَّ المُظاهرَةَ المُجَرَّمَ بُناَءِ الشَّكَرَ فَهِيّ مُحَرَّمةٌ؛ لَا كَأَنَّا إجْرَايْنِ حَقِيقَةٌ، بَلْ تَكُونُ مساعدة المُجَرَّم بِمَنْ إِجْرَامَهُ، وَلَكِنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "إِنْ صَرِّ رَحْمَةَ أَخْبَكَ وَأَوْرَثَكَ مَظْلُومًا". قَالُوا: يَا رَسُولُ اللَّهِ! هَذَا الظَّالِمُ، فَكَيْفَ نَصْرُ مَظْلُومٍ؟ قَالَ: «مَنْ عَلَى مَنْ الظَّالِمُ» (١).

(١) أُخْرِجَهُ البَخَارِيُّ: كَتَابُ الظَّالِمُ وَالغَيْسُ، بَابُ: أَعْنَ أَخْبَكَ وَأَرْثَكَ مَظْلُومًا، رَقَمٌ (٢٣١٢).
قال الله عزّ وجلّ: {أُصِبحُ في المدينة حائلاً يَرْقُبُ فإذا الدي أَنْتِصَرْتَ، بإلَّا يَسْتَنْصَرَهُ}. [القصص:18].

قال المفسر رحمه الله: {أُصِبحُ في المدينة حائلاً يَرْقُبُ} ينتظر ما يناله من جهة القتيل {فإذا الدي أَنْتِصَرْتَ، بإلَّا يَسْتَنْصَرَهُ} يستغفث به على فقية آخر {قال الله} موسى إنك لنؤوى مبين بين الغواية ما فعلته بالأسى والأيديوم.

 قوله تعالى: {أُصِبحُ} أي: موسى، ومعنى أصبه: دخل في الصباح، يعني: بات ليلته، وكتبه في صباهها: {أُصِبحُ}. وقوله تعالى: {في المدينة} (ال): هنا للعهد الذكري، لأنّه سبق ذكره، وقوله: {حائلاً} خبر أصبه، وهو منصب، وقوله: {يرقب} إذا أن تكون خبر ثانياً، فيكون من باب تعدد الخبر مع الاختلاف؛ لأنّه يجوز تعدد الخبر، سواء تعدد بلطف المفرد، أو تعدد بلفظ الجمع، أو تعدد بلفظ الفعل، أو خالج كونه يترقب.

وقوله تعالى: {يرقب} يقول المفسر رحمه الله: {ينتظر ما يناله من جهة القتيل}.

لأنّ هذا القتل إجرام، فكلّ إنسان يقتل شخصاً في بلده فلا بد أن يخاف، وهذا الخوف من طبيعة البشر، وليس خوف العبادة.

والخوف نوّعان:
الأول: خوف عبادة يقتضي التقرب إلى المخلوف، والتزام طاعته، وَبَنوُ دَلِيك.

الثاني: خوف طبيعي مما يخاف منه، وهذا لا أساس له، لأنه من طبيعة البشر.

لكنه يكون مذمومًا إذا أدى إلى ترك واجب، أو فعل محرم، قال تعالى: "إِنَّا ذِلَّكَ الْمُزْدَمُونَ يَمْنُونُ أَوْلَادَهُمْ فَأَلاَّ يُعَافُوهُمْ وَأَلاَّ يُؤْمِنُنَّ فِي نُومِ مَعْمَوْمٍ" (آل عمران: 175).

قله تعالى: "فَإِذَا أَلَيْتَ أَسْتَصْرِخْ، بِالآوارَ إِنْ يَسْتَصْرِخَهُ". "فَإِذَا" فَجَاهَة، يعني: فاجه في الصباح وهو خائف يترقب، فاجه أن صاحبه الإسرائيلي الذي استنكره بالأمس هو اليوم يستصرخه، والاستنعار معناه: طلب الإنقاذ من الشدة.

وهنا نجد أن الرجل قد استغاث واستصرخ واستنصر، والظاهر أن الاستغاثة والاستنصر بمعنى واحد، ولكن الاستنصر أعم، لأنك قد تستنصر إنسانًا ليصرنك، وإن لم تكن في شدة.

والاستغاثة أخص، إلا أن الآية الكريمة تدل على أن الاستغاثة من باب الاستنصر.

قال المفسر: "رَجَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي قُوَّةِ عَلَى قَبْطِيّ".

قله تعالى: "قَالُ الَّذِي نَيَّرَ مَعْمَوْمًا". "قَالُ الَّذِي" يَعْتُمَرُ إِلَى الإسرائيلي الذي استنصره، ورغم بعض المفسرين أن الصميم يعود إلى القبطي، وأن مَعْمَوْم عاقب القبطي، وقال الله: "إِنَّهُ لَنَبِيٌّ مُّبِينٌ"، ولكن هذا بعيد عن السياق، فالصواب أن الصميم يعود إلى الإسرائيلي الذي استنصره.

قله تعالى: "إِنَّهُ لَنَبِيٌّ مُّبِينٌ". أي: بين الغواوة لما فعلته أمس واليوم.
وقوله: "هَمِينِ"، أي: بينها، ووجه سوء تصرفه أن أمسى القريب كان يتخصص
مع قبطي، واليوم الثاني الذي يليه كان يتخصص أيضا مع قبطي آخر صاحب مشاكل،
فلهذا قال الله: "إِنَّلَآ يَتَوَلَّى مِمْهَا"، فمن الجائز أن يتسبب في مشكلات كثيرة غذاء،
وُبَعْدَ غَدٍّ.
الآية (19)

قال الله علیه السلام: «قلن أرأى أن يبني طانى هو عذب لئنما قال يبني طانى أنا أريد أن تقتني كما قلت نفساً بالآمنين إن تريده إلا أن تقوى جباراً في الأرض وما تريده أن تكون من المصلحين» (القصص: 19).

قال الفعضور رحمه الله: «قلن أرأى رائدة آنه يبني طانى هو عذب لئنما كان يبني طانى يبني طانى ما قال له يبني طانى آنه يبني طانى أنا أريد أن تعتني كما قلت نفساً بالآمنين وإنما كأنه جباراً في الأرض وما تريده أن تكون من المصلحين فسمع القبطي ذلك فقال: أن القائل موسى فقال إلى فرعون فأحشره بذلك فأنزل فرعون الدبابيين يقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه».

فوقه تعالى: «آن» كلمة آهن زائدة، والزيادة هنا لفظية وإعرابية، وليس زيادة معنوية؛ لأنها تفيد التوكيد، وجمع الحروف الزائدة في القرآن لفظاً هي أصلية معنوية، لأنها تفيد معنى التوكيد، وتفرز زيادة (آن) بعد مثلاً، وكذا جميع (لو، نعم)، كما في قول الشاعر:

وأقسم أن لمو التقدَّسَنا وآنسُمُ

(1) هذا صدر بيت لامرأة القيس، كما في خزانة الأدب، للبغدادي (100/160)، وعجلبه: لكان لكم يوم من السر مظلم.
ولمّا قوَلَهُ تعالى: ﴿وَأَلَوْ إِسْتَفِئُواْ عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَأَسْتَفِئُنَّهُمْ مَا وَعَدُّنَا﴾ (الجَلَّالٌ: ۱۱۰)،
فَإِذَا هَذَا مُتَخَفَّضًا مِنَ التَّقْلِيدِ، يُعْتِني: وَأَنْهُمْ لَو استُقِامُوا
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَادَ أَن يَبْطَشَ﴾ أي: أَرَادَ مُوسَى، وَالبَطْشُ: الْخَذِفِّيَّةِ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَّا ذِي هَوْلُهُ﴾ لَوْسَىُّ وَالْمُسْتَفْيِثُ بِهِ، قَالَ الْمُسْتَفْيِثُ ظَانًا
أنَّهُ يَبْطَشُ بِهِ مَا قَالَ لَهُ: ﴿فَبِمَّا أَرْيَدَ أَن تَقْتَلَكَ كَمَا قَتَلْتُ نَفْسَيَّا ﺑِلَأْمَيْسِ ﴿، وَالْبَالِغُ هُمْان
أنَّ مُوسَى قَدْ نُهِيَ، وَأَرَادَ أَن يَفْعَلُ، فَشَاهَدَ الْمُسْتَفْيِثُ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَكَيْفَ عُرِفَ أَنَّ مُوسَى أَرَادَ، وَالإِرَادَةُ مَا هَا الْقَلْبُ؟
قَوْлُ الْمُسْتَفْيِثُ ﴿وَإِلَّا ذِي هَوْلُهُ﴾: ﴿قَالَ الْمُسْتَفْيِثُ﴾ يُعْتِني: الْقَاعِلُ فِي [قَالَ الْمُسْتَفْيِثُ]، وَهذَا يُبَعِّدُ أَمْرَ لفظِي، وَأَمْرَ مَعْنوي:

١٠٢

أَمَّا الْأَمْرُ الْلِفْظِيُّ: فَإِنَّ ﴿قَالَ﴾ ضَمْرِيْهَا يَعْقُبُ إِلَى أَقْرَبِ مَذْكُورِهِ، وَهُوَ الْقِبْطِيُّ.

١٠٣

وَالْأَمْرُ المَعْنويُ: أَنْهُ قَالَ: ﴿فَبِمَّا أَرْيَدَ أَن تَقْتَلَكَ كَمَا قَتَلْتُ نَفْسَيَّا ﺑِلَأْمَيْسِ﴾، وَاللَّهُ ِبُصِرُّ: ﴿فَلَيْسَ أَن أَرَادَ أَن يَبْطَشَ إِلَّا ذِي هَوْلُهُ﴾: ﴿فَلَيْسَ أَن أَرَادَ أَن يَبْطَشَ إِلَّا ذِي هَوْلُهُ﴾، فَنَحْنَ نَفْسُ الِإِرَادَةَ الثَّانِيَةَ الْبَالِغَةِ الْأَوْلِيَةَ لِأَنَّ الْقِبْطِيُّ هُوَ الْأَلِيْهِ، قَالَ: ﴿فَبِمَّا أَرْيَدَ أَن تَقْتَلَكَ كَمَا قَتَلْتُ نَفْسَيَّا ﺑِلَأْمَيْسِ﴾.

١٠٤

وَالْقِبْطِيُّ قَدْ عَلِمَ مِنْ قُوَّلِهِ لِلإِسْرَائِيْلِيِّ: ﴿إِلَيْكَ لَعْنَى مَيْسِ﴾، فَقَدْ اسْتَهْرَثَ قَصَةُ الْقِتَالِ فِي الْمَدِينَةِ وَوَظَهَرَتْ، وُصِارَ النَّاسُ يَتَحَدَّشُونَ عَنْهَا، فَعَرَفَ الْقِبْطِيُّ أَنَّ الإِسْرَائِيْلِيَّ عَدُوُّهُ، وَهُوَ مَا لَهُهُ مُوسَى عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِلَيْكَ لَعْنَى مَيْسِ﴾، فَاسْتَنْجَمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَلِيْهِ قَالَ الْقِبْطِيُّ بِالأَمْسَ هُوَ مُوسَى، فَقَالَ: ﴿فَبِمَّا أَرْيَدَ أَن تَقْتَلَكَ كَمَا قَتَلْتُ نَفْسَيَّا ﺑِلَأْمَيْسِ﴾، وَهَذَا الْقُوَّلُ هُوَ الْرَّاجِحُ مِنْ قُوَّلِهِ الْمُفسِّرِينَ.

١٠٥

وَالْمُفسَّرُونَ هُمُّمُ فِي ذَلِكَ قُوَّلَانَ: 
أحدهما: أنَّ الّذي قُالَ ذِلِّكَ الْإِسْرَائِيْلِيُّ، مَعَ أَنَّ مُوسَىُّ مَهِيًا لِلْبَطْشِ بِالْقُبْطِيِّ،
لَكِنَّهُ طَلَّ أَنْ يَسَّبِبَ بِهِ، لَكَذَا قَالَ: "إِنَّهُ لِقُوَّةٌ نَّيْمٍ".
ثانيها: أنَّ الْقَافِلُ الْقُبْطِيُّ، وَيُرِجَعُ ذلِّكَ أنَّهُ مَا قَالَ: "إِنَّهُ لِقُوَّةٌ نَّيْمٍ"، وَقَدْ
عَلَى أَنَّ الْإِسْرَائِيْلِيِّينَ أَعِدَّاءٌ لِلْقَبْطِيِّ، وَعَلَيمَ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الْسَّلَامُ هُوَ
الّذي قُتِلَ القُبْطِيُّ بِالْأَمَسَ، وَهَذَا قَالَ: "أُنْتَيْدُ أَنْ تَفَتَّنَى" لَجَنَّ قُبْطِيُّ مِثَلًا قَتَلَ
cالْقُبْطِيُّ بِالْأَمَسَ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ تُبَيِّنُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرْبِيَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُتَّصِلِّينَ"
"إِنَّ" بِمَعْنَى (مَا)، وَهِي نَافِقَةُ، وَقَوْلُهُ: "جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ" الجَبَّارُ: مَعَانٌ الْمَتَّعْلِيُّ المُتَّرِفٌ
 عَلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَاءِ اللَّهِ سَبَحَةٌ وَقَالَ، وَيُوْصِفُهُ غَيْرِهِ، وَهُلْ ثَلَاثَةٌ مَعَانٌ:
أحدهما: الْمَتَّعْلِيُّ، وَذِدَ القُوَّةِ وَالْبَطْشِ.
التاني: الْجَبَّارُ الّذِي جَبَّرَ الْكَسَِّيَّ، وَبِرَاحِهِ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ.
الثالث: يَقُولُ ابنُ الْقَيْمِ فِي (الْفَوْقَاءِ) (١):
وَلِهَا مُسْمِئٌ قَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ
فِلِيْسَ بَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِسْمَانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَّارَةً، لِلْمَنْخلَةِ الْعَلْيَاءِ، وَجَبَّارَةً: بِمَعْنَى الْاِرْتِفاعِ، وَمَنْهَا قَوْلُهُمْ: نَخْلَةً
جَبَّارَةً، يَعْنِي: طَوِيلَةَ مَرْتَفِعةً، لَكِنْ إِذَا جَاءَتِ فِي صَفَقَاتِ غُبُرُ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهَا لِلْدَّمِ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: "كَذَلِكَ يَطَّبِعُ اللَّهُ عَلَى سَلْطَانٍ قَلِبٍ مُّتَكَبَّرِي جَبَّارٍ" (غَافِرٌ: ٣٢).
وَأَتَاهُ مُوسَى بِقَوْلِهِ: "إِنَّ تُبَيِّنُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ" اسْتَنْدَا عَلَيْ قَلَِّهِ
cالْقُبْطِيُّ بِالْأَمَسَ، وَإِرَادَةَ قُتْلِهِ الْيَوْمِ
(١) نَوْنَيَةَ ابنُ الْقَيْمِ الْمُسِّيَّةُ بِالْكَافِيَةِ الْشَّافِيَةِ (ص ٩)٢٠٩.
وأثناءه بقوله: «وما ترديد أن تكون من المضلينين» أخذها أيضًا من قتيله بالأمس، وسيقتل اليوم، و持ちك عادة لا يعتدي على أحداً المختصمين، ولكنه يحاول الإصلاح بينهما، فهذا يقول: إنك بإرادتك القتيل، وقد قتلت بالأمس، معناها أنك تريد أن تكون جبارًا، ولا تريد الإصلاح؛ إذ إن من يرديد الإصلاح يسعى بالإصلاح بين الناس، لا يسعى بأن يشتغلي على أحدهم دون الآخر، وهذا الذي قاله لا ينطبق على موسى؛ لأن موسى عليه السلام ما أراد إلا الإصلاح، ولكن هذا الرجل ظن أنه لا يرديد إلا الجبروت، والإعذاب على من كان من غير شيعته.

قال المفسر رحمه الله في قوله تعالى: «وما تريد أن تكون من المضلينين»: {فسمح القبطي ذلٌك قعلم أن القاتل موسى قاة للعزن فأحره بهذين، فأمر فرعون النذائبين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه}، هذا الذي فسره بناءً على ما اختراعه من أن الذي قال: «أتريد أن تقتلى» هو الإسرائيلي، أمًا على القول الثاني؛ فإن القبطي لما رأى أن موسى يريد قتله، استنتج أنه القاتل بالأمس، فترك المخصص، وذهب إلى آل فرعون، وأخبرهم، وإذا أخبرهم فسوف ينتقمون لأنفسهم.
قال الله تعالى: «وجَّهَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمِدْنَةِ يَسْتَنْفِئُ فَتَمَسَّى إِلَى النَّصِيحَةِ يَأْتِيُونَ يَلِمْقُولُوا فَأُخْذُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّصِيحَيْنِ» (القصص: 20).

قال المفسر رحمه الله: [وجَّهَ رَجُلٌ هُوَ مُؤْمِنٌ آلِ فُرَعُونَ مِنْ أَقْصَا الْمِدْنَةِ، أَخْرَجَهَا بِبَعْرَةٍ فِي مَشْيِهِ مِنْ طَرِيقِ أَقْرَبِ مِنْ طِرِيقِهِمُ، قَالَ يَتَمَسَّى إِلَى النَّصِيحَةِ يَأْتِيُونَ يَلِمْقُولُوا فَأُخْذُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّصِيحَيْنِ]، وفي الأسر بالخروج.

عَلِيْمًا أَنَّ هَذَا حَدِيثُ مُؤْمِنٍ آلِ فُرَعُونَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ مِنْ قَالِ القِبْطِي، فِي نُشُورهُ مِنْ كِتاَبِ مَنْ جَاءَ مُجَلَّدِهِ. أو *الْعَلَامَةُ مِنْ تَرَكَتْ مُوسَى، أو آمَنُوا، وَلَكِنَّهُمْ تَشَافُوا فِي أَمْرِهِ، كَأَنَّهُ ظَاهِرٌ مِنْ كِتَابِ مَنْ جَاءَ مُجَلَّدِهِ.

فَوَّلَهُ: [وجَّهَ رَجُلٌ] قَالَ الْمُفسَرُ رحمه الله: [هُوَ مُؤْمِنٌ آلِ فُرَعُونَ، وَهَذَا التَّأوِيلُ الَّذِي قَالَهَا لَا يُجَرِّبُهُ، لَاتَّلَّهَ مُؤْنُ نُكْرِهِ، وَلَا يُقَلُّ إِنَّهُ مُؤْنُ. وَهُذَا قَالَ عَنْهُ في كِتَابِ مُؤْنُ آلِ فُرَعُونَ: [فَقَالَ رَجُلٌ مَّؤْنٌ مِنْ آلِ فُرَعُونَ]، وَلَكِنَّهُمْ مَا يَعْنِيْنَا فِي قَصْطَنِى هَذِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلُ -وَلَا شَكُّ، عَنْهُ عُطُفُ عَلَى مُوسَى، وَرَحْمَةُ يِهَا، وَهَذَا جَاءَ مُجَلَّدِهِ.

فَائِدة: يَقُولُ اللَّهُ عَلَيْهِ: [وجَّهَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمِدْنَةِ]، وَيَقُولُ فِي سُورَةِ يَسٍ فِي
قصة أخرى: "وجاء من أنفساً في المدينة رجل يسأله قل ينقور أتتبعوا الفرسان".

[ب:20] في الأول قدم يبلغ على أنفساً في المدينة، وفي الثانية أخرها، والحكم من ذلك أن قصة سورة الفرقان فيها اهتمام بالحسر الذي جاء به ذلك الرجل، فقدم ذكره على ذكر المكان، فكونه جاء من الأقصى، أو من الأثني لم يذكر، آنما في قصة الرسول الثلاثي في سورة البس، ففيها اهتمام بكون هذا الرجل بعيدا عن الرسول، وما جاء إلا ليؤكد صحة ما جاء به قبلاً.

قال المفسر رحمه الله في قوله تعالى: "من أنفساً في المدينة" آخراً، يعني: أبعدها من مكان موسى. وقال في وتسع: "يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم.

وقدّم أن هذا بناء على أن الدّابّين خرجوا ليدبحوا موسى، ولكنه ليس بلازم.

وقوله: "بستى يجوز أن تكون صفة، ويجوز أن تكون حالاً، صفة لأن قوله: "رجل" نكرة، وحال لأن هذه النكرة وصفت بقوله: "من أنفساً في المدينة".

ومعنى "بستى": أي يسرع في المشي، كما قال المفسر رحمه الله، وقد يكون هذا الإسراع -كما زعم- حتى يسبق من أرسو إلى موسى ليقتله، وقد يكون خوفاً من تنفيذ ما انتمروا عليه في شأنيه، والأخير هو الأفضل.

قال المفسر رحمه الله في قوله تعالى: "قال يمومس إني إملك" [من قوم فرعون، وأتيرون يك يتشاورون فيك.

قوله تعالى: "قال يمومس" نداء مهم يدل على أن هذا الرجل كانت له معرفة بموعيته، وهذا نداء باسمه، ولكن في قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر قال: سبحة وصلى قال: "وقال رجل مثون من آل فرعون، يكفر بيضينا، أصلعنا سحرا" [غافر:28]، وهنا نجد أنهما ما قال: أتقتلون موسى؟ لأن المقام يقتضي ألا يبيس أن لة.
اتصالاً به ومعرفة، فلَوّ قال: أنتقولون موسى! لقالوا: هذا الرجل يعرف موسى.
ولا أخذوه، ولكن قال: إن الذين يقولون: إنَّه لا يعرفه، ولكن يُعرف ما جاء به من الدعوة الصحيحة السليمة.

أما هنا فإن لم يعرف موسى، وحبثًا، قال: إن تبغوا إنك أرسلتاني قبل أن يحمونك، وأنا ل almahab بالله بقوله: إنك أرسلتني، مع أن موسى كان خالق المذهب من ذلك، لأن الأمر مُحتم، وقد ذكرنا فيما سبق أن الأسباب التي تقتضي تأكيد الجملة الخبرية ليست هي حال المخاطب فقط، ولكن حال المخبر عنه أيضًا، إذا كان مهابًا. فإنه يُؤكد.

قال المفسر: حمَّالًا في قوله سبحانه وتعالى: [فَخْرِيَّ] من المدينة، وإلي ذلك من التصوير، في الأمر بالخروج، وهو له من الناصحين، ليس في الأمر بالخروج فقط، ولكن في جميع إليه أيضًا، وإخبار بذلك. وآملاً الذين يُحبون بشأنته، فليس عامة الناس، بل هم الملأ، والكبراء الذين يقدرون ما اتهموا به؛ لأن الله نو كان من عامة الناس الذين ينتهاون فهذا ما كانت لته أهمية.
قال الله عزوجل: "هَيْجُ مِنْهَا خَليَّةٌ يَقْرَفُ قَالَ رَبِّ يُحْيِي مِنْ الْقَوْمِ الْقَلِيلِينَ (٨)
وَلَمَّا نُوحَى تَلْقَاءَ مَدِينَةٍ قَالَ عِيْسَى رَفِيعُ أَنْ يُهَدِينَ السَّوَاءَ الْكَبِيْرِ (١٠) [الفصل: ٢١-٢٢].

قال المفسر رحمه الله: [هَيْجُ مِنْهَا خَليَّةٌ يَقْرَفُ] حُرُق طَالِبٍ أَوْ عَوَّّثُ اللَّهُ إِيَاهُ
قال رَبِّ يُحْيِي مِنْ الْقَوْمِ الْقَلِيلِينَ قَوْمٌ فَرْعُونَ، (وَلَمَّا نُوحَى) قُصُدَّ بِوَجْهِهِ تَلْقَاءَ
مَدِينَةٍ جَهْتَهَا وَهِيَ قَرْيَةٌ شَجَّيَّةٌ مَسِيرَةٌ ثَمَانِيَةَ عَامٍ مِنْ مَضْرِبِ السَّمَيَّةِ بَيْنَ مَدِينَتِينَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمِ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ طَرِيقَهَا، (قَالَ عِيْسَى رَفِيعُ أَنْ يُهَدِينَ السَّوَاءَ الْكَبِيْرِ) أيْ قُصُدَّ
الطَّرِيقِ أَيْ الْطَّرِيقِ الْوُسْطِ إِلَيْهَا فَآَرَسَ اللَّهُ مَلْكًا بِدِيده قَانُوتًا قَانُوتًا بِهِ إِلَيْهَا].
قال الله ﷺ عبجًا: "ولم ورد ماء مذيبٍ وجد على أمة وعلى أهل الكتابين
يضقيون ووجد بن ذويهم أمرّت منهم نذؤدًا قال ما خطبكمًا قالا لا تنقي حن يصيرُ
أن يعذب وأوبنًا شيخ سكيرَ" [القصص: 32].

قال المفسر رحمه الله: "ولم ورد ماء مذيبٍ نزل فيها أي وصل إليها وجد على أمة جامعًا
بشهد الكلاخ يضقيون ووجد بن ذويهم مواسيهم ووجد بن ذويهم سواهم
أمرّت منهم نذؤدًا تتععن أعذكهمًا عني الماء قال مواسي هم ما خطبكمًا ما شأونكمًا لا تنقيان قالا لا تنقي حن يصير الرجاء جمع زاع أي يزجعون من
تبيهم خوف الرجاء فتنقي، وفي قراءة يصرد من الزباعي أي يصرد فوا مواسيهم
عن الماء وأوبنًا شيخ سكيرَ لا يقدر أن ينقي.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: أنه لا ينبغي أن يحكم على الأموات إلا بعد معريفة الأسباب، فإن
مواسي لم يحكم على المراذين بอาย حكم إلا بعد أن قال: "ما خطبكمًا" يعني: لماذا
تُذودان عنكمًا عن السقي؟ ولم تُحكم بأتي حكم على هذا الأمر، فسألهما.
الفائدة الثانية: قوله سبحانه وتعالى: "لجاهة إنه دهتما تنقي على أساتِيعكمَو" [القصص: 25]، قوله "تنقي" حال، وقوله "على أساتِيعكمَو" حال من الضمير المستتر
فعلٍ {تَمْشَى}. وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ أيُّ الفتاتين الكبيرة، أو الصغيرة هي من جاءت، فالفَرْقُانُ مَا بين ذلك.
قال الله عز وجل: "فسقه لهما ثم نزول إلى الظلمي فقال رب إني لست أنازل إلى من خبير قصير" [القصص: 24].

قال الفيصل رحمه الله: "فسقه لهما" من بين أخري يفردها، ورفع حجرًا عنها.

لا يرفعه إلا عشرة أنسى "ثم نزل" انصرف "إلى الظلمي" ليستерь من شدة حزن الشمس وهو جائع "فقال رب إني لست أنازل إلى من خبير قصير" طعام "قصير" ختناج فرجعتنا إلى أبى هما في زمان أقل وقعت كأن كانت ترجعان فيه فسألها عن ذلك فأخبرنا فسن استغفر الله فقال إحسا أدعاهما اجتمع ل، قال تعالى.

من فوائد الآية الكريمة:

القائدة الأولي: قوله: "فسقه لهما" أي جلب الآله من البهار لأعثمانها، واللهم في لهما للتعليم، ليست للنفعية.

القائدة الثانية: قوله: "إلى الظلمي" [القصص: 24]، المراد بالظلم ظل كل شيء، من جليل أو أكمل.

القائدة الثالثة: قوله: "إني لست أنازل إلى من خبير قصير" هنا لم يتعبد قوله: "قصير" (بالإلى)، بينما قال الله تعالى في آية أخرى: "تأتيها الناس أنسر الفقراء إلى الله" [بقر: 15]، فعدي الفصير إلى الله (بالإلى)، وإذا أضيف إلى الشيء المحتاج إليه.
عِدَي باللاحم، فكان منِّصيًا لِيَلا، ولم يَنىّ نَصيًا إليه، لأنَّه لا يَنىّ مَبّلغ هُوى المفقّرين، وإنَّما في وَوَال فَقّكه، أمَّا اللهُ سِبِحَانَهُ وَتَعَالَ، فهو مَنْتَهى فقّرهِ.

النَّافِئة الثَّائِنة قَوله: "قَنَّاه" هو في الأصل وصف لموسى، ولكنه هنا في الإْغْرَاب حَرَّ(١٥).

النَّافِئة الْرَابِعَة: رأَفَتُ يَا اللهِ موسى بِجاَتنِهَا القاَصِرَين؛ لقوله: "قَنَّاه لَهُما".

النَّافِئة الْخَامِسَة: تَوَفَّي الأَمْوَر الْضَّارَة.

النَّافِئة السَّادِسَة: جَوَاز الْإِقْصَار في الدعاء علَى ذِكرِ حال الدَّاعُ يَدْوَن طلب، وذَلِك من قوله: "أَرْبَى إِنِّي لَمَّا آَرَزَت إِلَى مِن خَيْر فَقَيْر".

النَّافِئة السَّابِعَة: يَنْبِيغى تقديِم الدعاء يَذَكَّر الرب; لقوله: "أَرْبَى إِنِّي لَمَّا آَرَزَت". وَقَد ذَكَّرَتَا قبل ذلك أن هَذَا هُوَ أَكْثَر مَا يَتَّبِعُ به الدعاء، يعني بِلَفظ الرَّبوية؛ لأن بالرَّبوية يكون الحالِ والتقدير للإنسان.

النَّافِئة الثَّامِنَة: حَاجَةِ الإنسان إلى زِيَّه بَارِزَة وَتَعَالَ، وأَنَّه في عَلَاية ما يَكُون مِن الصَّرُورَة إلى الحُيْر النَّازِل إِلَى يَتَّنِئِه مِن اللَّه.

النَّافِئة الْثَّانِيَة: عَلُوُّهُ لله؛ لقوله: "لَمَّا آَرَزَت إِلَى"؛ فإِنَّهُ لا يَكُون إنزاله للشيء إِلَّا إِذَا كَان عَالِيًا، فهو سِبِحَانَهُ وَتَعَالَ عَالِدُه وزفَافه، فَعَلِيُّهُ نُوعان: عَلُوُّ ذات، وعَلُو صَفَة.

وَلا يَلَزُّم من إِثْبات عَلُوَّ الذَّات التَّجْسِيم الَّذِي يَقُولُهُ المَعْطَلُون، وَلا أنَّ المَكَان

ِحْيَّ زِيَا كَأَقَالُوهُ أَيْضًا، مُوَسَّلِينَ ضَيْلَكَ إِلَى إنكار عَلُوُّهُ؛ فإنَّهُ لَوْلَا المَعْطَلُون يَتَوَصُّلُون

إِلَى تعَطِيله بِمَثْلِ هَذَا الكَلَمَات؛ بَأنَّ إِثْبات هَذَا يَقْتَضِي كَذَا مِن الأُمُور الَّتِي لَيْسَ
بلازمة، لكنهم يرونها بعقوتهم لازمة، فيلزمون بها غيرهم، ثم يتواصلون بها إلى
إنكار الصفات، التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله.
قال الله عز وجل: «إِذَا كَانُوا يَتَّهِمُونَكَ فِي الْحَقِّ لَا تَشْرَحْ أَذْنَابُكَ وَلَا تَفْرَحْ أَذْنَابُكَ إِلَّا بِقُونِهَا.» [القصص: 25].

قال المفسر رحمه الله: [«فِي نَفْسِهِ وَفِي آخِرِ الأَجْرِ»] كاتبها فصِّلت المكافأة إن كان المُتَّقَنُ يُرِيدُها. فَمَنْ تَيْمَى، فَجَعَلَهُ الْوَجَهُ حَيَاةً مِّنْهُ، فَقَالَ إِذَا كَانَ الْيَتَّهِمُونَكَ، إِذَا كَانَ الْيَتَّهِمُونَكَ.

فَأَطْلَبَ الْمُسْتَمِرَّ بِتَوْبَتَهَا، فَكَفَّرَ فَسَانِئُهَا، فَقَالَ مَا أَشِيَّتْ لَهُ فَقَالَ الْإِجْلَاسُ فَتَعَشَّ. قَالَ أَخَاهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَرَايَةِ إِبَائِي فَيْرِي الصِّفَافُ وَتَطَعَّمَ الطَّعَامُ، فَأَوْلَى وأَخَاهُ بِحَالِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا سَأَلَتْهُمْ رَبُّكُمُ الْحَكِيمُ» مَضْرَعُ مَضْرَعِي المَتَوْضَهِرِينَ مِنْ قُلُوبِ الْيَتَّهِمِينَ وَقَصِّدُهُمْ قَلَباً، وَخَوْفِهِمْ مِنْ فَزْعَ أَقْلاَمٍ لَا تَخَفَّفُ ثَغَّةً مِّنْ الْقُوُورَ الْأَلْطَابِيِّينَ إِذَا لَا سُلْطَانُ لِيْتَعْقُونَ عَلَى مَدِينَ».

قلت تعالى: «عَلَى استِجْهَالِهَا» قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جاءتُ تَمْشِي عَلَى استِجْهَالِهَا، قَالَ بُطُورُها عَلَى وَجَهِهَا لِيَسْتَفْتِي أَخْرَاجُهَا، وَلَا جِهَاً.» وهذا ذكرت.
ابن كثير (1) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: هذا إسناد صحيح.

و眠ه هذا عن عمر قد يكون على سبيل التنوّع، أي: إنه نوّاع رضي الله عنه أثنا كتبته وترجمها، لأنها في الآية ليس ذلك بوارد.

والدرا من السياق، لأنه مثّل الدرا الذي يلبس في الحروب، فوسعته كُلّها على وجهها حياة منه.

قوله تعالى: (ربك أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) نصوص بفتحة مُقَدَّرة، وليس منصوبًا بالألف، ولا بالباء، فهذه الآية ليست علامة إعراب، ولكنها ياء المتكلم.

ومن شروط نصب كلمة (أب) بالألف أن تكون مضافًا لغير ياء المتكلم، قال ابن مالك في ألفية: 

لئِلَيَا كُلُّ أُهْوَ أَيْبَكَ ذَا أَغْيَالًا

وشرطت إذا الإعراب أن يُضْمَن لا ونقُول في إعرابه: اسم (إن) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مُقَدَّرة من ظهرها استغلال المحلى بحركة المناسبة، وهي الكسرة المناسبة لياة المتكلم.

قوله تعالى: (بِعَمَلٍ لِّيْجَرَّيْكَ) اللام للتعليل يعني: يدعوك لهذا الغرض.

ومعنى يجزيك يكافئك بمكافأة، من: جزى يجزي.

وقوله تعالى: (أَجَرُّمَا سَقَيْتُ لَنَا) أي لتنال أجرا أو عوضا، فالآخر هو العوض المأخوذ مقابل عمل، وقاله: (ما سَقَيْتُ لَنَا) أي: لألبنا، و(ما) هنا مصدر، أي: ليجرِّيكم أجل سقِيك.
ولا يصح تقدير أن أجر الذي يتلقى لأنه تريد من والده أن يعطيه أجر سقي العين، ولا يريد أن يعطيه أجر العين.

قال المفسر رحمه الله: [فأجابه مكرا في نفسه أخذ الأجرة، أي أجاب موسى دعوة أبيها، وهو يصبر أخذ أجرة، وهذا نسبته من أن موسى فعل ذلك الله، ومن فعل سبيلًا فيه لا يكون أن يأخذ أجرًا في الدنيا، ولكن هذا لا يعني أن يكون موسى أخذ أجرًا، ولكن لا نشهد أن موسى في تلك الحال حينها أجاب الدعوة قد أُضرم في نفسه أخذ الأجرة، وما ذندي فقده يكون موسى عليه السلام مأذن تأخذ الأجرة لأنه محتاج، ويأخذها لسد حاجته، وقد لا يأخذها تكريمًا منه.

إما أن يمتنع، فإن الإنسان يأخذ أجرًا مقدما على ما يفعله الله، ثم لا سابق أن يأخذ له كوفي به مكافأة، بل إن الرسول عليه السلام لما بعث عمر عاملا على الصدقة وأعطاه قال: أعطه أقدر ومني، فقال: وما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذوه.

ومعقول أن عمر لم يكن يتعلم إلى أخيه، بالدليل أنه قال: أعطه أقدر ومني.

فالإنسان الذي يعمل عملا لله إذا كوفي عليه لا يبطل عمله، ما دامت بيئة في الأصل خالصة الله.

إذن: قد عزم أن موسى كان مكرا في نفسه أخذ الأجرة ليس عليه دليل، وليس لنا الحق أن نتكلم في هذا، ومنحن لا نعلمهم.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب من أطعه الله شيئًا من غير مسألة ولا إشراف نفس، رقم (1473).
(2) مسلم: كتاب الزكاة، باب إذابة الأخذ من أطع من غير مسألة ولا إشراف، رقم (1045).
وأما بالكافأة فإن كانت بمعنى يريدُها فَكَرِهْتِ بٍِّ بَنَيْنَ يَدَّنِي، يعني: أَجْرٌ مَا سَقَافَهُ لها.

والمعروف أن الأجر لا يكون إلا يَعَدِّل إِيِّهِ، وَلَمْ يَقْعَ بِيَ مُوسَى، وبين المرآتين عَقَدُ إِجَازَةً عَلَى أَن يَسْقَىُ لها، لكن كَأنَّها قَسَدَت بالكافأة إن كان بمعنى يريدُها، فسَمَّت هذه الكافأة أجرًا.

قَالَ الْمُسْرِرُ رَحْمَةِ اللّهِ: [قَمْتُ بَنِي يَدَّنِي، وَجَعَلَتِ الرُّوحُ تَصْرُبُ نَزْلًا، فَكَشفُ سَاقِيْهَا، قال: هَلَا: امْشِي خَلْفِي، وَدُلْنِي عَلَى الْطَّرِيقَ] هذِهِ الْقِصَّةُ يُبَيِّنُ بها تُوْطِئَة لقُوْهَا: [إِنَّ خَيْرَهُ مِنَ الْعَبْدِ أَن يَأْتِي الْقُرْآنَ أَلْيَامَهُ].

وَقَدْ بَيْنَ فِي نُزُعَ الصَّحْرَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي ما يَرْفَعُهَا إِلَّا عَشَرَةُ رَجُال، فَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى قُوَّتِهِ، وفَعَلَهُ أَنْ نَأْنِيَ سَيْرُهُ مَعَهَا دَلَّ عَلَى أُمَانِيْهِ.

قَالَ الْمُسْرِرُ رَحْمَةُ اللّهِ: [قَفَعَلَتْ إِلَى أَنْ جَاءَ أَبُوَّها، وَهُوُ شَعَبْتُ عَلِيْهِ الْقُرْآنَ وَعِنْدَهُ عَصَاةٌ، فَقَالَ لَهُ: اطْلُبِ. فَقَعَعْتُ، فَتَأْخَرَ، قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَوْصًا مِّمَّا سَقِيتُ تُيُمَا، وَإِنَّ مَهْل بَيْتٍ لَا نُتْلِبُ عَلَى عَمَلٍ خَيْرٍ عَوْصًا. قَالَ: لَا، عَادِيَ وَعَادَةُ أَبَاهُ يَنْفِرُ الصَّيْفَ، وَتَنْطِيعُ الطَّعَامَ. فَأَذْهَبْ بِالْحَالِ].

كَلَّ هَذَا لَدَيْلٌ عَلَىٰ، والذي عَلِيْهِ الْدَّلِيلُ أَنَّ مُوسَى عَلِيْهِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابُ أَجَابَ الدعوة، ومشى حتَّى وَصُلَّ إِلَى الْأَبِ، وَهَذَا يَكْفِينَا أَن نَعْتَقِدَ مَا دَلَّ عَلَى الْكِتَابِ والَسَّنَةِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْفِرَّانُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، أَمَّا أَنْ نَأْنِي بَيْنِي لَا ذِكْرٌ لَهُ فِي الْآيَةِ.

فَلا.

يَقُولُ نِعَالِي: [فَلَمَّا جَآءَهُ، وَقَضَّ عَلَيْهِ الْقُصَصَ] الْقَاعِلُ فِي [كِتَابِهِ]: مُوسَى، وَقَضَّ عَلَيْهِ: أَي: مُوسَى، [الْقُصَصَ] بِمَعْنَى البَيْنَاءِ لَعَنْ الْقُصَصُ مُصَدُّرًا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: [فَأَرْبِدْتَ عَلَى عَائِرِيْهَا فَقْصَصًا] [الكِتَابِ: ٢٤]: أَي: يُقَصُّانَ الأَثَرُ فَقْصَصًا
لأنه يُنصّ المقوصوس، وعَلَى هَذَا فَهُوَ مصدر بمعنى: اسم المفعول، والمصدر بمعنى اسم المفعول يأتي كثيرًا، كقوله: "وَلَكِنْ كَأَنْ قَبَّلَ حَمْلَيْهَا فَأَنْفَقْتَ عَلَيْهَا" [الطلاق: 12]. فهنا "أُولَئِكَ خَلَّلَ" أي: محمول، مع أن الآية لا تنفعه، لأنه قصد المرأة.

وَكَذِلِكَ قُوْلُهُ ﴿فَمَّا عَمِلَ عَمَّالًا لَّيْسَ عَلَيْهِ آمَنًا فَهُوَ رَدُّهُ﴾ (1). أي مردود.

عَلَى كُلِّ حَالِ: هذا القصص مصدر بمعنى: المصوصو، ولا يكون مصدرًا بمعناه الحقيقي، لأن القصص فعل الفعال، ولَيسَ هو موجودًا في قال عنه، وإذا الذي يُحْبَر عنه ويُقَصُ هو اللذي المقوصو، يعني: القضية، أو القصة، ومَا أَّشَبَّهَ ذَلِكَ، هَذَا الَّذِي يُقَصُّ.

قَالَ الْمَسْرِحُ رَسُولُ اللهِ ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْقُبَطِيِّ، وَقَصَّدَهُمْ قَنْتَهُ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ فَرْعَوْنَ﴾ فَقَصَّ عَلَيْهِمْ قَصِيَّتهُ كَلِهَا، فِي نَابِعٍ قَامَ فِي مُسْتَرِ مَثَلًا، وَأَنَّهُ حَصَّلَ كَذَا وَكَذَا، وقَدَّلَ الْقُبَطِيِّ، وَأَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَنَفَّضَهُ أَنْ يَخْرَج، ففَحَرَجَ، وَلَهُ كَانَ الْقَصَدُ.

قُوْلُهُ ﴿فَأَلَّا تَخَفِّفُ﴾ ﴿فَأَلَّا﴾ هَذَا جَوَابُ (أَلَّا)، أي: فَأَلَّا جَوَابُ مُوسى، وَقَصَّ عَلَيْهِ قَالَ صَاحِبُ مَدِينَ: ﴿لَا تَخَفِّفْ مِنْ أَلَّيْهِمُ الْقُوْرَ الْقُلُوْمِ﴾ ﴿لَا﴾ هَذَا ناهية، والمراد بها حكمة النهي، ولكنها هنا لتضمين هذا الرجَل، وَعَلَى هَذَا يُقِيْسُ قُوْلُهُ: ﴿فَخُورُتُ مِنْ أَلَّيْهِمُ الْقُوْرَ الْقُلُوْمِ﴾ تَأَكِيدًا للجعلة في اللغى، أي: لَا حَوْفٌ علَيْكِ، لَكِنَّ ﴿فَخُورُتُ مِنْ أَلَّيْهِمُ الْقُوْرَ الْقُلُوْمِ﴾.

وَمِنْ عَجِيبِ صَنَعَ اللّهُ أَنْ هَذَا الكَلامَ جاء مطابقاً لسؤال موسى، فَمَوْسِي قد دَعَّا رَبَّهُ عِنْدَا خَرَجَ خَاتِفًا مِنْ الْمَدِينَةِ، ﴿فَأَلَّا رَبِّ تَخَفِّفْ مِنْ أَلَّيْهِمُ الْقُوْرَ الْقُلُوْمِ﴾. [القصص: 21].

(1) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا أصطلحا على صلح جور، رقم (2697)، مسلم: كتاب الأفكار، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (1718).
فجاء الجواب هكذا من هذا الرجل: "لا تخف من القوّة الظليمين"، فقله:

إنّه نجا من القوّة الظليمين.

هل هذا تكون إجابة لله تعالى للمضطرب مطابقة تمامًا لسؤاله؟ إذ لا سلطان لفرعون على مدين، وهذا هو الظاهر، أنه طمأنة بأنه نجا من القوّة الظليمين؟ لأن سلطان فرعون في مصر وما حوله، أما مدين، فإنه لا سلطان لفرعون عليها؛ إذ كأنه سلطان عليها مما نجا من القوّة الظليمين.

والمّدين بلغ قريب من مصر، تقدّم في كلام المسّر رحمه الله أنها على كمّية أيام من مصر، ولكن الحدود متقاربة، فهذا ملك مكان ليس به بها إلا خط وهمي.

من فوائد الآية الكرامة:

الفائدة الأولى: في قوله تعالى: "یمهدنهما تستحي على عَسُوْباهَا"، يستفاد بيان الورق الذي جعلته الله لوسى، حيث جاءت إليه على استحياه تطغية الله، لأنّه كله كان الإنسان أشد وقراً، كان الحياه منه أكثر، ولذلك الرجل الذي ليس يوقّر تجد الناس لا يستحيون منه، ولا يبالون به، فيتقومون عنه بالكلام الذي لا يلبق، ويفعلون عليه ما لا يلبق؛ لأنه ليس وقومًا، وهذا يقال: اختمم تخفّم.

الفائدة الثانية: بيان كلّ خلقه حاتمي المرأّتين؛ حيث جاءت تمثي، غير سرعة، ولا مهرواله، بل تمثي بهدوء، وعند ذليل على كمال أدبه، وكذلك كونها على استحياه فيّ أيضًا ين كمال الأدب.

الفائدة الثالثة: في قوله: "إِنَّكَ أَيُّهَا الْيَهْوَى" يستفاد منه كمال أدب؛ حيث
الإجابة: فيما ذكره عليه ذاك الفتاة، فهي لم تقل: إن أي بدأك من أجل
أن توجه إليه التهمة مثلاً، أو من أجل أن يطغى به، أو يطلبه، أو ما أشبه ذلك، ولكنها
قالت: ليجرَّب أُجرُّ ما سقت لنتنا، وليكون أدعى إلى إجابة الدعوة.
القاعدة الخامسة: أنه ينبغي للإنسان كيل الأدب في الأساليب وإزالة الوحشة.
لقوله: إن كنت بذلَك ليجرَّب أُجرُّ ما سقت لنتنا، فإن هذا إزالة الوحشة،
وأله ينفي للإنسان أن يَريَل الوحشة عن الخمات، لا سيما في المكان الذي تعرَّيه
الوحشة.
وكما ينفي أن يكون ذلك في اللغة، ينبغي أن يكون ذلك في حال المرء، بحيث
يُقابل غيره بالبشر والساحة، وانطلاق الوجه، وجدًا كان من أوصاف النبي
أنه كان دائمًا البشر، كثير التبسم، وضد العبوس والتقطيب، وعدم الانشراح، فإن
هذا يوجب لعَيرِك أن ينفر منك.
وكذلك أيضًا يوجب أيضًا ينفر بك أحد، حتى لو جلس عنده، لكن إذا رأك
الإنسان فإن فضل الله يوتيه من يشَاء، هذا الأمر قد يكون اكتسابًا، وقد يكون
غريزة، فإن من الناس من يهبه الله سجاحة وملل مثل هذه الخصائص الطيبة، ومن الناس
من يجرم منها، ومن الناس من يحاول أن يتحلق بها.
ولذلك قال النبي ﷺ لأشجع عبد القيس: إن فيك خصالاتٍ يُجبح بها الله الحليم.

تفسير القرآن الكريم
والأنثة». قال: يا رسول الله: أُخْلِقْتُ كَثِيرًا ثُمَّ أَمُرُّتُ بِهِمَا أَمَّمُ جَبَلِينَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا. قال: «لِلْجَبَلِينَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا»، قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَينَ عَلَى خَلَقَتِهِ مِنْ زَیَّاءَهَا الله وَرُسُولُهُ»(1).

وَذَلِكَ عِلَمْتُ مِنْهَا أَنَّ مَثَلَ هَذِهِ الآخِلَةِ نَكُونُ بالِخَلْقِ، ونُكْنُ بالجِبَلِينَ، والجِبَلِينَ

أَثْبَتْ.

وَهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْجَبَلِينَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا»؛ لأنَّ الِخَلْقِ قد يَنْسَى

الإنسانُ أحيانًا، ولا يَتَخَلَّقُ، وَيَبْقُ عَلَى جَيْبِهِ، لَكِنَّ الجِبَلِينَ لا شَكَّ أَنَّ أَكْمَلَ، وَإِنَّهَا

يَنْكُنُ لِلإنسانَ البَعْدَ وَالِخَلْقِ عَلَى الشَّيْءِ أَنَّ يَكُنْ ذَلِكَ خَلْقًا لَهُ.

دُلْ لِلإنسانَ أَكْمَلُ لِلإنسانَ، فَقَدْ يَكُنُّ خَلْقَهُ لِلِخَلْقِ الفَاصْلَةَ وَالجِبَلِينَ، إِلَى

الآنَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْعَامِمَةِ مِنْ لَا يُوَافِقُونَ عَلَيْهَا، وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ تَغْيِرُت طَبَاعَهُمْ

وَخُلَصْت أَخْلَاقُهُمْ بِمَا نَّمَّا لله بِعَلَيْهِمْ.

أَلْفَادَةُ الدَّائِمَةُ: قَصُّ الأخبارِ لا يُتَبَيَّنُ شَكَایَةٌ، فِلَوْ قَصَصَتْ عَلَى إِسْنَانٍ مَا

جُرُّ عَلَيْكَ مِنَ الْمَصَاطِبِ، فَلَا يُتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنَ الشَّكَایَةِ إِلَيْهِ، وَهَذَا يَقَالُ: هَذَا إِخْبَارٌ.

فَالْمَرْضَ يَقُولُ مِثْلًا لَّنْ سَأَلْتُ عَنَّ حَالِيَةٍ إِنِّي مَرْضٍ، فَهُدِئْ إِخْبَارٌ، لَا شَكَوٍ، وَالفْرَقُ

بِينَهَا أَنَّ الشَّكَوى تَتَضَمَّنُ طَلْبَ إِزَالَةَ الشَّيْءِ، وَالْتَفْصِّلُ مِنْهُ، وَأَمَا الحَبَرُ، فِإِنَّهُ مُجَرَّدُ

عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مُجَرَّدُ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ وَقَعَ.

فَإِنَّ إِسْنَانَ إِذَا عَبَرَ عَنَّ حَالِهِ مَثَلًا - بقَوْلِهِ: وَقَعَ عَلَيْهِ زَمَلٍ وَكَذَا وَكَذَا، فَهَذَا

لَا يُتَبَيَّنُ شَكَایَةٌ، فَلَا يُمْكِنُ دُفعُ ظَلَمِ الظَّالِمِ إِلَّا يَذْكُرُ ظَلَمَهُ، وَهَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

(1) أَخْرِجَهُ أَبُو دَاوُدُ: كَتَابُ الْأَدْبَرِ، بَابُ فِي قِبْلَةِ الْرَجُلِ، رَقْمُهُ (۵۲۳۵)، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ عَنْ مُسْلِمٍ:
لا يُحبِبُ اللَّهُ آلَ الْجَهَّرِ بالشُّوَرِ مِنَ الْقَولِ إِلَّا مِنْ طَيْرٍ» [النساء: 148].

الفائدة السَّابِعة: فِي هَذَا ذِلْلَ عَلَى صِدْق صاحب مَدِينٍ، حيث طمأنه مع ذُكر السَّبِيل، فقال: «لا تَحَفَّدْ نَجَوْتُ مِنْ الْقُوَّةِ الْقَلِيلِينَ»، فقوله: «لا تَحَفَّدْ» يُعِيد طَمَأْنَتِي الرَّجُل، وقوله: «نَجَوْتُ مِنْ الْقُوَّةِ الْقَلِيلِينَ» العِلْمَةُ في ذلِك، فلَوْ أَنَّهُ لمْ يَقِلْ لَهُ نَجَوْتُ لَظَنَّ الظَّائِنَ أنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُهْوَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ احْتِيَالٌ أَلَا يَنْجُو.

الفائدة الثامنة: أنَّ الْفُؤَادُ مَعَ مَعَ الظَّائِمِينَ في الظَّلمِ عِندَ الْقَبَّةِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ.

لقوله: «نَجَوْتُ مِنْ الْقُوَّةِ الْقَلِيلِينَ».

الفائدة التاسعة: أنَّ جَنُود الظَّائِمِينَ الطلَّةُ؛ لَكِنَّهُ ما قَالَ: نَجَوْتُ مِنَ الظَّائِمِينَ، بَلْ قَالَ: «مِنْ الْقُوَّةِ الْقَلِيلِينَ»، وَاَتَّمَّ كَذلِكَ، فَإِنْ جَنُود الظَّائِمِينَ الطلَّةُ، وَهَذَا لَوْ أَمَرَ كَأَمْرِ الْأَمِيرِ، أَوْ مِنْ فَوْقِ الْأَمِيرِ، بَأَمْرٍ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ نَيْهُ، فَإِنَّهُ طَعِنَتَ لَهُ مُحَرَّمَةٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ طَاعَةِ المَخْلُوقِ فِي مُعْصِبَةِ الحَقَّ.

• • •
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
طلبًا لِلفَعْلِ عَلَى وُجُوهه الاستعلاء؛ لَأَنَّ الْيَتَّى لا يُمكِن أن تَأمر أَباها أَمرًا، ولكنه لِلاستعانة.

قَالَ الْمُقَسَرُ رَحْمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ: [إِنَّ هَذَا أَجْرِيًا بِرَعْوَى غَنِيَّةً بَدْلًا،]، وَهَذا فَادْخَلَنَا لِلَّبَنَتِينَ;

أوَلًا: سُوَّفَ تَراَثُانَ مِنَ الْعَمْلِ، ثانِيًا: أَنَّ الْرَّجُلَ قُوًى وأَمِينًا، وَنَحْنُ فِي طَمَانُينَ منِهِ، وَكَذَلِكَ نَحْنُ فِي طَمَانُينَ مِنْ أَنَّهُ سُوَّفَ يُسْقِيُّنَا سَقَيَا كَامِلاً لِقُوَّتِهِ.

قَولُهُ بِنَاهَدَّ أَشَالَّ: {إِنَّ خَيرًا مِنَ أَسْتَعْجِرَتَ الْقُوَّةِ الأَمِينَ} أَيَّ: أَسْتَعْجِرُهُ لِقُوَّتِهِ وُلَدَى أُمُّهُ.

فَقُولُهَا {أَسْتَعْجِرَةُ} حَكُمٌ، وَقَوْلُهَا: {إِنَّ خَيرًا مِنَ أَسْتَعْجِرَتَ} تَعْلِيُّ، يَعْني:

أَسْتَعْجِرُهُ لِثَغْرِيّةٍ أَمِينٍ، لَكَنَّا أَتْنَا بِالْعَلِمِ عَلَى سَيْلِ القَاعِدَةِ العَالِيَةِ، لَوْ قَالْتَ: أَسْتَعْجِرُهُ إِنَّهُ قُوِيٌّ أَمِينٌ، صَارَ هَذَا تَغْلِبًا لِمَسَأَّلَةٍ خَاصَّةٍ، وَهَيْ أَسْتَعْجِرُ مُوسِي، لَكِنَّا أَتْنَا بِهِذِهِ الْعَلِيَّةِ مَنْطُوِيَّةً تَحْتَ قَاعِدَةَ عَالِيَةً، وَهَيْ: {إِنَّ خَيرًا مِنَ أَسْتَعْجِرَتَ الْقُوَّةِ الأَمِينَ}، وَهَذَا الْوَصَفُانَ هُمَا رَكَانُانِ فِي كُلُّ عَمَلٍ، فَكَلُّ عَمَلٌ لَا بَدْ لُهُ مِنْ هَذَيْنِ الأَمِينِ، لَيْكُونَ إِلَّا بَيْنَهُ، وَهَذَا الْقُوَّةُ وَالأَمَانَةُ، فَبَلَّانِقُوَّةٌ يُقْبَلُ الْعَلِيمُ، وَبِالأَمَانَةِ يُقْبَلُ الْعَلِيمُ، وَقَدْ لَا يُقْبَلُ أَصِلًا، وَلَذِكَّرَ إِذَا كَانَ الْإِنسَانُ قُوِيًّا أَمِينًا حَصْلَ يُقْبَلُ الْعَلِيمُ، فِي غَيْرِ المُسْتَعِجَرِ، يَعْنِي: فِي الإِجْرَاءِ إِنَّا نُتَلِبُ الْقُوَّةِ الأَمِينَ فِي جَمِيعِ الأَعْمَالِ، لَوْ كَلَّنا شَخَصًا عَلَى بَيْعٍ فَخِيرً

مَنْ نُؤَكِّلُ {الْقُوَّةِ الأَمِينَ}.

إِذَا أَرَدْنَا أَن نَفْرَكَ شَخَصًا عَلَى قَرِيبٍ، فَخِيرُ مِنْ نُؤُمِّرُ الْقُوَّةِ الأَمِينِ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُؤُفِّي شَخَصًا عَلَى فَضِلٍ، فَخِيرُ مِنْ نُؤُمِّرُ الْفَضْلِ الْقُوَّةِ الأَمِينِ، وَهَذَا قَالَ الْجَلِيسُ لِسُلْطَانَ عَلَيْهِمَا: {أَنَا عَلَيْكَ بَيْدُ، إِنَّكَ تَنْفَكُم مِنْ مَقَارِبٍ وَلَيْنَ غَيْرَ الْقُوَّةِ الأَمِينَ}}.
قال المفسر رحم الله في قوله تعالى: ۛإِنَّمَا خَيِّرَنَا مِنْ أَسْتَفْنَجَتِ الْقُوَّاتِ الْأَمِينَۛ ۤۛفَسَأَلَّاهَا عَنْهُ، فَأَخَذَّلَهَا بِيَا تَقِدَّمَ مِنْ زِرْعُ حَجَرِ الْبُلُُورِ، وِمِنْ قُوَّلِهِ فَقَ. امْشِي خَلْفِي، فَزِيَادَةُ آنَا لَا جَأْيَزَهَا، وَعِلْمَ بِهَا صَوْبَ رَأْسِه، فَلَمْ يُقَفْعَهُ، فَرَغَّبَ فِي إِنْكَاحِهِ، أَيَّ: سَأَلَّاهَا أَبُوها عَنِ القُوَّةِ واَلْأَمِينَةِ، وكَيْفَ مُعَرَفَتِها بِهِتاَتِ الصُّفْتِينَ، فَذَكَرَتْ لَهُ، وَأَخَذَّلَهَا بِيَا تَقِدَّمَ مِنْ زِرْعُ حَجَرِ الْبُلُُورِ، وَكَانَ مِنَ الْعَادَةِ أَنْ يُقَدِّمَ عُتْرَةً أَنفُسٍ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىْ، وَكَانَتْ تَمْشِي أَمَامْهُ وَالرِّيحُ تَكَفَّسُ مِنْهَا، فَقَالَ: كُونَ وَزَائِرٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىْ آمَانِيَّهُ.

كَذَلِكَ أَيْضًا زِيَادَةُ مِنْ الْأَمِينَةِ أَنَّا لَا عَلِيمَا بِهَا مُوسَى حَقِّصَ رَأْسِه، فَلَمْ يُقَفْعَهُ، وَهَذَا مِنْ الْأَمِينَةِ، لَكَنْ نَحْنُ لَا نَحْتَاج إِلَى هَذِهِ الْقِضَائِيَا الثُّلَاثِ، بَلْ هَنَا يَكْفِينَا أَنَا عَرَفْتُ أَنَّهُ قَوِيُّ لِيْتَزِعُهُ الْدُلُوُّ، وَسَقِيَّهُ لَهُمَا، وَأَنَّهُ أَمِينٌ، كَيْ بِمُنْهَا سَقَى سَقِيَّةً تَامًا، وَلَمْ يُخْلدَ شِيَّاً مِنْ الْعَنْبَةِ، وَهَذَا يَدِلُّ عَلَى آمَانِيَّهُ.

فَالَأَمِينَةُ وَالْقُوَّةُ أَحْدَتَا مِنْ سَقَيَّةٍ، وَلَا يُقَدِّمُ أَنْ يُصْطَبَعَ شِيَّاً لَأَشْجِرَ أَنْ نُمَّهِدَ لَكَوْنُهُ قَوِيًا أَمِينًا، لَيْسَ هَنَاكْ حَاجَةٌ لَهُذَا، فَالْإِنْسَانُ يُعْرَفُ بِقُوَّتِهِ مِنْ تَزِعُهُ الْدُلُوُّ، فَالْإِنْسَانُ يَجُّرُ وَجُهَهُ، وَيُتِبُّ الْبَدْعُ، وَلَكَنْ مُوْسَى لَمْ يَتِبْعُ وَجُهَهُ، وَنَزَعَهُ بِسُهُوْلَةِ وَيُسَرَّ، فَقَدْ عَلَى أَنَّهُ قَوِيُّ، وَكَوْنُهُ أَيْضًا يَسْقِي سَقَيْةً كَامَلاً، فَيَذْعَ الْعَنْبَةُ حَتَّى تَرَوَى، يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ أَمِينٌ، لَكْنَّ غَيْرَ الأَمِينِ لَا يَسْقِي سَقَيَّةً كَامَلاً، بَلْ يَنْزَعُ الْدُلَوُّ قِبْلَ الْرَّيُّ، لَكْنَّ الأَمِينِ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ الْبَنِيَّةَ عَلَى وَجُهِهِ، فَهَذَا وَجُهُ مَعْرُفَتُهُ إِلَى شَيْءِهِ وَآمَانِيَّهُ.
من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: الأصل وجوب طاعة ولي الأمر، ولا يوجد ما يمنع هذا الأصل.

إذ إنّك لا تدري: هل هو ظالم أم لا، ولا إنه من المشقة أن الجندى - مثلًا - إذا أمره مانفقت دراً أن يضر، أو يحبس، أن يقول: لماذا أضررت؟ لماذا أحبست؟ ولا أن هذا يعود إلى الفوضى، وتفتكك الحكمة والدولة، فلهذا نقول: يجب عليك التنفيذ ما لم تعلمه أنك موصى الله.

وقال بعض أهل العلم بالتفصيل، وهو أنّه إذا كان الأمر مروعا بالظلم فإنه لا يجوز للإنسان الإقدام على مواقيته، إلا إذا علمت انفاء الظلم في هذه القضية المعبّية: تقديبا للظاهر على الأصل، فظاهر حال هذا الأمر - مثلًا - أنه ظالم، فيدمّ على الأصل، وهو عدم الظلم، ووجود الطاعة، وهذا التفسير لا أساس له، نعم فيه ينقّل أيضاً: لأنك - وإن كان طالما - فقد لا يظلّيم في كل شيء.

الفائدة الثانية: يجوز للإنسان أن يكون جندياً، حتى لو كان الإمام مروعاً بالظلم، بل قد يجبه أحياناً إذا كان موجوداً في هذا يخفف بعض الأشياء.

ولا يعذر صوتان هذا قول الله تعالى: (ولا تزكرنا إلى الذين ظلموا) [هود:131]، فهو يريد: لا تجعلوا إليههم بمساعدتهم في الظلم.

فإنّ تصرّب جندياً هؤلاء لا شيء فيه، ولكن أن تنضمّ إليههم وتساعدهم، أو تقوي جانبهم - ولو معنويًا - فهذا لا يجوز.

الفائدة الثالثة: جواز تكلم المرأة بحضور الاجنبي، ولكن ظاهر الحال أن موسى عليه السلام لم يكن قد نزلت عليه شرعيته بعد، وهناك من يقول كأن الأمر
سورة القصص (الآية : 36)

بحضرة شعيب النبي. وكان هذا أيضًا غير مسلم به.
وعلَّ على كل حالة: يجوز كلام المرأة بحضرة الأجنبي حتى عندها في الإسلام، ولكن بشرط عدم الفتنة، فإن أحسنت الفتنة في الكلام فيجب الامتناع، فإن الامتناع
خوف الفتنة -حتى عن المباح- من الأمور المعروفة.

القاعدة الرابعة: تصدير الدعاء برت، والله سبحة وتعال ذكر ذلك على وجه
الثناة عليه، ثم هذا أيضًا وارد في السنة من ذيل آخر.

القاعدة الحادية عشرة: صورة الأدنى للاعيال، لقولها: «أسلمت» ؛ لأن الأمر هنا ليس للإرادة، ولكن للمشورة والعرض، فقد يكون الأدنى حالي من الأعلى في بعض الأمور، كما أن الفضول قد يكون أفضل من الفاضل في بعض الأمور.

القاعدة السادسة: الرجوع في الأحوال إلى هذين الوصيفين: القوة والأمانة.

القاعدة السابعة: ينبغي أن يتقترح الإنسان في جميع أحواله من كان قويًا أم بأمي، لقولها: «إليك خبر من أسنتجرت القوى الأمينين»، والقوة في العمل يحسينه، فالقوة على الأحوال البديعة معناها قوة البدن، والقوة في الأمور الفكرية قوة الفكر في هذا الناحية، والقوة في الأمور الحربية الحرب نفسها، فكل شيء قوة يحسنها، وباختلاف أحد الوصيفين يحب العمل، فإذا احترام القوة، وصار الإنسان ضعيفًا لا يستطيع أن يقوم بالعمل -ولو كان من أمين الناس- يجب أن يتحلى، أو يجب تنحية، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإنّي أحب لك ما أحب لينفصي، لا أقوم على أثنتين، ولا تولتين مال تبيع».

(1) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، رقم (1826).
فقوله: "إني أراك ضعيفًا" الضعف هنا ضِدُّ الأمانة، وضِدُّ القوة، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ أميناً لكنه ضعيف في تولي الأعماَل.
فعليه نقول: إن الإنسان قدْ يَتَقَنُّ في القوة، أو الأمانة، والكِيالُ وَوْجُودُ القُوَة، ووَجُودُ الأمانة.
قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «قال إني أريد أن أنكحكم إحدى بناتي هنتين.» فأنتحم عشراً من عملكم. وما أريد أن أثني على علاكم ستستشهدون إن شاء الله من الصالحين.» [القصص: 27]}

قالhyp: «قال إني أريد أن أنكحكم إحدى بناتي هنتين.» وهي الكبرى، أو الصغرى. يعني أن تأجروها تكونن كراما في زعيم عينيه. فأنتحم عشرا. أي رعي عشرة سنة. فقنين عقيدك أيامكم. وما أريد أن أثني على علاكم باشتراع العشرين. ستستشهدون إن شاء الله للنبروك من الصالحين.» {الى النابريين بالعهد.}


قوله تعالى: «أحدى بناتي هنتين» منهم، فلا نذكر: أيهما الكبري أم الصغرى؟ ولذل يقول المفسر رضي الله عنه: «وهي الكبري، أو الصغرى.»

ولقوله: «أبنتي» أصلها: ابنتي لي، فحذفت النون من أجل الإضافة؛ وهي
جردته بالباء نية عن الكسرة؛ لأنَّه متنى، وحذفت النون من أجل الإضافة.
وقوله: "هَمْتَنَّ" اسم إشارة لتعيين البنتين، وقد يكون معنى ذلك أن لله بنات أخرى، وإن الإشارة تثبت من عداهمًا، أو أن المعنى أن موسى عليه السلام والثنك قد لا يعلم أن هاتين البنتين له، وهذا هو الأقرب.
وأما تعينهنّا بالإشارة، فإنَّا نتروم المختار أن لله بنات أخرى، ولتَن المعلَّى أن تكون هاتين ليخير بقية البنات.
والغريب أن بعض المفسرين قال: إن هذا لإخراج بقية البنات؛ لأن البنات ستُن، وهذا أخرجها بالتعين.
فيمال: ليس كذٌك، وليس في الأية ما يدل عليه، ولكني عندما أقول لشخص: أنا أريد أن أركب عليك إحدى بنتي، وعندي أرمان. فهل يفهم أنها منهن؟ لا، لا يفهمون.
حتى أقول: هاتان. فهمت؟ هاتان في المبتدأ على هذا المعنى.
وقوله تعالى: "عقِل أن تَهْزَرِي؟" يعني: تأجُّري نفسك، أي تكون أجرًا لي في رغمي.
وقوله تعالى: "تمَّي مِنْ جَمِيع" أي: تقريبي سنة، وهو جمع جمعة.
وقوله تعالى: "إِنَّ أَتَمَّتَ عَشَرَ" أي: رغمي عشر سنة.
وقوله تعالى: "قَسِيمَ عِندَكَ" اتهم، ولتَنِ عِشرِيْنِ، أخبره أنه يريد أن يزوّجه.
إحدى بنتيه، وينكون المهر أن يعطي العلَّم تقريبي سنة.
ولكن من ابن يعرف أن المراذ رغمي الغنم؛ إذ قد يقول: تأجّري نفسك لأجل!
أن تكون بناء عدني، أو حرامًا، أو ما أعسبة ذلك؟
والجواب: أنه يفهم من سؤال البنات، وسياق القصة، عندما قال GTA أن: «يتأنى استجوابات إبن حضرة من استجوابات الله تعالى أين السبب؟»، والعمل الذي أمامه الآن هو رعي الغنم، فعُرف بذلك أن صاحب مالين أراد أن يستأجر موسى عليه السلام في رعي الغنم ثماني سنوات؛ فإن أنتم عشرا، فإن عشرا، فعلى عنده، يعني: السئتان تكونان متربعت، والعقد على خمس سنوات.

وقوله تعالى: {وما أريد أن أشْقَّ عَلَيْكَ}. قال المفسر رحمه الله: [بأشتراط العشر] وقوله هذا فيه نظر: ظاهر، لأن أشتراط العشر لو قيله موسى، فلا مشقة فيه، وإلا لقولنا: إن أشترط النساء بدل السنت في ست سنوات، سيساعد. {وما أريد} أن أشْقَّ عَلَيْكَ {أي}. أي: في حال معاملتك في تنفيذ العقد، أي: يا موسى، ستأساه لئو مراتوم، أو أيام ما رعت فيها. وما أشباه ذلك، أو حصل عليك أكثر من مرض، أو غيره، فإنني لا أشَقَّ عَلَيْكَ بهذا.

وتكون عدم الشقة في تنفيذ الإجارة، أمان في زيادت المدة، فليس بمشقة، وإلا لقولنا: إن الثمانية بالنسبة للسنت تكون مشقة. فالصواب بلا ريب: لا أريد أن أشْقَّ عَلَيْكَ حال تنفيذ العمل؛ لأن بعض الناس يقول: عندك مشقة في العملية، يقال: {وما أريد أن أشْقَّ عَلَيْكَ}.}

وهذا قال: {سَتَجْعَلُونَ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ السُّجَدَينَ}. فوعده في قوله تعالى: {سَتَجْعَلُونَ} في المستقبل؛ لأن السين هذه تعود للمضارع إلى المستقبل، وهي -كما مَن عليها، تُفيد التحقيق والتقريب، فهيها ثلاث فوائد إذا ذُكِلت على المضارع:
توجهله للمستقبل، وتحقيقه، وتقريبه.

قوله تعالى: "ستجد فتية إن شاء الله بي الصليبيجين" من: وجَدْ يَجِدُ، إذا أدرك النبي، وكَانَتْ قال: "إن شاء الله بي الصليبيجين"، وهذا يدل على أن صاحب مدين مُؤمن، لأن كلامه هذا يدل على إيمانه، وأنه على ملة.

وقوله: "إن شاء الله تعليق، فهذا هو تعليق يراد به حققه؟

يقول المفسر رحمه الله: [إِنَّهُ لَتَبَرَّكُ]، والذي حمل المفسر على ذلك أن قوله: "ستجد فتية" وعد منه، والوعد إذا علقت لم يكن مجزوما به، وليذا قال: [إِنَّ شَاءَ اللهُ لَتَبَرَّكُ]؛ لبلا ينافي الوعيد، ولكنه في الحقيقة لا ينبغي أن يجعله على البترك، بل يجعله على التعليق الحقيقي بالمشيئة، لأن عزم الإنسان على الشيء مجزوم به، لكن تنفيذ الشيء لا يستطيع الإنسان أن يجرم به أبدا مهما كان العمل، يقول تبتاردونفال: "وَلَا نَقُولُ لَيْسَ أيَّاء إِلَّا فَاعِلُ ذَلِكَ عِنْدَ ١٣٢َ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ" [الكهف: 2:32-42].

ولذلك فنحن نرى أن قولله: [لَتَبَرَّكُ] غير صحيح، لأن تنفيذ هذا الشيء ليس بدي صاحب مدين، فإن الأمور قد تختلف.

وقوله: "بي الصليبيجين" جملة معتبرة بين الفعل ومفعوله؛ لأن الفعل "ستجد فتية" ينصب مفعولين؛ المفعول الأول ياء، والمفعول الثاني قولله: "بي الصليبيجين".

وقوله: "بي الصليبيجين" أي: الوافين بالعهد؛ لأن صلاح كل شيء بحسبه، فهنا المسألة عقد إجارة، والصلاح فيها يكون بالوفاء، وفي كل موضع بحسبه، والصلاح في الدين هو القيام بطاعة الله، وصلاح الطعام آلا يكون متغيراً برائحة كريهة، أو فضاد، فالصلاح في كل موضع بحسبه.
قال الله عز وجل: "قال ذلك ربك وبيتكم أيما الأجلان قاست فلا عدوتك علّ وله تعالى ما نقول وحكيك" [القصص: 28].

قال الله عز وجل: "قال ذلك رحمته على موسى وسلته وبيتكم أيما الأجلان" [القصص: 10].

هذا الكلام في الحقيقة يعني القبول، لأن كل عقد عندما يتحقق إلى الإجابة، وقبول: إجابة من البذل، سواء كان دفع أو موافقة، أو مزوجة، أو ما أشبه ذلك، وقبول من الآخر.

الإجابة من صاحب مدني لقوله: "أريده أن أنكاحك إحدى أنبيائنا علّ أن تأتي وصالح، وقبول من موسى بقوله: "ذلك بني وبيتكم"، ومعناه: إن موافق وقابل، وذلك بالرغم من أن صاحب مدني، قال في البداية: "أريده أن أنكاحك إحدى".

يقول المفسر رحمه الله: [أيما الأجلين] التاني أو العشرين، (ما) زائدةً، أي رعية.


وقوله: "أيمناً الأَقْلِينَينَ اقتُبِثَتْ هُمَا عَنْدَكَا الآن مَنْ تَنْسَاى بَينَنِينَ، وَهَيْ وَاحِدَة، وعشر، وهي نفق من موسى، ولهذا قال: "إِذَا أَنْعَمَتْ عَشَرًا، فَقِنِينَ عَنْدَكَ".

قوله تعالى: "أيمناً الأَقْلِينَينَ اقتُبِثَتْ فَلا عَدْوَانُ عَلَيْهِ" أي: قضيت به، أو فرعنت منه، والقضاء بمعنى القرار من الشيء، ومنه قوله تعالى: "قضه شه السُّكْرُوتُ" [فصل: 12], أي: أتى، وانتهى منه، وهذا هو معناه في اللغة العربية، وأما في الاصطلاح، فإن القضاء عند القضاء: ما فعل بعد قوته، وهذا يقولون: الرجل إذا صلى الصلاة بعد الزوال نسبياً قضاءً، وكذلك إذا فاتته الصلاة مع الإمام، أو بعضها، فقام يصل، فإذا نسي قضاء، وهذا يقولون: إنه يقرأ فيه سورة مع الفتحة، ويستفتح ويعود، لأنه الآن قد دخل في الصلاة.

والأصابع أن قضى هذا يعنى الإمام، أي: انتهى من القِيَِ، وفي مسألة الصلاة يفسره قول الرسول ﷺ في الرواية الأخرى: "وَمَا فَاتَكُمْ فَأَثَبْتُوْلاً".

قوله تعالى: "فلا عدوان على" (لا) نافة، والعدوان معنوه: الظلم والإعتداء، يعني: فإذا قضيت هذه الأشياء، فإنها لا لوعوان على بذلك: لأنني أتممت العقمة، ومن أتم العقمة فإنها لا أعتدي عليه، والعدوان في مثل هذا العقية يكون - كأ قال المفسر - [يطلب الزيادة عليه], وهذا صحيح، فقول المستأجِر لموسى: زد. هو من باب العدوان.

كذلك "فلا عدوان على" في الإزامي ييا لا يسطيعه العقل، كأ لو طلبت منه مثلًا أن يرغع العلم ليلا ونهارًا، كذلك لا عدوان عليه بمسامثته في الأجرة، فإذا

(1) أخرججه البخاري: كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتئنا الصلاة، رقم (135)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استجاب إثيان الصلاة بوقار وسكون، رقم (103).
قضيَت الأُجُل يَتم العقد.
والمهم: أن العدوان لا يحتضن بطلب الزَّيادة فقط، بل يقول: مَن يَصْوَر أنَّه ينافِي مُطلَق العقد.
يقول المفسر رَحمَّاهُ اللهُ في قوله تعالى: [وَلَيْسَ عَلَى مَن تَقُولُ آنَا وَأَنَا، وَكِيلُ،] حَفِيضٌ، أو شهيد، فَقَمَّ العقد بِذَلِكَ.
 قوله: [وَلَيْسَ عَلَى مَن تَقُولُ]، لفظ الجِلاء مبتدأ، و بِكِيلٍ خبره، والمرد بالوكالة هنا الحفظ والشهادة جميعًا، فقول المفسر رحمَّاهُ اللهُ: [أو شهيد] هذه للفتوى، ولست للشريعة، ولكن الأصح أنها عامَّة، لأن وكالة الله سبحة وتعال على الشيء معناه الحفظ والشهادة.
وقوله تعالى: [وَلَيْسَ عَلَى مَن تَقُولُ] تقدمت على عاملها، وهو بِكِيلٍ، وقد يُفيد الحصر، ومعلوم أن الله سبحة وتعال على كل شيء وكيل، وليس على من تقول فقط، ولكنه حصر في هذا لزيادة الاهتمام به، وإنما فلا شك أن الله وكيل على كل شيء، ولكن كان يقال: لَو لم يكن الله شاهدًا على شيء، كان شاهدًا على ما تقول من العقد الذي جرى بيننا، وفي هذا دليل على أن موسى عليه السلام كان عارفًا بالله، وعنده الفطرة، وإن لم يكن قد نبى، لأن قوله: [وَلَيْسَ عَلَى مَن تَقُولُ وَكِيلُ] اعتزاز منه بالله سبحة وتعال، والته دين القضاء، لكونه سبحة وتعال وكيلًا على كل شيء.

وأظهر الحالة أنه ليس هناك شهود على هذا العقد، ولكن في شرعنا لا يمكِن
الإِسْتِقْرَار عَنَّ الشهد عن كتابة العقود، فلا يُكفي أن يكتب شخص ما في العقد:
وَلَيْسَ عَلَى مَن تَقُولُ وَكِيلٌ، أو شهيد، فَتَعَمَّنْ نَحْنَ نَقُولُ بِذَلِكَ اللهُ شاهد ونغم الشاهد، لكيَّةً
لا يُذْلَي بِشِهَادَتِهِ، فَلَيْسَ هَنَاكَ آيَةٌ تَذْلَي عَلَى صِدْقٍ مَّا قَبْلَهُ، أَوْ تَكَذِّبِهِ، فَاللَّهُ شَجَاهَانُهُ ـ لا شَكَّ ـ نَعْمَ الشَّهَادَةُ عَلَى كُلّ ذَيِّءٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيّاَمَةِ عِندَ الْلَّهِ أَيْمَانُهُ﴾ (الأنعام: 19). 

ولكننا نقول: أين الآيَةُ مِن اللَّهِ شَجَاهَانُ رَقَائِلَةٌ تَشَهَّدُ بِأنَّهُ حَصَلَ كَذَا وَكَذَا؟ فَنَحْنَ - مثلاً - تَأْتِينَا بِعَدَدِ الْرَّكَاذِتِينَ، وَيَأْتِينَا فَقِيرٌ يَقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا، وَاللَّهُ شَاهِدٌ عَلَيْ ذَلِكَ. وَيَقُولُ: لَكَ أَنْ تَقْبَلُ اللَّهُ؟ نَقُولُ لَهُ: نَعْمَ، نَقِبُ قَسْمَكَ بِاللَّهِ، لَكْنَ أَذْكَرْ آيَةُ تَذْلَي عَلَى أنَّ اللَّهَ شَاهِدُ بِذَلِكَ، أَمَّا مِنْ جَمِيعِ كَلَامِكَ فَلَا يُعْتَنِى بِهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلامُ وَاللَّهُ، يَقُولُ: ﴿لَا يُعطِى النَّاسُ بِذَعْوَاهُمْ لَدَعَىٰ رَجَالٌ دَمَّاءٌ قَوْمٌ وَأَموَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيْنَةَ عَلَى الْمُدْعِي﴾، فَذاَكْرِ - مثلاً - وَحْيًا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ أَوْ آيَةً فِي كِتَابِهِ تَذْلَي عَلَى صِدْقِكَ، فَنَحْنَ نَقِبُ شَهَادَةَ اللَّهِ، وَهِي فَوْقُ كُلّ شَهَادَةٍ، أَمَّا أَنْ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا فِي الدَّائِمِ، فَهَذَا لَا يُنْبِئُ شَيْئًا.

قَالَ الْمَفْسِرُ رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿فَفَخَّرَ الْعَقِدَ بِذَلِكَ، وَأَمَّرَ شُعْبُبُ بِنَبِيِّهِ أَنْ يُعْطِي مُوسَى عِشْصًا يُذْفَعُ بِهَا السَّبَاعُ عَنْ غَيْبِهِ، وَكَانَ عِشًا الأَبْيِاءِ عَنْهُ، فَوَقَعَ فِي يَدَهَا عَصَا أَمَّدَ مِنْ آسِيَهُ، فَأَخَذَهُ مُوسَى بِعَلَمٍ شُعْبُبٍ﴾.

هَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيْلِيَاتِ الَّتِي مَا تُصْدَقَ، فَلا تَجِدُ فِي الآيَاتِ ذِلِلًا عَلَى أنَّهُ أُخْذَ عِشًا، أَوْ شُعْبُبًا، فَقَدْ ثَمَّ هَذَا الْعَقِدُ، وَصَارَ يُعْمَلُ لَهُ.

(١) أُخْرِجَهُ الْفَرْزِيُّ: كَتَابُ الْحَاكِمِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الْبَيْنَةَ عَلَى الْمُدْعِيِّ، وَالنَّبِيِّ عَلَى الْمُدْعِيِّ عليه، رَقْمٌ (١٣٤١).
من فوائد الآيات الكريمة:

الف鲇ئة الأولى: يجوز أن يُستّق messaging* من الأب، وهذا في حقيقته عائدٌ على البنيت؛ لأشهر حُصْلت لها فائدته، وهي أنها تسليم من رُغمي الغنم، واللعب في.

الف鲇ئة الثانية: قوله تعالى: {إني أريد أن أنكمل إحدى أبنائى} هو وعد، وليس عقدًا، والدليل على ذلك قوله: {أريد} والمريد للشيء قد يفعله، وقد لا يفعله، لكون قوله {كذلك بيني وبينك} يدل على أنه قيل أن يزرَوجه.

الف鲇ئة الثالثة: قوله تعالى: {هَذَا} يفيد أنها حاضرة تان؛ إنَّا يظن أن هناك من البنات غير هاتين.

الف鲇ئة الرابعة: في قوله تعالى: {عَلَى مَا نَبْتَ قَدْ تَقَدِّمْتَ المُعْمَول يَدُلُّ عَلَى الحصص، مع أن الله سَنَبِيَتْ وَتَبَارَى عَلَى كُل شيء وكيل، وهذا أبلغ في المحفظة على العقد، كأنه يُقْولُ: لَوْ لَمْ يَكُنِ الله وكيلًا لكان وكيلًا على ما تقول.

الف鲇ئة الخامسة: في قوله تعالى: {قَالَ إِنَّ هَذَا بَيْتًا أَسْتَجْرِحُهُ} يُستفاد بيانُ أن مُشَهورة الإنسان على أبيه لا تغلب من التنقَصي له.

القاعدة السابعة: ينبغي في القائم على الشيء، سواء كان متبرعًا، أو بأجر، أن يراعى فيه هذا الوضع، وهما القوة والأمانة؛ لأن في القوة القدرة على التنفيذ، وفي الأمانة الإمام والإكال.


القاعدة العاشرة: جواز خطبة الزوج، يمنع أن الرجل يخطب الرجل لابنته على عكس المتتابع عليه، وهذا جائز، فقد روي عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب، حين تأييتم في خصبة بنت عمر من ختيس بن عبد الله السيد، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ. فما شهد بدرًا، توفي باللثيمية، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه خصبة، فقلت: إن بنت أئمنك خصبة بنت عمر قال: سأنظر في أمرني، فليبعث ليالي، فقال: قد بدأ لي أنه لا أتروج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبو بكر، فقال: إنما أئمنك خصبة بنت عمر، ف.Question: What is the source of the text? Answer: The text is from the book "I'tidāl al-Insān" by Ibn Khaldūn. The page number is 121, and the verse number is 280. Reference number is 2005 (405).
وهكذا يبين أن خطبة الإنسان الرجل لا بئته أمر مثير للجدل، ومعروف فيبدأ، وفي هذه الأمة،

الفائدة الثانية عشرة: كرُم هذا الرجل، ووجهه أنه خيبر موسي بين البنين،
فقال: أخبر إحداهما، وهما من الكلم، لأن التحقيق في الحقيقة أوسع للإنسان، وأطلي لنفسه: حيث يختار ما يراه أنسب، لكن لو قال: إن أريد أن أكتب هذا البنت، فقد يكون الرجل لا رغبة أنه فيها، أما قوله: "إحدى بنتي" فالتحقيق يدل على الكرم، وأنه جعلته في سعة.

الفائدة الثانية عشرة: جواز العقد على المهمة، إيجابًا لا قبولًا، لأن مجرد أنه يقول: زوجتك إحدى بنتي. يقول الزوج: قيلت نكاح فلانة، وهذه المسألة لها أربع صوَر:

الأولى: إنما أن يختص التعيين بالإيجاب والقبول، يقول: زوجتك بنتي عائشة. يقول: قيلت. هذا تعيين في الإيجاب وفي القبول، فالإيجاب: قولَي قال:

زوجتك بنتي عائشة. فهي من حسبها، والزوج قال: قيلت زواج هذه المرأة.

الثانية: وإنما أن يكون الإهام في الإيجاب والقبول، فلا يصيح -مثلًا- أن يقول:

زوجتك إحدى بنتي. يقول: قيلت نكاح إحداها، فهنا لا يجوز، ولا يعقد التكاح، لأننا لا ندري أيهما التي انعقد نكاحها.

ثالثة: وإنما أن يكون التعيين في الإيجاب دون القبول، يقول -مثلًا-

زوجتك بنتي عائشة. يقول الزوج: قيلت نكاح إحدى بناتك، وهذا لا يجوز.

رابعة: أن يقول: زوجتك إحدى بناتي. يقول: قيلت نكاح فلانة، يُسمَّيها،
فهنا الإبهام في الإيجاب والتعيين في القبول لا يصح، فلا بد أن يكون النيين في الإيجاب والقبول، ولكن الذي يظهر أنه يصح، لأنه لما قال: زوجتك إحدى بناتي، قال: قبلت عاشقة. وهنا حصل التعيين، لكن الموجب الذي هو الوحي أراد أن يفسح له المجال في الاختيار، فهذا ظاهر صحة العقيدة، لا سيما إذا قال: زوجتك إحدى بناتي هؤلاء. وعندهم، فقال: قبلت عاشقة. وغي من الأعيان، فهذا أيضًا أقرب إلى الصحة؛ لأنه قد حصل تعين بالإشارة، ثم عين واحدة منهن بالقبول.

ولكن قصة موسى هنا ليس فيها دليل على ذلك، لأنه لم يكن نبيًا حينئذ، ولا إنه لم يعقد عليها بعد.

الفائدة الثالثة عشرة: قد يفهم من الآية أن الأب بملك العقد على ابنته دون رضاها، ولكن الآية ليس فيها دليل، إذ من الممكن أن يكون الأب قد استأذن منها قبل ذلك، أو إنه قُهِم منهما الرضا؛ لكونها عرَضت عليه، ووصفته بالقوة والأمانة.

وعلى كل تقدير، حتى لو فرضنا احتفال أن له منيباذ أن شريعتنا وردت بخلاف ذلك، أنه لا يجوز للإنسان أن يزوج ابنه بدون رضاها، وأما العقد إذا زوج ابنه بدون رضاها فيعتبر باطلًا. ليس بصحيح.

الفائدة الرابعة عشرة: جواز اشتراك الأب شيئًا من الصداق له؛ فإنه قد زوجه على أن يأجره فاخر جميح في رغي العينم، فيكون فيه دليل على أنه يجوز أن يشترط الأب مهر ابنه له، وهذا فيه إشكال بالنسبة لشريعتنا؛ لأن الله يقول: ونأتوا النساء صدقتين بنجة فإن طلبكم عن شيء من نيتكم فقولوا ما عقده» (النساء: 4)، وقال: «قضاء ما

وقضي مل آلا أن يعقوب أو يعفو آلا ية. عقده» (التكباج) (القرة: 237).
وَهِيَاتِ الْآبَانِ تَدَلَّانَ عَلَىَّ أَنَّ الْمَهْرَ لِلْزَوْجَةِ، وَهِيَ الَّتِي تَمْلَكُ التَّصَرُّفُ فِيهَا بِالأَعْفَوِيِّ وَالْإِعْطَاءِ، وَلِلآبِ حَتَّى فِي ذلِكَ، وَهُوَ الَّذِي دُلَّ عَلَيْهِ السَّنَةَ أَيْضًا؛ أَنَّ مَا كَانَ مِن مُّشْرِطٍ، أَوْ حَبَاهُ فَقَلْتُ الْعَقْدِ فَهُوَ لِلْزَوْجَةِ، وَمَا كَانَ بَعْدَهُ فَأَخَذَ مَا يَكُرُّ مَا عَلَى الْمَرْأَةِ إِبْنَتَهُ وَأَخْتَهُ، فَالْمَهْرُ الَّذِي قَلْتَ الْعَقْدِ كَلْهُ يُجَبُّ أَنْ يَكُونُ لِلْزَوْجَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ أَنَّ الْمَهْرَ لِلْزَوْجَةِ، لَا يَمْكُرُكَهَا فِيهِ أَحَدٌ؛ لَأَنَّهُ فِي مَعَايِنَةٍ بَعْضُهَا فَيَكُونُ هُمَا، وَلِسْلِمَ لِلآبِ أَنْ يُشْرِّطَ مِنَهَا شَيْئًا لِنفْسِهِ.

وَالآبُ لَهُ أَنْ يَتَمْلَكَ مِنْ مَالٍ وَلَدَهُ مَا لَا يَحْتَاجُهَا، وَلَا يَضُرُّهَا لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ:

"أَنْتُ وَمَالُكَ لِأُنْبِيَّكَ".1

فَأَمَا أَنْ يُشْرِّطَ مِنْهَا شَيْئًا لِنفْسِهِ فَلَا لَيْسَ الْشَّرْعُ لَا يُجَزُّهُ، وَهُوَ أَيْضًا سَبْبٌ لِلفسادِ، وَمَلَاحِظَةِ الْآبِ لِلْمَهْرِ فِي رَجُوَّةٍ مِنْ يُشْرِّطُ لَهُ أَكْثَرُ، وَإِنَّمَا يَكُنُّ كُفُّيْنَا، وَيَمْنُعُ مِنْ لَا يُشْرِّطُ لَهُ، وَإِنَّ كَانَ كُفُّيْنَا.

فَالصِّلَاحَةِ وَالشَّرْعُ كَلا هُمَا يَقْتَضِيانَ أَنَّهُ لَا يُجَزَّ مُنْ لَأْبِ أَنْ يُشْرِّطَ لَنفْسِهِ شَيْئًا مِنْ الْمَهْرِ، وَلَكِنَّ الْآبَانَ أَوْلَى، وَقَدْ يُحَدِّثُ هَذَا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، وَهَذَا لَا يُجَزَّ، فَالواجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَهْرُ كُلُّهُ لِلْزَوْجَةِ.

وَأَسْتَدَلَّ هَذِهِ الْآيَةُ بِعَدْمِ الْعَلْمِاءِ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ يُجَزَّ أَنْ يَكُونَ الْمَهْرُ مُنْفَعًةًۢ نَسْتَجِلُّهَا الْزَوْجَةُ مِنْ زَوْجِهَا، بِيَنِي: أَنْ يَعْمَلُ هَلَا بِنَاءً، فَيَبْتَغُ هَلَا بِنَاءً، وَيَبْتَغُهَا بِشَيْءٍ فَائِضٍ، وَالْأَسْتَدَلَّ وَأَيْضًا لَأَنْ رِعَى الْعَنْمَ مُنْفَعَةً، إِذْلِكَ لَا يُجِرُّهَا مَوْسِئُ لَقَامَ بِذَلِكَ هَاتَانِ الْآبَانِ، فَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ مُنْفَعَةٌ، ثُمَّ إِنْ شَرَعْنَا وَرَدَّ دُفْوَاهَا، قَالَ الْنَّبِيُّ ﷺ.

1 (1) أَخْرِجَهُ أَبُو دَاوُدُ، كَتَابُ الْإِجَارَةِ، بَابُ الْرِجلِ يَأْكُلُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ، رَقْمٌ (٣٥٠)، وَابْنُ مَاجِهُ: كَتَابُ الْبَعْضِاءَاتِ، بَابُ مَا لِلْرِجْلِ مِنْ مَالٍ وَلَدِهِ، رَقْمٌ (٢٢٩٢).
للزوجِ الذي لم يجد عندَهُ شريناً: "اذْهِبْ فَقَدْ مَلَكَتَكَهَا بِتَأْمَرُكَ عَنْ قُرْآنٍ" (1)، وهذا منيفة.

لكن لو اشترطت عليه أن يخدمها، يعني أن يكون مَهْرًا خدمتها، فمثلاً: هذه امرأة عجوز كبيرة خظتها إنسان ليس عندَهُ مال، أو عندَهُ مال، وقالت: المهر أنك تخدمني، أن تتحملني -مثلاً- لأنوضاً، وكذلك أيضاً تقوم حذائي، تغسل ثوبين، واما أشبها ذلك، وهذا فيه خلاف بين أهل العلم، منهم من يقول: إنه لا يجوز؛ لأن مقام الزوج أن يكون أعلى من مقام الزوجة، فإن الزوج سيء، كما قال الله تعالى: "وَلَعَلَّكُمَا سَيْدَاهَا لَدَى الَّذِينَ كَفَّارٍ" (البقرة 252)، والزوج رجل، فهو قوام على المرأة، قال تعالى: "أَلَاءَ رَجُلٌ فَوَقَّاهُ عَلَى النِّسَاءَ" (النساء 34)، والمرأة أسرأ عند الزوج، قال تعالى: "أَلَاءَ وَأَوَتُوهُا بِنَسَاكَةٍ" (2).

وإذا قلتنا: إنه يجوز أن يكون المهر خدمتها، انعكست القضية، وصار الأعلى هو الأسفل، وهذا لا يجوز، ولكن المذهب جوائز ذلك؛ لأنها منيفة، وكما يجوز أن تتروج على أن يبني بيتها، ويرعى عَمْهَا، فكذلك أن يقوم بخدمتها، وهذا التأويل لا يمنع، فيخدمها الزوج فيما اشترط عليه، وتخدمه فيها يحب عليها، فتكون خادمة مُحْمَّدًا؛ كحروف الفعل يعمل فيه الفعل، وهو يجي الأسم، هو عامل مَعْمُول.

وقد تكون مصلحة الزوج في خدمة زوجته، كأن تكون غنيّة، وينظر منتهاها حتى يرث منها، وقد يخدع العكس، لكن الأمر حسب الحال، فهذا رجل شاب.

1 أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر القلب، رقم (742)، ومسلم: النكاف، باب الصداق وجوائز كونه تعلم قران وخاتم حديث، رقم (1425).
2 أخرجه الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (3087)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: كتاب النكاف، باب حق المرأة على الزوج، رقم (555).
فغير، وهذه امرأة جزيرة كبيرة عندها أموال عظيمة، يقولون في نفسها: لا يضر أن أخدمها، فربما تكون، وأرث منها ما هوك

وقد يكون أيضاً لغير هذا السبب، قد يكون لرفع حسبي؛ لأن هذه امرأة مثلًا - من طبعة مشهورة، وهو يريد أن يرفع حسبي؛ لأنها قد يكون عند الناس غير قليل؛ فإذا زوجت هذه المرأة المعروفة بأنها من طبعة معيّنة، علم بذلك.

المهم: أن الآية فيها اعتبارات.

الفائدة الخامسة عشرة: أنه يجوز أن يجعل الإنسان العمل عملين: عملاً واجباً، وعملًا تبرعًا، فيجوز للإنسان أن يطلب استئجار شيء ما مثلًا عشرين سنة بالأجر، وستينين تبرعاً من صاحبه، برغبته ومشيئته.

وتظهر لهم من بعض الرجوع: أن يقول القائل لشخص: خذ هذا النبيّة يعني بناية، وما زاد فلك. فإن هذا جائز بشرط أن يكون عند كل من الطرفين معرفة بالسعر؛ لئلا ينخدع أحداها باعتبار أن واحدا - مثلًا - عنده حاجة يريد بيعها، وجاء إلى الدلائل وقال: خذ هذه الحاجة يعني بناية، وما زاد فلك. فهذا جائز، بيعها بناية وعشرين، وأيده عشرين، أو بناية وخمسة وأيده خمسة، أو بناية وعشرة وأيده عشرة، ولكنه يستعرض في هذا أن يكون لدى كل من الموكل والموكل عالم بالسعر، لئلا ينخدع أحدهما في سعر هذه السلعة، فهو يعرف - مثلًا - أنها تساوي مائة، وقد تزيد قليلاً، وقد تنقص قليلاً.

ولكن إن كان لا يدري ما تمنى، ثم يقول: بناية. وهو لا يدري أن سعرها أرباعه، فيذهب ذلك فيه بناية بأرباعه، أو أنه - مثلًا - يعرف أن سعرها لا يساوي خمسين، وألوكل لا يدري، فلذي يعبر هنا هو الوكل، وفي المسألة الأولى الوكل.
وَلَكِنَّ قَدْ يَكُونُ الْمُوَلِّدُ يُعَفِّرُ أَنَّ سَلَعَتِهِ لَا تَزِيدُ عَنِ المَأْسِرَةِ، فَيَقُولُ لِلْوَكِيلِ:
انْهَبْ وَيْبُعْهَا بِيَادِهِ، وَمَا زَادَ فَهَرُ اللَّهُ. فَإِذَا هَوَّـُو لَّا يُدْرِي، يَقُولُ مَنْ يَسِيِّبْهَا أَكْثَرُ مِنَ الْيَادِ، فَيُقَلْلِفُ وَيُحَوَّلُ وَيُجَابِلُ، فَإِنَّهُ يُسْتَعْجَلُ، أَوْ يَتَصَمَّعُ مِثَالًا، فَيَكُونُ فَيْنَٰكَ عِرْضٌ عَلَى الْوَكِيْلِ، وَهَذَا لَا يُجَازُ، وَالعَكَّسَ أَيْضًا لَا يُجَازُ.

الْفَائِدَةُ الْسَادِسَةُ عَشْرَةُ: حُسْنُ معَالِمِ صَاحِبٍ مَّذْنِينَ مِنْ وَجَهَيْهِنَّ:
أَوْلَىً: أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ فِي الْآجِلِ، فَقَالَ: "لَنْ نَحْيِّٰكَ إِنَّما أَتيَتَ عَشْرَةٌ فِي مَرْتَعٍ نَّيَذِكَ،"،
ثانيًا: أَنْ يَتَسَحَّرَ بِالنِّسَرِ في المُعَايِلَةِ، حَيْثُ قَالَ: "لَنْ نَحْيِّٰكَ إِنَّما أَتيَتَ عَشْرَةٌ فِي مَرْتَعٍ نَّيَذِكَ،"
فَهَذَا دِيَالَانُ عَلَّي أَنْ كَانَ سَحَّرًا في مَعَايِلِهِ.

الْفَائِدَةُ الْسَابِعَةُ عَشْرَةُ: يُسَتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَثَّلَ مَثَالًا لَّيْنَ أَسْتَجِدَّ لِمَثَالٍ مِّثْلَهُ»، أَنْهُ لَا يَنْفَعُ لَّيْجُرَّآء أَن يُعْرَمَ عَلَى فِيْلِ النَّـشَٰٰئِ إِلَّا مَقْرَوًا بِالْمُشِيَّةِ، فَقَالَ: "لَنْ نَحْيِّٰكَ إِنَّما أَتيَتَ عَشْرَةٌ فِي مَرْتَعٍ نَّيَذِكَ، فَقَالَ تَعَالَى:
"لَنْ نَحْيِّٰكَ إِنَّما أَتيَتَ عَشْرَةٌ فِي مَرْتَعٍ نَّيَذِكَ،" [الكُهُفِ: 242].

والْقُرْآنُ بِالْمُشِيَّةِ فِي قَافِلدَانَاتِ:
الأُوْلِي: تَفْقِيْضُ الْمُرْهِبُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ تَحَقَّقُ الْتَوْكِيْلُ.

الثانيَّة: تَسْيِيرُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا لَمْ يَقُولَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَصِّ سَلِيمَانَ: "لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَثَّلَ مَثَالًا وَكَانَ دِرْكَةً لَّيْ جُرَّآءٍ". (1)

(1) أَخْرِجَ الْبَحْرِيُّ: كَتَابُ كِتَابَاتِ الْأَیَّاتِ، بَابُ الْإِسْتِنَاثِ فِي الْأَیَّاتِ، رَقْمٌ (۱۳۴۱)، وَمُسْمَّى:
كتاب الأیات، باب الاستنثاء، رقم (۱۶۵۴).
ترى هذا إذا كان الإنسان يريد أن يُحبَع عن الفعل، أمّا إذا كان يريد أن يُحبَع عن عزيمته على الفعل، فلا يلزمُه قول: إن شاء الله، إذا كان يريد أن يُحبَع عن العزيمة يقول: سأفعل، غداً، أي: هذه نيته وعزيتمي، فإنّه لا يلزمُه القرآن بالمثابة؛ لأن العزيمة حاصلة، فقد شاءها الله، وإذا كانت حاصلة، وقد شاءها الله، فليس هناك حاجة أن تقوم: إن شاء الله؛ لأن الله شاءها، ففرق بين أن يقوم إنسان: سأزورك غداً، وهو يريد وفوق الفعل، وبين أن يقوم: سأزورك غداً، وهو يريد أن يُحبَع عني في قلبٍ من النية والعزيمة، بينهما فرق، ففي الأول لا بد أن يقوم: إن شاء الله. وفي الثانيّة لا يحتاج أن يقوم: إن شاء الله. فالعزيمة أمر واقع، وأما الفعل فأمر مستقبل، فهذا أمر لا يستحب في العزيمة، إلا إذا كان على سبيل التعليم، فلا بأس، كما قال الرسول ﷺ: "وإنا إن شاء الله يُكِم لاحقون" (1). يعني: حقاً، وقال الله تعالى: "لَتَنْخَلَّ الْمَسْجِدِ الْأَحْرَامُ إِن شَاءَ اللهُ عَلَى مَبَانيٍّ" [الفتح:۱۷۲].

الفائدة الثامنة عشرة: يُستفاد من قوله تعالى: ((سَتَحْتَدِفُ إِن شَاءَ اللهُ مِن الصَّلِيِّبِينَ أن صَاحِبَ مَدْنَينِ مَوْمِنٍ؛ لَنْ يُقْلِل هَذِهِ الصِّيَاغَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِن مُؤْمِنٍ ملزوم بالشريعة.

الفائدة التاسعة عشرة: أن الصلاة في كل موضع بحسبه، ففي العبادة يكون الصلاة في الإخلاص والمتابعة. أي: القيام مما يُجبَع من الإخلاص، والمتابعة، وترك المنهيات، وفعل الأمورات، والصلاة في المعايّلة بالوقف يقتضيه العقد، وهذا هو الصلاة في المعايّلة الوقف يقتضيه العقد.

وهنا في قوله تعالى: (سَتَحْتَدِفُ إِن شَاءَ اللهُ مِن الصَّلِيِّبِينَ) نجد أن الآية

(1) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم (۹۴۵۵).
بالسياق هو صلاح المعايلة؛ لأن المسألة جاءت تعقيبا على عقيدة، فقد قال الله تعالى بعده: «قال ذلك بنيي ويبناتهما أيضا الأجلاء فقصيت فلا عدوى على الله وعلي ما نقول وصيكل».

الفئيدة العشرون: أن العقود ليست محَيَّة، فتنعقد بها ذلت عليها، وكذلك الفسخ، وكذلك الولاءات، كل التصرفات من عقود وفسخ وولايات، فإنها تصبح بها ذلت عليها، ولا يشرط لها لفظ معين، بل يجري على ما يتعلق منه الناس، حتى عقد النكاح على القول الراجح لا يشرط له صيغة معينة، فيجوز عقد النكاح بأي لفظ يتعارف عليه الناس، فمثلًا يجوز قوله: رُوِّجْتُك، أُنْكِحْتُك، مَلَكْتُك، عقدت لك على ابنتي. وكذلك الأمر في الوقف والسبيل، فإذا كان الأمر محتملا أن ينعقد على العقود أو لا، حيثند نرجع إلى اللفظ اللغوي، لأنه إذا لم يكن هناك عرف رجعنا إلى الحقيقة اللغوية، كما ذكروا في الأديان وعُبر عنها، فترجع إلى مفتي الألفاظ في اللغة العربية ما لم يكن بين التساعين نية مسبقة، لأنها يردان هذا العقد، فإذا كانت بينها نية معروفة، واتفق عليها، عجل بها.

الفقهاء رجحوا الله استنادًا بعض العقود، وجعلوا لها صيغة معينة، في النكاح مثلًا قالوا: لا ينعقد إلا بلفظ (روجتوك) أو (أُنْكِحْتُك)، فإن الله قال: «إن رسول الله».

أعتني صيغة، وجعل عنيها صداقة»). قالوا: هذه المسألة تستنير، فقال الله: ما الدليل على استنداها، بل هذه المسألة تنذكر على أن النكاح ينعقد بذا ذلَّ عليها، ففي هذه الآية ما يدل على أن العقود تعقد بذا ذلَّ عليها؛ لقوله تعالى: «ذكرت بني وبناتك».)

(1) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الوليمة وله بشأ، رقم (1169)، ومسلم: كتاب النكاح، باب فضيلة إعتماء أمته، ثم يزوجها، رقم (1365).
أَمْ يَقُولُ: قَبْلُ النَّكَاحِ، وَلا: قَبْلُ الإِجَارَةِ، وَلَا شَيْءٌ.

القِانُونَةِ الْحَادِيَةُ وَالعَشْرُونَ: يُسْتَفَادِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَ: "يَحْيِي وَيَتَبَارَىْ" أَنَّ العَقْوَدَ

عَهْدَ يَقُولُهُ اللَّهُ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىَالْمُهَدِّدِ إِنَّ الْمُهَدِّدَ كَانَ مُسْتَلَلًا﴾ [الأسرة: 42]، وَقَدْ قَالَ ﴿فِيلَهَا: وَلَا تَقْفُوا مَالَ الْيَبِينَ إِلَّا يَاتَى هَذَا أَحْسَنُ حَتَّى بَلْغَ آمِنًا وَأُوحِيَ إِلَىَالْمُهَدِّدِ إِنَّ الْمُهَدِّدَ كَانَ مُسْتَلَلًا﴾ [الأسرة: 43]، فَالْوَلَايَةُ عَلَى الْيَبِينَ نَوْعَ مِنَ الْعَقْوَدِ، وَجَعْلَهَا اللهُ تَعَالَ

عَهْدًا، فَقَالَ: "وَأُوحِيَ إِلَىَالْمُهَدِّدِ إِنَّ الْمُهَدِّدَ كَانَ مُسْتَلَلًا يَا." 

القِانُونَةِ الْثَانِيَةُ وَالعَشْرُونَ: أَنَّ مُوسَى مُتْحَقِّقُ مَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَّ صَاحِبُ عَدْوَانٍ مِنَ

اختِبَارِ أَحَدَ الْأَجْلَانِينَ، حِينَما قَالَ: "إِنَّمَا الْأَجْلَانِينَ قَضِيَّانِ فَلا عَدْوَانٌ عَلَّهُ"، وَبِقِيَ

العَقْدُ مَفْتَحًا، يَعْني: إِنْ أَتمَتَّ العَشْرُ، فَلا تَتَّبَعَهُ عَلَىٰ إِخْرَاجِي مِنْ بَيْتِي، وَطَرَدي

عَن عَمْلي إِنَّ أَرَدتُّ العَشْرَ، إِنَّ أُوفِيَتْ بِالْعَشْرَ، فَلا تَلَّمْوَنِي، وَتَقُلُّ: هَذَا الرَّجُلُ مَا

وَقَّٰٔ.

وَهَذَا مَعْنَى قُوْلِهِ: "فَلا عَدْوَانَ عَلَّهُ" أَي: لَا اعْتَدِاء عَلَىٰ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ

يَقُولُهُ لَكَ بَعْضُهُ يَسْأَلُ سَاءُ وَيَقُولُ: كَفِ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَجْلَانِينَ قَضِيَّانِ فَلا عَدْوَانٌ

عَلَّهُ"، ثُمَّ يَسْرِي عَلَيْهِ عَدْوَانٌ، وَالرَّجُلُ وَقِيَّ بِيَا عَاكِدٌ عَلَّهُ؟

نَقُولُ: رَبِّ يَكُونَ عَدْوَانًا، بَعْنَى: إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ إِقْتِصَارُ الْعَشْرِ لا يَثْرِكِهِ بِذِهَبِ،

وَإِذَا افْتَصَرَ عَلَى الْعَشْرِ يَتَكَلُّمُ يُهِيْ فِي الْمَجَالِسِ، وَالْفَتَّرُ، وَجَعَلَ اللَّهُ يَقُولُ: "فَلا عَدْوَانَ

عَلَّهُ" يَتَلْبِي الْرَّجَاذَةَ عَلَىٰ)، وَهَذَا نَقْطَمُ إِنْهُ غَيْرُ صَحِيحٍ لِلَّيْلَةِ أُوْلَىٰ أُسْلِمَ حَدِيثٌ

وارد.
الفائدة الثالثة والعشرون: أن الله تعالى وقَالَ حفظًا على كل أحدٍ؛ لقوله: {وَلَهُ}
على ما نقول وَصَيَّبْلٌ}.
الفائدة الرابعة والعشرون: جوَاز تخصيص العُموم لغرض، أي جوَاز تغيير
الشيء العام بأمر خاصٍ بغرص، ويُوحَدَ ذلك من قوله: {وَلَهُ ما نقول وَصَيَّبْلٌ}؛
فإن هَذَا يقتضي تخصيص وَكَالَة الله سبحانه وتعالى بها قالاه فقط، ولكن الأمر ليس
كذلِكَ، إنما حقَص هذا لغرض العبادة.
الفائدة الخامسة والعشرون: جوَاز إشهاد الله على العقَد لقوله تعالى: {وَلَهُ عَلَى ما نقول وَصَيَّبْلٌ}، ولكن شَرَعًا لا يقتضى على ذلك، فأنت تشهد الله، لا لغرضٍ آخر،
لكن باطلًا فيما بينهم، وَيَنِين الله يُكثف به، ويستفيد الرجُل إذا أَشْهَدَ الله، أو جعله
الوكيل الحفاظ المراقب، أن يذكَر بانتقام الله منه إذا حَالف، أو خان.
فَمَن أَشْهَدَ الله، ثُمَّ خان، فقد استخف به، وهي كذلِكَ في حق المخلوقين،
فيا بالبلَّ أن تكون في حق الله عَظِيم؟!
وَالله في كل حال شاهد، سواء قلنا، أم لم نقلُ، لكن استشهاده أمر عظيم،
والالتزام الإنسان بمقتضى هذه الشهادة يكون أعظم، فيكون فيه توكيد للعَقد، إذا
قُلْنَا: الله شاهد علينا أرَأيت ما عَينданا أحدٍ، لكن الآن نريد نحن وأنت أن تشهد الله
أنه سبحانه وتعالى هو الشاهد، إذا وافق هذا يكوَن أبْلَغ في التأكيِد؛ لأن خالفته عرَضة
للعقوبة، وهذا كل من يجَلَفُ بالله كاذبًا إلا أصيب في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة
إصابة واضحة، وهو أنه يلقى الله، وهو عليه عضبان، لكن الغالب أنه نعَّجَ له
العقوبة في الدنيا، والقصص في هذا كثير.
فقد حدثني إنسان أنه كان ينْبِتَ وَيَنْبِث شخصٌ حُصومة في الخارج، فتخاصموا
عند الفاضي، فأنكر حقه، وحلف المدعى عليه، لكنه في اليوم التالي خرج هو وعائلته إلى الرياض فحصل لهم حادث، وماتت العائلة كلها، ما بقي إلا هو، وهذه عقوبة معلَّجة.

وقد ذكر بعض السلف أن اليبيين العموس تدغ الديار بلاقع، أي: خالية من أهلها، تدمر وتتهلك، وإبنا قال المفسر رحمه الله: [أي رجعه]؛ لأن الأجل، أو الزمان نفسه ليس يبدي موسى، بل الذي يبدي هو الرعَّي.

١٣٢
سورة الفاتاح (الآية : 29)

قال الله عزوجل: "فلما قضى موسى الأجل وسارت أهلهم إلى جانب الطريق قال أهلهم إنكم نحن منكم تنازلتما لعلكم تضطرونا [الفاتحة: 29]."

قال المفسر رحمه الله: "فلمما قضى موسى الأجل أي زعيم، وهو توين، أو عمر بينين، وهو المظنون وسار ياهلهم رجحته إذ إن أبيها نحن معصر. أنتم نبي من بعيد من جناين الظلمات اسم جليل كنا قال أهلهم التنازلتما هم ما ماته نازل أهلهم نحن منكم تنازلتما لعلكم تضطرونا فلمما قضى موسى الأجل، لعلكم تضطركون، والطاء بدل من ناء"


قوله تعالى: "الأجل، (ال) هذى لله، يعني: الأجل الذي بينه وبين صاحب مدنين، وقد علمنا أن بينهما أجلين: أجللا واجبة، وهو ثمانية سنوات، وأجللا تبرعا من موسى، وهو عشر سنوات، ولا ندرى أي الأجلين قد قضى، يقول المفسر رحمه الله: فقلما قضى موسى الأجل، وهو تين، أو عشر بينين، وهو المظنون به، الضمير في قوله:
[وَهُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ] يُعْتُبَرُ عَلَى الْعُشُرِ، بِعَني: أَلَّا نَضْرَبُ بِمَوْسِيَّةَ أَنَّهُ آتَى عَشْرًا.

ولكِنَّ الْآيَةَ مَخْتَلِفَةُ، فتَرجِيحَ العَشُرِ بِتَنْاَةٍ عَلَى الْمَلَعْوَمَيْنِ مِنْ حَالَ مُوسَىَّةَ مِنْ الْكُرْمِ والموَفَاءِ، وترجيح أنه ثانِي; لَكِنَّهُ هُوَ الْوَاجِبُ عَلَّيْهِ، ومَوْسِيَّةَ كَانَ رَاءٌ في اسْتِمَاقٍ إِلَى بَلَادِهِ بِمَصْرِ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ سَبَبًا مَعْتَدِرًا: "أَيُّاهَا الْأَجْلَانِ، قَضَىَّتُ فَلَا ثُمَّ دَوْرُكُ" ١٠.

وهذِهِ جَلَالَةُ قَدْ تَشْكِرُ إِلَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْأَجْلِ الْوَاجِبِ، وَإِلَّا فِي الْمَلَعْوَمِ أَنَّهُ إِذَا قَضَى الْأَجْلَ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ لَا أَحْدَ بَلَدِهِ، أو يَنطِدَ عَلَيْهِ، فَلَكُنْ مِنْهَا وَجِهَهُ، وَمَوْفِقَنَا نَحْنُ مِنْ هَذِهِ الْقُسَّاَةِ أَنَّ نُبِيَّهُ مَا أَبْعَثَهُ اللَّهُ سِبْحَانَاهُ وَتَعَالَى، فَقُولُ: قَضَى الْأَجْلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمَ أَيْبَا قَضَاءَ.

ولكِنَّ هُناكَ أَنْثِرُ مَزْوِيٌّ عَنْ عَطَاءِ بَنِ السِّبَبِ قَالَ آَيَّةَ سَعْيِدُ بْنُ جُبَّرِ رَاهِبًا فَقَالَ سَعْيِدُ: "أَيُّاهَا الأَجْلَانِ، قَضَىَّ مُوسَىَّةَ؟ فَلَمْ يَدْرِ، قَلِيَّتُ ابْنِ عَبَّاسِ فَسَأَلَهُمَا فَقَالُ: "قَضَىَّ أُوقَامَهُمَا" ١١. وَهُوَ الْعَشُرُ، وَكَذَٰلِكَ قَوْلُ أُثْرَىَ المُتقَرِبِينَ.

وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلُ لَا يُرِدُّ مَا يَرْجِحُهُ، فتَفسِيرُ الْسَّحَابِيِّ لِيْسَ صَحِيحاً مَطْلَقاً، لَا سِيْمَا إِذَا كَانَ الْسَّحَابِيُّ مِنْ عَرْفِ اِلْآخِذِ مِنَ الْإِسْرَائِيْلِيَّاتِ، يُسْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ بِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وُسَارَ يَا أُمَّيَّةَ" ١٢. الْسِّيرُ مَعْنَاهُ: الْمُشِي، سَارَ بَأَهْلِهِ مِنْ عَيْنِهِ صاحِبِ مَدَنِّينَ وَأَهْلِهَا.

(١) أَخْرِجَهُ سَفِيَانُ الطَّيِّبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، رَقْمٍ (٧٥٤٤) مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسِ، وَقَدْ رَوَى مِرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَثِيلُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّهَا الأَجْلَانِ قَضَىَّ مُوسَىَّةَ؟ قَالَ: "أُوقَامَهُمَا". أَخْرِجَهُ الطَّيِّبِيُّ فِي الأُوْسِطِ (٨٧/٨)، رَقْمٌ (٨٧٢)، وَقَالَ: لَمْ يَرْجُحْ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى جَابِرِ إِلَّا بِهِذَا الْإِسْتِنَادِ قَرِيرَ الْأَسْلَامِيُّ تَفْرِدَهُ بِهِ هَشَامَ بْنِ عَلِيَّ. وَكَذَا كَانَ مِنْ حَدِيثٍ عَنْ بْنِ النَّدِرِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثِيلُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّهَا الأَجْلَانِ قَضَىَّ مُوسَىَّةَ؟ قَالَ: "أُوقَامَهُمَا". أَخْرِجَهُ الطَّيِّبِيُّ فِي الْكَبْرِ (١٦٤/١٧)، رَقْمٌ (٢٣٣).
وقوله: «تأمَّلوا» يقول المفسرون رحمه الله: [زوَّجْتُه بِذِينَ أَيْبَاهَا نَخْرًا بِصَرَّ،] أُمَّا قوْلٌه: [زوَّجْتُه] فهذا صحيح، فإن الزُّوجة تسمى أهلا، وأُمَّا قوْلُه: [يَايَبَاهَا] فهذا لا ذيل عليه، ولا يُقَدِّمُ الزُّوج إذا أراد أن يُسافر بزوجته إلى إذن أيبها؛ لأن الزوجة صارت ملكًا لحيثًا، يكون بها حيّة، اللهوم إلا إذا سار بها إلى أمر لا يَجُور شرعًا، فلها أن تتمتع، وأيضاً أن يمنعها، وإلا فأحقّه لاحقًا؛ إذ لا شرف عليه. ولها الحق أن تُسافر إذا تعلق به شخصيًا، وقد ترى أن من الأفضل لها أن تُسافر مع زوجها.

قوله تعالى: {كناساً} أي: أَبَصَرُ من بعيد، وأصل {كناسا} مُستَتْلَفة من الأَسِى، وهو زوال الوعْشة، ولكنها تأتي بمعنى الإبصار بالشيء، لأن إذا أَبَصَرَ الشيء وعرفته زال عنه ما تخشاه.

قوله تعالى: {من جنب الطور} بالضمّ، اسم جبل، وجانب الشيء: جَهْنَه، أي: من جَهَّة الطور.

قوله تعالى: {كسرًا} هذه النار ليست نارًا حقيقية، ولكنها نور، وتشبه النار، لِمَا أَبَصَرَ هِذه النار، وكان الزَّمن زمن شئاء، والظاهر - وَالله أَعْلَم - أن الليلة كانت مِعْمَكِينة، وأن مُوسى عليه السلام عَنَّه نَوْعٌ من الاشتباه في الطريق، كما تدَّل عليه القصص، آنس نازًا.

قوله تعالى: {فَقَالَ لِأَهْلِهِ آمَكُنْهُمَا} أي: هنا، قال ذلك لأهلها، وقد قَوْرَ المفسرون رحمه الله، قَبْل قليل أن المراد بأهل الزوجة، وهنا قال {آمَكُنْهُمَا} وهو خطاب لجعاة، لأن خطاب الواحد يكون: أمَكنُوه، وللخروج من هذا الإشكال قال بعض المفسرين:
إنه اصطحب معه خادمًا. وقال ببعضهم أيضًا: إنه ولدته من بئاء على أنه سُلِّمت له من أول العقد، وبيت معه ثمانية، أو عشرة سبيين، فوجدت، فغلب هذا يكون الخطاب @] ( aerial مظاطًا للواقع؛ لأن معه زوجة وخادمًا وولدًا، وهؤلاء جامعًا، وهذا ليس بعيدًا. إذ إنه جربت الاعادة أن الإنسان إذا سافر، لا سيما في مثل هذه الحال، أن يصطحب مغامرة من يخدمه.

قوله تعالى: { أَلَٰيْكُمْ } ( aerial هنا للترجيح؛ لأنه يئتي أن يغُضِبُهُ ثَمَانِيَاءَ الأَمْرُ، { أَلَٰيْكُمْ } بمعنى: أجعكم، ولا تصلح أن تكون آصف فاعل: لأنه هنا يريد الفعل، ولا يريده أن يبيع أن يكتب أن منتصف بالنص، والدليل أنك أذكَر حوَّلتها إلى معناها تقول: علي أجيكم، فذ أجيكم، واضحة أن فاعل مضايع، فليس هُنا اسم فاعل.

قوله: { كَنَّهَا } أي: من هذه النار، ومعلوم أن النار نفسها لا تُعطى خبرًا، ولكل المراد من عندنا، لأن النار عادة لا تشتعل إلا وعندها أناس.

وقوله: { يَصِبْرُ } يقول فيه المفسر رحمه الله: { عَنِ الْطَرْقِيَّةَ }، وهذا ممكن، وقد يكون أعم من قوليه هذا، ف يكون عن طريقي، وعما بقي من المسافة، وعن كل شيء، وكلمة (خَبَر) كثرة تُفيد العموم.

وقوله تعالى: { أَمَّاَنَاَرُ ذَاتَ الْآرَاءِ } يقول المفسر رحمه الله: { بَلَىْثِ الْحِبْرِ }، أي يفتح، أو ضم، أو كسر الحرف، فإذا قيل: بالتنثيل، أي بالحركات الثلاث، وإذا قيل بالثلثة أية بالثناء.

قال المفسر رحمه الله في مغنى الجذوة: { قطعة وشعالة من النار }، أي: إن الجذوة

عود في طرفه نار مشتعلة.
وقوله تعالى: «قضّالك teen» تستدفون؛ لأن الضبّي معناه: الاحتماء بالنار، فالاستدفاء إذا الاحتياج بها، وهو الاستدفاء، وذلك كليل على أنهم كانوا في بريدة.

يقول المفسر رحمته الله: [والطاء بُدل من ناء الافعال] هذه علة تصريفية، فناء الافعال هي الأني تدخل على فعل الشيء، فالفعل (اصطبل) أصله (اصطل)، وقضالك أصلها: (تصلون)، مثل: تباغون، ولكن القاعدة التصريفية في اللغة العربية أنه إذا وقعت ناء الفعل بعد الصاد، فإنها تقلب طاء، وهي مأخوذة من: صلي النار، بكسر اللام وفتحها، كرسي، وكرسي، ففيها لغتان في اللغة العربية، فقوله تعالى: لا تصلنها إلا الأئتم [اللائل: 15] من باب رضي، وكذلک قوله تعالى: أَلَّا يَصِلُّ الذَّائِقَةُ إِلَى الأَئِتْمَ [الأعراف: 12].

يقول الله تعالى في سورة أخرى: قُلْ تَبَيْنُوا أَيُّهَا النَّاسُ نَيَسِّي إلى آخر هدى [طه: 11، والخبر أعم من البدء، ومعناه أنه ينفي هذا الشيء، ويبدى على أنه كان يتجأ إلى كليل، وقالنا: إن الظاهر أن الساءة مغمة، وإلا لكان يعرف النجوم؛ لأنه راع، وقد بقي في ثماني سنوات، ويعرف غالب النجوم.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أنه من تعهد شكي فأنه لا يشتهب بغيره حتى إنهائه منه، فقوله: فَلَسْا قَصِرَ مُؤَذَّنَ الْأَلْجِ وَسَارَ بِأَهْلِهِ، وهذه قاعدة مهمة، إذا استغل الإنسان بشيء لا يتجأ إلى عبيرة حتى يعبه، وكذلك كان السلف، كانوا يبدؤون بحفظ القرآن، فلا ينتقلون إلى عبيرة حتى يتخمنوه، وهكذا.

الفائدة الثانية: فيها إثبات أن الله سبحانه وتعالى قد يقدر للملوء من الأسباب ما توصله إلى الكمال، ذلك أن رغب الغنم فيه مصلحة لرعاية الخلق فيها بعد. وهذا
أخرج النبي عليه السلام أحاديثًا في الإلهام، حيث يقول: "ما بعث الله نيبيًا إلا رعي الغنم". 

إذا كان الإنسان يتعدد الرعاية، ومسؤولية الرعاية، فإن هذا فيه توطئة لما يوكل إليه فيها بعد.

المهم: أن الله يقدر لإنسان من الأسباب ما يصل به إلى درجة الكمال.

القرآن الكريم: "أن الإنسان - عليه الصلاة والسلام - حتى قبل النبوءة هم كغيرهم من البشر يعيشون بالآلام والبرد، وكذلك بالآلام الجموع وغيره، ويهتدون إلى الطريق، وقد يضلون عنه، وهنا فائدة شريف:

الأولى: أنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب ما شخصوا عن الطريق.

الثانية: أنهم لا يكمنون لأنفسهم تفاصيل ولا ضرراً، فإذا كانوا لا يكمنون ضرراً لأنفسهم، فلغيهم من باب أولى، وهذا مصروحاً به في قوله تعالى: "قل لا أؤمن لكم في رجاء من أنفسكم" [الأنبياء: 50]. وقَالَ الْآيَةُ الْمُعَلَّمَةُ: "قَلْ إِنَّ كُلْ كَرَامَةٍ وَلَا رَسُوْلٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَلِكُ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْمُلْحَقُ بِهِ" [الإسراء: 52].

النهاية: أن الله تعالى إذا آزاد أمرًا هيا أسبابه، وأن الله ما آزاد أن يوجيه إلى موسى في ذلك الملك، هيا له أسباباً توصله إلى النار التي راه وقصدها.

الفائدة الحاسمة: أنه ينبغي لإنسان أن يبقى في الملك الذي فارقه فيه صاحبه، لأن موسى قال لأهله: "أمسكوه"، حتى يستطيع أن يرجع إلينهم، وكذلك هم لا يضلون عن الطريق، وهذه عادة من الحزم.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على ترخيص، رقم (2242).
كانت معرفة الإنسان إلى الله مكملةً للذين بذكاء وجدواة في الفهم، تبينون لهم، قال في مكتبه: "إذ قذلها فسوف يرجعون إليها مرة أخرى، كنتم أن تمسككم خيركم لأهلها، وافناء خيركم لأهلها".

الكتابة الساحة: "أنت ينبييء لمن أراد أمرًا أن يجبر أهله عن وجهته، لأنه قال: " Compile a list of the ones who have their hands on them, انتي عليه، وقد يقبل هذا في الأمور العادية، ولكن إذا أراد الخروج والسفر، فإنه ينبييء أن يجبر أهله بوجهته.

الفائدة الأسابيع: اختيار الأسباب لا ينافي التوكل، بل هو من تمام التوكل، ومن تمام معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالى أن نأخذ بالأسباب؛ حيث إن الإنسان يعلم أن الله تعالى جعل لكل شيء سبحانه، فأخذ بهذه الأسباب حتى يصل إلى الغاية، لكن المحظور أن يتعصب الإنسان على السبب ويعظن أنه هو الغاية، فالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب هذا من تمام معرفة الإنسان لربه.

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، رقم (2661)، ومسلم.

كتب النحو، باب في حديث الإفك وقوله: توبة القاذف، رقم (7670).

قال الله تعالى: ۛ فَلَمَّا آتَهَا نُورِيكَ مِن شَنْطِي الْوَادِ الآمِينِ في الْبَقْعَةِ الْبَسْرِيَّةَ مِنْ الشَّجَرَةِ أَن يَنْمُوسَ إِيَّهُ آتَا اللهُ رَبِّ الْكُلِّيَّةِ [القصص: ۳۱].

قال المفسّر رحمه الله: ۛ فَلَمَّا آتَهَا نُورِيكَ مِن شَنْطِي جَانِبِ الْوَادِ الآمِينِ لِيوْسُى فِي الْبَقْعَةِ الْبَسْرِيَّةَ لِيوْسُى لِسَمَاعِهِ كِلَامَ اللهِ فِيهَا مِنْ الشَّجَرَةِ بَدْلًا مِن شَعَابِي بِإِمَامَةِ الْجَاحِرِ لِبَنَاتِهِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ عَنْابٌ، أَوْ عَلَمٌ، أَوْ عِنْسٌ [آ].

مَعْرُوفًا لآنَّهُ تَفْعَيْلًا: نُمُوسَ إِيَّهُ آتَا اللهُ رَبِّ الْكُلِّيَّةِ».

قوله تعالى: ۛ فَلَمَّا آتَهَا أي: جَاءَ إِلَى النَّارِ، ووَصَلَ إِلَيْهَا.

قوله تعالى: نُورِيكَ مِن شَنْطِي الْوَادِ الآمِينِ: نُورِيكَ الْبَدْءُ هُوَ دَعَاءُ الشَّخْصِ بِصُوٍّ مَرْفَعٍ، وَالنَّاجِزَةُ: المُسَاءَ، وَتَكُونُ بِصُوٍّ مَنْخْفِضٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تعالى: وُندِينَتُوهُمْ مِن جَانِبِ الْطَّوْرِ الآمِينِ وَفَرِصَتُ بَيْنَا [مَرْيَمٌ: ۴۲]. فَمُوسى نُورِيَ مِنْ بَعْدٍ، ثُمَّ قَرِيبٌ فَنُوْجِي.

وكلمة نُورِيكَ مَبْتِبَةٌ لِلْمَفْعُولِ، فَالذُّي نَادَاهُ هُوَ اللهُ، كَأَنْ يَعِدُّ أَخْرَى إذْ نَادَاهُ رَبِّهِ: يَا الْوَادُ الْخَيْمِ الْجَلِّيّ [النَّازَعَاتِ: ۱۶]. فَهُنَا حِذَفُ الفَاوِلِ لِلْمَعْلُومِ بِهِ، لِأَنَّهُ مَعْلُومُ أَنَّ الْذِّي نَادَاهُ هُوَ اللهُ، بَلْ لَيْلُ قُولُهُ بَعْدُ إِيَّاَّهُ آتَا اللهُ رَبِّ الْكُلِّيَّةِ [القصص: ۳۱].

وقوله تعالى: نُورِيكَ مِن شَنْطِي أي: مِنْ جَانِبِ، فِشَاطِئِ النَّمْئِيِّ جَانِبِهِ،
ومنه: شاطئ النهر، أي: جانبه.
وقوله تعالى: 
"فَأَوَادَ" الوادي: تجري الماء، فمجرى النّبيِّ يُسمى والدياً؛ لأنه فيه جمع، والوذّب: الجمع، فعله يكون مجرى النّبيِّ واديًا.
وقوله: "الّذينِ" صفة للشاطئ، ويدل على ذلك قوله تعالى: "وَعَدَّنَا جَالِبًا
الْطُورِ الْأَلْبِيمِ" [ط: 81].
يقول المفسّر رحمه الله: ["الّذينِ" لُوَسَى، هَذَا مَعْلُومٌ؛ لأنه منادي، فقد
يكون الوادي أمام موسى، أو هو في وسط الوادي، يسكنون الأيمن منه هو الذي
على يمين موسى.
قوله تعالى و말: "فَلِبَالْبَقِعَةِ الْمُبَارَكَةِ" البقعة: الأرض، أو النّبيّ المميز عن
غيره، ومنه: يقع الماء في النّوب مثلًا، فالبقعة هي: الجانب من الأرض المميز-مثلًا-بأشجار، أو شبيها.
وقوله: "الّذينِ مَسَّنَ" معناه: التي أُحْلِل الله فيها البركة، والبركة الأحترى الكبير
الثابت؛ لأنه مُشتق من: بركة الماء، وبركة الماء تكون جمعًا له مع ذوته فيه، والبركة
تكون من الله، وليس شيء مبارك لشخصه بل يأثر الله فيه من البركة.
وقد مر علينا بحث في كون الإنسان يُبَرَّك به، وهل يصح هذا أم لا؟ وفلننا
فيها سبب: إن كأن الموارد البركة الشخصية، فهذا ليس صحيح، إلا للنبي ﷺ، وإن
كان الموارد بالبركة ما يحصل منه من منافع علية، أو مالية؛ فإن هذا صحيح؛ لأن
بعض الناس قد يكون مجهلًا مباركًا يفعل الحاضرين؛ إما بالذكر، وإما بالعلم، وإما
بالمال، وإما بالأداب، والأخلاقيات هذه بركة لا شك، وبعض الناس يكون بالعكس
فَمَا كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا مِّنْ يَكُونُ مُفَاتِحًا لِلسَّحِيرِ، وَمِغْلَا أَلِيْلَةٍ لِلدِّرَّ، وَمِنْهُمْ مَا يَكُونُ بالعِكْس.

لَكِنَّ الْمُقَرَّرَ رَحْمَتَ اللَّهِ بَيْنَاهَا قَبْلًا حَسَنًا، فَقَالَ: [مُبَارَكَةُ مُوسَى]، فَهِيَ مُبَارَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْوُقُوتُ بِالنَّبِيَّةِ مُوسَى، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلْهَا صَبْعَةٌ دِينِيَّة، وَلِيَسْتَ مَقْدُوسَةَ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْ أَنَّهَا حَاضِرَةً فِي وَقْتِ تِلْكِمِ مُوسَى.

وَمِنْهُ أَيْضًا: غَارُ جَرَاءٍ، فَهُوَ بِالنَّبِيَّةِ لِلرَّسُولِ مُبَارَكٌ، لَكِنَّ حِينَ نُرُوِّعَ الْوَهْيَ عَلَيْهِ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَتُلْهَا صَبْعَةً دِينِيَّةَ، وَهَذَا مِنْ الْيَدِ كَانَ الْإِنْسَانُ يَذْهَبُ إِلَى غَارِ جَرَاءٍ لِيُذَوَّرَهُ تَعْدَا، وَكَذَلِكَ غَارُ ثُورٍ، أَمَّا إِذَا كَانَ يَزِورُهُ اطْلاَعًا فَقَطْ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِيَوْمِهِ وَلَا حَجَرُ؛ لَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ التَّعْبِدَ.

فِئِنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِنُ الَّتِي مَا تَثْبَتَ هَلْ قُدْسِيَّةً عَامَّةً، تَكُونُ قَدْسِيَّتَهَا خَاصَّةً فِي حِينَهَا فَقَطْ، وَلِينَهُمْ أَيْضًا، وَأَمَّا لِغَيْرِهِنَّ فَلَا يَكُونُ هَذَا الْجَعْلُ.

وَهَذَا كَانَ مِنْ أَحَضُّ نَّمَا صَارَ عَلَيْهِ الْمُقَرَّرُ رَحْمَتَ اللَّهِ تَقَيِّيدهُ هَنَا بَعْوِهِ لِسَيِّأَهُهُ كَلَّامُ اللَّهِ فِيهَا فِي هَذِهِ الْبَقْعَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبَكَّاءَ إِلَى كَلَّامِ اللَّهِ عَرَجَ لَا يَسْبِهِهِ أَيُّ الْإِسْتِعَابَ؛ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَّجُدُّ فِيهِ مِنْ لِدْنَةِ الْمَنَاْجِيَةِ مَا لَا يَجِدُهُ فِي مَنَاْجِيَةِ أَيْ أَحْدِهَا وَلَا أَحْدِهَا إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَمَعْلُومَ أَنَّ الْإِنْسَانَ كَلّامُهُ خَاطِبُ مَعْبُودَةُ صَارُ أَشْدَ أَشْدَدُ ذَلِكَ بِكَلَّامِهِ مَعِهِ مَعَ أَنَّ كَلَّامَ اللَّهِ لَا يُسْبِهِهُ كَلَّامُ.

يَقُولُ الْمُقَرَّرُ رَحْمَتَ اللَّهِ: [إِنِّي لَكَلَّامِ اللَّهِ فِيهَا]، وَكَلَّامَ اللَّهِ سَمِيعُ مِنْ اللَّهِ. حَيْنَ تَكُلُّمُهُ، وَهَذَا هُوَ مُذْهِبُ أَهْلِ السَّبِتْةِ وَالجَمِيعَةِ، وَخَالِفُهُ فِي ذَلِكَ الْأَشَاعَرَةِ، فَقَالُوا: إِنَّ كَلَّامَ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَاطِمُ بِالنَّفَسِ، وَإِنَّ مَا يَسْمَعُ مَخْلُوقُ خَلْقِهِ اللَّهُ عَبْدُ يَوْمِهِ عَبْدًا فِي نَفْسِهِ.
وعلى هذا يكون موسى لم يسمع كلام الله، وإنما سمع ما هو عبارة عن كلام الله تعالى.

وَحَالِفُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا المَعْتَزِلَةُ وَالجَهَمِيَّةُ، وَقَالُوا: إِنَّ كُلّمَ الله مَخْلَوقٍ، يَجْلِدُ شَبْطَةً وَتَقَالُ أَصْوَاتُهُ فِي أَرْضَهُ، إِمَّا بِجَبَلٍ، إِمَّا فِي السَّجْرَةٍ، وَإِمَّا فِي الأَرْضِ، فَسُمِّعَ هَذِهِ الأَصْوَاتُ، فِي نَسْبِ كُلّمٍ إِلَى الله مِن نَبّ التَّشْبيهِ، وَالخَلْقِ، وَالنُّكَوْنِ.

وَعَنَّامَا نُمْحِصُ الْأَمَرَ نَجِدَ أَنَّهُ لَا فَرْقٌ بَينَ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَعْتَزِلَةِ فِي هَذَا الْبَابِ، لِكَانَ الْكَلّمُ مُثْقَلَ مِنْ أَنَّهُ مَا يُسْمِعُ فِيهِ مَخْلَوقٌ، وَلَّيِسْ هُوَ كُلّمَ الله، وَفِي الحَقْيَةِ لَا فَرْقٌ بَيْنَهُمَا، لَكِنَّ الأَشَاعِرَةَ تَلْفَظُ فِي الأَحْمَرِ، وَقَالُوا: إِنَّ كُلّمَ مَعْنِي قَاتِمٌ بَالنَّفْسِ يُعْبَرُ عَنْهُ، عَلَى الأَصْوَاتِ، لَا يُعْبَرُ المتَّكَلِمُ، يَجْلِدُ مَا يُذْعَلُ عَلَيْهِ.

وَلَا ريب أنَّ مَدْحَبَ أَهْلِ الْإِسْتِقْلَالِ وَالْجَمَاعَةُ هُوَ المَذهِبُ الْصِّحِيحُ الموافِقِ لِلنَّقْلِ، وَالعَقْلِ، يَقُولُونَ: إِنَّ كُلّمَ الله تَسْمِعُ مِنْ الله، وَإِنَّ كُلّمَ الله بِحَرْفٍ وَصُوْتٍ، أَلَا يَعْبُرُ عَنْهُ الحَرْفُ مَعْنِيٌّ مَا يُتَّكَلِمُ إِنَّهُ بِمَثْقَلٍ، وَقَالُوا: إِنَّ كُلّمَ مَعْنِي قَاتِمٌ بَالنَّفْسِ، يُعْبَرُ عَنْهُ، فَهُوَ مَا يُتَّكَلِمُ إِنَّهُ بِمَثْقَلٍ.

وَأَمَّا الصَّوْتُ قَدْ رُفِعَ لَهُ لَا يَنْسِي أَصْوَاتَ المَخْلَوقِينَ، وَكَيْفَ يُشْبِهُ أَصْوَاتَ المَخْلَوقِينَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ بَلْ تَقَالُ: "إِذَا تَكَلَّمَ الله بِالْوَحْيِ تَسْمَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَهَابًا، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قِلْوُهُمْ، وَسُقِّيَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقَّ وَنَادَوْا: "مَاذَا قَالَ رَبُّكَ قَالُوا الْحَقَّ".[سَب: 22] (1)

يَقُولُ الْمُفْسِرُ: "مِنَ السَّجْرَةِ" بَدْلًا مِنْ شَعْرَيْهِ" لِإِغْتِيَاذِ الْجَانِّ لِبِئْتِهَا فِيهِ.

(1) أَخْرِجَ البحاري تعلقاً: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وَلَا فَعَلَّمَهُمْ إِلَّا آبَةً"، لِمِنْ أُوْرَكَ الله حَتَّى إِذَا فُرِعَ عَنْ قِلْوُهُمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكَ قَالُوا الْحَقَّ، وَرَكَبُوا الْكِبْرَى"، [سَب: 22] مَوْقِعًا علَى ابن مسعود.
قوله تعالى: "بِنَوْيِّكَ مِنْ شَجَرَةٍ أَلِيمَينَ".

هنا تخصيص بعد تخصيص، تخصيص بال نسبة إلى الشاطئ أي الأيمن، وفيه أيضاً تخصيص ثان بال نسبة للشاطئ، وهو أن في الشجرة. نودي من الشجرة، أي: من ناحيتها، وليس معناه أن النداء من الشجارة.

والمعترضة يقولون: إن النداء من الشجارة، وإن الشجرة خلق فيها صوت.

سمعه موسى على أنه كلام الله.

ولكن المراة من الشجارة، أي: من ناحيتها، وجيئتها، بهذه ما يأتي: "إِنَّ آَنَا لِلَّهِ رَبُّ الْعَلَمِيَّاتِ "، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَهُ الشجارة، ولو قالت الشجرة قال:

هذا موسى: كذبت. ولكن الذي يقول ذلك هو الله سبحانه وتعالى.

وقول المفسر زعم الله: "إِنَّمَا أَنَا لَمَعْلُومٌ إِنِّي أَلَيْتُ آَنَا لِلَّهِ رَبُّ الْعَلَمِيَّاتِ ". [أو] هذه لتنوع الخلاف، وهذا أمر لا يهم.

المهم: أنها شجرة نودي منها عليه بالصلاة والسلام.

و (آن) مفسرة، والمفسرة هي التي بمعنى (أي)، وهي التي تأتي مفسرة في في معنى القول دون حروفه، فالنداء مثلاً في معنى القول، أما حروف القول فهي كلمة (قال) ومضمناتها، قال تعالى: "فَأَفْسَحْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفَالِقَ " [المؤمنون: ۲۷].

(آن) هذه مفسرة؛ لأنها أنت أي فيه معنى القول، وهو الإجابة دون حروف القول، وهذا سيأتي هنا مفسرة؛ لأنها فسرت النداء بالقول؛ إذ إن مفعولاً قوله: "يَسْعُوْرِ "، إِنَّ آَنَا لِلَّهِ رَبُّ الْعَلَمِيَّاتِ "، وهو مفعولاً قوله، وهذا يقول: إنها مفسرة؛ لأنها فسرت معنى الفعل المتضمن القول دون حروف القول.
قوله: [لا محققة] الصواب أنها ليست محققة من حيث، فلا تصح أن تكون محققة؛ لأن الله يطلق عليها معنى التفسير، هذه واحدة.
وأيضاً المحققة تحتاج إلى تأديب، وهو غير موجود.

قوله تعالى: {فَنَمْوَى إِنَّا أَلَّاهُ رَبُّ الْكَلِيمَاتِ}، أي الذي أُخاطِبُه.
قوله تعالى: {وَاللَّهُ الْأَعْلَى} فتشى بالربوبية؛ لأن الربوبية في الحقيقية وسيلة إلى الألوهية، وهذا من أفرز بالربوبية أن يثير بالألوهية، وإلا كان يتناقض، والله تعالى يجعل على المشركين بالألوهية ذاتاً بإقرارهم بالربوبية؛ لأن من أفرز أن الله ربه فإنه يقال له: إذن، يجب أن تعبد هذا الرَّب، إذا عبدت مسألة غيره فإن لَكِ مَتِيداً، في صدَق في إقرار الله بربوبية، فهذا من اللازمان، وحدها قال الله تعالى: {فَرَأى النَّاسَ أَخْتَلَفُوا رَجُلَيْنِ آخِرَيْنِ فَخَلِفَكُمُ اللَّهُ وَالدِّينُ مِنْ قَبْلِكُمْ} (القرآن: 22)، فجعل الحقائق الذي هو من مقتضى الرَّبوبية دليلاً مُلزماً لعبادته.

في قوله تعالى: {وَرَأىَ آللَّهُ الْيَوْمَ اسْمِهِ إِنَّهُ وَأَنَا} مبتداً ثانِي، ولفظ الجلالية خبر للمبتدأ الثاني، والجملة الأسمية من المبتدأ والخبر في مائل رفع خبر (إن)،
وقوله: {وِمَتَّبَعُ الْكَلِيمَاتِ} خبر ثان ل {آلة}.

قوله تعالى: {وِمَتَّبِعُ الْكَلِيمَاتِ} الرَّبُّ هو الماكِل والمعيصر لجميع الأشياء،
وقوله: {وَمَتَّبُعُ الْكَلِيمَاتِ} المَرَارُ يِمَـٰن مِن يَسْوِىِ الله، وجمعهم باعتبار أصنافهم، وإلا فالعالم هو كُلُّ ما يسوى الله، والجمع لوجود عالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم البهائم، وعالم
الفائدة الأولى: إن شاء الله سِجَّانة وقطع. لأن المنادي في قوله: (نورٌ).
هو الله، لقوله تعالى في آية أخرى: «إذ نادى ربه بالواحد المقتدي طوى» [النازعات:16].
الفائدة الثانية: إن الكلام لله تعالى بالقول، لقوله: (نورٌ)، والنداء يكون بصوت للبعيد، والمناجة بصوت للقرب.
الفائدة الثالثة: الوَّدُّ على الأشاعرة، بَيْنِين يُقُولُون: إن الكلام لله هو العَمَي القائم يُبْنِيه، ولا شك أن المعنى القائم بالنفس لا يسمى كلامًا، ولا يسمع، وكلام الله تعالى يسمع.
القاعدة الرابعة: الرَّذل على الجمعية والمعْطِلَة الّذين يَقُولُونَ: إنَّ كَلاَمِ الله مَخْلُوقٍ، وَوَجِّهَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَيْنَ أنَّ النَّدَاة مِنَ الله سَنِحَاة وَتَعاَلَانَ، والنَّدَاة قُولٌ، والقول لا يُؤْهِدُ إِلَّا بَقَالُ، يُقَوِّنُ القُول قُولٌ الله، وَكُلُّ صِفَة مِنْ صِفَاتِ الله فَإنَّها غَيْرُ مَخْلُوقَةٌ؛ لَكِنْ
وصفْ مِنْ آتِصَفْ بِهَا، فَإِذَا كَانَ وَضَفًا لِلْمَخَالِق، فَهِيُ غَيْرُ مَخْلُوقَة.

الفَائِدةُ الكَامِسَة: أنَّ الأرض تَكونُ مُبَارَكَة بَرَكَةٌ ظاهِرَةٌ، لا بَرَكَة مُطَلَّقةٌ لِقوله:
"فِي الْبُقْعَةِ الْمَبَارِكَةِ فَالْبَرَكَةُ هِنا لَوْسِى، لَا لُكْ أَحَدٌ كَّأَلْلَهُ الْمَفْسِرُ رَحْمَةُ اللهِ.

الفَائِدةُ السَّادِسَةُ: إِثْبَاتُ أنَّ كَلاَمَ الله سَنِحَاة وَتَعاَلَانَ بِحَرَفِ مِنْ قُولِهِ: "فَإِنْ يَجوَّزُ" إِنَّ آللَّه رَبُّ الصَّلَايَاتِ"؛ لِأَنَّهُ ذَلِكَ جُلُّ مَكْوَنٌ مِنْ حُرُوفِهِ، وَيُكَوِّنُ فِي هَذَا رَدُّ عَلَى الأَشِعَّة؛ لِأَنْهُمُ قَالُوا: الكَلاَمُ هُوُ المَعْنَى الْقَائِمُ، فَأَنَا عَهْدُما يَكُونُ هَذَا المَضْمُرُ هُوُ الرَّفِيعُ، وَمَا سُمِّع فَلَيْسَ هُوُ الْكَلاَمُ، بَلْ هُوُ عِيْبَة عَنِّ الْكَلاَمِ.
ولا شَكَّ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ، قَالَ الْبَنِيُّ عِلْيَاء الْبَلَدِ وَالْسَّلَامُ: "إِنَّ اللَّهٍ تَجاَوَزَ لَأَمَنَّ عَمَّا وَسُوَّسَتْ، أَوْ حَدَّثْتِ بِهَاَنْفُسْهَا، مَا لَمْ تَعْمَلَ يَهِ، أَوْ تَكَلَّمْ"(1).
فِيّن أَنَّ الْكَلاَمِ غَيْرُ حَدِيثِ الْنَّفْسِ.

الفَائِدةُ السَّابِعَةُ: إِثْبَاتُ رَبُوبِيَةٍ الله سَنِحَاة وَتَعاَلَانَ لِسَلَامِهِ: "إِنَّ آللَّه رَبُّ الصَّلَايَاتِ", والرَّبُوبِية تُقَسِّمُ إِلٌّ لِقَسْمِينِ: عَامَّةً وَخَاصَّةً، كَأَنَّ الْعُبُودِيَة أَيْضًا فِي الأَصْلِ تُقَسِّمُ إِلٌّ لِقَسْمِينِ: عَامَّةً وَخَاصَّةً، كَمِثْلُ قُولِهِ تَعَالَى: "فَإِنَّ يَكَادُ لَيْسَ اللَّه عَلَيْهِمْ سَطُولُهُ إِلَّا مِنْ أَنْتَعَكَ مِنْ أَلْقَاءِنَّ" (الحَجُّ: 42)، فهَذَهَا مِنَ الْخَاصَّةِ، لَكِنْ مِنْ

(1) أَخرَجَهُ البَخَارِيُّ: كَتَابُ الأَيَايَةِ الْنَّذَورِ، بَابٌ إِذَا حَنَت نَاسِيَةً فِي الأَيَايَ، رَقْمٌ (٢٨٧)، ومَسْلِمُ:
كتَابُ الإِيَانِ، بَابٌ نَجَازِرُ اللَّهُ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَفْرِ، رَقْمٌ (١١٦).
المقرر أن الأصل كما قال تعالى: "إن سكّتُ من في السّمّوّت وَالأَرْضِ إِلَّآ عَيْنَ آدَمَ الرَّحْمَنِ عَبْدُهُ [مريم: 93]، وهذه عامة، وقوله تعالى: "ويحكَدُ الرَّحْمَنُ أَلْعَيْبَ يَبْشُرُونَ عَلَى الأَرْضِ هُوَنَا [القرآن: 23]، هذه خاصّةً."
قال الله تعالى: "فأني عصاك فلتنا رزاهًا نتهروا كأنها جان ولي مديرك و_Play_أي يعيبون أخيل ولا يخفف إنك من الربميين؟" [القصص: 1].

قال المفسر رحمه الله: "فأنت عصاك فلتنا رزاهًا نتهروا" تتحررك كأنها جان وهي الحنيبة الصغيرة من سرعة حرركها ولي مديرك وعليها "ولذا يعيبون أخيل ولا يخفف إنك من الربميين".


ويندهد أنه فصل في ذكر منافعها، ثم أجعل في ذكر فائدتها في دفع الفاسد، و"Play_في الحقيقة من الأدب في الحديث، وتجد أن هناك في مقام الأسفات ينوى فيها بالتمييز، وفي مقام النفي ينوى فيها بالإجمال غالبًا. قوته تعالى: "فلما رزاهًا نتهروا"، أي: تتحررك، لكن بتنوع من الاضطراب، ومعروف أن الحنيبة تتحرك بيمين وشمالاً، و"رزاهًا" أي: أبصرواها، وعلى هذا تكون".
كلمة «هنّئ» في موضع نصب على الحال، وليس مفعولاً ثانياً؛ لأن (رأى) البصريّة لا تنصب إلا مفعولاً واحداً.

قوله تعالى: «كَانَتْ حَيَاةُ الْجَنَّةِ الْعَصْرَاءَ» هي الحياة الصغرى، وتشبيه العسا بالجان لسرعة حركتها، ولكن المفسر رحمّاه الله فَرَسَ الجان بأنها الحياة الصغرى، والله تعالى يقول في آية أخرى: «قَالَ الَّذِي عَصَى فَإِذَا هِيَ مُعَطَّى ثُمَّ يُخْفَى» [الإسراء: 74]، والثعبان هو الذكر من الحيات الكبير، ويجمع بينهما بأنه أوَّل ما ألقاها صارت كالجنان، ثم بعد ذلك تضحَّمت، حتى صارت نعباناً مبيتاً عند السحرة.


قوله تعالى: «وَلَرُجِعَ فِي النَّارِ» يقول المفسر رحماه: [أي: يرجع، وسديدي: ًىَّمُوسَى أَقِيلَ وَلَا مَخْفَى جَارِي، وهذه يتبجي أن يكون على قوله تعالى: «وَلَرُجِعَ فِي النَّارِ» للنار، لَوْ وَصَلَّا (وَلَرُجِعَ فِي النَّارِ) بقوله: ًىَّمُوسَى ًفَظَّلَ ِّلَغَزَائِرُ أَنَّ الْكَلامَ وَاحِدٌ، ولكن الكلام انفصل، فقال: ًىَّمُوسَى أَقِيلَ وَلَا مَخْفَى إِنَّكَ مِنَ الْأَمَيِّنَةِ].

قوله تعالى: «أَقِيل» مقابل النولي، و«لَا مَخْفَى» مقابل الهراب؛ لأن الحارب يكون خائفًا، ثم طمأنة بقوله: «إِنَّكَ مِنَ الْأَمَيِّنَةِ»؛ تأكيدًا لقوله: «لَا مَخْفَى»؛ لأن الآمن لا يخفّ، وإنها يخف من ليس عدّة أمن، وهنا قال: «إِنَّكَ مِنَ الْأَمَيِّنَةِ».
وَمَا يَقْلُ: إنك آمنٌ. بل قال: "من الأمنِ؟"، وهذا من مراة الفواصل، لكن هذه المناسبة لفظية، لعلَّم أن الله أمانه، ولبنَذك أن هُناك آمين. فإذا كان هُناك آمن، فإنَّه لا غَرَابة أن تأمن، أي: لأن الإنسان إذا ذكر بأي حدث لغبره صار أشد طمأنينة في حصول ذلك الدُنيء، ونظيره بالعكس، هو قول فرعون: "ليَن أَتْخَذَت إِلَيْهَا غَبِيرٌ لِأَجْمَهْنِكَ مِنَ السَّمْحَرَتَيْنِ" [الشعراء: 29]. ولم يقل: "لِأَسْجَنْتُكَ"، لأنَّه يُرهِب بِأَنْ عِنْدَهُمْ مُنًّ هو مسجون، وأنَّه لَيَسْ يُعْجِرِنَا أن نسجَنْكَ.

والحاصل: أن يملُّ هذا يقال من أجل أن يتذكر موسي عليه السلام تفاصيل ما هُناك أن آمنين، فأعداد بأكثر.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: فيما ذكر أن موسى كان من شُعُبّه حُمل العصا، لقوله: "آتِ عصاكَ".

الفائدة الثانية: فيما ذُكر على قدرة الله عزّ وجلّ، لأنَّه بمجرد أن ألقاه صارت تهمز "كأنها جان"، فمجرد الإلقاء هذّا دليل على القدرة.

الفائدة الثالثة: فيما ذُكر على حكمة الله سبحانه وتعالى أيضًا، حيث إن هذه الآية مناسبة لِلن سباقِلِهِم موسى، وهُم السَّحْرَة، مُقابل الآية هنالك، وهذه الآية مُناسبة تمامًا لهم؛ لأنهم سوف يعجرون عن مُقابلتها، كما حصل من السحر حين آمنوا يَا رأوا دليل صدق موسي عليه السلام.

الفائدة الرابعة: أن هذه العصا حركتها سريعة؛ لأن الجذان من الحيتات هي التي عُرفت بالحركة السريعة.
القائدة الحاصلة: أنه يُحَرَّر على الأنبياء ما يُحَرَّر على غيرهم من الخُوَّف الطبيعي، لقوله تعالى: {ولَمَّا مَدَّى وَلَدُ يُعْقِبَ} مع أن موسى -كما تعلمون- كان من الرجال الأقوياء، لكنه يعتني بما يُعْقِب غَيرُه من البشر، وقد سبق أنه حَرَج من المدينة خائفاً يُترَفِب.

القائدة السادسة: عناية الله تعالى به، حيث ناداه وطمأنه بقوله: {أَفِيل وَلا} تَّخَفۡ، {وَمَّا يَقُصُّرُ عَلَى قُوُّلِهِ} {لا يَخَفۡ}، بل طَلَب بَيْنَهِ الإِفْبَال إِلَيْهِ {أَفِيل وَلا تَخَفۡ}، {وَهَذَا يُدُرُّ عَلَى عَنَايَةِ اللّهِ بِهِ} وَهَبَّهُهُ لَهُ.

القائدة السابعة: أنه يُتَبِّع للمُسْتَدِعِي لِعَيْرِه أن يُذْكَر السَّبِيث في ذلِك، لقوله: {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} مُطْمَئِنًا ثَمَامًا، ولكنَّه لا يُكَونُ مَطْمَئِنًا ثَمَامًا، {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ} ازداد بذلك طِمْانَة،

القائدة الثامنة: أنه يُتَبِّع ذكر النظراء، أو الإشارة إليهم، ليكن ذلٌك أَلْبَس لِلْقَلَب، لقوله: {إِنَّكِ مِنَ الَّذِينَ يُعَيَّنُونَ}.

• • •
قال الله عزوجل: "أسلم يديك في جبهتك تخرج في صفا بين غير سوء واسلمه إليك جنابةك من الرقم فذيلات بعض فريقك إلى رزقه وملائكي إنهم سكناؤون قوما فسيقين" ([القصص: 32]).

قال المفسر رحمه الله: ["أسلم يديك "] يديك يمعنِي الكف في جبهك، وهو طوق القميص وأخرجهما من الخلف ما كانت عليه من الأذمة، بضعة من غير سور أي برض فأدخلها وأخرجهما نهي كشيع الشمس نعسى البصر (وعضم إليك جنابةك من الرقم، يفتح الخلف، وسكون الذئان مع فتح الأوول وضمه، أي الحروف الحاصل من إصادة اليد بند الخفيني في جبهك فتعود إلى حائلتها الأولى، وعتر عنها بالجتاح لأنها للنسان كجتاح للطائر (فذيلات) بالتشديد والتحريف، أي العصا واليد وحما موثقان، وإنما ذكر المشار به إلها البندادا ليذكرخبيب وبرهانان من ذيلك إلى فريقه وملائكي إنهم سكانو قوما فسيقين].

قول المفسر رحمه الله: "أسلم يديك يمعنِي الكف، لا داعي له هنا، لأن المراد باليد عند الإطلاق في الكف، وهذا ما قال الله تعالى: واتساراً والسيرة فاقطعوا أيدهما ([المائدة: 38])، فالمراد بالأيدي الكف، أمّا إذا أريد باليد غير الكف فإنها تقيد، كما في
قوله تعالى: فَأَقْسَسُوا وَأَيْدِيكُمُ الْكَفِّ فَطَطُ، وَلَسِ الْيَدُ كُلَّهَا.

وقوله: [اليمنى] لا تَعْلَمْ مِنْ أَبِي عَلِيمَ ذلِكَ، فَالآية لَيْسَ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى هَذَا،

وَهَذَا فَإِنَّ الْأُولَى أَنْ نَجِلُّهَا مُبَهَّمَةَ كَأَنْ أَبْحَثُهَا اللَّهُ سُبُحَانَاهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَحْمَنَا أَنْ تَكُونُ الْيَدُ

اليمنى، أو اليسري.

قل الأ Reform: [في حينِها] هو طَوْقُ الْقِمِيصِي وَاخْرُجَهَا.

وقوله: [وَأَخْرُجَهَا] المُفْسِرُ رَحْمَةُ اللَّهِ فَقَدَ طُلِبَ مِنْهُ عِلْمًا للحِجَابِ فَلَمْ يَلْسَ مَجْرِدَ إِدْخَالِهِ، بَلْ إِذَا أَخْرَجَهَا خَرَجَت بِيضاء، لِكَنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّهُ لَا دَعِيٌّ إِلَيْ ذِلِكَ لَا نَبَاتُ أنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيَّةٌ جِهَالُ جِهَالٌ تُصَبِّيهَا لَوْ كَأَنَّ يَدُوْنَ أَخْرَجَهَا، وَأَلْصَلُ عَدْمُ الجَزْءِ حَدِيثٌ، وَعَلِيَّهُ فَتُصَبِّيْنَهُ هَذَا مُجَزِْوَةُ جِوَابِهِ لِلْحِجَابِ فِي قُوَّلِهِ: أَسْلَكْ لَوْ أَنَّ جِوَابِ الْحَلْلِ إِذَا حَذِرتُهُ مِنَ الْقَاءٍ صَارَ مَجِروُمًا،

وَإِنَّ وَجَدَتْ مَعَهُ الْقَاءِ صَارَ مَنْصوُبًا بِأَنَّ قَالَ أَبِي مَالِكٍ (1):

وابْعَدْ (فَا) جِوَابُ لَنْفِي أَوْ طَلْبٍ مُخْضُفٍ (أَنَّ) وَسْرُهَا خَسْمُ تَصَبِّيْنَة.

يَعْنِي: مَعْتَناَهُ أَنَّ (أَنَّ) تَنْصِبَ بَعْدَ (فَاءِ) الَّتِي وَقَعَتِ جِوَابًا لَنْفِي أَوْ طَلْبٍ مُخْضُفٍ، وَلَكِنَّهَا إِذَا فَقَدَتْ الْقَاءَ فَإِنَّهُ يُجِرُّمُ (2):

وَمَرْضُ جِزْمٍ بَعْدَ تَصَبِّيْنَةٍ أَنَّ تَصَبِّيْنَةً (إِنَّ) قَبِلَ (لَا) دُوْنَ تَحَالِفٍ يَقَعُ.
بمعنى: طلب، طلب أمر.
قال المفسر رحمه الله: [تفسير] خلاف ما كان شرطاً على من الأدماء والأدم.
السمرة، أي اللون الذي يكون بين البياض والسود، يسمى أدم، وكان موسى
يبن آدم.
قوله تعالى: {أيضاء من غير سوء} أي: من غير عيب؛ لأن العيب يسوء المرء،
والبياض الذي يسوء المرء هو البرصر، ولهذا قال المفسر رحمه الله: {أي: برصر}. وقوله: {بيضاء} حال من فاعل {تيج}.
{بيضاء من غير سوء} قال: {فاذاحلها وأخرجها نضية كشياع الشمس تغيثي
البرصر} وهي مبالغة، يكفينا أن تقول ما قلّ الله سبحانه وتعالى: {بيضاء من غير سوء}
يعني: ليس برصرًا، بل بياضًا، وأما أن تكون نضيًا، لكان الله يقول: خرج مضاءة;
لأن الإضاءة أبلغ من مجرد البياض، كذلك أيضًا أقوى للبياض، ونحن نقول كذا قال
الله: {بيضاء}.
قوله تعالى: {وأضممت إليك جناحك من الرهب} قال المفسر رحمه الله: {يتبغ
الحرفين، وسكون اللائتي مع فتح الأول وصمعه، وسكون الثانوي اللذي هو الهاء}. {مع
فتح الأول} الذي هو الراء، {وصمعه} فتكون القراءة بثلاثة: {رهب}، و{رهب}،
و{رهب}، {وأضممت إليك جناحك من الرهب} هي القراءة التي بدأ بها المفسر
رحمه الله، {وأضممت إليك جناحك من الرهب} صحيح، {وأضممت إليك جناحك من
الرهب} أيضًا صحيح (1).

(1) شرح طبيعة النصر، ابن الجزري (ص 292).
وقوله: "أَجَابَكُمُ اللَّهُ بِالجََّنَّانِ الْيَبِينَةَ؟"، وهي حروف غير.
قال: "أي: الخوف". هذا تفسير للرهب، فالرهب هو الخوف. يقول المفسر حمزة بن علی: "أي الخوف الحاصل من إضاعة اليد بأن تدخله في جيبتك، فتعود إلى حالتها الأولى" يعني: إذا أدخلته في جيبه وأخرجها صارت بيضاء، وإذا أراد أن يعيدها إلى حالتها ضمتها إليه فعادت إلى حالتها. هذا معنى كلمة المفسر حمزة بن علی.
وقال بعض العلماء: إن هذه الجملة منفصلة عن الأولى، وإن الله تعالى أرسله إذا خاف أن يضمن بده إلى صدره حتى يزول عنه الخوف، وهذه أمينة خاصة لموسى فقط، أنه إذا خاف من شيء، فإنه يضمن بده إلى نفسه، وليس عامة لكل أحد، لكن روي عن ابن عباس: "أنت لا تجوز إلا ذهب عنه الرعب".\\
والآن لدينا قولان لأهل العلم في مشاكلية اليد.
القول الأول: أن هذه معالجة اليد. وهذا يصفه أن الله قال: "يا آدم قل لى إنك جنحت من الرضوان"، وموسى لم يرهب، لأن الله ما دام قال له: "فيضاء من غير سوء"، فإنه لن يرهب.
والقول الثاني: أنه عندما يحصل لموسى كما في الآية "ولى مغيزاً" خائفة، فأرسله الله أنه إذا أراد أن يريل الخوف من شيء، فإنه يضمن بده إلى نفسه، "يا آدم قل لى إنك جنحت من الرضوان"، وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كإجابة للطائر، \(1\) تفسير القرطبي (13/284).
وهذا صحيح، وهي جناح أيضًا، ينضح ذلك في الإنسان عند السعي، وهي لا شك، تزنيًا الإنسان كأناً جناح الطائر يريدته.

قوله تعالى: «فذَاك» بالتشديد والتفخيف، أي: العصا واليد، وهما مؤثنتان، وإنها ذكر المشار به إليها المبتدأ لتذكير خيره. لأن اليد الواحدة جناح، والأخرى جناح، فإذا أخلصها في جهة انمضت إليه اليدان كنا يضم الجناحان.


والنُون من (ذَيْن) و(أَنَّهُ) شدًا أيضاً وتعويض بِذَاك نصده مثل النون من (لَذَاً) و(لَذَاً) (اللَّذَا) و(اللَّذَا).


فهما مؤثنتان، واسم الإشارة (فذَاك) مذكَر، ولَوْ كان بالتأنيث لقال: فذاك برهان. فلماذا جعله مذكَر؟ يقول المفسر رحمه الله: (وَأَلِمْ أَلِمْ بِذَاكَ المَبْتَدَأً). لأن (ذَائِن) المبتدأ، والخبر (بَهَتَانَ) وهو مذكَر، فروعي الخبر هنا فذكَر المبتدأ.

وقوله: «بَهَتَانَ» البهتان هو الذيل، وقول المفسر رحمه الله: (بَهَتَانَ) كِلِّمَةٌ مَّرْسَلَانِي ليست تفسيرًا لـ «بَهَتَانَ»، ولكنها بيان بتعلق قوله:

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (138/1).
من يَلِيكَ ؛ لأن كلمة (برهان) اسم جامد لا يصح أن يكون متعلقاً للجار والمجروض.

والبرهان ليس معناه المرسل، البرهان معناه الدليل، والدليل الواضح يسمى برهمانًا، والمتكلمون يقولون: إنَّ البرهان هو الدليل القاطع، لكن المفسر رحمه الله أدخل (مرسلان) ليثبت أن قوله: «من يَلِيكَ » متعلق بـ (مرسلان) المقدّر، ولم يفعله متعلقاً بما في النص، لأنه اسم جامد، والجار والمجروض لا يتّعلق إلا بـ يفعل أو مشتق، كما قال الناظم هنا(1):

لا بَدَّ لِلْجَارِ مِنَ التَّعْلِقِ يَفْعَلْ أو مَعَاهْ نَحْوٌ مَّرْتَقِيٍّ
وَاِسْتَنَى كَلُّ رَآئِيْدَهُ عَمَّلُ
(161) (وَ(الكتاب) أيضًا وَ(العمل))

لكن غير المفسر رحمه الله قال: لا حاجة إلى أن تقدّر (مرسلان)، بل تقول: برهان كان كاتبان من زَيْكَ، فالجار والمجروض متعلقان بمذود، وهذا الذي قاله من خالفه أَصْحٌ بما قاله المفسر رحمه الله، لأن ما قاله المفسر خاص، ولهذا قبله عليه، وما قدره غيره عام، ومتعلق الجار والمجروض إذا كان حاصا، فلا يجوز تركه، بل لا بِدٌ من ذكره، فلا يحذف متعلق الجار والمجروض، إلا إذا كان عاما، مثل كاين، أو موجود، أو ما أشبه ذلك.

فالصواب إذن: أن ينبغي الآية على ما هي عليه، وقوله: «من يَلِيكَ » متعلق بمذود تقديره: كاتبان.

قوله تعالى: (إِلَّا فَرَعُوْتُكَ وَمَا إِنَّكَ) ، وهذا الذي أوجب للمفسر أن يقدّر (مرسلان) لَأَجِلُ قَوْله: (إِلَّا فَرَعُوْتُكَ) ، ولكنَّه ليس مرسل أو مرسال في الحقيقة هو

(1) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، لأحمد بن عمر بن مساعد الحازمي (ص 7).
موسى، لكن معه دليلان "قلِّ إِنَّكَ لَنُحْيِي الْأُمَيْمَةَ وَلَنُعْفِنَكَ" أي: قومه، وفرعون هو حاكم مصر، وقد قيل: إنه عالم جنس لكل من حكم مصر كافرا، فإنه يسعى فرعون، وكل من ملك الفرس كافرا، فإنه يسعى كسرى، وكل من ملك الروم كافرا، فإنه يسعى قيس.

وقوله تعالى: "فَإِنَّهُمْ سَكَانًا قُوَّمًا فَتِيِّقِينَ" الجملة تعني لآ قبلاً، يعني: إنا أرسلناك جهاتي الآتين إلى هؤلاء القوم، لأنهم "سَكَانًا قُوَّمًا فَتِيِّقِينَ" والفعل: "سَكَانًا" مفصل الرُّكن، مفصلة النَّوَلَةَةَ عن الزمر؛ لأنه ما ذُلَّ على ماضي، ولا على غبره، فمعنى "سَكَانًا قُوَّمًا فَتِيِّقِينَ" أي: منتصفين بالفسق، قال الله تعالى يقول على نفسه داتا: "وَقَامَ اللَّهُ يَكْبُرُ شَيْءًا إِلَيْهِ [الإحراب: 40]"، ويقول: "وَقَامَ اللَّهُ عَرَفَرَ رَجِمًا" [النساء: 97] إلى آخره، ومعلوم أنه ليس المراد الزمر الماضي، بل المراد أنه مختص بهذه الصفات، لكنها قد تدل على الزمر الماضي بقريبة غير لفظ الفعل.

وقوله تعالى: "فَتِيِّقِينَ" قد مر علينا أن الفسق ينتمي إلى قسمين:

الأول: قسم مثمر عن الله، وهو فسق الكفر، ومثاليه: أَمَّا ذُئِبَهَا وَعُيِّنَتِهَا الصَّلِيقَبْحِيْبَ فَلَمْ تَنَأَوْنَ نَأَوْهُ لَهُمَا عَلَى [السجدة: 18-19].

الثاني: فسق مثمر عن الاستمتاع، ولا يجري عن الإنسانية، وهو فسق العصبة، ومثاليه قول الله سبحانه وتعالى: "فَتَأَلَّى الْذَّينَ هَامُوا إِنَّ جَادَلَكُمْ بِيِثْرَةٍ فَمِمْلَأْتُوهُمَا قُوَّهُ بِمَصِيبَتِهَا" [الحجورات: 8].
من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن الله تعالى بعث على navegadorية من الآيات ما يناسب الوقت وحال المرسل إليهم; لأن هذا من الحكمة أن نأتي الآيات مطابقة للواقع.

الفائدة الثانية: هذه الآية التي أعطت ليوسي، وهي أنها إذا أدخل يده في جيبه يخرج بها بيضاء من غير سوء.

الفائدة الثالثة: إرشاد الله تعالى وغالب ليوسي إذا خاف من شيء أن يضع إليه يده؛ حتى يطمئن، ويستريح قلبه.

والظاهر أنه خاص بعوضة: لأن الإنسان قد يستعمل هذا الشيء، ولا يغني عنه شيء.

الفائدة الرابعة: تأيد الأنبياء بالآيات الدالة على صدقهم؛ لقوله: {فقد أناكم بعضاً} 

الفائدة الخامسة: أن الآيات التي تأتي للكفايينة حجيحة على قولهم؛ لأن البرهان معناه الحجة والدليل، وآيات أخرى تأتي بها الرسل حجيحة على قولهم يلزمهم.

الفائدة السادسة: أنه ما من رسول يرسل إلا أعطيه آية تدل على صدقه؛ لأنه لَمْ يَمْلُؤْنَ آية لكان ليناس عذابٌ عظيمٌ بِهِ؛ لأنها لَوْ جَاءَ وَقَالَ: أَنَا رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَّمُونَا أَنْ نَفْعَلْهَا كذا. لا يُصَدِّقُ إِلَّا بَيْنَكَ، والبيئة هي الآيات.

الفائدة السابعة: لطف الله تعالى بعباده، حيث يرسل إليهم الرسل لصالحتهم، لا يصلحه؛ إذ إن الله تعالى يقول: {وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَيْبُ عَنَّهُمْ} [آل عمران: 97]
لكن لمصلحة الخلق يُرسل إليهم الرسول.
الفائدة السامحة: أن الرسالة حيث يحتاج الناس إليها للخروج عن طاعة الله;
لقوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا قَاطِعِينَ فَتَسِيناً».
الفائدة السامحة: أن الله سبحانه وتعالى يجد هذه الأمية دينها كلما خرجوا عنه،
فأله عن ضيق يُرسل الرسول عند الحاجة إليهم، وعندما لا يكون هناك رسول كحالي أُميتاً يبعث دعاء صالحين مصلحين للخلق.
الفائدة العاشرة: أن الغالب أن يتبع رؤساء الكفر هم الأشراف، وإن كانت تُطلُق على القوم كما ذكرت في آية أخرى: «إِن فَرَغَتْ مَلَائِكَةُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَاطِعِينَ فَتَسِيناً» (القصص: 23); لأن الملاهم الأشراف، وإن كانت تُطلُق على القوم، فإن الله ذكر في آية أخرى: «إِنِّي فَرَغْتُ جَنْبَيْنِ إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ قَاطِعِينَ» (النمل: 12)، لكن الغالب أن الملاهم الأشراف، وهم الذين غالبًا يستكبرون على ما جاءت به الرسول، أما الضعفاء والفقراء، فإنهم يمتغوفهم.
قال الله عزّ وجلّ: «قال ربّي إنّي قتلت منهم فخاف أن يقتلون».

[[الفصول:33].

قال المفسّر رحمه الله: (قال ربّي إنّي قتلت منهم نفسًا) هو القاتلي السباق.

(تخافة أن يقتلون) فيه.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: جواز الأخذ بالعذر عند الأموٍّ بٍ، حتى في طاعة ولي الأمر، فمثلاً لو أمرك شيء؛ لأن طاعته واجب في غير المعصرة، فإنّه لا يتأس أن تذكر العذر لآجل أن تخلص من هذا الأموٍ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقدموه للنبي ﷺ العذر إذا أمرهم بالشيء؛ ليغدرهم.

الفائدة الثانية: أن الحنوف الطبيعي لا يتأي في مقام الرسالة؛ لقوله: (تخافة أن يقتلون) [[الفصول:33].

الفائدة الثالثة: أن القصاص موجود فيما سبق في الأمة السابقة؛ لقوله: (تخافة أن يقتلون) بدلاً من الذي قتله موسى، وقد يكون رغبتهم في قتله من باب القصاص، وكان معروفًا عنهم، أو من باب العدوان من آل فرعون، وإن لم يكن يحقّ، ولا ننسى أنه لا يقتل المسلم بكافر في شريعة الإسلام.
قال الله تعالى: "وأَخَى كَنُورَث هُوَ أَفْصَحُ مِنْي لِسَكَانَةٍ فَأَزَيَّلَهُ مَعَ رَيْدَا". يَصَدَّقُونَ إِلَيْهِ أَنْ يُكَذِّبُونَهُ [القصص: 42].

قال المصير: "سُجِّدِ لِلَّهِ جَمِيعًا: [وَأَخَى كَنُورَث هُوَ أَفْصَحُ مِنْي لِسَكَانَةٍ أَبْنِينَ "فَأَزَيَّلَهُ مَعَ رَيْدَا مُعِينًا وَفَيْ قِرَاءَةٍ يَفْتَحُ الدَّالُ بَلْ هُمْرَةٍ (يَصَدِّقُونَ) بِالْحَجْمِ حَرَابَ الدُّعاء، وَفِي قِرَاءَةٍ يَلْبَعُ، وَجَلُّتَهُ صَفْةً رَيْدَا إِلَى أَخَاهُ أَنْ يُكَذِّبُونَهُ]".

قوله تعالى: "وَأَخَى" مبتدأ، وقوله: "هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَكَانَا" يجوز أن يكون الصَّمْرُ لِفَضْلِ بَينِ رَكْنِي الجملة الاسمية، وبيكون قوله: "أَفْصَحُ" هو الحَرَب، ويجوز أن الصَّمْرُ مبتدأ ثانٍ، وقوله: "أَفْصَحُ حَرَبُهُ"، والجملة الاسمية خبر "وَأَخَى"، والأخير هو الأوجه؛ لأن ضمير الفصل لا يكون إلا إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين؛ لأنه في هذا الحال يتبع الحرف بالصفة، أما إذا كان الحرف نكرة - كَأَنْ في الآية هنا - فإنه يكون مبتدأ.

وقوله تعالى: "وَأَخَى كَنُورَث" هارون أَخو موسى مِنْ أَمِّه وأبِيه، وَأَمَّا قُوْلُهُ تعالى: "قَالَ "يَسْتَمِعُونَ لاَ تَأْخُذُواْ يِلْحَقَيى وَلَا يُرْأَيَى" [طه: 94]، ذكروا أن هارون نَسْبَةً لأَمِّه؛ لأنَّها أُقُربُ مِنَ الأَبِ، فذكَر موسى بها ليشفق عليه.

قوله تعالى: "هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَكَانَا" بمعنى: "أَبْنِ مَنِي"، وقوله:
فسانًا أي: كلامًا، وعَبَر باللسان عَن الكلام؛ لأنَّهُ آلهة الكلام، قال الله تعالى: 

ومَا أَرْسَلْتَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يَلْبِسَهُ قُوَّمَهُ. [إبراهيم: 4], أي: يُنْتِقُهُم وَلَغْنَهُم. 

وسبب قوله: «أَفْصَحَ مِنِّي لِسَانًا» قول في الإسرائيليات: إن موسى كانوا في لسانه لَعْنَة مِن جَمْرَة أَخَذَهَا وَوَضَعَهَا فِي فِيْهِ، وَذَلِكَ أَنْ وَرَعُونَ أَرَادُ أنْ يَتَّلُهُ، فَقَالَ امْرَأَتِهِ: إِنَّهُ طَفِيل لا يَذِرُ، وَلَا يَغْرُفُ، وَإِذَا أَرْدَتْ أَنْ تَنْخَرُهُ فَأَعْطَهُ ثَمَرًا وَجَرْجَا. 

فَقَدَمَ النَّمْرَة وَالجَمْرَة، وَالجَمْرَة تَتَلَّا، وَهَيْتِها أَجْلِمُ مِنَ النَّمْرَة، فَأَخَذَ الجَمْرَة، وَوَضَعَهَا فِي قِيمٍ، فَأُنْقِدَ لَسَانُهُ. 

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ مِنَ الإِسْرَائِيْلِيَاتِ، وَهَذَى عِيْنُ مَكْنَىٰ، لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الجَمْرَة وَأَخَذَهَا، لَمْ أَسْتَطِعَ أَنْ يَضِعَهَا فِي بَيْتِهِ، وَلْكِنْ مَا يَعْنَا مِنْهُ مُوسَى هُوَ أَمْرٌ خَلِيفٌ، خَلِيق الله بَعْضُ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَهَذَا طَلِب مُوسَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ هَذِهِ الْعَقَدَةُ، قَالَ: وَأَخْلِصُ عَقَدَتَاهُ مِنَ 

[اللَّهِ: 72-82]. 

هُناك بعض النَّاس لِدَيِّهِ مَشْكِلَةٌ فِي نُطْقَ الحَرْفِ، وَبَعْضُهُمْ لِدَيِّهِ مَشْكِلَةٌ فِي 

الْإِسْرَائِيْلِيَّةِ بَيْسَةَ الحَرْفِ المعروفة، وَلَذلِكْ فَإِنَّ الصُّوَابَ أَنَّ هَذِهِ الْعَلَّةُ لَهَا مَوْسِئٌ 

مِن أَصِلُّ الخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ هَذَا نَمْرَة وَجَرْجَا. 

قَوْلُهُ ثَلَثَاءٌ: فَأَرْسِلْتُ مَيِّي رَدَاءً، قَالَ المُفَسَّرُ جَمِيلُ اللَّهَ: [أَيَ: مُعَبَّدًا، وَفِي قِرَاءَةٍ 

يَقْتُحُ الْذَّالِ بِلَا هَيْثُرَةٍ]. أَيَ: (رَذَا). (1) 

فَهُمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَى وَرَعُونَ مِنْ قُوْلِهِ: فَذَاكَلِكَ بَرْهَدُانَ 

مِنْ رَيْبُكَ إِلَى فَرْعُوَكَ (الْفَصْص: 13), وَقَدْ قَالَ قَالَ: فَأَرْسِلْتُ مَيِّي، وَهَذَا عُرْفٌ أَنَّهُ 

(1) حَجَةُ الْفُرَايَاتِ، لَابِنِ زَنْجِلَةٍ (ص: 545).
رُسُولُ، وقوله: "معي" المعنى بمعنى: الصاحبة والمقرنة، وهي في كل موضوع يحسب ما نضاف إليه، وتنقض في كل موضوع غير ما تنقض فيه في الموضوع الآخر. فالرجل إذا قيل: مع زوجته، فليس هذا كقولهم: القائد معه جنوده. فينها فرق.

وكل ذلك إذا قيل: اللبن مع الماء يعني: ممزجًا مختلطًا به، وهنا "أرثيلاء معي ردة" غير معنى الروج لزوجته، ومعنى اللبن للذين، ولكنها صاحبة يراد ذها التأييد والإعانة، ولهذا قال: "ردة" والردة: المعنى الظاهر للشخص.

قوله تعالى: "يصدقيه"، أي: يكون مصداقًا لي أممهم حتى يقوى قولي به، ويكون صدقة.

وليس المعنى أن يكون هارون مع موسى يخبر فرعون أن صادق فقط، بل يكون كلامه مقوية لكلا مهما، فتكون ذلك موجبًا لتصديقه.

قال المفسر رحمه الله: [باليُركم جواب الدعاء، وفي قراءة الرفع، وجعلته صفة "ردة".] قوله: [باليُركم] أي إن الفعل "يصدقيه" مجروح جوابًا للدعاء، و هو قوله: "فأرثيلاء معي"، يعني: إن أرسلت صدقي.

أما قوله: [في قراءة أخرى] فهو يعني في قراءة سبعية، أمًا إذا قال قريء بذلك، فهي قراءة ساده، وهو منهج المفسر رحمه الله، وقد تعرضنا له سابقاً.

ثم قال المفسر رحمه الله: [وجعلته صفة "ردة".] يعني: ردة مصداقًا لي؛ لأن هذا هو التفسير.

قائدة: القراءتان الواردنان في الآية تعني معاني مختلفة، فإن كن قوله: "يصدقيه" جوابًا للطلب، فإن معناه أنه يحصل به الصدقة، وإذا كان صفة، فالمعنى
الله تعالى أن يُحَوَّل أن بَيْنِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ صَادِقُ، فتكون قراءة الرُوف على سبيل السبب، وقراءة الجزء على سبيل النتيجة، فيكون هارون فاعلاً مؤثراً.
قوله تعالى: "إِنِّي أَنَفَعُوهُ،" الذي صبيبه في "الحديث" وهو الواو يُوَعِّدُ عليه "فَوَعَمِيبُ وَمَا لَوْيْكَ"، وقوله: "أَنَفَعْ" أي: أنْتَفَع وأخشى، وليس خوف الرعب، ولكنه يتوقع ذلك ويخشى، وقوله: "فَمَا يُكَذِّبُونِ" هذى التوبة الموجودة ليست نون الأفعال الخمسة، وإنما خذفت بعد (أن)، ولكنها نون الوقية، فأصل الفعل: يكذبوني. خذفت النون الأولى للنصب، وبيقت النون الثانية المكسورة، وهي نون الوقية، وخذفت الباء تخفيفاً، ونظره ذلك قوله تعالى في سورة الداريات: "إِنَّ لِاَيِّدِينَ أَلَمْ يَذَّرُوا دُنْيَا مِثْلُ ذَلِكَ أَحْصِيَّمُ فَلَا يُسْتَقَرُّونِ" (الداريات: 59)، فإذا وقفت عليها سكتت.

من فوائد الآية الكريمة:

القياس الأول: بيان البينة الكبرى من موسى لأخيه، حيث جعله الله تعالى مرسلاً معه، وهذا يقال: أعظم هدية إهدافه خليله هي التي كانت من موسى هارون، لأنَّه ساء الله أن يرسله معه، والرسالة مقدمة عظيمة لا يناله إلا الخيرة من بني آدم.

القياس الثاني: أنَّهُ يُجَوِّرِهِ لِلإنسان أن يُسَّلَّمُون بعَمْرُوه في الدعوة إلى الله عزّ وجل.

لقوله: "فَأَرِىْلَهُ مَثْلَ يَدَىْ.

القياس الثالث: اتخاذ الأعوان من أسباب النجاة، وهذا أمر معلوم من قديم الزمان، وحديثه، أنه كلما كان الإنسان معه من يعينه ويساعده، كان ذلك أقرب إلى نجاهه من انفراده، والعوام يقولون: (ليد واحدة لا تضفي).
القائدة الرابعة: فصاحة اللسان ها تأثير قوي في القبول، أو الرفض، وقد قال:

النبي ﷺ: "إِنَّمِنَ الْبِيْانِ لَيْسَخَرُ"(1)، لقوله: "هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا".

القائدة الخامسة: فضيلة موسى عليه الصلاة والسلام للإقرار بالفضل لأخيه: "هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا"، لأن مَنَ النَّاسِ مَنْ يَكُون نافضًا، ولكن لا يستطيع أن يعبّر

بالكُبال لغيره، والنقاش لنفسه.

القائدة السادسة: أنه ينبغي للداعي أن يذكر مُبررات دعوته؛ لأن قوله: "هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا، أَفْرَسِيْلُهُ"، هذا من مُبَرَّرات دعوته، وسؤال الله ﷺ تعالى: "أَنْ يُرِسِّلَهُ مِنَ الدَّعَاءِ"، معه، وهو أنه أفصح منه لسانًا، وهذا معروف، ومن أداب الدعاء أن يذكر مُبَرَّرات الدعوة.

القائدة السابعة: أن موسى عليه الصلاة والسلام حلف أن يجعله أو إذا كان، وحده، فطلب مزيدًا من العون، لأن الواحد مع الواحد يكون أقرب للتصديق.

القائدة الثامنة: أن الحبر يزداد ثوبًا وتبنيًا بتعبد محببه، ليزداد قوة ووضوحًا عند أمرٍ من الرسالة حبر، فإذا كان مُعُونًا مِنَ ثُقَافَةٍ على هذا الحبر، وتمت له

ويصدقه، فإنه يكون أقوى، والآية شاهدة له.

(1) أخرجه البخاري: كتاب التكاح، باب الخطبة، رقم (4851)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (829).
قال الله عز وجل: "قال سنحن عصدك يا أخيك و يجعل لكما سلطتنا فلا يبصرون إلا كأنتما تابيننا أنتما و ينبعكما العظيمون" (القصص: 35).

قال المفسر رحمه الله: "قال سنحن عصدك تقولك يا أخيك و يجعل لكما سلطتنا غلبة فلا يبصرون إلا كأنتما تابيننا أنتما و ينبعكما العظيمون فهم".


قوله تعالى: "يا أخيك" هو هارون، فقد أجاب الله طلبه موسى، والسين في قوله: "سنحن" تفيد التنفس، وتفيد تأكيده الشيء وتقربه، أي: إنه سيكون قريبًا ولا شك أنه إذا قال الله له ذلك فمعناه أنه يتقؤى الآن، لأن الله وعده أن يرسل هارون معه، إضافة إلى أنَّه سيكون معيًا له على هذا الأمر.

قوله تعالى: "وجعل لكما سلطتنا" أي: غلبة، وهذه بشرى ثانية لها جمعًا، وجعل" أي: تقيص لكما سلطانتا، والمراد بالسلطان هنا يقول المفسر رحمه الله:
السلطة في القرآن يأتى بمعنى العلمة والقدرة، ويأتي بمعنى الدليل؛ لأن الدليل يتقؤى على الإنسان، ويكون له قوة، قال الله تعالى: "إِنْ عِندَكُمْ مِنْ شَفَاعَتِنَا يَتَقَلَّبُونَ" (الأنس: 8) ومثني ان عندكم من شفاعة ينحى أي ما عندكم دليل بهذا، يقول تعالى: "وَقَالَذُو الْعِزَّةِ لَنْ نَفْدُرُ إِلَّا يُشْلِفُنَا" (النحل: 100) أي: سيطرته وعلابته.

قوله تعالى: "فَلَا يُصِلُّونَ إِلَيَّكُمْ" أي: بسوء، والمعنى: لا ينتهون إليك بسوء، فإذا خففت منه فإنه سوف ينتفى بها جعل الله لك من تأييد بأخيك، وهذه تُشير إلى هم، وتفيد التفوية، وهي نظير قوله تعالى: "لَا تَعْفَافُ إِبَّانِي مَعَكَ أَسْمَعُ وَأَرْفَ" (طه: 44).


هَذَا وَجَهُ.

والوجه الآخر هو أن قوله: "ركِبتين" متعلق بقوله: "وَيَجَّهُ"، أي: ونجعل لكما سلطانًا بأتيكما، أي: بسبب أيتانا نجعل لكما السلطان، فلا يستطيعون الوصول إليكما، ولا إبطال دعوتكما، وعلى هذا لا يُحتاج إلى تهديد في الآية.

وَيَبْنُونَ ذَلِكَ أَنْ نَصِلْ قُوَّةٌ تَعَالَى: "فَلَا يُصِلُّونَ إِلَيْكُمْ" بقوله: "ركِبتين" أي:
بسبب ما معناه من الآيات، وهذا المعنى هو الصحيح لأسباب، أو لا: لأنه لا يحتاج إلى تقييد؛ ولأن التقييد لا بد أن تسقى مرتبة.

المرتبة الأولى: إثبات أن في الكلام حذفًا، وهو يعرف بكون المعنى لا يستفيض بعدون تقييد عذوف.

المرتبة الثانية: إثبات أن تقييد المحدود هو ذلك، وهذا يعيه السياق لأن السياق هو الذي يعي نوع المحدود.

إذا كان الكلام لا يحتاج إلى هذا التقييد، فالأفضل عدم التقييد، وهذه الآية معناها واضح جدًا على القول بعدم التقييد، ومعنى هو: نجعل لك سلطانًا بسبب آياتنا التي معكنا، فلا ينصرون إليه مثلكم.

وَهَذَا الْعَنْوَانُ أَيْضًا أُوْضِحَ مَا كَذَّرَهُ الفَسَّارُ وَغَيْبُهُ؛ لَأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يُقُولُ تَعَالَى: {نَبِيْنَا} [الآيتين] والآيات هذه جميع وقبل ذلك يقول: {فَذِيدُوا} برستاني من زُكَّاٰبٍ إلى فِرْقَةٍ وَعَدِيدٍ [القصص: 32]، فله تعالى قد أرسلها بأيتيين، ولذلك فالصلوات هو أن الآية موصول ببعضها ببعض، فيكون تقييد قولها تبارك تعالان: {وَمَعَكُمُ نَفْسُهَا} سُلطننا فلا ينصرون إليه مثلكم {نَبِيْنَا} ونجعل لكم سلطانًا بأيتيتنا، فلا يصلون إليكم.

وَرَأَى بَعْضُ المَعْرِيِّينَ أَنْ قَوْلَهُ: {نَبِيْنَا} مُتَعَلَّقُ بِقِولِهِ: {الْفَدِيلُينَ}, وَهَذَا فِي المعنى قريبًا مَا ذُكِّرَنا، أي: أنها ومن أتبعها العابدون بأيتنا.

وَوَجَدَّ فِي الآيَاتِ هُوَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ يَا سَلَطَانَ، وَيُقُولُ عَلَى هَذَا: فَلا يُصِلُّون إِلَيْكُمُ بَيَانَهُ. إلا أننا، ومن أتبعها العابدون بأيتنا.

وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ أَحْسَسَ مِنْ تَقْدِيرِ الْمَفْسَرِ رَجُمُ الْمَلَائِكَةِ؛ لَأَنَّهُ لَا يَجْتَهَدُ إِلَى حَذْفٍ;
ولاً فيَّ يُوجِبُ أن يَكونَ الكَلامُ بِعَضْةٍ مُّصَلُّّي يَعْضِي
لكن فَقد يَقولُ قَالَ: في الآية مَعْذَف حَسْب قَواعد النحوِّ، لأن قَوْلُه:
"النَّبيّون" اسمُ فَاعِلٍ، وَقَدَّ دَخَّلَتْ عَلَيهِ (ال)، وَهُوَ يَمْعَنُّ الآمِنُ الموَسُولِ،
والمعروف أن الآمِنُ الموَسُولِ لا يَعْمَلُ مَا بَعْدَهُ فِيٍّ قَبْلَهُ، فَأَلا تَعْمَلُ صَلَتَهُ.
وَتَنْجِيب فَنقولُ: (ال) هَلَّا لِيَسِتْ بِموَصُولْةٍ، بَلِ هِيَ كَ (ال) الدَّاخِلَة عَلَى
الآمِنِ الجَادِ، كَالدَّاخِلَة عَلَى الرَّكْمِ والآسِد، وَمَا أَشْبَهَهَا.
وَخَلَاصَةَ الْقُوَّلِ: فَهُوَ أنَّ الصَّوَابِ أنَّ تَجْعَلْ قَوْلَهُ: "يَأَيُّنَا مَعْذَفَةً بِقَوْلِهُ:
وَيَمْعَنُ النَّبِيّ سَلَّمَتْنَا، وَتَسْلَمَ مِنْ كُلِّ تَمَكِّناتٍ، وَمِنَ التَّقْدِيرَاتِ، الَّتِي
نَعْمَدُ عَلَيْهَا، وَمِنَ تَعْمَلُ المُقَدَّرِ.
قَالَ الْمُسْرِفُ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ: ["النَّبيّون" كَمَ]، وَحَقِيقَةَ الْمَعْنِىِّ الغَالِبِ وَهُمْ، لَكِنَّ عَلَى
سَبِيلَ الْعَمُومِ نَقُولَ: أَنْتَا وَمَنْ آتَيْكُمَا الغَالِبُو لِلَّمَخَالِفِينَ.

مِنَ فَوَائدِ الآيةِ الكَريِّمَةِ:
الفَائِدةُ الاْأولَى: قَوْلُهُ: "فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ إِلَّا مَنْ يَأْمُونَ" فَهِيَ دَكِلُّ عَلَى أنَّ اللَّهُ تَعَالَ
أَعْطَى مُوسَى وَهَارُونَ آيَاتٍ، وَقَدَّ ذُكِرَ فِي سُورَةِ أُخْرَى أنَّهُ أَعَطَاهُ تِسعَ آيَاتٍ، قَالَ
تَعَالَى: "وَلَقَدْ مَلَّأَتْ مُوسَى مُوسَى يَعْلَى مَآوَيُهُ فَيَسْكَتْ بَينَيْنِهِ إِسْرَائِيلَ إِلَى جَاهِزَيْهْ" [الإسْرَاءٍ: 10:1].
وَقَوْلُهُ: "أَنَّكُمَا وَمَنْ آتَيْكُمَا" التَّابِعِونَ هُنَا مِنْ بَني إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ آلِ فَرَعْوَنَ
كَذَلِكّ، كَمَا قَالَ الْلَّهُ تَعَالَ: "وَقَالَ رَجُلٌ مَّؤُونٌ مِّنْ عَلَى فَرَعْوَةٍ" [غَافِرٍ: 28].
الفَائِدةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: "وَمَنْ آتَيْكُمَا" فِي دَكِلِّ عَلَى أنَّ الَّذِينَ يَنْصَرُ وَيَغْلِبُ
بَابَةَ الرِّسَالِ، وَأَنَّهُ لا طَريَّةٌ إِلَى النَّصرِ وَالْعَلْبَةِ إِلَّا بِالْدَخُولِ فِي طَرِيقِ الرِّسَالَ وَأَنْبَاعِهِمْ.
وعمله فتكون من هذه قاعدة: (كل من كان للرسول تنبع كان إلى النصر أقرب،
وكل من كان من أنباع الرسول أعبد كان عن النصر أبعد)؛ لأنه من المعنويم في
القواعد المقررة أن الحكم إذا علنا بوصف كان böونه قوة وضعفًا ووجودًا وعدما،
يحسب ذلك الوصف.

فمثلا يقول الله تعالى: «إن الله مع المتقين» [البقرة: 123]، فمعنيه للصابرين
تنغير قولهم وضعفهم حسب ما معهم من الصبر، وقوله تعالى: «إن الله مع الذين
أنفقوا» [النحل: 18]، وجود المأمونين للمتلقين قوة وضعفهم حسب تقوتهم، وهكذا.

القاعدة الثالثة: قوله: «لا تخرجوا الرسل داخلي وأبدا، قال النبي عليه السلام: «هذا الرغب
مقبيرة شهيرة»).

إذا أكثر ما أعظم هذه القاعدة لآتنا كنا على المستوى الذي ينبغي، فلو كنا
مذعين في هذا النبي الكريم على وجه الحقيقة، لكان عدونا مراعيًا بنى مقبيرة
شهيرة، لمكننا -مع الأسف الشديد- لم يكن مذعين للرسول عليه السلام حقيقة،
ولذلما صار يأمرنا، لا من يذيعي الإسلام بنًا، ولا من آراد أن يتروي تحت
قاعدة الجاهلية، وهي القومية العربية، فإن هذه القومية ما انتصرت منذ نشأت إلى
اليوم، ولن تنصر أبدا، بل لا يتردد إلا فلا، وترفعًا وتصدعًا وقئلاً فيها نبئها.

وكل ذلك أيضا في الخبرية ما جمعنا على قومية إسلامية، فيبقى المسلمون لا على
هذا، ولا على هذا، وهذا ما كان لنا النصر الذي وعد الله به ثيابها.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الترميم، باب، رقم (325)؛ مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة،
باب جعلت في الأرض مسجداً وظهروا، رقم (521).
القاعدة الراوية: في هذا كليل على فضل الله سبحانه وتعالى على عبده، حيث إن الله أجاب دعوة موسى، فقال: «سَنَشْدُ عَضْدَكَ».

القاعدة الخامسة: إن الله أعطى موسى أكثر مما سأل، لأنه قال: «وَرَدَّ يُصِفِّيّ».

إني أخف أن يكون موسى ف أعطاه الله أكثر من ذلك، وأن يقوي أبيا، لأن التصديق معناه الحفظ بأنه صادق، لكن التقوية أبلغ، ولقد قال: «سَنَشْدُ عَضْدَكَ يَا يَحِيًّك». 

القاعدة السابعة: إن الله سبحانه وتعالى قد يعلم على العبء، ف يجعل له سلطانًا ويبعث إليه.

آتاه من العلم، لقوله: وتجعل لحما سلطنا بآياتنا.

القاعدة السادسة: إن العلم سلاح، لأن السلطان معناه القوة والغلبة، وإذا كان سببه العلم كان ذلك دليلا على أن العلم سلاح من أعظم ما يدافع به الإنسان ويجعله أيضًا.

وقد مر علينا قصة ابن عمر بن الخطاب، فإنه لولا علم ابن عمر لكان هذا سلطان، لأن عمر كان عبده من العلم ما جعل له السلاطنة والغلبة على ذلك.

القاعدة الثامنة: حمامة الله عزيزة ليوسٍى وهارون، لقوله: فلا يصوموا إلاكم (طه: 44).

و هذا نظير قوله: «لا تغلبوا في حق ممتعكم أحسن وآتى».

القاعدة التاسعة: أن التمسك بشريعة الله سبب للغلبة، قال: «أنتم ومن أتبعكم الذين أتبعكم».

القاعدة العاشرة: أنه إذا كان هذًا في بني إسرائيل إلا أنه من اتبع موسى هو الغالب، فماب أولى من اتبع النبي عليه السلام فإنه غالب، قال الله تعالى: "هَوَّ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا رَسُولَهُ بِالْهَدِیْنِ وَبِالْحَقِّ لِيُظْهَرَهُ عَلَیْ الْآخِرَةِ سَّلَیِّمَ» (الأنبى: 122) ومعنى
"ليظهرُ" يُعلِّيه؛ لأن الظَّهْر والظُّهور كله يُدلُّ على الغَلْبَة، قال: «أنتما وَمَن أتَبعَكُمَا". اقتبسه.
سورة القصص (الآية: 36)

قال الله ﷺ عزّ وجلّ: (قلّمَا جاءهم موسى بنيانَى قُلْوا ما هذا إلّا سحرٌ ممّتريٌّ وما سمعنتنا يهدينا في ديننا الأولين) (القصص: 36).

قال المفسّر رحمه الله: (قلّمَا جاءهم موسى بنيانَى) واضحكات حالٍ قُلْوا ما هذا إلّا سحرٌ ممّتريٌّ مخلوقٌ (وما سمعنتنا يهدينا) كاذباً (في) أيام مبكرٍ من الأولين).

قوله تعالى: (قلّمَا جاءهم) أي: آل مورعون، (موسى بنيانَى) وَلَمْ يُرِثُوه: وهارون، لأن الرسالَة في الأصل لموسى، وقوله: (بَنِي) إبّاء للمصاحبة: يعني: مصحوبًا بالآيات، وآيات جمع أية، وهي العلامات، وأُضيفت إلى الله إضافة العلامة إلى مُعطىها، لأن هذه الآيات ليست آيات على الله، لكنها آيات منه على رسالة موسى، وإثبات أن الله وحده هو الحق.

قوله تعالى: (بَنِي) إبّاء للمصاحبة: (وَاضحِحَات حَالٍ) حال من قوله: (بَنِي) إبّاء للمصاحبة: ولا يصح أن تكون نعتًا لأنها تكون، وما قبلها معرفة.

وفي قوله: (بَنِي) إبّاء للمصاحبة: إقامة للحجة لأن الآية هي علامة، وكَلِّها كانت أظهرُ كانت الحجة أقوى، والآيات بَنِيٌّ، جاءهم بالأيات البَنِيَّات، فكان جوابهم: (قُلْوا مَا هَذَا إلّا سحرٌ ممّتريٌّ).
وقوله تعالى: {ما هذَا أي: الذي جئت به يا موسى {لا يصرُّ}, وهنا ما لم تعمل عمل ليس -على لغة أهل الحجج. -كَيْ قَالَ أَبِنَ مَالِكَ}.

{إِعْمَالَ (لَيْسَ) أُغْيِلَتْ (مَا) دُونَ (إِنَّ)} مع بها النفس وترتيب ركزن

لأنه يشترط في عملها بقاء النفتي، وهنا النفتي قد انقض بالاستثناء.

وقوله تعالى: {سَيْخَرَ مُفْتَرِي السَّحْرَ المُفْتَرِي: العصا واليد}، هذٌ إذا قلت: إنه يعود على الآيات الجسيمة، فإن قلت: إنه يعود إلى الآيات المعنوية وهي مثل الإسلام.

فإن النبي عليه السلام يقول: {إِنَّمَنَ الْبَيْانِ لَسَيْخَرُ}.

وقوله: {مَفْتَرِي}. معتقل، فمن المعروف أنه يصح وصف القول بالمفتري.

ولكن الافتراء هنا جاء وصفا للعصا واليد، لأن الساحر لا يقلب الأشياء حقيقة، ولكنه يقلبها خليلا بحسب ما يتخيله المرء، فيكون هذا التخيل مختلفا للواقع، وكل ما يخالف الواقع فهو مفترى، فيكون ظهوره بغير الحال التي عليها من باب الكذب والفرقة، وهكذا قالوا: {سَيْخَرَ مُفْتَرِي}.

قال المفسر رحمه الله: {وَمَا سَكِيَعْنا يِهَنَّدَا}. كأنى في أيام {ابن أبي الأونين}.

وقوله: {وَمَا سَكِيَعْنا يِهَنَّدَا}, المسار إليه ما جاء به من الرسالة؛ لأنها هي المسموعة، وأما أية اليد والعصا فهي مشاهدة مرئية.

قال المفسر رحمه الله: {كَانُا} إشارة منه إلى أن متعلق الجار والمجرور بقوله: {مَا بَأَبَايَا أَوْلِيَانَ} مذود تقديره {كَانُا}, وهو هذا على تقدير المفسر رحمه الله حالت. (1) ألفية ابن مالك (ص 20).

(2) تقدم تخرجه.
من اسم الإشارة.

وقوله: {فيما كتبنا الأولين} أي: في وقته، ولهذا قال: "سئل" و"قال": {فيما كتبنا الأولين} أي: السبقين، وهذا كذب منهم، فقد أخبر الله عز وجل عنهم أيام يوسف عليه السلام: {فما زلت في سبيلكما جاءت صدور يندها حتى إذا هلكك فلا İzmir لن يبعثك} {الله} {بـ۲۴}.

إذن: قولهم: {ما سمعنا بهدا} في ما كتبنا الأولين} خبر كذب، فهم كاذبون في هذه الدعوة.

ثم على أرض أن الدعوة صحيحة، وأنهم ما سمعوا مثله من قبل، ولم يوجد في الأولين، فهذا لا يقتضي أن يكون باطلًا لأن الحق إذا جاء وجب قبوله، سواء كان موجودًا في الأولين، أم غير موجود، فهذه الحجة إذن مرضية من كذب وباطل.

أما الكذب: فإن قولهم: {ما سمعنا بهدا} في ما كتبنا الأولين} كذب؛ لأن مؤمنهم أقام عليهم الحجة يوجد نظرًا لى جاء به موسى في قوله: {ولقد جاء خاكم} {يوسف} {فم قلب إيليا} {الله} {بـ۲۴}.

وأما الباطل: فعله تقدير أنها صحيحة، فلأن عدم وجود ذلك في الأولين لا يقتضي بطلان وجوده في الآخرين؛ فإن الله تعالى فعله لما يريد، ما ذاتهم الآيات فينات، فليس هناك حجة لهما بأنه لم يوجد. إن ذلك في الأولين كذا.

قوله تعالى: {فيما كتبنا الأولين} قال: {الأولين} وهم آباء؛ لأن الآب يطلق على الأب المباشر، وعلى الجد. وإن علًا، قال الله تعالى: {يملء أبيكما إبراهيم} هم {سممكم} {الحج} {بـ۸}، وقال يوسف: {ورأى ب мыنة إبراهيم} ومحصد وثواب {يوسف} {بـ۳۸}، فيعقوب أبوه المباشر، وإسحاق جده، وإبراهيم جد أبيه، سأهم آباء.
وهدا وان كان فيه التغليب، لكن قوله: "قيلة أيكَم إزهيرم" ليس فيه تغليب، أي: ليس هناك أب مباشر، ولهذا كان القول الراجح في مسألة الجدد والأخوة أن الجدد يتجه الأخوة؛ لأن أب.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن موسى نَقَّد ما أرسله الله به.
الفائدة الثانية: أن الآيات التي يرسل الله بها الأنباء تكون بثينة واضحة؛ لسلا يكون للمدعون حجة في خفاء الحجة، فجعل الله تعالى الآيات بثينة واضحة.
وفي الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام: "ما من الأنبياء من نبي إلا قديم أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشير".
فلا بد أن تكون الآيات التي يرسل بها الرسل بثينة واضحة؛ لسلا تبقى للناس حجة.
الفائدة الثالثة: أن الآيات التي أعطاها الله موسى ليست واحده، ولا اثنتين، بل هي آيات متعددة يؤمن على مثلها البشر، لكن هؤلاء قوم عَتاة.
الفائدة الرابعة: أن دعوى المكذبين للرسل لا تكون إلا من نوع المكابرة؛ فإن قولهم: "ما سمعناه هبذا أبا بكردب الأولين" (المؤمنون: 24)، لا يقتضي رد الحق، لسلا إذا كان حقا فاقبلوه، وليس للإنسان حجة إذا قال: والله هذا ما سمعنا به.
الفائدة الخامسة: أن أعداء الرسل يلقبون الرسل بالقبض السوء والعيب;

(1) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوجي، وأول ما نزل، رقم (4981)، ومسلم: كتاب الإبهام، باب وجوب الإبان برسالة نبينا محمد aggression، رقم (157).
لقوله: ﴿وَمَا هَذَا إِلَّا سِيْحَرٌ مَّفْتَرِىٰ﴾، فليس عند أعداء الرسول إلا أنهم يلقبونهم بالأقوال:

هذا ساحر، هذا جنون، هذا شاعر، وما أشبه ذلك.

الفاعلة السادة: هي فاتحة متفرعة، وهي أن أعداء الرسول سوف يلقبون من يدعون بدعوته الرسول بِيَبْتِلْ هَذِهِ الألقاب، فقولون عليهم: رجعيون، متأخرون، مُّعْرَضُون، متشددون، متعصبون، وما أشبه ذلك، أو ربما يكون أبلغ من هذا فقولون:

ضالون، ﴿وَإِذَا رَأُوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّهُمْ هُوَ الْمُتَّقُونَ﴾ (المطففين: 32).

فِدْعَوْنَهُمْ لَمَّا أُعِدَّاءُهُمْ هُؤُلَاءِ الأعْدَاءُ الذِّينَ قَابَلاً الرَّسُلَ بِهَا قَابِلَهُمْ، وَالرَّسُولُ هُمُ الأَقْوَى فِي الْقِيَادَةِ، سُبْقَابُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ يُبْتِلَ مَا قَابَلُوهُمْ بِهَا، أو أَكْثَرُ.

إِذْنَ: فَلَنَعْطِيْنَ أَنْفُسَنَا عَلَى أَنَا إِذَا دُعِيْنَا إِلَى اللَّهِ عَلَى حَقٍّ، وَعَلَى بِصِرَاءٍ، فَسَيَكُونُ أَبْرَامًا مَّنْ يَقُولُ لَنَا يَقْالُوا لِلرَّسُلِ، ﴿فَكَذَّبَتْ الدُّعَوَّةُ وَاحِدَةٌ فَعَدَّلُواْٰ هَا وَاحِدَةٌ وَمَا قَبْلَ فِيهَا وَقَبْلَهَا فِي الْأَوَّلِ وَقَبْلُهَا فِي الْثَّانِىَ﴾

الفائدة الضارةٌ: أنَّهُ لا يُبْغِي للمرء أن يُثِبَّهِ عن قول الحق رَذَّهُ، أو وصُفُهُ هو بالعيوب، لأن موسى لم يوقف عن الدعوة حينا قالوا له هذا، بل استمر في الدعوة، وله قامَت الحجة، مع أنَّهُ هُدّى بالسِّجْنِ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يبالي بها.

الفائدة الثانية: يُبْغِي للذَّادَاعِي إلى الله أن يصبر ما دام يعلم أنَّهُ عَلَى الحق.
قال الله عزّ وجلّ: [وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ يَمِنَ جَكَّةٍ يَأْلَهُدِئَ مِنَ الْيَدِينِ. وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنْقِيَةُ الدُّنْيَا إِنَّهُ لَا يُقْلِبُ الْقَلْبُ الَّذِيْنَ مَاتُوا] [القصص: 37].

قال المفسر رحمه الله: [وَقَالَ مُوسَى وَبِيْدُوْنِهَا (مَوْتِيِّنَ رَبِّي أَعْلَمُ) عَالِمُ (يَمِنَ) جَكَّةَ يَأْلَهُدِئَ مِنَ الْيَدِينِ. الْمُهْتَمِّرُ لِلْرَّبِّ (وَمَنْ) عَطْفُ عَلَى مِنْ قَبْلِهَا (تَكُونُ) بِالْفُوْقَانِيَةِ وَالْنَّحْاْيِيَةِ (لَهُ عَنْقِيَةُ الدُّنْيَا) أيَّ الْعَافِيَةُ الْمَجْهُودُهُ فِي الدَّارِ الْآخَرَةِ أَيٌّ هُوُ أَنَا فِي السَّبِيعَيْنِ قَانُونًا عِلْمًا حَيُّ فِيّ جَنَّتِ يُهُدُيهُ إِنَّهُ لَا يُقْلِبُ الْقَلْبُ الَّذِيْنَ مَاتُوا] [الكافرون].

قال المفسر رحمه الله: [وَقَالَ مُوسَى وَبِيْدُوْنِهَا] أي فيهما قراءتان سبعتان، فيجوز أن تقول: [وَقَالَ] وَيُجُوز أن تقول: [قال] (1)، وهذه من القراءات النادرة جداً؛ لأن القراءات المتواترة لا يكون فيها تغيير كلمة بزيادة أو نقص، وقد ذكرنا من قبل بعينين في القراءة، هما:

وَكَانَ للْرَّسُولِ اِحْتِيَاٰلًا يُقْبِيِّدُ وَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجَةٌ نَّخَوَى
فَسَيْرُ تَقْلِلَ فِهْوُ الْقُرْآنُ وَفِهْدَِهَا الْثََلَاثَةُ الْأَرْكَانُ

ولكن الرسم هنالك لا يجامع الزيادة، أو النقصان، ولكن القراءة ثابتة، كذلك.

(1) السبعة في القراءات، لابن ماجد (ص 494).
(2) مثن طبيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، البيتان (14، 15).
في سورة البقرة: "فأعلم إن الله أكبر" (البقرة: 224)، وقوله تعالى: "فقالوا أتَّخذ الله وَلداً مِّن سَيِّدِينَا" (البقرة: 111)، ففيها قراءتان: بإثبات الواو وبحذفها، وهناك شواهد أخرى في القرآن، لكن هذا يعتبر من الأشياء النادرة.

قوله تعالى: "أَرَى أَعْلَمُ". هذا اسم تفصيلي، واسم التفصيل يدل على اتفاق شخصين اشتركان في صفعة واحدة.

 فإذا قيل: فلان أفضل من فلان. فقد اشترك الرجلان في الفضل، وزاد الفضل على الفضل عليه. هنا يقول: "أَرَى أَعْلَمُ يَمِن جَانِهِ إِلَى يَمِينِهِ".

 قال المفسر رحمه الله: "أي: عالم، فحول اسم التفصيل إلى اسم فاعل، وهذه جنابة عظيمة؛ لأن (عالم) أدنى بكثير من (أعلم)، فإذا قلت: "أَرَى أَعْلَمُ يَمِن جَانِهِ".

 و(وري عالم) بين جاني، فالأول بنين، ولذلك يُعتبر نصصًا من الفصل رحمه الله.

 والصواب أن "أَعْلَمُ" أي: مِن عَلَمَ بِالْهُدْيِ مِن عَنْدِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَعْلَمَ مِنْهَ.

 والفسر رحمه الله وقين حذره، أو سببه إلى ذلك إذا قلوا من أن يكون الإنسان مشتركًا مع الله في العلم، لكن اسم التفصيل ليس فيه دليل على المشاركة، فقولنا: "أَعْلَمُ". ينيفي المشاركة؛ لأن الأعلم في درجة لا يصل إليها الفضل عليه، لكن إذا قلت: (عالم) فهذا فيه المشاركة؛ لأن الله عالم، والإنسان عالم. قال تابعه: "وَاللَّهُ أَخْرِجَهُم مِّن بُطُونِ أَمْهِينَكُمْ لَا تَشْعُرُونَ بِهِمْ وَهُمْ آتِيَوْا وَأَخْرَجُوا" (النحل: 78)، أي: فعلموا، وكذلك قوله تعالى: "سَيَعْلَمُونَ يَمِن عَلَمَ اللهِ".

 [المادة: 4].

 فالشاهد أن كلمة "أَعْلَمُ" هي التي تقتضي التفريق، بخلاف عالم، ثم إن فيها
دليلاً واضحًا على أن كل صفة كمال، فأنزل تعالى الله تعالى: ً\(\text{ويَلُو} \text{ّ} \text{بِلَّةَةَ لِيُبَيِّن} \text{ّ} \text{كُلُّ صَفَةَ كَيْلَ أُمَّلِي} \text{ّ} \text{مُلْعِبًا فَنَٰحِرَةُ عِينَيْنِ} \text{ّ} \text{كَيْلَا} \) ।، فكُل صفة كيال مُطلقة فإنَّه تعالى منها أكملها، كما قال تعالى: ً\(\text{وَإِنَّكَ أَلْبَتْ} \) ً\(\text{مِن} \text{ّ} \text{يَلَٰهُدَى مِن} \text{ّ} \text{عِينَيْنِ} \). ً

فهناك من علم من جاء بالهدى من عند الله من المؤمنين الذين أرسل لهم، فعلموا ذلك، الله تعالى أعلم بهم،

وقوله تعالى: ً\(\text{وَإِنِّي} \text{ّ} \text{جِئْتُ} \text{ّ} \text{بِلَادَهُم} \) ً\(\text{مِن} \text{ّ} \text{عِينَيْنِ} \). ً

ويقال: أعلم أن قد جئت بالهدي من عنده، بل قال: ً\(\text{وَإِنِّي} \text{ّ} \text{جِئْتُ} \text{ّ} \text{بِلَادَهُم} \)؛ لتلا يكون معهياً، وليبقى الأمر مؤكد ولا بالحكم عليه من جهة العقل.

وقوله تعالى: ً\(\text{وَمَنْ عَطْفَ عَلَى أَمْرِهِ} \) ً\(\text{فَقَالَ} \text{ّ} \text{هُوَ أَلْبَتُ} \) ً\(\text{عَلِيَّةَ} \) ً\(\text{مِن} \text{ّ} \text{عِينَيْنِ} \)، أي: ويحسن يكون له عافية الدار، فهو أعلم بماين جاء بأهدي من عندي، وهذا سبب الحكم العقلي، و(أعلم) كذلك ب(ومن تكون الله عليقة الدار) فهو أعلم ستبيانية وتعال بالمبتدأ والمتهى.

وقوله تعالى: ً\(\text{وَإِنِّي} \text{ّ} \text{جِئْتُ} \text{ّ} \text{بِلَادَهُم} \) ً\(\text{مِن} \text{ّ} \text{عِينَيْنِ} \). ً

بسم الكتاب، أو الوحي هذى، لأنه يهدي، كما قال الله سبحانه وتعالى: ً\(\text{وَلَأَنَّى أَرْسَلْتُ} \text{ّ} \text{فِي} \text{ّ} \text{الْقُرْآنِ} \text{ّ} \text{هُذَا} \text{ّ} \text{يَسِيرٌ} \) ً\(\text{لِلْمَكْسِمِ} \) ً\(\text{البُرْقَة}: 185	ext{،} وقَالَ: ً\(\text{وَهُوَ أَلْبَتُ} \text{ّ} \text{أَرْسَلَ} \text{ّ} \text{بِلَادَهُم} \) ً\(\text{مِن} \text{ّ} \text{عِينَيْنِ} \) ً\(\text{السَّفَر}: 9	ext{،} فالتدى هو العلم؛ لأنه هو سبيل النجاة.
وقوله: "الله يتوب!" أضافه إلى الله؛ لأن الوحي من الله سبحانه وتعالى، وليس من غيره، ولا أحد يأخذ هذى إلا من عند الله.

قوله تعالى: ".face=""face"" aria-hidden=""false"">فقال المفسر رقم الله: [بالقوامية والتحكيمية]» فهذا قراءتان؛ أما القراءة بالباء (تَكُون) فالأمر فيها ظاهر؛ لأن عاقبة الدار مؤنث، والفاعل إذا كان مؤنثاً يؤنث له الفعل، وأما بالباء (يَكُون) فإنا جار التذكير مع تأنيث الفاعل؛ لأن التأنيث مجازي، والمؤنث المجازي كلما لم ينس الله فرجة فهو مؤنث مجازي.

قوله تعالى: "لَهُمَا ناقصة، وخبرها مقدّم، وهو قوله: "لا إله إلا الله" واسمها مولى، وهو: "أتيب الدنيا".


فالأول إذن أن نجعل الدار هنا عامة في الدار الدنيا، ودار الآخرة.

(1) السبعه في القراءات، لابن مجاهد (ص 494).
وَمَا نَرْحَبُ لِلَّذِينَ يَعْقِبُونَ الْمَلَأَيْنَآ إِلَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ رُسُلِهِ. أَلَا تَرَ أَنَّ النَّاسَ بَلَغَى مَهْمَهَا وَأَلَّلَ أَنْ هَذَا مَا حَرَّبَهُ مِنْهُ بِعَدْلٍ، وَلَبِئْسُ مِنَ الْكَافِرِينَ مَسَىٰ بِالْمَغْرَابِ. 

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ نَزِلَتْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ ابْتَغُوا الْإِلَيْهِمْ فَلَنْ يُفْعَلَ عَلَيْهِمْ مَا أَصِيلُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. 

قَالَ الْمُسْرَّرُ ﷺ رَحْمَةُ اللَّهِ: [أَيُّهُوُّ أَيُّهُما]، القَبْضَةُ تَعَلَّمَهَا عَلَى الْمَلَأَيْنَآ، وَقَالَ الْمُسْرَّرُ ﷺ رَحْمَةُ اللَّهِ: [أَيُّهُوُّ أَيُّهُما]، هَذَا حَرَّمُهَا، أَنَّ الْمَلَأَيْنَآ يَجَّلُونَ الْمَلَأَيْنَآ مِنْهُمْ فِي الْعَدَّةِ الْآخِرَةِ. 

وَقَالُ الْمُسْرَّرُ ﷺ رَحْمَةُ اللَّهِ: [أَيُّهُوُّ أَيُّهُما]، هَذَا حَرَّمُهَا، أَنَّ الْمَلَأَيْنَآ يَجَّلُونَ الْمَلَأَيْنَآ مِنْهُمْ فِي الْعَدَّةِ الْآخِرَةِ.
سورة القصص (الآية : 27)

عندك، ومن تكون له عقيدة الدار، وعاقبة الدار تكون لنفس الطالب، لأن الطالب لا يفلح، ونحن نعلم علم اليقين أن الظالم في هذه الحالة هو غيرون، لأنه رد الحق.

وقوله: «لا يفلح الفلاح هو حصول المطلوب، والنجاة من المهروب، وسمعي فلاحا؛ لأنك بقاء، وأصبه في اللغة البقاء، كما قال الشاعر 

لكي كم من الظلمين سمعته، والمسي والصبي لا فلاح معه

 يعني: لا بقاء معه، فتعددي الأمور إلى أن يقرونوا: إن الفلاح هو حصول المطلوب، والنجاة من المهروب.

وقول المفسر رحمه الله في معتقى «القاضي مصطفى»: [الكافرون] فيه نظر، لأن عدم فلاحة الطالبين بحسب ظلمهم، وإن كان ظلما أكبر، فهم لا يفلحون أبدًا، وهم الكافرون، وإن كان ظلما دون ذلك، نقص من الفلاح بحسب ما نقص من العدل، فالضابط هذا أيضًا إبقاء الآية على ظاهرها، وأن الظالم لا يفلح، لكن انتفاء الفلاح عنه بحسب وجود الظلم فيه؛ فالظلم الأكبر يقوت به الفلاح كله، وما دون ذلك يقوت منه الفلاح بقدر ما حصل من الظلم.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: في قوله: «أعلم أن من جهة إلهيدين من عيندي» التسنزل مع الحصم على وجه لا يكون فيه تقويض لدعاوى المدعي.

الفائدة الثانوية: فيها كليل على أن الهدى من الله سبحانه وتعالى، فهيز الذي يأتي بما يجس الهداء به، ويوفق من شاء من عباده له، فالهدي من عند الله، «أعلم أن».
جَهَاءُ يَانِهِدْئَنِّي مِنْ عِنْدِيِّكَ فَهُوَ ضَلَالُ، وَالْهَدَى مِنَ الْحَكِيمِ، فَهُوَ رَحْمَةً فَهُوَ دَرَرُ.

الْفَائِيْدَةُ الْثَالِثَةُ: أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوا هَدِيَّةَ الْحَكِيمِ يَنِى عِندَيْنَ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ، أَيْ: وَهُوَ كَذَلِكَ أَعْلَمُ بِمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ.

الْفَائِيْدَةُ الْثَنَائِيْةُ: أَنَّ الْظَّالِمَ لَا يَفْلَحْ، وَمَفْهُومَهُ أَنَّ صَاحِبَ الْعَدْل يَفْلَحْ لَانَّهُ إِذَا انتَقَى الفَلَاحَ عِنْدَ الْظَّالِمِ وَجَبَ ثَبوته لِصَاحِبِ الْعَدْلِ.

الْفَائِيْدَةُ الْخَانِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِنَ الظَّالِمِ لَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحَ الظَّالِمُونَ، وَالْتَرْغِيبُ فِي الْعَدْلِ لَانَّ التَّحْذِيرُ مِنَ الْطَّيِّبِ تَرْغِبُ فِي ضَحْدِهِ.﴾
قال الله عز وجل: «وَقَالَ فِرْعَوْنَ يَتَأْيِهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَعَجَّ المُلُوكَ مِنْ إِلَّهِ غَيْرِي فَاوَقِدْ لَيْتَهَمْنَ عَلَى الْآدمِينَ فَأَجْعَلْ بِنْيَانَ الْجَمِيعِ لَعِمْكَ أَلْعَبُ إِلَّا إِلَيْهِ مُوَسَّفٌ وَأَيْنَ لَأَطْنُهُ يَمْبِئُ الْكَلِدَّةِ» [القصص: 28].

قال الملسم رحمه الله: «وَقَالَ فِرْعَوْنَ يَتَأْيِهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَعَجَّ المُلُوكَ مِنْ إِلَّهِ غَيْرِي فَاوَقِدْ لَيْتَهَمْنَ عَلَى الْآدمِينَ فَأَجْعَلْ بِنْيَانَ الْجَمِيعِ لَعِمْكَ أَلْعَبُ إِلَّا إِلَيْهِ مُوَسَّفٌ وَأَيْنَ لَأَطْنُهُ يَمْبِئُ الْكَلِدَّةِ».


قوله تعالى: فاوقد لي يتهمن على الاظلمين أي: اجعل لي ضرحا طويلا رفيعاً


قوله تعالى: «وَإِذَا لَأَظْلَمْتُهُمْ مِنَ الْكَانِهِنَّ» قال الفسّر رحمه الله: [لا إذاعة إلّا إلّا آخر، وآلهة رسوله].
وقوله: {وَأَيْنَ لَأَنتَُّ؟ لأَنَّهَا بِرَّانَةُ (اللَّه) ولَام، ثُمَّ قَالَ: {يَكُونُ الْكَانِيُّنَ،} لِيَفْتَح
الْبَابِ لِكُلِّهِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ هَذَا أُولُو مِنْ كُلِّبٍ فَلِيَسْ بِغَيرِبٍ أَنْ يَكْذِبَ لَوْنَ سَبْعِهِ، فَيَكْوَنُ هَذَا أُكْبَرُ كُبْلَا لَقَوْلِهِ عَنْهُمْ، وَلَيْدَعُهُمْ أَنَّ مَوْسِئًا مِثْلُ غَيْرِهِ مِنَ
الْكَانِيُّنَ، فَلِيَسْ أُولُو مِنْ كُلِّبٍ.
فَقَانَةٌ: قَوْلُهُ: {يَا عَلِيمًا تَحْكُمُ مِنْ إِلَهِ عَزِيبٍ} هَذِهِ الدِّعْوَةِ
كُلِّبٍ فِيهَا فَرْعُونَ؛ لَوْنَ مَوْسِئًا قَالَ لَهُ: {لَقَدْ عَلَّمْتُ مَا أَنْزَلْتِ هُذَا إِلَّا رَبِّ الْسَّمْوَاتِ
وَالْأَرْضِ} {الإِسْرَائِيل}، لَكِنَّهُ يُمْوَى بِهِ عَلَى قُوَّمِهِ وَهَذِهِ أَمْرٌ بِهِذَهُ الْفَعْلَةِ.
وَكَذَٰلِكَ فِيهِ قَوْلُهُ: {وَأَيْنَ لَأَنتَُّ؟ لأَنَّهَا بِرَّانَةُ (اللَّه) فَلِيَسْ بِغَيرِبٍ أَنْ يَكْذِبَ}
كُلِّبٍ أُكْبَرُ كُبْلَا فِيهِ قَوْلُهُ، بَلْ هُوَ مَيْتٌ مَّا مَوْسِئًا صَادِقٌ، وَلَكِنَّهُ زَاغَ وَتَنْكُرَ لِلْحَقِّ.
مِنْ فَوَانِدِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:
الفَايَدَةُ الْأَوْلِيَ: أَنَّ فَرْعُونَ قَدْ سَيَّدَرَ عَلَى قُلُوبِ قُوَّمِهِ وَوَجَّهَ ذَلِكَ أَنْ مِثْلُ هَذَا
الْكَلَامِ لَا يَقْدَرُ إِلَّا مِنْ شَخْصٍ قَدْ سَلَبَ عُقُوبَهُمْ وَإِلَّا خَرَجَ أَيْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِيَقُولَ:
أَرِيدَ أَنْ أَصْحَبْ إِلَهاً
الفَايَدَةُ الثانِيَةُ: كُلَمْةُ فَرْعُونَ عَلَى قُوَّمِهِ وَأَنَّهُ مِنْ أَشْدَ الْأَنْسَ مَكْرًا وَحِيلَةً
لِقَوْلِهِ: {مَا عَلِيمُ تَحْكُمُ مِنْ إِلَهِ عَزِيبٍ}.
الفَايَدَةُ الْثالِثَةُ: إِبْتِبَاءٌ عَلَى اللَّه، وَنَأَخِذُهُ مِنْ قَوْلِهِ: {فَأَجْعَلْنَا نَجُوعًا لَّكُمْ}
أَلْحَيْنِ إِلَىٰ إِلَيْهِ مُوْسِئًا}، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مَوْسِئًا قَالَ لَهُ: {إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ}
الفَايَدَةُ الْرَّابِعَةُ: أَنَّ فَرْعُونَ كَانَ عَظِيمَ الْمَلَكِ فِي مَلَكَتِهِ وَكَانَ لَهُ وَزَرَاءَ يَأْمُرُهُمْ
الفَايَدَةُ الْخَامِسَةُ: إِسْتَدَادُ الْفَعْلِ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ إِذَا كَانَ لَهُ سُلْطَانٌ لِقَوْلِهِ: {فَأَجْعَلْ}}
في صرُحًا، وَمَعْلُوم أن هَامًا لم يُبِينَ البناء، بل باشَرَهُ العُمال، ولكنه نسب الفعل إليه؛ لأنه الآمر به، ففِي إسَاد الفعل إلى الآمر به لم كان لِهُ سُلطة الأمر.

والفقهاء رَجَحُوا أنه اعتبروا هذا، فقالوا: أُوْلَئِكَ بالقَتِل غَيْرِ مَكْلِفٍ، فقُتل فَقَتَل، فالتُّقوَد على الآمر؛ لأنه لو قَال رَجل ما لشَاب لم يَبْلَغ بعْدٍ: أقْتل فلأنا. فذَهَب فقتله؛ فإنَّ الذي يُقتل هو الآمر؛ لأنه هو السبب، والحكم إليه.

الفائدة السَّابعة: أن الفَخَّار أقوى من الطبيِن غير الموَقِد عليه، يؤخذ من قوله: 
«فأَؤْوِّدونِي يَهْمِكُونْ علَى الْطَيِّبِينَ» وَقَد يَكُون فَرْعَوْن أُول من اخترع هذا الطبي، وَقَد يكون الأمر معلوماً من قبل.

الفائدة السَّابعَة: طُغِيَان فَرْعَوْن، واستِكباره، حيث ذَكَر الربُّ سُبُحَانية وَقَالَ بصيغة الإذلال في قوله: «لَمْ يَأْتِيُ الْأَلْبِ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» فنسبه إليه؛ احتقارًا له، لأنه يحتقر موسى.

الفائدة الثامنة: أن فرَعَوْن نم أَكْذِب النَّاس، لقوله: «مَا عَلِمْتُ لَحَكِيمٌ مِنْ إِلَهِ عَرِيفٍ»، لقوله: «وَإِنِّي لَأَظْهَرْنِي عَبْدَ الْكُلَّذِينَ».
قال الله تعالى: «وَأَسْتَكِبَرَ هُوَ وَجَنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَعْتِبُ الْحَقَّ وَظُنُّواْ أنَّهُمْ إِلَيْهِ أَقْرَبُ مَنْ يُرْجَعُونَ» (القصص: 39).

قال المفسر رحمه الله: [وَأَسْتَكِبَرَ هُوَ وَجَنُودُهُ فِي الْأَرْضِ أَرْضٌ مَّضّرٌّ]

يعني: أنَّاهُمْ إِلَيْهِ أَقْرَبُ مَنْ يُرْجَعُونَ بِالْبَيْنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمُفْعُولِ.


قوله تعالى: [وَجَنُودُهُ] الجند في الأصل هم حاشية الإنسان وأنصاره، ويطلق علَّى كل مَّن أتَّبعه، فَهُوَ مِن جَنُودِه.


فَعْلَهُ هَذَا تَكُون (ال) هنا للعهد الذهني لا للعوم.
وقوله تعالى: "فَأَقْرَرْ عَلَى الْحَقِّ" بيانًا للواقع؛ لأن الاستكبار كله مخالف للحق، وزيدًا بين تطبيقه، فالاستكبار قبيح، فإذا وصف بغير الحق صار أقبح وأقبح، ونظرًا
هذا قوله تعالى: "وَقَالَ عِلَيْهِ رَبُّهُ الْحَقُّ" (البقرة: 16).
ومن المعروف أن فتل الأنبياء لا يمكن أن يكون يحق، لكن ذكر ذلك للمباليثة
في تعبيره، فإن الواقع أن ليس بحق، يقول الله عز وجل: "فَأَقْرَرْ عَلَى الْحَقِّ" والحق في الأصل
هو الشيء الثابت، فإذا أصبح إلى الكلام، فالمراد به الصدق، وإذا أضيف إلى الأحكام، فالمراد به العدل، كقوله تعالى: "وَنَمَّتْ كُلُّ مَّرَادٍ صِدْقًا وَعَدْلًا" (الأمناء: 11).
إذن: انتمي عن هؤلاء باستكبارهم الحق من وجهين: حيث اتخذوا كذبًا وزورًا
بما استكروا به، وغير الحق.

وقوله تعالى: "وَظُنُّوا أَنْ نَعْمَائُهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يُرْجَعُونَ" قد يكون المراد بالظن هنا
الرجحان، أو اليقين، فهم متيقرون بما جحدوا به، أم أنهم ترجح عندهم أنهم راجعون.
كلاهما في الواقع ينافي قوله تعالى: "وَسَجَدَوا بِالْحَقِّ وَاسْتَبْعَدُوا أَنْفَسَهُمْ طَلَّا وَغَلْطًا" (النمل: 14); لأن من استقين شنيعًا لا يظن خلافه، فمن استقين أن ما جاء به موسي
حقًا، فلا يظن أن خلافه هو الحق؛ لأن من استقين الشيء آمن به، لكن يبدو أن
الظن هنا إذاً بمعنى الدعوى، يعني: أذعوا أنهم إلينا لا يرجعون، أو أن المراد به
الظن، أم ينصرف عن الحق الذي جيء به من عند الله، وهو فعله هنا فعل الظن.

قوله سبحانه وتعالى: "فَأَقْرَرْ عَلَى الْحَقِّ" فيها قراءتان، بالبناء للفاعل
لا يرجعون، وبالبناء للفتحون (لا يرجعون)، وأركان القراءة موجودة هنا،
(1) السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص 494).
وَقَدْ ذَكَرَتْهُ سَابِقًا فِي بَيْنَيْنَ (1):

فَكُلُّ مَا وَافِقَ وَجَهَةَ نَخْوِي
وَصَحَّ نَفْقَالَا فَهُوَ الْقُرْآنُ
وَمَعْنَى قَوْلُهُ: «يَيْجَعْونَ» أي: يعودون، وَيُرْدُونَ إِلَى اللَّهِ سَبِيلَةً وَتَغْفِلُونَ؛ إِذ إنَّ الْكَلَّمَ سُوْف يَرَجُعُ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِنسَانُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ فِي حَيَاةِ وَمَمَاتِهِ، فَهُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَرَجُعُ إِلَى اللَّهِ، وَكَذَلَكَ فِي الدُّنْيَا أَمَرَهُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يُدْبِرُهُ.

مِن فَوَائِدِ الْآيَةِ الْكَرِيْمَةِ:

الْقَائِدَةُ الْأَوْلِيَّةُ: يُبَيِّنُنَّ هَالِقَ فِي رَعُونَ وَجَنُودُهُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مُسَتَّكِبِرُونَ عَنَّ الحَقِّ،
مَتَعَالُونَ عَلَيْهِ.

الْقَائِدَةُ الْثَانيَّةُ: أَنَّ مَنْ أَسْتَكِبَرْ عَنَّ الحَقِّ فِيهِ شَهِيْبُ مِنْ فَرْعَوْنَ وَجَنُودُهُ.

الْقَائِدَةُ الْثَالِثَةُ: وَجَوَابُ الرَّضْوَاحِ لِلِّحَقِّ، فَالْإِنسَانُ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ أَنَّ يَرِضَحُ لِلِّحَقِّ،
سَوَاءً وَاِفْقَ يَوْهَاً أَوْ حَالَفَهُ.

الْقَائِدَةُ الْرَابِعَةُ: أَنَّ المُسَتَّكِبِرَ لَيْسَ نَحْيُهُ حَقٍّ لِقَوْلِهِ: «يَيْجَعْ الْحَقِّ».

الْقَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّ هُؤُلَاءِ المُسَتَّكِبِرُونَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا مَنْ لَا يُظْنُّنَّ أَنَّهُ يَرَجُعُ إِلَيْ اللَّهِ؛ لَانَّ مَنْ مَتَنَّ آنَاً يَرَجُعُ إِلَيْ اللَّهِ لَيْسَ مُسَتَّكِبِرًا عَنْهُ، لَانَّهُ يُحَافُهُ مِنْهُ، لَكِنَّ مَنْ يُسَتَّكِبِرُ هُوَ مَنْ مَتَنَّ آنَاً يَرَجُعُ إِلَيْ اللَّهِ سَبِيلَةً وَتَغْفِلُونَ.

الْقَائِدَةُ الْسَادِسَةُ: إِبَاتُ الْبَحْثِ؛ لَانَّ قَوْلُهُ: نَظَرُّوا إِلَيْهِمْ إِلَيْسَا لَا يَرِجَعُونَ
إِبَاتُ الْظَنْ، فَيقْتَضِيَ أَنَّ الْرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ أَمَرُّ ثَابِتٍ.

(1) مِنْ طَيْبَةِ النَّشِرِ فِي الْقَرَاءَاتِ الْعَشُرِ، لَابِنِ الجَزِيرِيِّ، الْبَيِّنَاتُ (14، 10).
قال الله تعالى: <<فَأَخْذَتْكُهُ وَجُنُودُهُ، فَسَبِّئُوهُمَا فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرُ كَيْفَ سَكَّاتٌ عَنْيَبَةٌ الْفَلَّيْمِيَّةِ>> (القصص: 40).

قال المفسر رحمه الله: <<فَأَخْذَتْكُهُ وَجُنُودُهُ، فَسَبِّئُوهُمَا طَرْخَنَهُمَا فِي الْيَمِّ>>fatal الملاحي فَقَدْ رَقَّوْا فَأَنْظُرُ كَيْفَ سَكَّاتٌ عَنْيَبَةٌ الْفَلَّيْمِيَّةِ حين صاروا إلى الملك.

قوله تعالى: <<فَأَخْذَتْكُهُ وَجُنُودُهُ، فَأَخْذَتْكُهُ وَجُنُودُهُ، فَسَبِّئُوهُمَا فِي الْيَمِّ>>، مقابل الاستكبار دُرِّ الله تعالى عقوبتهم على وجه الاستهجان والتحمير.

قوله تعالى: <<فُسِبِّئُوهُمَا البَيْدُ هو الطُّرْح، أي: طرحناهم بغَرْوَة، والمطرح بغَرْوَة حِقَّرِيَّة، لأن العظيم لا تستطيع أن تَبْدَأْ نَبْدًا، فهو خطير عظيم، إنها يَبْدَأ نَبْدًا من كَانَ بَيْدًا قَرِيرًا، وَهَذَا قَالَ: فَأَخْذَتْكُهُ وَجُنُودُهُ، فَسَبِّئُوهُمَا الفَلَّيْمِيَّةِ>>، يعود عَلَى فَرْعُونِ وَالجَنُودِ، ولم يَغْنِه عن هؤلاء الجنود شيئاً لأن الله سبحانه وتعالى لا شَيْء يُقَابَله من قوة البشر.

قوله تعالى: <<فِي الْيَمِّ>>، قال المفسر رحمه الله: <<الْبَيْدُ المَلَاحِيَّ>> احتراراً من الأنهار؛ لأن الأنهار بحار، لكنها غير مالحة، قال الله تعالى: <<وَمَا يَسْتَوِي الْبَيْدُ عِدْبَ>>.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُجَبَّرِ عَلَيْهِ الْغَيْبِ،} [القرآن: 3:40]

وَقَالَ تَعَالَى: {مَّنَّى الْبَحْرِينَ بَيْنَيْنِ}.

الْمُحْمَرُ: 19. ۚ فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْأَهْجَرَ وَالْبَحْرَ المَالِحَةَ بَاحَارًا.

وَقَولُهُ: {الْبَحْرُ الْمَالِحُ} هَذَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَمْ يَجِدَ فِيهِ فَرَعُونُ وَجِنُودُهُ، لَمْ يَجِدُوا فِي بَنِي قَلْطِم، وَهُوَ الْبَحْرُ الأَحْمِرُ الَّذِي بَيْنَ جَنَّةٍ وَمَرْسَىٰ، هَذَا الَّذِي عَرَقَ فِيهِ فَرَعُونُ وَقُوَّمُهُ.

أَنْظِر إِلَى الْحِكْمَةِ فِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَاهُ تَعَالَى أَعْرَقَهُمْ إِغْرَاقًا فِي الْبَيْتِ لَوْ أَنَّ فَرَعُونَ كَانَ يُفْتَخِرْ بِأَنْهَارِهِ وَيُقْوَلُ لِقَوْمِهِ: {قَالَ يَتَمَّ يَلْسِيْنَ لِمَلْكٍ يَسَرُّ وَهِذَاهُ الْأَهْجَرُ طَيْبَىٰ، أَنْ أَنْفَقَ أَجْلِ مِنْ هَذَا الْلَّيْلِ} هَوَّاءً وَلَا يَكُدُّ بِيْنِيٌّ.

[الزُّخْرَف: 41-52] فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ مَلْكِ مَصْرِ. وَأَهْلَكَهُ بَيْنَ كَانَ يُفْتَخِرُ بِهِ مِنَ الْأَهْجَرِ.

وَقَولُهُ تَعَالَى: {قَانُوْنُ كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْقَلْدِيَّةِ}:

"قَانُوْنُ" الخَطَّابُ لِكُلِّ مَنْ يُصِحُّ تَوْجِيهُ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ، أي: فَانْظُرْ يَا مَنْ تَسْمَعُ هَذَا الَّذِي قَالَ وَيُوْجِهُ إِلَيْكَ.

وَالْمَرَادُ بِالْنِّظَرِ هَنَا نَظَرُ الْعَتِيْبَ، وَهُوَ الْنِّظَرُ بِالْقَلْبِ لَوْلَا الْعَقَابَةُ لَا تُنْظَرُ بِالْعَيْنِ،

الْلَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَسْأَرِ الإِسْتَبْلاَنَ فِي أَثَّارِهِمْ، فَقَدْ يُنْظَرُ بِعُيْنِهِ وَيُقَبِّلُهُ وَكَيْفَ هَنا لِلاسْتِفْهَامِ،

وَالْمَرَادُ بِالْتَّعْظِيمِ، يُنْفِحُ عَقِيبَةُ الْعَقَابَةِ، لَكَنْ لَا تَعَظِّمُ الرَّفَعَةَ، بَلْ تَعَظِّمُ العَقَابَةَ،

فَهُوَ نَفْحُمُ لَهَا، وَتَعَظِّمُ للْعَقَابَةِ الْوَحْيَةُ السَّيِّبَةُ لِلْغَيْبَةِ، وَهُوَ أَسْمَ اسْتِفْهَامٍ مَّبْنِيٌّ عَلَى

الْفَتْحِ مَتَعَلِّقُ بِخَيْرٍ مُقْدَمٍ وَجَوِيْبٌ لَّكَ."

وَقَولُهُ تَعَالَى: {عَقِيبَةُ الْقَلْدِيَّةِ}:

"عَقِيبَةُ" بِمَعْنَى عُقِيبٍ، وَهِيَ عَلَى صِيَٰحَةٍ

اِسْمُ الْفَاعِلِ، وَالْمَرَادُ الْعُقِيبِ، وَ{الْقَلْدِيَّةِ} هُمُ الَّذَينَ نَقَصَوا حُقُوقَ أَنْفَسِهِمْ،

وَحُقُوقَ رَبِّهِمْ لَوْلَا الْظَّلُومُ فِي الْأَصِلِّ النَّقْصِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كِبَارَ الْجَنَّاتِ مَاتُ أَلَّهَا وَلَمْ تَظْلَّلَ مِنْهَا شَيْئًا} [الكَهْف: 33]، أي: لَمْ تَنْقَصْ.
وقوله: <<القليليمات>> المراد بالثالوث هذا الكافرون؛ لأنه يشير إلى ما جرى لفزعهم وقوهم، وهم ظالمون ظلّم كفر؛ لأن الظلم ينقسم إلى قسمين: ظلم كفر وظلم معصية، وهو دون الكفر.


قوله تعالى: <<أنظر كيف كات عزم وظلمهم الظالمين>> في مصيرهم إلى الهلاك بأنفه الأموي، وهو الآلهة، وهذه من حكمة الله سبحانه و تعالى، أن يأخذ كل إنسان بذنه، كما قال الله تعالى: <<فعلا أحذن يذنيه>> [التكبير: 40]، أي: يئفضيه ذئبه من العقوبة.


وهلكوا، وانتهى الأمر، لكن هذًا أشد.
من فوائد الآية الكريمة:

القاعدة الأولى: أن الذنوب سبب للعقوبة.

القاعدة الثانية: بيان عظمة الله سبحانه وتعالى; حيث أخذ هؤلاء الكفار بما لم يمَّل من القوة، وبذلهم بناءً كأ يُبِيدُ الإنسان، فلم يُبال بهم، ولم يعجِزوا الله سبحانه وتعالى.

القاعدة الثالثة: حكمة الله سبحانه وتعالى; حيث كان إهلاك فرعون وقومه بالملأ الذي كان يفتشره بقوله: "تقوم أليس لي ملك يضمر ويهدي الأئمة ججري من تحتي" أُلِّفُ بالتصرُون (الزخرف: 51) فإن هذا الذي كان يفتشره كان محال هلاكه.

القاعدة الرابعة: أن فرعون قد هلك فيم هلك، وأن قوله سبحانه وتعالى: "لَا تَعْيُضُونَ قَدْ هَلَكَ فِي مَعْرُوفٍ " [يوسف: 92]، وليس معناه أنه حي باقي، وإنما الذي أُنجِي، وظهر للناس هو يدنن فقط ليكون من حلقي آية لأني بني إسرائيل -كما قال أهل العلم- قد أزعمتم فرعون، فلا لأنه خرج حتى شاهدوا بتدننه نشأوا في هلاكه، فإذا شاهدوا تيقنوا، وزال عنهم الشك، فذن هو هلك فيم هلك، لقوله تعالى: "فسنادتهم".

القاعدة الخامسة: أنه يُطلِب من المرء إما وجوها، أو استحبابًا، أن يتأمل في عاقبة الطالبين، لقوله: "فانظر كيف كأنما عنيبة الطالبين"، وأنه ينعي لنا أن نَّتعظ بعاقبة هؤلاء، فلا تظلم ولهم لأنه ما دام عاقبة الطالم هلاك، فإن الإنسان يخشى أن يَهلك إذا ظلم.

القاعدة السادسة: أن الطالم محروم؛ لأنه سبب في العقوبة، وما كان سببًا لعقوبة، فإنه محروم، وسواه كان الطالم للنفس، أو للغير؛ لأنه محروم بجميع أنواعه، قال الله
تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنّي خرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم خرجًا، فلا تظلموا" (1)

(1) أخرجه مسلم: كتاب الصر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (2577).
قال الله عزّ وجلّ: **وجعلناهم آيةً بِصُورٍ إلى الكفار ونُنَيِّمَ آيَاتِي لَن يُصُرُّوا** [(القصص: 4:1)].

قال المفسّر رحمه الله: [وجعلناهم] في الدنيا آيةً بِالحقيَّةِ لِتَحقيِقٍ لهم. وإِنَّ الْقُلُوبَ ثَلَاثَةٌ: يَا رَوْسَاءُ فِي الشَّرْكِ كِبَّارُهُمْ إِلَى النُّكَبَارِ يَدُعُّاهُمْ إِلَى الشَّرْكِ، وَوَقُومُ الْقِيَامَةِ لَا يُصُرُّوا بِدُفُّ العَذَابِ عَنْهُمْ.

أي: إنّ في كلمة آيةً قراءتين: الأولى الوردية بالضمّ، والثانية بالياء ببدل الهجاء هكذا *(أَيْةُ)*، والقراءتان سبعتان.

ثم قال: [روسا في الشرك]; لأن الإمام هو القائد الذي يتبع، فهو ذو أمر في الشرك، وليس رؤساء في الشرك فقط، بل رؤساء متوربين، فالإمام هو المتبع، والمعنى: أنهم كانوا قادة إلى الكفر والشرك. لكن المفسّر رحمه الله هنا يقول: [وجعلناهم في الدنيا آيةً]، وَلَو أنَّ أُخُرَ الدُّنْيَا لكان أحسن.

قوله تعالى: [وجعلناهم آيةً بِصُورٍ إلى النُّكَبَارِ] في الدنيا؛ لأن حقيقة الأمر أنهم إمامهم بالكفار كانت في الدنيا، فهم جعلوا في هذه الدنيا آيةً، يعني:

(1) شرح طبيعة النشر في القراءات العشر، للتويزي (١/٤٣٧).
متبوعين يُقتَدَّى بهم في الكفر، فكل من أتاى بعدهم، وكان كفره كبيرًا؛ فإنه مقتدٍ.

وقوله: ﴿كُنْتُمْ كَأَنْ تَمْعَرُوهُ بِالْقُولِ وَالْبَعْلِ﴾ بالقول و بالفعل جميعًا، فهم قبل أن يهلكوا يدعون بالقول وبالفعل، و بعد أن هلكوا يدعون بالفعل؛ لأن من اقتدى الناس بفعله فهم في الحقيقة قد دعاههم إلههم.

وهم هنالك لا يدعونهم بالقول: هيا ادخلوا النار، ولكن يدعون إلى العبادة المؤصل إليها، و هو الشرك والكفر، وبئس ما كانوا أثناه فيه، وهو الدعوة إلى الكفر بالله و تعالى و الرحمة والإشراك.

وقوله سبحانه و تعالى: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ لَا تُصْرُونَ﴾: ﴿وَمَا كُنْتُمْ لَا تُصْرُونَ﴾، يعني: وهم لا ينصرون يوم القيامة، هم في الدنيا أئمة متبوعون، لكن في الآخرة ﴿لَا تَصْرُون﴾، لا يستطيعون أن ينصروا لأنفسهم، فلا يمكن أن يكونوا أئمة يقتدَّى بهم.

وقوله: ﴿لَا تَصْرُون﴾ أي: ﴿لَا تَجِدُون﴾ نصرون من ينصرون يدفع العذاب عليهم، لا هم، ولا غيرهم، حتى غيرهم لا يمكن أن يدفع عليهم العذاب.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: حكمة الله سبحانه وتعالى في مثل زرعون وقومه؛ لأن إياهم حكمة، فإن الله قادر على أن يجعل الناس على الهدى، لكنه سبحانه وتعالى له الحكمة في أن يوجد مثل هؤلاء القوم الذين يدعون إلى النار.

الفائدة الثانية: حكمة الله تعالى فيما خلق من أمره، وأنه بلا مفر وفترة.
القائمة الثالثة: إثبات الإقامات في السر، فانظر إلى هؤلاء في آللفرض، والنظر إلى هؤلاء في بنى إسرائيل وجعلنا منهم أمة يهوديت يأمرون لمن صبروا وركوبوا يزيدون، {السورة: 24} ففرق بين من يقود الناس بأمر الله أو من يقودهم بشريعته وتبين من يدعون إلى النار.

القائمة الرابعة: أن الدعاء إلى النار وإلى الخير أيضًا، كأن يكون بالقول يكون بالفعل، وقد يكون ما هو بالقول أقوى، وقد يكون ما هو بالفعل أقوى، إنما على كل حال الدعاء بهذا وهذا ثابت، فإنه كان يدعو الناس بمقاله وباحله.

القائمة الخامسة: إثبات يوم القيامة في قوله سبحانه تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيُصَرَّفُونَ} وقد سمي يوم القيامة لأمور ثلاثة:

الأول: أن يقوم الناس فيه من قبورهم لرَب القلَّالين.

الثاني: أنه يقام فيه العدل كما قال تعالى: {وَيَتَصَدَّىٰ الدِّينَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُؤْمَنُ}.

الثالث: أنه يجتمع فيه الأشهاد {إِنَّا نَتَصَرَّحُ رُسلُنَا وَالذَّيْكَ أَتَمَّهَا في الدُّنْيَا} {الأنبياء: 51}. فلهذا سمي يوم القيامة.

الفائدة السادسة: بيان أن آل فرعون لا ناصر لهم في الآخرة، ومثلهم من كان على شاكلتهم من المستكبرين على الحق، فإنهم لا يتوجهون من ينصرونهم من عذاب الله إذا نزل بهم في ذلك اليوم.
قال الله عز وجل: «واتبعونهم في هذين الدينين لعنتك ويوم القيامة هم ملك الموتى المقربون» (القصص: 42).

قال الفُسّر رحمه الله: [وأتبعونهم في هذين الدينين لعنتك خزيب، ويوم القيامة هم ملك الموتى المقربون] المعددين.

قوله تعالى: «وأتبعونهم في هذين الدينين لعنتك الضمير يعود على فيعون وجنوده، أي: وجعلنا اللعنة تبعهم بعد إهلاكهم، واللعنة في الأصل: الطرد والإبعاد، وفسرها الفُسّر رحمه الله بلازماً، وهو الخزيب، أي: إن كل من ذكرهم بلغتهم وطوردهم، ويبتعد عنهم، ولكن لا منانة بين ما هذا وبين قوله في الآية السابقة: وجعلناهم آية كُتبْت إلى التكرار: لأن الذي يأتيهم به هوا الموافق هم على كفرهم، أما من لم يهم بهم فإنه يلقعهم.

واللعنة من الله، ومن غيره، قال الله سبحانه وتعالى: [أولئك بلعبلعهم الله ويلعبلعهم] (البقرة: 159)، فمن لعنة الله لعنة المؤمنون بالله، قال ابن مسعود في لسان الناموس والمنشئة، قال: ما لي لا أعلم من لعنة رسول الله ﷺ، وهُوَ في كِتَابِ الله» (1).

(1) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب المتنصصات، رقم (5939)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تجرير فعل الوصلة والمستوصلة، رقم (2125).
قوله تعالى: «وَوَيَومَ الْقِيَامَةِ هُمْ مَنْ تُرَكَّ الْمَقْبُوْجِينَ»: (وَوَيَومَ الْقِيَامَةِ) أيضًا ظرفٌ متعلق بمحذوف حالٍ من (هُمَّ)، يعني: وهُمٌ حال كونهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ من المقبوحين، أو متعلق به المقبوحين، ولكن (ال) اسم موصول، والاسم الموصول لا يَعْمَل ما بعده فيما قبله، فإِنَّما أُخَرِّجَ (ال) من المصدرية، أو ذَلِكَ عَلَى سَبِيل التوسّع؛ لأنَّهم يَتوسّعون في الجبار والمجرور والظرف ما لا يتوسّعون في غيروه.

وقوله تعالى: «هُمُ ۬يُرَكُّ الْمَقْبُوْجِينَ» الجملة اسمية، ذلالة على أنَّهم هُم في ذلك الوقت، لا يمكن أحد أن يستحسن ما فعلوه، أو يُقْرِبُوا، بل إنهم في ذلك الوقت بين المقبوحين المُبْكَرِين الذين يفضحُهُم كل مِن ذُكُورِهِم، فلا يمكن لأحد أن يَقْرِبُهم.

إذن: عوَّاقب هؤلاء الَّذين كانوا يَدْعُون إلى النار بثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإغراء بالماء، وأنْهُم إذا حَلَّ بهم العذاب يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فلن يجدوا من ينصَرُهم؛ لأنَّهُم قَالُوا: (وَوَيَومَ الْقِيَامَةِ لاَ يُصْرِرُوْتِ) َ َ َ

الأمر الثاني: العار الَّذِي جَعَلَهُم لَّعْنَاءَهُم، تلك اللعنة التي حَقْتَهُم إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لقوله: (وَآتَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ الْذَّنْبِ لَعْنَةً).

الأمر الثالث: أنَّهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَمْكُن أَبْدًا أن يكونوا من المحمدين المُقْرِين، بل هم من المقبوحين المطرودين المبعدين.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن عقيدة آل فرعون كانت متهدة إلى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالذكرى السَّيِّة لهم، لقوله تعالى: (وَأَتَبَعْنِهِمْ فِي هَذِهِ الْذَّنْبِ لَعْنَةً)؛ فإن كل من ذُكِرَ آل فرعون يذكَّرُهم بالشَّوَء، والبَغْضَة، والكَرَاهِية.
الفائدة الثانية: تحقير الدنيا; فإن قوله: «في هذا الدنيا» تقال للقرب، لِدُنُو مرتبتته، وأنها الدنيا، والدنيا مؤنث أدلى، وهي من الذُنُو الجَسَّي والمعنوي; أما الذُنُو الجَسَّي فليس بِهَا علَى الآخرة، فهي أدنى إلى المخلوقين من الآخرة، وأما الذُنُو المعنوي فليَّة تنضمُّه من النَّقص في جميع حالاتها، فإذا من كِنَّا في الدنيا إلا وَهُوَ نَاقص، والآن لو تأملت جميع الْمَضار والمُنافع الدنيا، تجد ما مُثْوِيَّة عالِمضر والمُحْتَرَ، حتى الزَّمان، كَيَا قَال الشَّاعِر (1):

في نَّوم عَلى نَّا وَيَوم لَنَا وَيَوم نُسَاء وَيَوم نُسَرُ

الفائدة الثالثة: أن الَلَّه تعالى عَلى هؤلاء الفُروْعَونين تَكوَن عَليهم في الآخرة; فلقوله: "يَوْمَ الْقَيِّمَة هُم مُثْوِيّ بَيْنَ الْمُتُبَوْجِين"، لأن المَفْهُوم معناه المُبَعَد، والْعَن: هو الْطُرُد والإبِعاد.

(1) البيت للنمر بن نولب، كـآ في زهر الأكم، لنور الدين اليوسي (3/135).
قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ عَلَّمُونَا مُوسى السَّمَاتَ مِنْ بَعْدِ مَا أُهِلْكَنَا
الْفُرُوقَ»، وَالْأُولَى بِصَعْبَى للنَّاسِ وَهُدَا يَوْمِهِمْ أَلَّمْ يَنْظُرُونَ {الفصح:42}.»

قال المفسر رحمه الله: {وَلَقَدْ عَلَّمُونَا مُوسى السَّمَاتَ النُّورَةَ}.

قال المفسر رحمه الله في قوله تعالى: {السَّمَاتَ}، وهي كتاب
بمعنى: مكتوب، والجملة مؤكدة بثلاثة مؤكّدات، وهي الاسم واللام الواقعة في
حُرَابه، وقد.

وهنا قد يقول قائل: لما تؤكد بهذه المؤكّدات الثلاثة مع أنها ليست مخاطبة
لمنكر لها؟

وإجواب: هو آننا سبق أن قلنا: إن التأكيد ليس سببه إنكار المخاطبة فقط، بل
قد يكون سببه أهمية المخبر عنه، فيُؤكّد بالاسم وباللام وقَد، وغيرها من المؤكّدات.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن إثبات النوراء كان بعد إهلاك الأمم السابقة، ومنهم فرعون،
واستنباط منها بعض العلائم من قوله تعالى: {فَمَنْ بَعْدَ مَا أُهِلْكَنا الْقُرُوبُ}،
أنه لم تهلك أمة على العموم بعد نزول النوراء؛ لأنَّه قَال تعالى: {فَمَنْ بَعْدَ مَا أُهِلْكَنا}
الشريعة، وكأنه بعد نزول التوراة ما أهللك أحد من القرآن، وهذا الاستنباط ليس بعدي؛ لأن الواقع يصدقه.

الفائدة الثانية: أن الكتب النازلة من السعياء أنها أثرى للناس يبتعدون بها، لقوله: فيسائرون للناس.

الفائدة الثالثة: أن التمسك بشراكات الله تكون به الرحمه، لقوله تعالى: وحدهم ورحمة.

الفائدة الرابعة: أن الكتب النازلة من السعياء هي التي بها الهدى من الضلال، لقوله: وهدى.

الفائدة الخامسة: أن الحكمة من إنزال هذه الكتب تذكر الناس بما فيها من المواعظ؛ لقوله: علمهم يتذكرون.

الفائدة السادسة: إثبات الحكمة في أعمال الله سبحانه وتعالى، وكذلك في شرائعه، لأن أفعاله معناها: التثليث، والذي أنكر الحكم فيهم الجمعية، حيث يقولون: إن الله تعالى ليس له حكمة فيما يفعل وما يشاء، وإنها هو لمجرد مشيئة.

قوله تعالى: آتينا، بمعنى: أعطينا.

واعلم أنه إيتاء الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين: إيتاء شريعي: وهو ما تعلق بالشرع، قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُونَ رَضِوا مَا آتَيْهِمُ الله ورسوله، قال تعالى في القرآن: ههذى إيتاءُ شريعي، والمراد به: الصدقات. وإيتاء قدري: وهو ما تعلق بالكون والخلق، قال سبحانه وتعالى: آتينا موسى...
لا يُشِيرُهُ؛ فَأَصْلُ الِإِنْزَالُ قَدَّرَهُ يُتَعلَقُ بِمَشِيَّتَهُ اللَّهُ وَقَدْرُهُ، لِكَنَّ العَمَلُ بِهِ شَرِيعٌ.

وَقُولُهُ مَعَالِي: "يَا أَيُّهَا مُوسَى مَعَكَ الْمَوْقِفُ. "مَوْقِفُ أوَّلٌ لِيْدَ أَيَّانًا،" وَ"الْمَوْقِفُ" مَعَالِي ثَانِي، وَهُوَ مِنْ بَابِ (كُنَّا)؛ فَكَلَّمُ مَعَالِي لَنَا يَسْتَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا بِمِثْلِهِ كَأَنَّهَا مِنْ بَابِ (كُنَّا)، وَمَا ضَحَّ أَنْ يَكُونَا مِثْلًا وَخَالِيًا، فَهُمَا مِنْ بَابِ (فَنَّ)، وَقُولُهُ: "الْمَوْقِفُ" يَقُولُ الْبُسَّارُ رَحْمَةُ اللَّهِ: [الْتُوْرَاةَ]، وَهُوَ فِعْلُ بِمِنْعِهِ مَعَالِي: مَعَالِي لَنَّهُ الْتُوْرَاةَ مَكْتُوبَةُ، كَتَبَهُ اللهُ مَعَالِي فِي أَلْوَاحٍ وَأَطْرَافِهَا مَوْسِي.

وَقُولُهُ مَعَالِي: "فِيْنَ بَعْدَ مَا أَهْلَكَنَا الْفُرُورُيَّةَ الْأَوْلِيَةِ" مَعَالِي بِ"يَا أَيُّهَا مُوسَى، أيّ: أَعْطِنَآ إِيَّاهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْفُرُورُيَّةَ الْأَوْلِيَةِ، وَالْفُرُورُيَّةَ جُعْلُ قَرُونَ، وَالْمَوْقِفُ بِهِمْ الأَمْمٌ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْفُرُورُيَّةَ مِنْ الزَّمَنِ، وَمْقَدَرُها مَيْتَةُ سَنَةٍ، فَالْفُرُورُيَّةَ نَارَةُ يُرَادُ بِهَا الأَمْمٌ، وَنَارَةُ يُرَادُ بِهَا أَحَقَّابُ الزَّمَنِ، وَهَذَا الْمَوْقِفُ الأَوْلِيَةُ الأَوْلِيَةُ الْأَمْمُ؛ لَّكِنَّ أَحَقَّابُ الزَّمَنِ لَا يُبَلِّكُ ذَلِكَ، الَّذِي "يُبَلِّكُ" الَّذِي الْأَمْمُ.

وَقُولُهُ مَعَالِي: "أَلْفُوْرُيَّةَ الْأَوْلِيَةِ" قَالَ الْمَوْقِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ: [قُوَّمُ نَوحٍ وَعَادٍ وَمُكْنُودُ وَغَيْرُهُمْ]، هُوَ الْبُسَّارُ مِنْ الْفُرُورُيَّةَ الْأَوْلِيَةِ، وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ مَعَالِي: "فِيْنَ بَعْدَ مَا أَهْلَكَنَا الْفُرُورُيَّةَ الْأَوْلِيَةِ"، إِشْرَافًا إِلَى أَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي نُزَّلَ عَلَى مَوْسِيٍّ لَّجِئْنَا مَعَالِي لَنَّا مَوْسِيٍّ وَتَطَأُّلَ الْزَّمَنُ فَأَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَى رَسْلِ اللَّهِ مَعَالِيٍّ، فَأُرُسِّلَ اللَّهُ مَعَالِيٍّ بِهِذَا الْكِتَابِ، الَّذِي هُوَ الْتُوْرَاةَ.

وَقَيلِ: إِنَّ الْفُرُورُيَّةَ الْأَوْلِيَةُ تَشْمِلُ حَتَّى آلَ فَرْعَوْنٍ، لَّكِنَّ الْتُوْرَاةَ مَا نَزَّلَتْ عَلَى مَوْسِيٍّ إِلَّا وَفْرَعَوْنُ، وَقَوْمُهُ، وَأَنَّهُ يَشْمِلُ حَتَّى هُؤُلَاءِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْعَالَمِاءَ اسْتَبْتِبَ مِنْهُ أَنَّهُ مَتَّاعُ أَمْهُ بَعْدَ نُزُولِ الْتُوْرَاةِ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ فَوَائِدِ
قوله تعالى: "فَمَعَدَّ مَا أُهْلِكْنَا الْقُرُونَ الْأَوَّلَةَ"; لَانَ إِهْلَالَ الْأَمْمِ السَّابِقَةِ مَقْيَ وَانقُسَى، وَلَا إِهْلَالٌ بَعْدَ نُزُولِ الْتَوْرَةِ.

والحقيقة أنَّ مَنْ تَأَمَّلُ التَّارِيخَ وَجِدَ أَنَّهُ لمْ يَتَّلِكَ أُمَّةٌ بَعْدَ نُزُولِ الْتَوْرَةِ، ما هَلَكَتْ أُمَّةً، لَكِنْ هَلْ قَوْلُهُ تَعَا: "فَمَعَدَّ مَا أُهْلِكْنَا الْقُرُونَ الْأَوَّلَةَ" يَشِيرُ إِلَى هَذَا؟ هَذَا هُوَ مَعْلُ الْنَظَرِ وَالْمَنَاشِشَةِ.

قَوْلُهُ تَعَا: "بِصَائِرَةِ النَّاسِ" حَالُ مِن قَوْلِهِ تَعَا: "الْكِتَابِ"، وَالْبَصَائِرَ: جُعْلُ بِصَائِرَةٍ، وَهِيَ نُورُ الْقُلْبِ، كَأَنَّ بَصَرَ وَأَبْصَارُ نُورُ الْعَيْنِ، فَنُورُ الْقُلْبِ يَسْمَى بِصَائِرَةٍ وَبَصَائِرَ، وُنُورُ الْعَيْنِ يَسْمَى بَصَرًا وَأَبْصَارًا، قَالَ تَعَا: "فَمَا أَغْفِي عَنْهُمْ سَمْتُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ" [الَّاحَفَفُ: 26].

وَقَوْلُهُ "الْقَبْسُ" (ال) هَنَا لِلْعِهْدِ الْذَّهِنِيِّ، وَلَيْسَ لِلْعُمُومِ؛ لَانَ الْتَوْرَةَ لَمْ تَنْزَلَ إِلَّا لَوْمَةَ مُوسَى فَخْطً، كَأَنَّ الْبَيْتِ "وَكَانَ النَّبِيُّ تَبَعَّثُ إِلَى قُوَّمِهِ خَاصَّةً وَبَيْعَتْ إِلَى النَّاسِ عَالِمًا" (1).

وَقَوْلُهُ "الْقَبْسُ" يَخْرُجُ الجَنِّ مِنْ حِيْثَ التَّكْلِيفُ وَالإِلزَامُ؛ لَاتَّهَا مَا يَكْلِفُ أَحَدٌ بِرَسَالَةٍ أَحَدٌ مِنِ الرُّسُلِ مِنَ الجَنِّ، لِكَيْ مِنْ حِيْثَ الْعَمَلُ يُمِكَّنَ أَنْ يَسْتَبْصِرُ بِهَا الجَنِّ، كَأَنَّهُمْ قُولُهُ: "يَقْنَعُنَا إِنَّا سَيْعُمُّوْكَ صَبْحًا أَنْزُلَ مِنْ بَعْضٍ مَوْعِقًا مُصْدِقًا لَّمَا بِنَّ يَدْنُوْهُ" يَهْدِي إِلَى الْحَكِيمِ وَإِلَى طَيِّبِ مَسْقِيْمِ" [الَّاحَفَفُ: 30]، فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا قد اتَّفَعَلَ بِهَا أَنْزُلَ عَلَى مُوسَى كَأَنْ تَفَعَّلَ بِالْقُرْآنِ.

قَالَ الْمُفسِرُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ "جُعْلُ بِصَائِرَةٍ وَهُوَ نُورُ الْقُلْبِ، أَيْ: أنْوَارٌ لِلْقُلْبِ".

(1) أَخْرِجَهُ الْبَخَارِيُّ: كَتَابُ الْبَيْتِ، رَمْحُ (٣٥٣)، وَمُسْلِمُ: كَتَابُ الْمَسْجِدِ وَمَوَاطِنِ الْصَّلَاةِ، بَابُ جَعْلِهِ فِي الْأَرْضِ مُسْجِدًا وَظُهُورًا، رَمْحُ (٥٢١).
وهكذا جميع الكتب التي ينزلها الله عزّ وجلّ تكون أوراقاً للقلوب، ويكون بها الاهتداء، ومثّلَ قَالُ:["وَهُدَىٰ" مُنّ الضَّلَالَةِ لِنُعْمَلْ بِهِ].

قول المفسر رحمه الله: [لم نعمل به] تفسير غير وظيفي، والأول إيقاء الآية على ظاهرها، وهو أن التوراة هدئ، لكون هذا الهدى لا ينتفع به إلا من وفق، فهي هدى من الضلاة بلا شك، ولن لا ينتفع بها، ويهدفي بها كل أحد، كي قَالَ الله تعالى في القرآن: "هَدَىٰ لِتَسَاسَ وَبِيَانِيٰ مِنَ الْهَدْيَاتِ وَالْفَرْقَانِ" (البقرة: 185)، وقال تعالى: "هَدِينَا هَدَايَ" (البقرة: 22)، ففي الأول هدئ دلالة، وفي الثاني هدى توافقي التوراة، إذًا قلنا: هدى، فمن عمل به، فيدنوا الآية هدى التوفيق، مع أنها مطلقة، وهذا أولى أن نقول: هدى من الضلاة في كل أمر كي قال: "بصَكَّارِيٰ للناسٍ"، نقول: وهدى أيضًا للناس، ولكن الهدى الذي بمعنى الدلالة عام، والهدى الذي بمعنى الاهتداء، يعني: يهدي بها الإنسان، هذا من وفق الله.

قوله تعالى: "وَهُدِّيٰ وَرَحْمَةٌ" قَالَ المفسر رحمه الله: [لم آمن به]، فالمقام يقضي التصديق أنه رحمة، لكون لا لكل أحد، إلا أن يقال: رحمة، أي: وسيلة للرحمة، فإذا قلنا: إن قوله: "وَرَحْمَةٌ" أي: وسيلة صار عاماً، نقول: هدى باعتبار العلم، ورحمة باعتبار العمل؛ لأن من عمل به فهو مرحوم، وأما هدى، فهو باعتبار العلم، كي قَالَ الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أُرَسِّلَ رَسُولٌ لِلْبَشَرْ وَيَدَّرِجُ الْحَقَّ" (النور: 33)، الهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح.

قوله تعالى: "لِمَّا يَتَبَكَّرُونَ" (لعل) هنا معناها: التعليل، أما عملها فهي
قال المفسرون رحمه الله تعالى: "يتغطون بما فيه من الوعظ"، يعني: بما في الكتاب الذي هو التوراة من المواعظ "علّمهم يتذكرون"، والضمير في كلمة "يتذكرون" يعود على ممن أنزلت عليهم التوراة، وهم بنو إسرائيل.
قال الله عَزَّ وَجَلَّ: "وَمَا كَتَبْ يَحْيَى الْقُرْآنِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمَرَ وَمَا كَتَبْ مِنْ آَخَرِ الْمُسْتَقَرَّاتِ" [القصص: 44].

قال المفسر رجاء الله: [وَمَا كَتَبْ يَحْيَى الْقُرْآنِ] بإضافة يُحْيَى بالقمصان أو السوار، أو المكان، (القَرْنِيَّ) من موسى حين النَّاجة (ذِي قَضَيْنَا) أو حنيفا (إِلَى مُوسَى الْأَمَرَ) بالرسالية إلى فرعون وقومه [وَمَا كَتَبْ مِنْ آَخَرِ الْمُسْتَقَرَّاتِ] لذاك تعليمة قلبه به.

قله تعالى: (يَحْيَى) بمعنى: جهة، فجانب الشيء: جهته أو طرفه، وقوله تعالى: (القَرْنِيَّ) صفة موصوف، وهو كأ قال المفسر رجاء الله: (القلبي، أو الوادي، أو المكان)، (أو) هنا ليست للتخصير، ولكنها للتمييز؛ لأن بعضهم يقول: المراد به الجبل، وبعضهم يقول: المُرَادِ بِهِ الْوَادي، وبعضهم يقول: المُرَادِ بِهِ المكان، وكلمة المكان أهم؛ لأنها تشمل أن يكون وادياً أو جبلًا.

وَمُوسَى نُودِي مَنْ جَانِبِ الطَّوْرِ وَهُوَ فِي الْوَادِي المُقَدَّسِ.

وقوله تعالى: (يَحْيَى الْقُرْآنِ) معناه: بالجانب الغربي من الجبل، ف يكون من باب إضافة الموصوف إلى صفته، كما يقال: مسجد الجامع، أي: المسجد الجامع.

وَعَلِيَّ هذا التَّقْدِير الأخر يكون المَرَادِ الغربي من الجانب نفسه، أمَّا على رأي المفسر رجاء الله، فهُوَ يَقُول: (يَحْيَى الْقُرْآنِ) بجانب المكان الغربي من موسى، وهو
يُكَلِّمُ اللهَ، فإِذَا كَانَ مُوسى وَجَهَّهَهُ إِلَى الْسَيَاءِ، وَالجَانَّبُ الْعَرَبِيُّ مِنْهُ عُرَفَ الْغَربُ، وَإِذَا كَانَ وَجَهَّهُ إِلَى الْشَرْقِ، فَالجَانَّبُ الْعَرَبِيُّ مِنْهُ يُقْوَى وَرَاهَهُ؛ لَكَانَ الْمُتَّجَهُ إِلَى الْشَرْقِ يُقْوَى الْجَانَّبُ الْعَرَبِيُّ مِنْهُ خَلَفَهُ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أن نُعْرِفُ: هَلَّ كَانَ مُوسى بِجَانِبِ الْجَبِّلِ مِنْ الْغَربِ، أَوْ مِنْ الشَّمَالِ؟

المهم: أنَّك ما كنت بذلك الجانِب حين المناجاة.

قَالَ الْمُقْسِمُ رَجُلِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَوْحِيَ ﴿: أَوْحِيَ ﴿مَرْتِينَ﴾}

بِالرَّسُولِ إِلَى فِرْعُوْنَ وَقُوْمِهِ[.

عَلَى قَوْلِ الْمُقْسِمِ رَجُلِ اللَّهِ: ﴿وَأَوْحِيَ ﴿: أَوْحِيَ ﴿مَرْتِينَ﴾}

الْأَمْرِ بِالرَّسُولِ[، وَلَكِنَّ الْقَضَاءِ هَنَا قَدْ بَدَأَ كُونُهُ، لَكَانَ يُتَّقَلَّبُ بِالْمُشْتَهِيَّةِ، فَإِنَّ كَانَ الْأَمْرُ هَنَا وَاحِدَ الْأَوَّلِ، فَالْقَضَاءُ شَرِيعٌ، وَإِنَّ كَانَ وَاحِدُ الْأَمْوَرِ، أَيِّ: قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْشَّأْنُ العظِيمُ، وَهُوَ الرَّسُولُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿وَكَذَّبَ أُوْحِيَ إِلَيْهِ رُوحًا مِّنَ آنِيَّا﴾ ﴿الشُّورَى: 52﴾، فَهَذَا الْأَمْرُ وَاحِدُ الْأَمْوَرِ، فِي كُونِ الْقَضَاءِ كُونِيٌّ.

وَالْقَضَاءُ يُنقَسِمُ إِلَى قَبْسِمَانِ: قَضَاءُ كُوْنِي، وَقَضَاءُ شَرِيعِي، فَالْقَضَاءُ الكُوْنِي لا بَدَّ فِيهِ مِنْ وُجُودِ الْمُقْضِيِّ، وَالْقَضَاءُ الشَّرِيعِي قد يُوْجَد، وَقَدْ لَا يُوْجَد.

وَالْقَضَاءُ الكُوْنِي يُكُونُ مَحِبُّبًا إِلَى اللَّهِ، وَيُكُونُ مَكْرُوٍّ إِلَيْهِ، وَالْقَضَاءُ الشَّرِيعِي.

لا يَكُونُ إِلَّا مَحِبُّبًا إِلَيْهِ؛ لَكَانَ بَعْنِي الْأَمْرِ.

فَمَثَّلًا قُوْلُهُ ﴿وَأَوْحِيَ ﴿: أَوْحِيَ ﴿مَرْتِينَ﴾}

فِي الْكِتَابِ لَنْ يُقِسَدْ فِي الأَرْضِ مُرْتِينَ وَلَنْ يُقِسَدْ عَلَى سَحَابٍ إِلَّا إِلَى إِيَّاهُ﴾ ﴿الإِسْرَأَىٰ: 4﴾، هَذَا قَضَاءُ كُوْنِيٌّ، يَكْرُهُهُ اللَّهُ.

وَقَالَ ﴿وَأَوْحِيَ ﴿: أَوْحِيَ ﴿مَرْتِينَ﴾}

إِلَّا إِلَى إِيَّاهُ﴾ ﴿الإِسْرَأَىٰ: 23﴾، فَهَذَا قَضَاءُ شَرِيعِيٌّ.
لأنه لو كان قضاءً كونيًا للزم أن الناس كلهم يعبدون الله، وليس الأمر كذلك.
وقوله تعالى: "قضيتنا لا يمكن إلا في أمر وقع، فسألت الله قضاً عليه"، تعالى لأبي بكر أن يسلِّم، فهذا قضاء قدرية شرعية، لأنه أمره بالإيمان، فاتم، ونقول: قضى الله لأبي هبّ أن يكفر، هذى قضاءً كوني.
قوله تعالى: "وما كنت من الشهيدين قال المفسر أحمد الله: [لذلِكُ فتعلِمُهُ]
فُتحِيَهُ.
قوله تعالى: "وما كنت يجابينُ اللطور"، وقوله: "وما كنت من الشهيدين" ليس فيها تكرار؛ لأن من كان في الجانب قد يرى، وقد لا يرى، ولهذا قال: "وما كنت من الشهيدين".
فإذا قال قائل: لماذا لم يقتصر على قوله: "وما كنت من الشهيدين"؟
قلنا: لأن الإنسان قد يشاهد من بعد، ولكن قليل، فهنا تضمن أنه قريب وأنه شاهد، ففرق بين أن تقول: ما كنت شاهداً، أي: ما كنت حاضراً مشاهداً يعينك، ولو كنت بعيداً، وهذا ليس في الآية الكريمة تكرار، ولكن فيها شيء من التوكرة، يعني: لا حصر، ولا نظير، فيكون ما أخبره عن ذلك من باب الوحي، لا من باب المشاهدة، ولا من باب السباع، ولكنه وحي أوجي إليه.
من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: تقرر رسالة النبي، وذلك بها أخبر به عن هذه الوقائع التي ليس حاضرا فيها، ولا شاهد.
الفائدة الثانية: أن الوحي يسمى قضاء، لقوله: "إذ فضيتكم إلى نوسى الأسر".
الفائدة الثالثة: أن النّوحي ذو شأنٍ عظيم؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أُمر بـ(ال) الدالة على العظيمة والكباش، ولا ريب أن أعظم الأمور ما جاءت به الرسول ﷺ من وحي الله سبحانه وتعالى؛ لما فيه من مصلحة البلاد والعباد.

الفائدة الرابعة: أن الإنسان لا يقبل خبره إلا إذا كان حاضرًا يسمع، أو شاهد يرى؛ لقوله: "وما كنت تسمعت"، وقوله أيضاً: "وما كنت من الشهيدين"، فإن الذي يمكن أن يُحبّر هو من حضر فسمع، أو من قرب شاهد، أما الإنسان يُحبّر دون شهادة، أو دون شهود، أو حضور؛ فإنه لا يقبل خبره، وهذَا أمر معلوم عن الشرع من جهة أخرى، ومن آيات أخرى، وأدلة أخرى، أن الإنسان لا يشهد إلا بما علم برؤية، أو سمع، أو غيرهما من أسباب العلم.
قال الله عز وجل: "وَلَكِنَا أَنْشَأْنَا فَرْوَأً فَنْظَأَلْ عَلَيْهِمُ الْعُمَرُ وَمَا سَكَتَتِ]<br>
تاویبًا فی أَهۡلِ مَدۡیۡنَةٍ تَنْثَى عَلَیۡهِمْ ذِی ۬یَنِیۡا وَلَكِنَا صَحِیۡحًا مُرسِلِیۡتِ ۖ [القصص:45].<br>

قال المفسر رحمه الله: [وَلَكِنَا أَنْشَأْنَا فَرْوَأً أَمۡا مِنْ بَعۡدِ مُوسِیٰ فَنْظَأَلۡ عَلَیۡمُ الْعُمَرُ طَالِتْ أَعۡیَارُهُم فَسۡنُ سۡوَا الْعُهۡوَد وَانۡدِرَسَتِ الْعُلُوۡمۡ وَالْقَطِعُ الۡوَحِیۡ فَصَعِبَت ۖ فِیۡكَ رَسُوۡلُ اللّهِ وَأَوۡحِیۡتۡا إِلَیکَ خَبۡرَ مُوسِیٰ وَغَیۡرِهِ وَۡمَآ صَكَتۡ تَاویبًا مُقۡبِیۡا فِیۡ أَهۡلِ مَدۡیۡنَةٍ تَنْثَی عَلَیۡهِم ذِی ۬یَنِیۡا حَبَّ قُدَّان ۖ فَتُغَفَّرۡ فِیۡ قَصَبِهِمۡ فُتُحُرُتۡ بِهَا وَلَكِنَا صَحِیۡحًا مُرسِلِیۡتِ ۖ کِلَ وَالّیَکَ بِأَخۡبَارِ الۡمُقَدِّمَینَ<br>
قوله تعالى: "آَنْشَأۡنَا" أي: وَأَوۡحَدۡنا وَخَلَقۡنَا أُمَّاۡ<br>
وَقۡوۡلهۡ ۖ تَبَارَکَۡنَا لَهُمۡ ۖ فَنْظَأَلۡ عَلَیۡمُ الْعُمَرُ" أي: زاد في الطول، والبناء والألف لالمبالة، وَقۡوۡلهۡ تَعَالَیۡ: "الۡعُمَرُ": الرَّمَّم؛ لأن الأعيار هي الأزمان، قال: أي طال<br>
أَعۡیَارُهُم فَسۡنُ سۡوَا الْعُهۡوَد وَانۡدِرَسَتِ الْعُلُوۡمۡ وَالْقَطِعُ الۡوَحِیۡ فَجِئَتۡ بِکَ رَسُوۡلُ<br>
وَأَوۡحِیۡتۡا إِلَیکَ خَبَرۡ مُوسِیٰ وَغَیۡرِهِ<br>
قوله تعالى: "وَلَكِنَا أَنْشَأۡنَا" الاستدلال هنا لا يقتضي إبطال ما سبق،<br>
فليس المعنى: وما كنت من الشاهدين، ولكننا أنشأنا قرونًا فشهدت، ولكن هذا<br>
من الاستدلال لتقرر ما يعني، والمعنى: أن العهد طالت، وأنت لستشاهد،
ولا بحاضرٍ، وما طالت العهود صار الناس يَجتَازون إلى الرسالة، فأوحينا إليك بها جرى، وأرسلناك إلى الناس.

قوله تعالى: "وما سَكُنْتَ تَأوِيناً أي: مقيًا.

وقوله تعالى: "فَأَهْلٌ مَّدِينَةٌ" المراد بأهل مدائن القوم الذين أتى إليهم موسي عليه السلام، وجرى معه ما ذكر من استبجاري وتزويجه، وسبيره بأيده، ولم يكن الرسول مقيًا في أهل مدائن حتى يقترب عيا حصل منه، وإنها جاء به عن طريق الوحي.

وقوله تعالى: "فَأَهْلٌ مَّدِينَةٌ تَنْتُلُوا عَلَيْهِمْ إِيَّتَنَا" خبر ثاني، والخبر الأول جملة "تنعلوا عليهم إيتنا" يعني: وما كنت تنل عليهم آياتنا فتعرف قصتهم فتخير بها، والضمير في قوله: "عَلَيْهِمْ" ظاهر كلام المفسر رحمه الله، وهو أيضاً ظاهر سياق الآية أنه يعود إلى أهل مدائن، تنعلوا عليهم إيتنا فتعرف قصتهم وتخير بها.

وقال بعض المشيرين: إن الضمير يعود على قريش أي: ما كنت تأويًا في أهل مدائن، فننل عليهم القصة التي قصتها بآياتنا.

وهذا أقرب إلى المعنى، وإن كان الأول أقرب إلى اللفظ، لأن الضمير يعود على أقرب مذكور، لكنه لا يعود على أهل مدينين إلا يُعْتَصِف شديد، فالصواب أنه يعود على قريش، يعني: ما كنت تأويًا في أهل مدينين فننل عليهم القصة التي جاءت في آياتنا.

إذن: فأتنت رسلوا لأنك أتيت بما لم تكون شاهدًا فيه، وعقيلًا قال: "فلكنَا حُسْنًا مُرسَلِينَ" لك وإليك بأخبار المقدمين، "فلكنَا حُسْنًا مُرسَلِينَ."

٢١٦
مارسلين لك إلى الناس، وإليك بالوحي، فاترسل عليه السلام مرسل للناس، واترسل إليه.

وقوله تعالى: {ولكنا علما مرسلاً}، كان: فعل ماضي، وهي مسلوبة الزمان، والمقصود بها اتصاف أسيها بخبرها، ونلاحظ استخدام الجمع في الكلمات الثلاثة مع أن الله واحد، ولكن الصميم (نا) يستخدم للدلالة على الجمع، ويستخدم في حق الفرد للدلالة على التعظيم، وهنا في حق الله يُستخدم للتعظيم.

وقوله تعالى: {ولكنا حسبنا مرسلاً}، ولم يُقل: ولكن أرسلناه، كما قال في الآية التي قبلها: {ولكننا أنشأنا قُرُوناً}؛ لأن الرسالة ما زالت في الحقق منذ اختلفوا إلى آخر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن مضت قرون، إما عشرة، أو أقل، أو أكثر.

قال الله تعالى: {كان الناس أمةً وحدةً عبّدت الله الربين متشابهين ومذدرين ونزل معهم الكتب بإلزامي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} [البقرة: 213]، فتقول الآية {كان الناس أمةً وحدة} فاختلطفوا فأنزل الله الرسالات.

والقاليد من ذكر أخبار المتقدمين للرسول ﷺ ليُلزمه علينا هي التقرير بأنه نبي؛ لأنه ما كأن ينزل من قلبه من كتاب، ولا يُخطه بببينه، إذن يكون ما أخبر به عمّ بن سبق من باب الوحي المجرد.
قال الله تعالى: "وما كنت بجانب الظاهر إلا ناديتاً ولتكن رحمة من ربي لئنتصدروا قوماً ما أنسلهم من نذيرين من قلبيكم لعلهم يندكروون" [القصص: 42].

قال المفسر رحمه الله: "وما كنت بجانب الظاهر" الجليل، جين ناديتا" موسى: أن خذ الكتاب بقوة ولكن أرسلناك رحمة من ربي لئنتصدروا قوماً ما أنسلهم من نذيرين من قلبيكم لعلهم يندكروون يعطون.

قوله تعالى: "وما كنت بجانب الظاهر"، هذا خبر آخر غير الخبر الأول الذي فيه ابتداء الوحي؛ لأن الله تعالى بعدما أهلك القرى الأولى وعده موسى ثلاثين ليلة، وآمنها بعشر، واختار من اختار من قومه، ثم ذهب إلى الله سبحانه وتعالى لمناجاته، وإنزال النوره عليه، يقول الله تعالى: "وما كنت بجانب الظاهر"، "بجاني" أي: جهة الظاهر، أو قرب الظاهر، والظاهر هو الجبل المعروف في سيناء، "إذ" حين، أفاد المفسر رحمه الله بأن "إذ" هنا ليست تعبيرية، ولكنها ظرفية، وهي ظرف لا مضمى من الزمان، وإذا) ظرف لما يقبل، وإذن ظرف للمحاضر، وهنا استكملت الظروف الثلاثة.

قوله تعالى: "إذ ناديتا" موسى أن خذ الكتاب بقوة، هذا وهم من المفسر رحمه الله؛ لأن الله تعالى قال لبني إسرائيل: "خذوا ما طاعينك بقوة" [البقرة: 62]، ودعنا نتأمل بعد في قوله تعالى: "وكتبنا الله في الألوان من كتبٍ موجهة".
وَبُعِيْثَةً لِّكَلِّ يَوْمٍ قُدِّشْتِهَا وَأَمَرْتَ قَوْمِكَ يَأْتِواْ بِآيَاتِنَا [الإعراف٥٤٤]، إِذْ قُولُهُ:

الْقُسَّمُ رَحْمَةً اللهُ: [أَنَّ خَذِئْ الكِتَابَ يَقُولُواْ] بِمَعْنِي أَنَّهُ بِهَا، وَإِلَّا فَاللَّهُ يُقُولُ: {فَحَدِّثُواْ} أي:

الأَلْوَاحِ الَّتِي فِيهَا النُّورَةُ {قُوْهُ}، يُقُولُ: إِذْنَ، أَمَّرَ مُوسَى أَن يَأْخُذِ الأَلْوَاحِ بِقُوْهُ.

قُولُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً مِّن نِّيَكَ}، اعْتَدَنا أَنْ قُولُهُ تَعَالَى:

رَحْمَةٌ مَّفَاعِلٌ لِّأُجْلِه عَامِلَهُ مَعْذَوْفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَرْسَلْنَا رَحْمَةً، وَقُولُهُ تَعَالَى:

رَحْمَةٌ لِّيُرَحِّمَ اللهُ بِهَا، فَالرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ سَيِّئَبَانِيَّةً وَسَالَانِيَّةً، وَأَرْسَلَ اللهُ رَحْمَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيةٍ أُخْرَى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالِمِينَ} [الإسْبَاط١٠]، وَلَيْسَ المَعْنِي: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا حَالَ كُونَكَ رَحْمَةً، لَكَنْ: إِلَّا مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، فِي النَّعْمَى فِي نَفْرٍ.

قُولُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ رَحْمَتَهُ مِنْ نَيَّكَ} أَضَافِ الرُّبْوَيْةِ إِلَى الرَّسُولٍ عَلَى سَبِيلِ التَّخَصِّصِ وَالشَّهَيْرِ، وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الْحَاصِطَةُ، وَهَذَا الرَّحْمَةُ عَامَّةً، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ، أَيْ فِي قُولِهِ: {فَمَنْ رَيَّلَكَ}، عَلَى أَنَّ إِرْسَالَ الْبَيِّ نِيَّةً إِلَى الْحَلِقَةِ لَيُحْرَمَ بِهَا مِنْ الرُّبْوَيْةِ الْحَاصِطَةِ؛ لَأَنَّ مِنْ نَعَمَهُ بَلْ عَلَى الْعَبْدِ أَن يُلْهِمَهُ الْهَدِى لِيُهْدِي الْنَّاسَ بِهَا.

فَإِنَّ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ أَكْبَرِ النَّعَمِ، فَالْبَيِّ نِيَّةً عَلَى فَضْلِ الْعَلِيِّ وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيُرَحِّمَ الْحَلِقَةَ بِأُرْجِعِ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ مَقْتَضِى الرُّبْوَيْةِ الْحَاصِطَةِ، وَهَذَا قَالَ: {فَمَنْ رَيَّلَكَ} وَلَمْ يَقُلُ:

مِنْ رَيَّلِكَ، فَمَعْنِي: {فَمَنْ رَيَّلَكَ} الَّذِي رَبَّكَ تَرْبِيَةٌ خَاصَّةً.

قُولُهُ تَعَالَى: {إِنْذِرُوهُ} اللَّهُ هَنَا حَرَفُ جَرَّ؟ لَكَانَتْ هُدَى دَاخِلَةً عَلَى {أَنَّ} المُقْدَرَةَ، أَيْ:

لَأَنْ نَذِرُهُ، ثُمَّ تَحْوَلَ إِلَى مَصِيرٍ، فَيَكُونُ لِإِنْذَارِكَ {قُوْمَاً}، فَعِلَ مَذِهبُ البَصَرِيِّينَ

تَكونُ اللَّامُ حَرَفُ جَرَّ، وَنَذِرُ: فَعِلَ مَصَارِعُ مَنْصُوبٍ بِ{أَنَّ} مُضَمَّرَةٌ جَواُزًا بَعْدَ اللَّامِ.
وعلى مذهب الكوفيين تكون اللَّام هي الناصية، لكنّ البصريين أداً منهم في هذه الناحية، بل حقيقة الأمر أن اللَّام حَرَف جَرّ، وأنّ (أَن) هي الناصية مُقَدَّرة، ومَعْلَق (إِنْذَرَ) هو المحدث الذي قدَّرَه المفسر مَجَاهِدُ الله [أَرْسَلْناَكَ].

قوله تعالى: (إِنْذَرُوهُمْ) الإِنْذَارُ هو الإِعْلَامُ بِاِهِتْافٍ، والإِعْلَامُ بِيِهِتْافٍ يَسَمِّىٰ بِشَارَةٍ، أو تَبْشِيرٍ، وقوله: (فَوْماً) المراد بهم قريش، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أن الرَّسُول ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ خَاصَّةً، ولكن لأنَّ أَوَّلًا مِنْ أَئِدْرُهُمْ كَانَتْ قَرِيشًا، وَلَا فَقْدُ بَعْثَهُم وَلِغِيْرِهِمْ، قَالَ (بِمَالِكَ الَّذِينَ نُزِّلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ).

[القرآن: 1)، من قريش وغيرهم.

قوله تعالى: (مَا أَنْثِبُوهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ). (وَمَا) نَافِيَةٌ، و (أَنْثِبُوهُمْ) بِمعنِي: جاءهم، و (مِنْ) حَرَف جَرّ زائدٌ؛ إِعْرَابًا لا مُعَتَّبٍ، و (نَذِيرٍ) فَاعِلٌ (أَنِي)، يعني: ما جاءهم نَذِيرٌ، وفائدة زادة (مِنْ) أنَّ التنسيص على الْعُمُومِ، في كَلِّ الأَرْزَامِ المَاضِيَة ما أَتَاهُمْ أَحَدٌ نَذِيرٌ أَنَّ الرَّسُول ﷺ، وقوله: (مَا أَنْثِبُوهُمْ)، والجملة في مَعْلَمٍ صَفْهُ لَّـ (فَوْماً).

وقوله: (مَا أَنْثِبُوهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) قَالَ الْفَسْرُ رَحْمَةُ الله: (وَهُمْ أُمُّلُ مَكَّةَ) ﴿هَذَا تَفْسِيرُ الْقُوَّمِ، وَهَذَا لَا يُنِيبُهُ أنَّ إِسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَسْلِمَ كَمَّاهُ قَبْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ يَكُونَ قد طَالَ الْعَهْدَ، حَتَّى أُمَلِحَ رَسَالَةُ إِسْمَاعِيْلِ، فَصَارَوا مَحَاتِجِينَ إلى نَذِير، وَلَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلامُ تَسْلِمَ عَدَّانَ أنَّ الكَراَفَسَت مَعَالِمُ رَسَالَةُ إِسْمَاعِيْلِ، وَإِنَّ فَلَا رَبِّ أَنَّ إِسْمَاعِيْلَ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ؛ لَأَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلِكَنَّهُ انْفِرَضَ، وَهَذَا كَانَ مِنْ دِعَاءٍ إِسْمَاعِيْلِ وَإِبْرَاهِيمِ أَنْهُمْ قَالُوا: (رَبِّنَا وَأَعْفِفْ يِنَّهُمْ رَسُولٍ وَيَتَّعِمُّ إِنَّهُمْ).

[البقرة: 117].
وأفعَّل سَبِيلَنَا عَلَى أَنْ يُعْلَمَ بِمَا عَلِمَ مَعَهُمْ، فِي نَهَارِهِمْ، وَالَّذِينَ اسْتَصْبَرُوا عَلَى أَنْ يَعْلَمُوا بِمَا كَانَ عَلِيمًا مِّنَ الْإِنسَانِ، وَما جَاءَهُمْ مِنْ نَبِيٍّ، وَأَنْقَضَتْ مَعَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْكُبْرَاءُ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَهُمْ عِيْنُ وَبَنُ حَيْبُ، حَيْبُ الْإِنسَانِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَلَّاهُ أَلِيَّةَ الْأَضْنَاطِ، وَأَدْخِلَ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَدْخِلَ السَّوْئِ الْأَصْنَامَ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى أَنْتَلََكَ بِالْحَقِيقَةِ.

فَوَلَّهُمْ ذِكْرَهُمْ، أَيْ ذِكْرَهُمْ لَأَنْ يَتَذَكَّرُوا، أَيْ يَتَذَكَّرُوا بِهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا، وَهَذَا الْتَذَاكُرُ مَنْ ذُكِّرَ مَعَهُمْ، وَهَذَا الْتَذَاكُرُ مَنْ ذُكِّرَ مَعَهُمْ، وَهَذَا الْتَذَاكُرُ مَنْ ذُكِّرَ مَعَهُمْ، وَهَذَا الْتَذَاكُرُ مَنْ ذُكِّرَ مَعَهُمْ.
قال الله تعالى: "وَلَّا أُنْصِبَنَا مَصِيبَةً يَما قَدَّمْتَ أَبِيَّتِهِمُ فِيْفُوْلَمَا رَبِّنَا لَوْلَا أُرْسِلْتُ إِلَيْهَا رَسُولًا فَنَبِيَّكَ وَكُنْتَ مِنَ النُّؤُومِينَ" [القصص: 47].

قال المفسر رحمه الله: ["وَلَّا أُنْصِبَنَا مَصِيبَةً عَقِيْدَةً"]. "يَما قَدَّمْتَ أَبِيَّتِهِمُ". من الكفر وغيره، "فِيْفُوْلَمَا رَبِّنَا لَوْلَا". هَلَا "أُرْسِلْتُ إِلَيْهَا رَسُولًا فَنَبِيَّكَ" الموَلِّدُهُ. "وَكُنْتَ مِنَ النُّؤُومِينَ" وَجَوَابُ (لَوْلَا) مَخْتُوفُ، وَمَا بَعْدُهُ مُبَتَّدَأً، وَالمَنْثَرُ: لَوْلَا الإِصَابَةُ السَّبَبُ عَنْهَا فُوهُمُ، أَوْ لَوْلَا قَوْمِهِنَّ السَّبَبُ عَنْهَا لَعَاجَلُناَهُمْ بِالعَقِيْدَةِ، وَلَا أُرْسِلْنَا إِلَيهِمْ رَسُوْلًا.

قوله تعالى: "وَلَّا". هنا تكررت مرتين، وفي كل موضع له معنى يختلف عن المعنى في الوضع الآخر، الأول قال: "وَلَّا أُنْصِبَنَا مَصِيبَةً" الصَّمِير، مَعْنَى عَلَى قَرْيَشِهِ. أَهْلَ مَكَّةَ، وإِصَابَةُ النَّبِيِّ بِمَصِيبَة، يَمْنُو نَزْلُهُ، أي: نَزْلُ بِمَصِيبَة، وَالنَّارُ بِالنَّصِيَّةِ هَذِهِ العَقِيْدَةِ. بِسُبُبِ كُفْرُهُمْ، وَ(لَوْلَا) خَرَفُ امْتَناعً لَوْجُودُ، وَ(أَنَّ) وَمَا دَخَلَّ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلٍ مَّبْتَدَأٍ، وَجَوَابُ (أَنَّ) مَخْتُوفٌ كَيْ يَقُدَّمْهُ المَفْسَرُ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَولُهُ: ["كَيْمَا قَدِمَتْ"] أي: بِسُبُبِ، وَ(مَا) أَسْمَ مَوْصُولٍ، أي: بِسُبُبَ الَّذِي قَدِمَتْ أُبَيِّهِمْ، والنَّارُ بِ(أَبْيَةِهِمْ) أَنَفُسُهُمْ يَأَيْدَيْهِمْ، وَعَبْرَ بَالِيدِ عَنِ النَّفْسِ؛ لَانَّ الْيَدُ فِي الغَالِبِ هي آَلَةِ الْعَمَّلِ.

كذلك -مثلًا- لو قلت: يا عملت بيدك، أو يا قدمت يداك. فهنا نقول: الإنسان عمل العين نفسه، لكن بيده.

أما إذا قلت: يا عملت يداك، أو يا قدمت يداك، فالمراد بها عملت، سواء عملته بواسطة اليد، أو بالعين، أو بالرجل، أو بالسنان، المهم أنه يضاف إليك.

قوله: "لما قدمت أيديهم" ليس كقوله: بما قدمو بأيديهم؛ لأن الأول المراد، سواء كان باليد، أو بالرجل، أو بالعين، أو بالاذن، أو بالسنان، وقوله: "لما قدمت أيديهم" من الكفر وغيره.

صحيح أن المصائب ما تكون إلا بالمعنى، قال تعالى: "وما أُصِيبَ مِن مَّصِيبَةٍ قَيْسًا كَسَبَنْ آيِدِيَكُم بِعَفْوٍ عَن كَبِيرٍ" [الشعرى: 23]، وهنا قال: "ولولا أن تَصِيبُوهُم مَّصِيبَةٌ" بسبب كفرهم، "فَقَالُوا" الغاء حرف عطف، و"يقولوا" معروف على "تَصِيبُوهُم" أي: فأن يقولوا مثني: بعد المصيبة، "فَقَالُوا" متحججين على الله: "ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فتُنبِعُ" يعني: هلا أرسلت إلينا رسولًا قبل أن تصبينا بالعقوبة "فَتُنَبِعُ" قايين وكُتِبَ مِنْ آلِهَتِهِمْ، وهي حجة لهم، لو أصبينا بغير أن يرسل إليهم رسول لكان ذلك حجة؛ لأن الله تعالى يقول: "رَسُولًا مُبِينَ" و"مُبِينَ" أي: يكون يتآسّس على الله حجة بعد الرسول [النساء: 115]، ويقول: "وما كَا
لا يُنصِرِ الإِسْرَآءِ 15، فَلَوْلَا هَذَا الْأُمُّ أَنْ يُصَابُوا بِكُفُورِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ،
ثُمَّ يُجَنِّبُوا عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِمْ لَا يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا.

وجَوَابُ (لَوْلَا) - كَأَلَّا قَالَ الْمُفَسَّرُ رَحْمَةَ اللهِ: [وَجَوَابُ (لَوْلَا) مَخْتُوفٌ، وَمَا
بَعْدَهُ مَبْنِداً]، يَعْني: والخِيرُ مَخْتُوفٌ مَعْروَفٌ، [وَمَا
لَوْلَا الإِصْبَاحُ المَسْبُوبٌ عَنْهَا
قَوْهُمْ، أو لَوْلَا قَوْهُمْ المَسْبُوبٌ عَنْهَا لَعَاجِلَانَاهُمْ بِالْعَقَوْبَةِ، أو لَوْلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
رَسُولًا].

وَكَانَ الْمُفَسَّرُ رَحْمَةَ اللهِ جَعَلَ الْجَوَابَ مُرْكَبًا مِنْ أَثَابَتِهِ وَذُنُوبِهِ، فَالْإِبْتِبَاتُ قُوَّهُ:
لَعَاجِلَانَاهُمْ بِالْعَقَوْبَةِ، وَالْخِيرُ: وَلَمْ أُرْسِلْنَا إِلَيْهِمْ، لَأَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَمِينًا: الإِصْبَاحُ,
وَقُوَّهُمْ: «لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا»، فَكَانَ الْجَوَابُ أيُّهُ مُرْكَبًا مِنْ أَمِينٍ، وَيُجَوَّز
أَنْ يُوْقِنَ الْجَوَابُ مُرْكَبًا مِنْ أَحَدِ الْأَمِينِينَ، أَيِّ: لَعَاجِلَانَاهُمْ، أو لَوْلَا أُرْسِلْنَا إِلَيْهِمْ؛ لَأَن
الْمَعْنَى يُبْتَغَ ذَوَنَ تَقْدِيرِ الْأَمِينِينَ جَمِيعًا.

وَعَلَى هَذَا، فَتَكُونَ (الْوَائِلِ) هَنَا - فِي كَلَامِ الْمُفَسَّرِ رَحْمَةَ اللهِ - بَعْنَى (أَوِ).}

وَأُظْنِ أنَّ الْآيَةِ مَعِنَا وَاسْطِعْ مِنْ حُبِّ الإِجَالِ: أَنَّهَ لَوْلَا أَنْ هُؤُلَاءِ الْكُفَّارُ
الْمُسْتَحْقِقِينَ للعَقَوْبَةِ بِسَبِيلِ كُفُورِهِمْ أَنْ يُجَنِّبُوا بِنَفْسِهِمْ لَا يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا لَعَاجِلَانَاهُمْ
دُونَ أنْ يُرْسِلْنَهُمْ، أو لَوْلَا أُرْسِلْنَا إِلَيْهِمْ، فَيَكُونِ إِرْسَالُ الْنَّبِيّ عَلَى هُمْ بِالْعَقَوْبَةِ
لِلْحَجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَدِفْعًا لِّحُجَّجِهِمْ، وَدَحْضَةً هَلَا.
فَكَانَ الْنَّبِيّ ﷺ، الَّذِي أُرِسَلَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَوْحَذُوا بِالْعَقَوْبَةِ، وَهَذَا يَقْتَضِي
أَنْهُمْ إِذَا كَلَّبَوْهُ كَانُوا مُسْتَحْقِقِينَ للمَعْقِلَةِ؛ لَأَنَّ الحُجَّةَ الَّتِي يُحَجَّجُونُ بِهَا قد زَالَتِ
فَهَا فَهْمَاهُمْ مِنْ كَلَامِ الْمُفَسَّرِ رَحْمَةَ اللهِ أَنَّ (لَوْلَا) الأَوْلِيَاءُ بِسَرَطَانَةٍ، وَهِيَ حَرَفٌ

274
امتناع لوُجُودٍ، وَلَوْلَا ظُهُّورٌ الذَّائِبةَ خَضِيضَةً، بِمِنْهَا: أَهْلًا، وَقَوْلُهُ: ۖ "فَقُولُوا" مَعْطُوفٌ عَلَى قُولُهُ: ۖ "أَنْ صِبْبَهُمْ"، وَقَوْلُهُ: ۖ "فَتَبَيَّنَ" مِنْصُوبٌ بِ(ۖ أَنْ) مُضَمَّرَةً بَعْدَ فَاءِ السَّبِيَّةِ الواقعة جواَبًا لِـ"لَوْلَا" التحضيضية.

يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ(۲):

وَبَعْدَ (ۖ فَا) جُوَابُ ۖ تَنْفِيُ أو طَلْبٌ خَضِيضَينَ (ۖ أَنْ) وَسُرُّها حَتَّى نَصُبٌ يعني: أَنْ (ۖ أَنْ) تَنْصُبُ بعَدَ (ۖ الافاء) الواقعة في جواب طلبٍ، أو تنفي خضيضين، وسَرَّها أي: حَذَفُها وُجُوبًا- حَضِيضٌ، و(ۖ الافاء) تَنْصُبُ بۖ (ۖ أَنْ) وَجَوْبًا بعَدَْ تِسْعَةٍ أساليبٍ، مَجمُوعةٍ في قول الناظم(۴):

ۖ مَرَّ وَادْعُ إِلَيْهِ وَوَسْلُ وَاعْرَضُ لِحَضِيضُهُمْ إِذَا وقعت الافاء جوابًا لواحدٍ لما سباقٍ، فإنه يَنسَبُ الفِعْلُ بعِدَّةٍ بۖ (ۖ أَنْ) مُضَمَّرًا.

وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتُ هُوُ:

ۖ (ۖ مُرَّ): إِشَارَةٌ لَلْأَمْرِ، كَأَنْ تَقُولُ: اَنْزِلْ عَنَّا فَنَكِرْنَاكَ.

ۖ (ۖ وَادْعُ) هَذَا دَعَاءُ اللَّهِ، قَالَ الْشَّاعِرُ(۶):

ۖ رَبَّ وَفَقِينُي فَلَا أُعْدِلُ عَنْ سَّنَنِ السَّاعِينَ فِي خَيْرِ سَنَنٍ

ۖ (۱) تَوْضِيحُ الْمُقَادَسِ، وَالْمَسَالِكِ بِشِرحِ أَلْفَيْةِ ابْنِ مَالِكٍ، لِبِدرِ الْدُّنْيَا الْمُرَادِيِّ(۳۲۲ /۳). 

ۖ (۲) فِي فَتْحِ رَبِّ الْبَرِيرِ فِي شَرْحِ نَظَرِ الْأَجْرُوْمِيَّةِ، لَأَحْدَّثَ بِنَعْمَانِ بْنِ عُمَرِ بْنِ مَسَاعدِ الْحَازِمِيِّ (صِّصَ) ۲۷۷.

ۖ (۳) لَبِنَ مَالِكُ فِي شَرْحِ تَسْهِيلِ الفَوَائِدِ، لَبِنَ مَالِكٍ (۴۲ /۵۹)، وَالْفَتْحَةُ فِي شَرْحِ المَلْحَةِ، لَبِنَ الصَّائِغِ (۴۲ /۸۲۶) بَلاَ نَسْبَةً.
وتقول: رب وفَقْني فَأَعْمَل صَالِحاً.
(وائت) النهي، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ۡوَلَا تَطْمِعْنِي فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيَّ ۡ [طه: ۸۱].
(وَسُلْ) الاستفهام، قَالَ تَعَالَى: ۡفَهَلْ لَنَا مِن شَفَاعَةٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا تَعَالَى؟ ۡ [الأعراف: ۵۳].
(وَاعْرَضْ) أي: العرض، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَا تَنَزِّل عَن دِينِي فَتَصِبُّ شَرَّاً.
(لِحَضْرِهِمْ) هذا التحضيض منهُ مَنْ هَذِهِ الآية ۡوَلَا أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ فَتَنْبَعَ ۡ ءَآبِنِيّكَ ۡ [طه: ۱۲۴].
(ۡمَّنَ) المَرَادِ بِهِ التَّنَيْمِي، تَقُول: لِي بِهِ مَا أَفْتَصِدَقْ مِنْهُ.
(وَارْجِ) أي: التَّرْجِي، قَالَ تَعَالَى: ۡفَأَطْلِبِ إِلَّا إِلَيْهِ مَوْتٍ ۡ [غافر: ۳۷].
(كَذَاكَ الْنِّفِي) تَقُول: مَا تَعَلَّمَ زِيد فَيُعْلَمْكَ. فِهَذِهِ تَسْعَةُ مَواضِعٌ إِذَا وَفَقَتْ
الفَاءِ بعَدُّهَا؛ فَإِنَّهُ يُصِبِّ الفَعْلِ بِذَٰلِكَ مُضَلَّعَةً.
قَولُهُ تَعَالَى: ۡفَنَبِيعِ ءَابِنِيّكَ ۡ قَالَ الْمُفَتَّرُ رَجْحُونَ تَعَالَى: ۡالْمُرْسَلُ بِهَا ۡ، وَيَكُونُ ۡمِنْ ۡۚ الْمُؤْمِنِينَ ۡ، وَجَوَابُ (ۡلَوْلَا) مَتَّعُونَ.ۡ [المعنى: أَنَّا أَرْسَلْنَاكُمْ لِيُحْمَدَ؛ إِقَامَةُ الْحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَةٌ بَآلٍ أَنْ يُصِبِّهِمْ العَذَّابُ بِذَٰلِكَ أَنْ يُصِبِّهِمْ رَسُولٌ.
قال الله عز وجل: «قللما جاءهم الحق من عينينا قالوا لولا أوين يمل ما أوين موسى أولم يسحرنا بما أوين موسى من قبل قالوا سبحا نظهرا وقالوا إنا يكين كفرون» (القصص: 48).

قال المفسر رحمه الله: [فلمأ جاءهم الحق] محمد من عينينا قالوا لولا هلآ أوين مثل ما أوين موسى من الآيات، كاليبد البيضاء والغصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى: «أولم يسحرنا بما أوين موسى من قبل» حيث قالوا فيه وفحيحيث ساحران، وفي قراءة سحران أي القرآن والسورة تظهرنا تعاونا وقالوا إنا يكين من السبيين والكتابين كفرن]

قله تعالى: [فلمأ جاءهم الحق] والحق - كذا ذكرنا هو الشيء الثابت، لأنه فيها يقابل الأوامر هو العدل، وفيها يقابل الأخبار هو الصدق، والمراذ بالحق هنا - كنا قال المفسر رحمه الله: محمد، وكأنه عدل به عن المعنى الظاهر من أجل قوله: «لولا أوين مثل ما أوين موسى».

فلما جاءهم الحق من عينينا قالوا لولا أوين هذذا الحق ممل ما أوين موسى، فكان المفسر رحمه الله عدل عن معنى الحق الظاهر إلى أن يكون محمد في هذا، ولكن الصواب أن المراد بالحق الولي الذي نزل على محمد، وهذا قال:
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنَ عِينَدَاللهِ، وَالعَدْنِيَةُ تَقْتَضِي الْقُرْبَ، وَأَنَّهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ

وَهَذَا لَا يُصَوِّرُ أنَّهُ مُحَمَّدٌ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَهُ، كَأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمَّا
جَآَهُمُ الْحَقُّ مِنَ عِينَدَاللهِ، فِي جَمِيعٍ مَوَاضِعِ الْقُرْآنِ هِيَ مَطْرَدَةُ أَنَّ الْمَرَّادَ بِهِ الْوَحْيِ الَّذِي
نزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ.

وَهَلْذَا بِعَوْنِ قُوَّةِ: ۚ (ۚ أُورُقُ) أَيُّ: مُحَمَّدٌ الَّذِي جَآَهَا بِهِ الْحَقُّ، فَعْمَنِي
الْآيَةَ هَنَا أَظَاهِرًا جَدًّا، وَلَا كَتَلَّفَ فِيهِ.

وَقَدْ يُجْعَلُ عُلَٰٰٓاً مَّنْ يَقُولُ: إِنَّ الصَّمِيرِ فِي قُوَّةِ: (ۚ أُورُقُ) يُؤَيِّدُ أَنَّ الْمَرَّادَ
بِالْحَقِّ هُوَ مُحَمَّدٌ.

ولكنَّا نُجِيبِهُمْ قَالِيِنِّ: لَا كَحَاجَةً إِلَى ذَلِكَ مَا دَأَمُ أنَّ الْحَقَّ جَآَهَا، وَالذِّي جَآَهَا بِهِ
هُوَ مُحَمَّدٌ، فِي كُلِّ مِعْلُومٍ مَّا قُولُهُ: (ۚ أُورُقُ) يُعْمِنِي: مُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي جَآَهِ
بِالْحَقِّ، وَلَيْسَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقِّ، وَهَذَا لَيْسَ (الْحَقِّ) مِنْ أَسْبَاطِ الْرَّسُولِ عِلْيَانَةَ الْأَسْبَاطِ وَالْأَطَمَّا،
فَهُوَ صَادِقٌ فِيهِ جَآَهَا بِمَنْ النَّبَوَةِ، وَلَكِنَّهُ جَآَهَا بالْحَقِّ.

قُولُهُ تَعَالَى: (ۚ ذَلِكَ الْوَلَّادُ أُورُقُ) مِثْلَ مَا أُورُقُ (ۚ مُوسَى) الصَّمِيرُ فِي (ۚ ذَلِكَ) يُؤُدِّ
عَلَى قُرْشِي، وَ(ۚ ذَلِكَ) هُنا تَحْرِيضَةٌ، وَلَيْسَ شَرْطِيَةٌ، وَهَيْ بَعْمَنِي: هَلَا.

وَقُولُهُ تَعَالَى: (ۚ أُورُقُ) أَيُّ: أُعْطِيُ، (ۚ مِثْلَ مَا أُورُقُ) مُوسَى يُعْمِنِي: مِنَ الْآيَاتِ
مِثْلَ مَا أُعْطِي مُوسَى مِمَّ الْآيَاتِ.

وَهَذَا الْجَوْابُ فِيهِ إِشْكَالٌ إِذَا جَعَلَنَّاهَا عَايًا إِلَى قُرْشِي، لَنَّ قَرِيبًا -كَمَا هُوَ
مَعْلُومٍ- قَوْمُ أَمْيَنُونَ لَا يَعْلَمُونَ عَنِ الرَّسُولِ شَيْئًا، فَكَيْفَ يَعْمَرُونَ بِقَصِّةِ مُوسَى؟
وَقَدْ أَجَابَ الْمَفْسُوْرُوْنَ عَن ذَلِكَ، بِأَنَّ قَرِيبًا كَانَتَ عَنْدَنَا بَعْثُ الرَّسُولِ عِلْىَ أَفْكَارَةِهِ وَالْحَالَّةِ
تراسل اليهود، وتقول: جاءنا رجُل يقول إنه نبي، فما علامات الأنبياء عندكم؟ فتخرهم اليهود بعلامات الأنبياء، وهذا عارضت قريش النبيّ بالآيات التي جاءت لموسى.

ويحتمل أن قوله: "قلنا لجاثههم الحق من بيننا قالونا أولاً أوفى، يمل ما أوفى موسي" عائدة إلى اليهود؛ لأن الرسل مبعوث إليهم، ويؤيد هذا الاحتمال قوله بعد ذلك: "أولم يستنفرنا يا أوفى موسي من قبل".

قوله: "قالونا أولاً أوفى، يمل ما أوفى موسي"، قال المفسرون رحمه الله: المراد هنا هو محمد، وقد يكون المراد هو القرآن، و"أوفى موسي" أي: أي بوحِ مثل التوراة، وغيرها من الآيات كالعصا والإبد.

قوله تعالى: "أولم يستنفرنا يا أوفى موسي من قبل" الضمير يعود على جنس البشر، أي: إن آيات موسي لم تنفع أيضًا، فقد كفر بها من كفر من الناس، فاقترحهم أن تكون آيات محمد كآيات موسي ليس ذلك بموجب للإيام؛ لأن آيات موسي كُفر بها.

قوله تعالى: "قالوا سحران" فيما قراءة ثانية، "قالوا ساحرًا"(۱)، وعلى القراءة التي بين أبيدينا، فالمراد محمد وموسي، وعلى القراءة الثانية يكون المراد التوراة والقرآن.

قوله: "ناظهرا" أي: تعاونًا.

(۱) السبعة في القراءات، لابن ماجه (ص ۴۹۵).
من فوائد الآيات الكرام:

الفائدة الأولى: فيها تكذيب دعوى هؤلاء في قولهم: "أُولَٰئِكَ أُرْسُلُتُ إِلَيْهِنَا رَسُولًا فَتَنَبِّئُهُم بِذَٰلِكَ مَا أُوتِيهِ مِنْ نَزْلَةٍ.

الفائدة الثانية: أنَّ ما جاء به النبي ﷺ هو الحق، والحق بمعنى: السَّبِيعَة الثابت، وهو بالنسبة للأحكام الصدقة، وبالنسبة للأخلاق.


وإذا شَرَعَ الإنسان قواني من خلافة للشرع، قلنا: هذا باطل وضلالة؛ لأن الحق فيَّهُ جَاء بِالشرع فَقِط.

الفائدة الرابعة: بيان عن المكذبين للرسول عليه السلام والذين عاندهم، وهو أنهم كذَبُوا بالحق بعد أن قَالُوا: "أُولَٰئِكَ أُرْسُلُتُ إِلَيْهِنَا رَسُولًا فَتَنَبِّئُهُم بِذَٰلِكَ مَا أُوتِيهِ مِنْ نَزْلَةٍ.

الفائدة الخامسة: أن قريئاً كان عندهم بعض المعلومات عن الرسول السابقين، حيث قَالُوا: "أُولَٰئِكَ مَثْلُ مَنْ آتَى مُوسَى،" وقد حصلوا عليه هذا العلم عن طريق اليهود؛ لأنهم لما جاء الرسول وَبَعْثَ أَرْسَلُوا إِلَى اليهود يسألون عن أخبار هذا الرجل، فكتبوا لهم بما يعرفون من أخباره، وبها جاِء بِه موسى.

الفائدة السادسة: إنَّ بَنَاتُ رِسَالَةٌ مُوسى لقولهم: "مَثْلُ مَنْ آتَى مُوسى،"
الفيادة السبعة: أن موسى ﷺ أعطاه الله تعالى آيات يؤمن على مثلها البشر، 
وَهَذَا لَيْسَ خَاصًّا بِهِ، بل هُوَ لكل رسول بعثه الله ﷺ «ما يَمْنُ تَأْيِدًا مِّنَ الأَنْجَيَاتِ إِلَّا وَقِد أَعْطَى مِّنَ الآيَاتِ ما أَمَنَّ عَلَى مَثَلِهَا البَشَّر»١، لأن البَشَّر لا يُصْدِقُ رَجْلًا قال: أُنا رَسُولُ اللَّه إِلَيْكُمُ أَمْرَكُم بِكَذَا، وأنهاكم عن كذا، واتركوا ما كَانَ عليه آباؤكم من عبادة الأصنام، واتركوا ما كان عليه آباؤكم من تحرير الخنال، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، 
لا يقبلون إلا بآيات تدل على صدقته، وتؤيده.

الفيادة الكبيرة: إبطال حجة هؤلاء المكذبين، بقوله تعالى: «أُلْهِمْ يَهْكَرُوا٢.

١١٠٠ مَعَ مِنْ قِبَلٍ.

الفيادة التالية: أنه ينبغي في مقام المناظرة والمجادلة أن يُفسِح الحصم بإبطال قوله بقوله، أو بفعله، أنه يبطل قوله بِأَجْرِي مَنْ هُوَ؛ لأن ما جرى منه لا يمكن أن يُكَرِّه، ولو أنكره ما قُبل، فكونا نُفِيَ الْحُجَّةَ عَلَى الحصم مِنْ فِعْلِه وَقَولِه هَذَا أَبْلَغ.

في إفحاءه.

الفيادة العاشرة: أن طبيعة البَشَّر واحدة؛ بناء على أن قوله: «أُلْهِمْ يَهْكَرُوا٣.

الضمير يعود على جنس الإنسان لأن الطبيعة البشرية واحدة.

الفيادة الحادية عشرة: أنه ينبغي أيضا عند المناظرة إبطال قول الحصم بالأمر الواقع؛ فإن الآيات التي جَاءَ بِهَا موسى، وأبطلها هؤلاء كُلُّ أَيْتَ، وما آمن بها البَشَّر.

إذن: فالمدار ليس على جنس الآيات، ولكن المدار على حال المخاطب، وإلا فالآيات قائمة بِنَيَة، لكن: «وَمَا تَعْقَبُ آلِيَتْ وَالْمُؤْنُورُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُون» [يونس: ۱۰۱].

١ أخرجه البغوي في شرح السنة (١٣/١٩٥، رقم ٣٦١٥)، وابن عساكر في معجمه (٢٧/١، رقم ٣٠).
القاعدة الثانية عشرة: أن أهل الباطل يلقِّبون أهل الحق بألقاب السوء؛ تغيّراً للناس عن قُولهم، يؤخذ هذا من قوله تعالى: «أُلْهِمْ سَحْرًا» أو «سَاحِرًا» على القراءة الأخرى، فسواء وصف واصلت به الرسول بالسحر، أو وصفوا الرسول أنفسهم بالسحر؛ فإن المقصود بذلك تغيّر الناس عن قول ما جاءت به الرسول.

وهذه القاعدة ثامنة لإتباع الرسول؛ بدليل قوله: «إِنَّ أَلْبَيْنِيَّ أَبْعَذُوا كَأَنَّا كُلُّ الصُّدَادَينَ» وإذا أعموه يزعمون (3) وإذا أعموه إلى أهلهم أنفقوه فكْهِيَنَّ (4) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء أصداً» [المطففين: 29-32]، والله أَجَادَلُوهُمْ وَقَلَّ. قد جعل لكل بي غذوى من المجرمين، والعدوى من المجرمين عدو للنبي بوصفه، بدليل أن محمد قُبل أن تأتيه الرسالة وهو عند العرب الصادق أمين، ويرون أن من أفضل بني هاشم، وأقوامهم بالعدل، فلأ جاء بالحق صار عندهم الخائن الكذوب.

إذا كان هؤلاء المجرمون يعادون الرسول ووصفهم، فمعنى ذلك أن هذه المدادة تستنقل إلى من تابع هؤلاء الرسول؛ لأن المعنى الذي حصلت به العداوة موجود أيضاً في أتباع الرسول، وعلي هذا:

القاعدة الثالثة عشرة: طمأنة أتباع الرسول، وتثبتهم على أثمن سيناهم من ألقاب السوء، ومن المعاداة مثل ما نال الرسول، فعلاهم أن يقابلون ذلك بالصبر والثبات والقوة، لا أن يغذلووا، بل عليهم أن يكونوا كأكان متبوعهم الذي أمره الله قائلًا: «فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلَآِيُّ الْعَمَّرِ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تُسَحِّبُ لَهُمْ فَلَمْ يَأْمُرْنَكُمْ بِمَا يَوْعَدُونَكُمْ أَلْبَيْنِيَّ» [الأنفال: 35].

القاعدة الرابعة عشرة: أن التعاون حتى على الباطل له تأثير وثقوبة، يؤخذ من قوله: «فَظَهَّرْنَا» فإذا كان التعاون في الباطل له تأثير، فما بالك بالتّعاون في الحق؟
التأييدة الخايسة عَشْرَةٌ: يَحَبُّ أَنْ نَكُونَ مَتَعاوِنِينَ فِيْنَ حَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دَعَةِ الْحَقَّ،
وَأَلِذَّةٌ يَجْذَلُ بَعْضُهَا بعَضَاءَ خَلاَفًا لَّا كَانَ عَلَيْهِ حَالَ النَّاسِ الْيَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ
لَيَسَا بِمَتَعاوِنِينَ، بِنَهَا الْحَقَّ، وَأَلِذَّةُ الدَّعَا تَجَهَّهُمْ غَيْرَ مَتَعاوِنِينَ؛ لَكَنْهُمْ:
أَوْلَآ: كُلُّ وَاحِدٌ لَا يَهْيِهُ إِلَّا نَفْسَهُ.
ثانيًا: أَهْمُّ أَنْ تَخَافِفِ لَهُمْ فِي أَمْرٍ بِسُبْحَانِ جَزَائِرِهِمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَيَتَعاَدَوْنَ عَلَّ
ذَلِكَ، فَقَدْ تَخَافِفْ لَهُمْ فِي كِيفَةِ رَفُعِ الْيَدِينِ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ، فَهَذَا يَقُولُ: تَرْفَعُ بِدِيكَ
إِلَى الْأَذْنِينِ، وَهَذَا يَقُولُ: إِلَى الْمَكْبِينِ. تُقُولُ: أَنتُ عَلَى ضَلَالٍ! وَهُوَ يَقُولُ: أَنتُ
عَلَى ضَلَالٍ! فَإِيَّاكُمْ هَذَهُ الْكَلِمَةُ إِلَّا الْحَقَّ وَالْبَغْضَاءَ وَالْعَداَةَ.
وَسَبِّقْ أَنْ قَصِصْتُ عَلَيْكُمْ قَصَّةَ طَائِفَتِينَ، كُلُّ طَائِفَةٌ تَكْفَرُ الأَخَرُ فِي مَسَأْلَةٍ
بِسُبِّيَةٍ مِنْ مَسَاءِلِ الدُّنْيَا، طَائِفَةٌ تَقُولُ: إِنَّ السَّنَةَ أَنْ يَضِعُ الإِنسَانُ يَدَهُ الْيَمِينَ عَلَى
الْيَسَرَى فُوقَ صَدْرِهِ، وَطَائِفَةٌ أَخَرُ تَقُولُ: إِنَّ السَّنَةَ أَنْ يَرْسَلَ الإِنسَانُ يَدَهُ إِلَى جَنَّهُ،
فَخَلَتَا حَتَّى كَتَبَتُ كُلُّ طَائِفَةٍ الْأَخَرُ اِلْعَظِيمَةَ، وَجَعَلَهَا مَلْعَبَةً; لَعَلَّهَا تَرَكَ السَّنَةَ
عَنَّمَ وَقَصْدِهِ، وَالْإِنسَانُ الَّذِي يَكُرُّهُ ما أَنْزَلَ اللَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، وَفِي خَصِومَةِ أَمْعَةٍ.
وَفِي أَيَامِ الْحَجِّ اجْتَمَعْتُ مَعْهُمْ نَاسٌ مِنْ الْتَوْعِيْشَةَ، وَأَرَاحُوهُم، وَيَبْنُوا أَنَّ هَذَا
لَا يَكُوْرُ؛ لَأَنَّ هَذَا فِي ضَرْرٍ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ بِأَلِذَّةِ الْحَقَّ؛ لَكَنْهُ إِذَا كَتَبَ بِعَضْكَمْ بعَضًاءٍ،
فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ، وَلا يُؤْمِنُنَّهُمْ بِأَلِذَّةِ الْحَقَّ.
وَتَعَرَّفْنَ قَصَّةٌ نَقْضَ الصَّحِيِّةَ الَّتِي كَبِيَّتُها قَرِيّشُ فِي مَقَاطِعَةٍ بَنِي هَاشْمِ، لَمْ يَأْتِ
وَاحِدٌ مِنْ النَّاسِ فَقَطَّضَهَا، فَهُوَ لا يَسْتَطِيعُ، لَكِنْهُ ذَهَبَ إِلَى فَلاَنِ وَوَبْحَهُ، وَقَالَ: بِنَو
هَاشْمُ قَوْمُ مُنْكَنِ، كَيْفَ تَرْضَّوُنَّ أَنْ تَقَاطِعُوهُمْ حَتَّى يَمْوتُوا مِنْ الجَمْهُورِ؟! وَذَهَبَ
إِلَّا أَخْرَىٰ وَإِلَىٰ ثَلَاثِ وَرَابِعٍ، حَتَّىٰ إِنْ هُمْ كُوَّنُوا جَمَاعَةً، فَثُمَّ هُمْ كُفِّرُونِ. إِذْنَ: فَالْتَعاوُنُ أَسَاسُ النَجْحَاءِ، مِثْلَ مَا قَالَ الْعَالِمُ.

الْقَانِعَةُ الْعَشَاءُ عَشْرَةٌ، بِمَا عَلَّهُ وَهُؤُلاءِ مِنْ جَهَّاٰئِهِ مَنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَمَرِينَ، وَقَالَهُمْ: عَفَوْنَا عَلَيْكُمْ كَيْفَ عَفَّوْنَا.

الْقَانِعَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةٌ، تَقْدِيمُ الْمَعْمُوَلِ فِي قُوْلِهِ: «بَلْ كُفِّرُونَ» يَفْيِدُ الحَصَرَ، مَعَ أَنْهُمْ كُفِّرُونَ بِهَا وَبَعِيرُهَا، وَهَذَا الحَصَرُ الْمَقْصُودُ بِإِغْاثَةِ الْخَضْمِ، كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ مَا كُفِّرْنَا إِلَّا بِهَا، وَأَنَا فَمُعَلُومٌ أَنِّي كُفِّرُونَ بِهَا وَبَعِيرُهَا.

وَهَذِهِ الْفَائِعَةُ قَلِيلٌ مِنْ يَنْتَهِي لَهَا، وَهُوَ أَنْهُ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ غَيْرُ مُحَصَّرٍ فِي هَذَا الشَّيْءِ، وَلَكَنَّهُ حَصَرُ فِيهِ; فَلَا بَدَّ أَنْ هَذَا عُرْوُضًا، وأَغْرَضُ هَذَا هُوَ الْإِعَاطَةُ.
قال الله عزّ وجلّ: "قل فَكَانُوا يَكْتُبُونَ مِنْ يَدَيْنَ اَللَّهِ، هُوَ أَحْدَاثٌ يَهْدِهَا يَتَّبَعُونَ" [القصص: 94].

قال المفسر رحمه الله: [قل] هَٰذَا فَكَانُوا يَكْتُبُونَ مِنْ يَدَيْنَ اَللَّهِ، هُوَ أَحْدَاثٌ يَهْدِهَا يَتَّبَعُونَ من الكتبتين (أَيْمَا يٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صِدِّيقَكَ) في قولكم.

قوله تعالى: "فَكَانُوا يَكْتُبُونَ مِنْ يَدَيْنَ اَللَّهِ" هنا الأمر للتعجز والتحدي.

قوله: "أَهْدِهَا مِنِّي" هنا الضمير يعود على التوراة والقرآن، ومعنى "أَهْدِهَا" أكمل هدایة.

وقوله "أَيْمَا يٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صِدِّيقَكَ" مجزوم في جواب الطلب "فَكَانُوا"، فإذا جعلوا الغاية جوابًا للأمر السابق صار مجزومًا.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أنَّهُ من العدل التنزُّل مع الحقصم إلى حال يُقير بها، فإنه من المعلوم أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم أنَّهُ لا يمكن أن يأتوا بها طلُب منهم، وذلك حين طلب منهم أن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة والقرآن، وذلك في قوله تعالى: "قل فَكَانُوا"، مع أنه يعلم أنه يستحيل ذلك، ولكن هذا من باب التنزُّل مع الحقصم إلى غاية ما يكون من العدل، كأنه جعله مع خصمه شيئًا واحدًا، فيقول: أنتم اتثنوا بكتاب أهدى من
الثورة والقرآن، وأننا نلتزم باتباعه، فإذا لم نأتوا، فمعناه أن يتبعوا الثورة والقرآن.

الفائدة الثانية: إفحام الحمص بالتحذي، ولو أننا قرأنا آخر سورة الطور لوجدنا فيها شيئاً غريباً من المناظرة، من قوله تعالى: {قد سكروا ما أنَّ يُعَمِّدُ رَبُّكَ يَكَاهِنَّ ولا يُجْعَلْ} [الطور: 69]، إلى قوله: {يَوْمَئِذٍ أَلَّذِي فِيهِ يُصِمْعَ مَوْعِدُ} [الطور: 64]، تجدون أداباً كثيرة من المناظرة، فقد تدرج الله معهم في الخرج، فقال: {هُمُ الَّذِينَ سَلَّمُوُّوْسَطُوْعُ} [الطور: 82]، إن كان الأمر كذلك {قَلَبُكُمُ مُسْتَبَاطِيٌّ} [الطور: 82]، {هُمُ الَّذِينَ يُقْوَوْنَ} [الطور: 83]، فإن كان الأمر كذلك {قَلِيلُ الْوَجْهَ} [الطور: 83]، فإن كانا صدقاً {كَيْ نَكَلَوْنَ} [الطور: 83]، جعل الحمص مفهعاً بتحذي بيا لا يستطيع.

الفائدة الثالثة: أن الثورة والقرآن من عند الله، لكن القرآن نزل وحياً، والثورة نزلت كتاباً، كتبها الله في ألواح ألقاها إلى موسى.

الفائدة الرابعة: أنه لا يلزم الإنسان الانتقال عما كان عليه إلى غيره إلا إذا كان أهدي منه.

فأنا -مثالا- لا يلزمني الانتقال من مذهب الحنايلة إلى مذهب الشافعية، حتى أرى أنه أصوب؛ لأننا قال: ما يجب الابتعاد إلا إذا كان ما جاءوا به أهدي منه، أمأ إذا كان مساوياً، فأنتم لا تلزموني، وأننا لا ألزمكم، إذا كان مساوياً، إذا كان الزام حينها يكون ما جاء به الحمص أهدي مما أنا عليه، وأما إذا كان ما في غيره أدنى؛ فإنه من باب أولى لا يلزم.
فالمراتب ثلاث:
1 - إِمَّا أَنْ يَكُونَ ما تُدْعَى إِلَيْهِ أَدنى مَا أَنتَ عَلَيْهِ.
2 - أَوْ أَهْدَى.
3 - أَوْ مُسَاوِيَّاً.

فَإِنْ كَانَ أَهْدَى، فَالواجب الإتباع، وَإِنْ كَانَ أَدْنَى حُرُمَ الإتباع.
أَما فِي حَالِ الْمُسَاوِيَّة، فَالعلاء يُقُولُونَ: فِي يَمِيل هَذِهِ الْحَالِ يُجِيرُ الإِنسان، فَإِذَا
أَفِتاه عَالِمٌ، وَلَا يُكَن قُولٌ أَحَدَهُمَا أَرْجَحَ؛ فَإِنَّهُ يُجِيرُ فِي اتِّباعِ أيْ الْقولَينَ شَاء، وَرَبَّا
يُؤْخذ حُكْمٌ هَذِهِ المَسَالِه مِن هَذِهِ الْآيَةِ; لَأَنَّهُ مَا أُوْجِبَ اللهُ الاتِّباعِ إِلاَّ إِذَا كَانَ أَهْدَى.
وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَدْنَى، فَالاتِّباعُ مُحَرَّمٌ، فَيَقِى الْمُساوِي لِيسَ إِلَى جَانِبِ
التحرُيم، وَلِيسَ إِلَى جَانِبِ الواجب، وَهَذِهِ مَرْتَبَةُ التَّخِير.

الْقَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: الْتَحْدِي يُكَن بالَّوْضُع، كَمَا يَكُن بِالْفَعْلِ، فِي قُوْلِهِ تُعَالَ:
«كَأَتَاهُمَا» تَحْدِيَ مَا هُمْ بَاتِينًا بِهِ، وَقُولُهُ: «إِنَّ كَنُّمْ صَدِيقِينَ» ثَحْدِيَ بِالَّوْضُع، أَنَّ
مَا أَنْتُم عَلَيْهِ حَقًّا فَأَنتُوا بِهِ، وَإِلَّا فَأَنتُم مِنَ الكَذِيبِينَ، وَلَذَا قَالَ: «أَبْيَعُهُ إِنْ سَكَنْتُ
صدِيقِينَ».
قال الله تعالى: {إِفَإِنْ لَرَّفَّيْتُمْ بِرَزْقِيَّ يَدَآءٍ هُدْيَةً مَّنْ أَيْضَنَّ مَتْنَهُ يَعْبُدُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدُدُ الْقُوْمَ الْكَافِرِينَ}. 
(القصص: 50).

قال المفسر رحمه الله: {إِفَإِنْ لَرَّفَّيْتُمْ بِرَزْقِيَّ يَدَآءٍ هُدْيَةً مَّنْ أَيْضَنَّ مَتْنَهُ يَعْبُدُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدُدُ الْقُوْمَ الْكَافِرِينَ}.

وقوله تعالى: {إِفَإِنْ لَرَّفَّيْتُمْ بِرَزْقِيَّ يَدَآءٍ هُدْيَةً مَّنْ أَيْضَنَّ مَتْنَهُ يَعْبُدُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدُدُ الْقُوْمَ الْكَافِرِينَ}.

وقوله تعالى: {إِفَإِنْ لَرَّفَّيْتُمْ بِرَزْقِيَّ يَدَآءٍ هُدْيَةً مَّنْ أَيْضَنَّ مَتْنَهُ يَعْبُدُ اللَّهَ}. 
( تعالى: 50).

فقوله تعالى: {إِفَإِنْ لَرَّفَّيْتُمْ بِرَزْقِيَّ يَدَآءٍ هُدْيَةً مَّنْ أَيْضَنَّ مَتْنَهُ يَعْبُدُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدُدُ الْقُوْمَ الْكَافِرِينَ}.

فهذا يرجعون الكتاب من عند الله هو أهدى منها.

فقوله تعالى: {إن أصل يَيْمَنَ أَنْعَ مُحْنَةً} أي لا أحد أصل وهو استفهام منهي.

وهناك آية أخرى يقول الله تعالى فيها: {إن أصل يَيْمَنَ بَيْدُوا مِن دُونِ الله} 
(الائحاف 39): فتجمع بينها وبين الآية التي بين أيدينا بأن آية الأحقاف في مقام الدعاء، وأيضاً هذا في مقام الاحتفال.

فقد تكون كل آية لما معنى لا يتعلق بالثاني، فضلال الغاية باعتبار ما هو من جنسها، هذا وجة.
وَهَنَاكَ وَجَهَّةٌ أَخْرُجُ، وَهُوَ أَنَّهَا في مَرَابِيّةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْجِلَال، فَقُولِهُ تَعَالَى: لَا يَمْتَعُّ أَن يَوَجَّد شَيْءٌ يُسَاَوِيهِ فِي ذلِكَ، فِي كُلِّ مِن الْأَمِينِينَ قَدْ بَلَغَ الْغَالِبَةُ فِي الْجِلَالُ.

وَقُولُهُ تَعَالَى: لَا يَقُولُنَّ الْجِعْلِ الْمَفْلُوْمَ، الْقَدْرَةُ يَرْزُوْنَ أَنَّ الإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْتَدِيْنَ بِنَفْسِهِ، وَلِيْسَ اللَّهُ رَبّكُمْ وَإِنَّكُمْ تُقَدِّرُنُّ أَفَاعَلُ الْعِبَادَةَ، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا، وَأَنَا أَفْعِلُهَا.

لَكِنْ قُولُهُ تَعَالَى: لَا يَقُولُنَّ الْجِعْلِ الْمَفْلُوْمَ، يَرْتِبُ عَلَيْهِمْ، كَأَنَّهَا أَيْضًا يَرْتِبْ عَلَيْهِمْ، عَلَى الجُهَمِّيَّةِ الْجَبَرِيَّةِ، الَّذِي يَقُولُونَ بِالْجَبَرِ، لِيَقْبَلَنَّهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ.

أَوَٰلاً مِّن فَوَآئِدَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

الْقَائِدَةُ الأَوْلَى: جُوْزَاءِ الْعِلْيِ بِالْشَّرْطِ فِيهِ هُوَ مَحْقَقُ الْوَقْعَةِ، وَهُوَ ذَا فِي قُوُّلِهِ تَعَالَى:

لَا يَقُولُنَّ الْجِعْلِ الْمَفْلُوْمَ، فَهُوَ مَحْقَقُ الْوَقْعَةِ، فَلِيَسْ في اِحْتِيَالٍ أَنْ يَسْتَجِبُوا، فِي جِوْزَاءِ تَعَالَى: لَا يَقُولُنَّ الْجِعْلِ الْمَفْلُوْمَ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مَحْقَقًا أَنْ لَّا لِلْعَبَرِ فِي دُلُوْلِهِ.
الفائدة التالية: أن هؤلاء المكلفين للرسول ليست عندهم حجة سوى اتباع أهواءهم; لقوله: "فأعلم أنما يبيعون آهواءهم".

الفائدة الثالثة: عدنُ موالاة المبتغى هواء الكبار، فليس هناك سبيل لإقناعه، فهو يريد أن ينصرف لنفسه فقط، ويبيع هواء، فإن دام الرجل صاحب هواء، فالجدال معه لا فائدة منه، قال تعالى: "فأعلم أنما يبيعون آهواءهم"، فإذا بينت للإنسان الحق، ووضحته بأدلةه الإلهية والعقلية والجسمية حسب ما هو موجود من الأدلة، ولكنه أصر على أن يبقى على ما كان عليه، فأعلم أنه يبيع الهوى، والبيع الهوى مشكل، فما هو بالذي يطلب الهدى، ولا الذي يريد أن ينفع.

وقد نقول في هذا الحالتا: لا يجيب على المرء مجادلته، وإنما ينقل إلى شيء آخر، وهو معاقبة الله تعالى: "ولا تجدوا أهل السبكيت إلا إنَّهُ قد أحسن إن لم يذكروا ضلْمًا منْ هُمْ (العنكبوت: 43)"، فاللُعابيد عَضَرَة من يريد أن يبيع الحق، ولم يظهر له، والمعانيد له حال، وقد قال الله تعالى: "فذكروا إن نصمت آذاركم! (الأعلى: 9)"، يعني: وإن لم تفع فلا تذكَّر، وهذه تقدم الكلام عليها، وهذا الشرط ليس له مفهوم.

فالأصل أن تكون إذا جادلته أمام الناس أتضح الحق، ولكن إذا كتب بالباطل أمام الناس، وجب عليك إظهار الحق مثابًا بإلهي الذي ينشره، فإن لم يقتعن بالحق الذي معك، فاعلم أنه لا فائدة من جدائله.

الفائدة الرابعة: اختلاف الناس في الضلال، فليسوا على حذَّ سواء في الظن، كما أنهم ليسوا على حذَّ سواء في الهدى، وليسوا على حذَّ سواء في الغبي، وليسوا على حذَّ سواء في الرشد، وهذا قال: "ومن أضل ميمنًا تَّبع".

الفائدة الخامسة: أن الهوى قد يكون موافقًا للهدى، نأخذ من قوله تعالى:
سورة العنكبوت (الآية : 50)

قل: إن الظَّلَمُ سبب حرمان الظَّلَمِ مِن الهدى؛ لقوله تعالى: ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدي الظَّالِمِينَۙ.

الفائدة السُّالِسَةُ: أنَّ الظَّلَمُ قد عَرَض نفسه لحرمانه مِن الهدى، أو إن شئت: قُلَ: إِنَّ الظَّلَمُ سبب حرمان الظَّلَمِ مِن الهدى، لقوله تعالى: ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدي الظَّالِمِينَ.

الفائدة السَّابِعَةُ: فيها رَدٌّ على الْقَدْرِيَّةِ الَّذِين يَنْكُرُونَ قَرْنَرَ الله بالسِّبْعَةِ للأفعال، ورَدٌّ على الجُرْبِيَّةِ الجَهْمِيَّةِ الَّذِين يَقُولُونَ بعكس ذلك، والقُيَّمُهُ مِن مَّذْهَبِهم الجُبُورِ، وفيهم ثلاثُ جَمَاعَةٌ، كَمَا قَالَ ابن القيم في النُّونِيَّةٍ: ۚ جُبُورٌ وَإِزْدَاجِةٌ وَقَيْمٌ جَهْمٌ.

فَقَامَ الْمَجْمُوعُ فِي الْيَزَارِ، فَهُمْ جَمِيعًا مُّرَكَّبُهُ جَهْمٌ.

الفائدة الثَّامِنَةُ: أنَّ مِن حَرَّى العدَّلِ فَإِنَّهُ قد تَعَرَّض للهدِيَّة؛ لَكَانَ الظَّلَمُ ضَّدُّه العدَّلِ، وَعَنَفَ الهدِيَّةِ يَوْصِفُ الظَّلَمِ يَقَضِي ثُرُوتُ الهدِيَّةِ بوصف العدَّلِ، فَمِن حَرَّى العدَّلِ، فإِنَّهُ يَوْقِفُ للهدِيَّةِ، فَالعدَّلُ سبب للهدِيَّةِ، وهَكذا كَلُّ مِن حَرَّى الخِيرِ—لكن عسَى الله أن يُوقِفَ لِتَحْرِيهِ—إِنَّهُ يَوْقِفُ له إِذَا كَانَت النَّبِيَّة صَادِقَةٌ، وَالْعَزَمُ أَكْبَرٌ.

(1) أخرج ابن أبي عاصم في السنة (١١/١٢، رقم ١٥).
(2) نونية ابن القيم (ص ١٦٦).
قال الله ﷺ: "ولقد وصَلَنا فَهُمَّ الْقُوْلُ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ" [القصص: 51].

قال المفسر: "ولقد وصَلَنا" بِيَنَا "فَهُمَّ الْقُوْلُ" الْقُرْآنَ "لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ" يَتَعْطَوْنَ فِيٌّ يَوْمَيْنِ.

قلوه تعالى: "وصَلَنا" مِن التَّوصِيلِ، وحُرُوفه الأصلية: وَصَلَّ، والوصول إلى النَّبِيُّ: بِلُوَّغٍ غاينه، والمعنى أنَّ اللَّهۢ سبحانه وتعالى يَوْكَدُ في هَذِهِ الجَمْلَةِ -وَذَلِك بِحُرُوفِ ثلَاثَةٍ، وَهِي: الْقُسْمُ، وَالْلَّامُ، وَقَدْ - أَنَّهُ وَصَلَّ هُمَّ الْقُوْلِ.

وقوله تعالى: "وصَلَنا" مَعْرُوفَ أَنَّ الْفَعْلَ (وَصَلَّ) يَتَعدَّى بِإِلَى، فِيَقَالْ:
وصَلَّ إِلَيْهِ، وَيَقَالْ: وَصَلْ إِلَيْهِ، وَأَوْصَلْ إِلَيْهِ. وَلَكِنَّهَا عُدْيٌ بِاللَّامِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَضَمْنُ مَعْنَى الْوُصُولِ وَالبِيْانِ، وَهَذَا قَالَ الْمُفسِرُ رَحمَانُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهَا: [يَنِينَ اللَّهُ]
وَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ أَنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ قَدْ تَعْدَّى الفِعْلَ أَوْ -بَعْبَارَةً أَعْمَ -قَدْ تَعْدَّى العَامِلٌ
بَعْضُ ما يَتَعْدَى بِهِ.

وَذَكَّرْنَا أَنَّ لَعْلَمَاءِ النَّحْوِ فِي ذَلِكَ طَرِيْقَيْنِ:
الطَّرِيْقُ الْأُولُ: الْتَجْزَٰؤُ فِي الْحَرْفِ.
والطَّرِيْقُ الَّدِينَيُ: الْتَجْزَٰؤُ فِي الْفَعْلِ.
وهذا مثال أوضح به الأمر، قال تعالى: {أَيُّهَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ الْخَيْرَاتُ} [الإنسان: 2]، فالممَّا يشرّب منها، أما الذي يُشرّب به فهو الإنسان.

قال بعض النحويين في هذا الأمر: يمكن التجوز بالحرف، وإن (الباء) بمعنى (من)، فتكون (من) بتعبيرية.

وَقَالَ بَعْضُ النَّحَوِييِّنَ: بِلِلْجَزْوُهُ بِالْفَعْلِ يَشْرَبُ، وَإِنَّهُ صَمَّمَ مَعْنِيًّا: رَوَىَ يُشْرِبُ، فَيُوْقِعُ المَعْنَى: يُرَوِىِّ بِهَا إِذَا شَرَبَ مِنْهَا.

وهَذَا في الحقيقة أصْحَبُها، وهو مذهب البصريين.

فِي كُون قُولُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لِيُحْيِيُّهمُ بِرَحْمَتِي} أي: إِلَيْهِمُ بِبَيْنِهِ.

قَولُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يَنْذِكْرُونَ} يقول المفسّرُ رَجُمَّةُ الْدَّلِّيْلُ: {هُوَ الْقُرْآنُ}، ولعله أعمّ بما قال: المفسّرُ رَجُمَّةُ الدَّلِّيْلُ، فَالرَّدُّ بِأَلْقَائِهِ {وَالَّذِينَ يَنْذِكْرُونَ} أي: قولنا، فَالَّذِينَ يَنْذِكْرُونَ عَلَى مَا يُزَال يُنْزِل لِعَبَادِهِ مِنْ قُوْلِهِ.

وَوَلَّىٰ هُمْ تَصَلُّحُهُ بِأَمَّورِهِمْ، حَتَّى وَصَلَّتِ الْغَيْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْقُرْآنِ.

فِي كُون المَعَنِيِّ: ِئَنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا تَرْكَهُمُ هَكَذَا، ِلَمَّا زَالَتْ أَقْوَالُهُ تَصُلُّ إِلَىَّ الحَلَقِ، وَتَبَيّنُ لَهُمْ.

قَولُهُ تَعَالَى: {لَعَلَّهُمْ يَنْذِكْرُونَ} (لَعَلَّهُمْ يَنْذِكْرُونَ) {هَذَا لِلْتَعْلِيلِ، أَيْ: لَأَجْلَ أَنْ يَنْذِكْرُوا، وَالَّذِينَ يَنْذِكْرُونَ بِمَعْنَى ذِكْرِ الْشَّيْءِ}.

وَهَذَا فَالَّذِينَ رَجُمَّةُ الْدَّلِّيْلُ دَائِرَةً يَقْسِرُونَ {يَنْذِكْرُونَ} بِلَازِمِهِ، وَهُوَ الْعَتِيقُ، وَإِلَّا فَأَصَلُّ الْتَذِكْرَ: {يَذَكَّرُونَ الْعَتِيقِ}، أَيْ: كَنُّهُ مَنْهُ عَلَى ذِكْرِهِ، لَكِنَّهُ هَذَا لَازِمٌ، وَهُوَ الْعَتِيقُ.

وَهَذَا مَجْرَدُ الْذُّكْرِ يَذَكَّرُونَ بِالْعَتِيقِ، وَهَذَا لَازِمٌ، وَالَّذِينَ رَجُمَّةُ الْدَّلِّيْلُ يَقُولُونَ: {يَتَّبَعُونَ} {أَيْ: يَتَّبَعُونَ فِي هَذَا الْمَعْظَمَةِ وَالْقَوْلِ، (فِيْوَمٍ،)}.
من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: إن الله عز وجل لم يجعل الأرض من الروح؛ لأن التوصيل معناه.
وصير الآخر بالثاني.
الفائدة الثانية: أن الروح مستعمل على غاية البيان؛ لأننا قلنا: إن وصل مضمون.
معنى بيان.
الفائدة الثالثة: بيان نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة؛ بإيصال القول إليه:
من قولهم: "ولقد وصلنا هم".
الفائدة الرابعة: أن الحكمة من الوحي التذكّر والاعتقاذ؛ لقوله تعالى: "لعلهم يذكرونه".
الفائدة الخامسة: إثبات العلة في أحكام الله الكونية والشرعية، وأنه لا يفعل.
شيئًا، ولا يشركه إلا لكنية.
الفائدة السادسة: تفهيم أفعال الله، وأحكام الله الشرعية والكونية، والذي خالف في ذلك هم الأشاعرة، والجهمية هم الأصل، قالتوا: أفعال الله لا تعلل.
وأحكامه لا تعلل.
قال الله ﷺ: «آلذين كتبنا في قلوبهم، هم يؤمنون» [القصص: 2].

قال المفسر رحمه الله: «آلذين كتبنا في قلوبهم» أي القرآن «هم يؤمنون» أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود، كعبد الله بن سلام وعمره، ومن النصارى قدموا من الجسمية، ومن الشام.

قوله تعالى: «آلذين كتبنا» بمعنى: أعطيناههم، والإثنا هنا شرعي، ويجمل أن يكون إثنا قدرًا، أي: قدerness أن يأتيهم الكتاب، وهو الوحي، فأتاهم.

وقوله تعالى: «لكتب» بمعنى المكتوب، والمراد به التوراة، وكذلك الإنجيل، كلها تسمى كتابًا.

وقوله تعالى: «فن قلبه» القشير يعود على القرآن، أي: من قلب القرآن.


إعراب الآية: «آلذين» مبتدأ، وجعله «كتابهم» صلة الوصول، و«هم» مبتدأ ثان، وقوله: «يهو يؤمنون» خبر المبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني، وخبره خبر المبتدأ الأول.
والظافقية من تكرار المبتدأ كأنه أُستَدَّ الإيَان إِلَّيْهِم مرتين، مرَّةً بالضمير {هُمْ}،
ومرَّةً بالمبتدأ الأول {الَّذين}.

وأثنى في قوله: {يُؤْتُونَكَ} بالفعل المضارع الدال على الاستمرار، إشارة إلى
أَنِّهم تلقؤ به عن قول وإذعان، وأنهم ما زالوا على هذا الأمر.

وِهِذه الجملة بالنسبة لما قبلها في المعنى كأنها إقامة دليل على الذين كَذَبوا
بالقرآن، كأنه يقول: الذين أتوا الكتاب من قبلهم آمنوا بالقرآن، ما يدل على أنَّه
حق؛ لأنهم مع أنهم أهل كتاب تركوا كتابهم، وأمَّنوا بالقرآن، وأتم أهل جهل،
وليس لديكم كتاب؛ فكان حقًا عليهم أن تكونوا قبلوا في الإيَان؛ لأنَّهم من الصعب
أن ينتقل الإنسان من كتابه، أو من دينه إلى دين آخر، لكن ليس من الصعب أن
الإنسان ينتقل من جهل إلى حق وعلِم.

ثم إنّ فيها أيضًا تأنيبًا هُؤلاء، و فيه أيضًا دليل على أنَّه حق؛ لأنَّ الذين أتوا
الكتاب ما آمنوا به إلا عن علم، وَهو كذلك، فإنه لا شك أنَّ النبي ﷺ كان مكتوبًا
عند بني إسرائيل في التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: {يُؤْتُونَكَ} كما يُؤْنُونَ أَبْنَائِهِمْ
[البقرة: 142]، حتى أوصافه الخلقية موجودة عنهم، يقطع النظر عن منهجه وسيرته،
كما قال سبحانه وتعالى: {بَأَمَرُوهُم بِالصَّرْطَةِ} وِيَتَّهَمُونَ الْمَسَّحِيَّةَ وِيَتَّهَمُونَ عَنْهُمْ إِسرَاهِمْ وَالَّأَخْلَافِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
[الأعراف: 157].

هذا كله موجود في التوراة والإنجيل ومعرفة، ولهذا التجمع اليهود في المدينة
من أجل أن يستقبلوا هذا النبي ﷺ، الذي وَجَدُوا صَفَتَهُ عنهم، ويُؤْمِنون به،
وكانوا كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَكَأَنَّ مِن قُبْلِ يُسْتَفْقَيْنَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا}
[البقرة: 89]، أي: يستنصرعون عليهم بهذا النبي، "فلما جاء بهم ما عرفوا صقووا يهود."
[البقرة: 89].

فالحاصل في هذه الآية أن وجه تعلُّقها بها قبلاً من وجهين:

الوجه الأول: تأنيب الجاهلِين على الكُفر بِمحمدٍ ﷺ، مع أن أهل الكتاب
- وهم على دين - انتقلوا من دينهم إلى دينه، فكتبُوا أولى باتباعه.

الوجه الثاني: إقامة ذِلْلِي على صحة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن هؤلاء الذين عندهم علم من الكتاب ما انتقلوا إلا أن علم بأنَّه حق، والمناسبة واضحة جدًا بُين هذه، وبين النصوص التي قبلها، ولا ريب أيضًا أن في هذه الآية ثناء على الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام من الذين أوثدوا الكتاب، وهذا عطف بـ "هم يؤمنون" ولم يستكبروا عنه، بالرغم من وجود كتبهم معهم.

فالشوكون لم يأتِهم كتاب من قبل، ولا نبي، قال تعالى: "ما أنتم مِن ذوي دين قبلكم" [القصص: 42]. فهناك هذَا من باب الجنس، ومعناه: أننا لم نتركهم هكذا، بل إن القول وصل إليهم كما وصل إلى غيرهم، فإنَّ الله ما زال سنجاً وفعال يُنزل الكتاب على من سبق.

قال المفسر "حمَّال الله": ["هُم يُؤمِنون" أيضًا]، يعني بقوله: [أيضاً] كما آمنوا بكتُبهم، وأيضاً من الأسماء اللازمة للنصب على المصدرية؛ لأن فعَّلها: آمَنُ
- بيض، أيضًا، مثل: بائع، يبيع، بيعًا، لأن معناه: رجع.

فالمعنى: أمرهم هم أيضًا يؤمنون بالقرآن.

قال المفسر "حمَّال الله": [نزلت في جامعة أسلموا من اليهود، كعبد الله بن سلام]
وَغَيْرُهُنَّ، وَمِنَ النَّصَارَىْ قَدْ مَوَىْنَ مِنَ الْحُبُّشَةِ، وَمِنَ النَّشَامِ.

وَكَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الشَّامِ، أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ يَيْلُ عبدُ اللَّهِ بْنِ سَلاَم، وَاشْتَهِرَ

أَبْنُ سَلاَمِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ، لَيْسَ كَانَ خَيْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، وَكَانَ

كَمَا قَالَ الْيَهُودُ عَنْهُ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِلَهَامُ قَالُوا: أَعْلَمُونَا، وَأَبْنُ أَعْلَمُونَا،

وَأَخْيَرُونَا، وَأَبْنُ أَخْيَرُونَا

قَالُوا ذلِكَ مُتَرَفِّينَ لِهِ بِالْفَضْلِ، الْعِلْمِ، الشِّيَاطِينَ، وَهُمَا كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهِ

الْمَلُكِ; لَأَنْ لَنْ يَكُونَ مِثْلُ سَيْدٍ في قُوَّةِ قَدْ مَثَلَهُ السَّيَاطِينُ عَلَى أَنْ يَنْافِقُ، وَقَدْ يَحْلِلُ

أيْضًا حُكْمُ الرَّسُولِ عَلَى عَدْمِ الْإِتْبَاعِ لِغَيْرِهِ، لَوْ أَنَّهُ إِذَا تَبَعَ غَيْرَهُ صَارَ مَرْفُوًّا لَرِيَاسِا،

لَكِنَّهُ سُقِيَّةُ تَوَاضِعَ لِلْحَقِّ، فَكَانَ مُؤَمِّنًا بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِلَهَامُ.

وَقَصَةٌ إِيَانَهُ مِعْرُوفَةَ، فَإِنَّ الرَّسُولِ ﷺ: خَبَاءٌ، وَدَعا الْيَهُودَ وَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَأَثَنَّى

عَلَيهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَكَذَّبَ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِلَهَامُ، فَقَالَ لَهُمْ:

«أَقْرَأُوهُمْ إِنْ أَسْلَمُتُ عَبْدُ اللَّهِ» قَالُوا: أَعْلَمُونَا أَقْرَأُوهُمْ إِنْ أَسْلَمُتُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّهُ وَأَشْهَدُ أَنْ هُوَ أَحَدُ الْرَّسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرَّناً، وَأَبْنُ شَرَّناً، وَوُفَقُوا

فيهِ. فَإِنَّهُمَا خَرَجُوا إِلَا وَهُمْ يَتَّقُونَ عَلَيْهِ شَرًَّا لِأَنْهَا أَسْلَمُ.

قَالَ الْفَرْسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [كَذَلِكَ تَرَأَّلَتْ فِي جَمِيعِ مِنَ النَّصَارَىْ قَدْ مَوَىْنَ مِنَ الْحُبُّشَةِ،

قَالَ عَطَاءٌ: «كَانُوا تَنَازَعُونَ رَجُلًا: أَرْبَعُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ

وَأَئِنَا وَ ثَلَاثُونَ مِنْ الْحُبُّشَةِ، وَثَانِيَةٌ رَويَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْشَّامِ»(1).

(1) أَخْرِجَهُ الْبَيْخَارِيُّ: كَتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ خَلَقَ آدَمَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلِيهِ وَذَرَيْهِ، رَقْمُهُ ٤٣٧٩.

(2) تَفَسِّيرُ الْبَغْوِيِّ (٣٢/٧٥).
وفيهم نزلت: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول رضي الله عنه تقييض وربة الدين) [المائدة:32]، والخليفة قد أسلم فيها نصارى، مثل النجاشي، فإنه أسلم، ودخل يسوع الإسلاَم، وكان قبّل ذلك على يمين النصرانية، ووصفه النبي عليه السلام بقوله الله تعالى: "ولأنه رجل صالح".(1) فالمهم: أن من الذين أُنذروا الكتاب من اليهود والنصارى قومً أمنوا بالقرآن أيضًا.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن اليهود والنصارى فهم من آمن بالقرآن، لقوله تعالى: "ألّذين أُذن بهم القرآن، انقلبوا على يديهم، هم يبهرون أيمنهم".

الفائدة الثانية: أن حكم القرآن قد يتناول جنسه، ومعناه: "ألّذين أذن بهم القرآن من قبّليه"، لو نظرنا إليها وجدنا أنها عامة تشمل كل اليهود أُذنوا الكتاب، وليس كُل اليهود أُذنوا الكتاب من قبل آمنوا بالقرآن، فهناك نصارى ظلوا على نصرانيتهم، ويُهود ظلوا على يهوديتهم، ولكن من هؤلاء من آمن، كعبد الله بن سلام والنجاشي، فنسب إياه عبد الله بن سلام علمه بها في التوبة من صفات الرسول محمد ﷺ، وهذا العلم يشمل جميع اليهود.

إذن فهُنَا أعطينا الجنس حكّم الفرد؛ للجنس التي تشمله وغيره.

فقوله تعالى: "ألّذين أذن بهم القرآن من قبّليه، هم يلهرون أيمنهم" لا يعني أنهم كُلهم

(1) كما في حديث جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: "أيما من مات النجاشي: (مات النبي ﷺ رجل صالح، فقوموا فضلوا على أخيهم أصححتهما". أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، رقم (3877).
آمنوا، وَلَكِنْ مَا آمنِ إلا بعضِهم، لَكِنْ هَذَا الإِيَّانِ مِن بعَضِهِم حَمَّلَهُ عَلَى العِلَّةِ الشَّامِلَة لِجَمِيعِ الجَنْسِ.

الفَائِئَةُ الثَّالِثَةُ: الْبَالِغِ عَلَى الْذَّينَ آمنُوا بِالْقُرْآنِ، وِبِالْكِتَابِ السَّابِقِ، لَقُولِهُ:

َهُمْ يَهَوَّئُونَ».

قال الله عز وجل: "وإذا ينزل عليهم قلناً آمنًا يهِيَهُ إِنَّ الْحَقُّ مِنْ زَيْدًا إِنَّا كَانَا مِنْ قَبِلٍ."

{القصص: 32}.

قال المفسر رحمه الله: "وإذًا ينَّزل عليهم القرآن قلناً آمنًا يهِيَهُ إِنَّ الْحَقُّ مِنْ زَيْدًا.

إِنَّا كَانَا مِنْ قَبِلٍ. مُسَلِّمٌ وَمُؤْهِجٌ}

قوله تعالى: "وإذا ينَّزل عليهم: [إذا] شرطٌ، وجواب الشرط مُتَّصل بِفَعْلِهِ مباشرةً

بمعنى: أنه ميتي وَجَدَ الفَعْلُ الشرط وَجَدَ جواهِه، فهو مِن الاتصالِ الْوُضْعُوٍ: إذا وَجَد

الشرط وَجَدَ المشروط.

فقوله تعالى: "وإذا ينَّزل عليهم: [إذا] يَّلَيْ: إِنَّ أَيْنَ يَّلَيْ: وإنما جاء بالمضارع، أي: إنَّ

أي آيَة تُّنَّزل عليهم يقولون: آمنًا بها. فهم لم يَّوْمًا بأيْنَ يَّلَيْ: بالقرآن جَعْلَتِه، بل آمنوا بالقرآن
tَفْسِيْلًا، لأنَّ الفْعَّل المضارع يُّلَدُّل على الاستمرار، فكلَّما تُلَّبِّت عليهم آيَةَ آمنوا بها،

فزادتهم إياها.

"وإذا ينَّزل عليهم: [إذا] يَّلَيْ: أي: يَّلَيْ عليهم: قلناً آمنًا يهِيَهُ أي مُباشِرة، بلا ترْكُد،

أو نَظْر، أو تفكيك; لأننا قلنا: لَوَ لاَّ جَوَابُ الفَعْل الشرط قلناً آمنًا يهِيَهُ، بَلِي فَعْل الشرط

"وإذا ينَّزل: [إذا] يَّلَيْ: مباشرة، أي: بالذي يَّلَيْ عليهم من القرآن، قليلاً كان، أو كثيراً، ثم بَيْنَاهَا

أي إياهم هذا عن اقتنا، وَأَيْنَ إِيَاهُم.
قوله تعالى: "إِنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّنَا". أي: ما تَلِي عليه من القرآن، "الحقّ".
بمعنى: الشيء الثابت الواقع، الصادق خبيراً، العاَلِم حكماً.
ونرى آنهم قالوا: "مِن رَبِّنَا"، ولم يقولوا: من الله؛ لأن الرَب هو الذي له التصرُّف المطلق، فهو يتصرف بعباده شرعًّا وفَرْعًا، فكأَنهم يقولون: إن رَبِّنَا لَن يُجَلِّينا
مِن أَنْ يُنُزِّلُ الْقُرْآنَ وَلَهَ الحَكِيم وَالْتَصَرُّف المطلق؛ كُوَّن وَشَرَعًا.
وقولهم: "مِن رَبِّنَا" هذا إشارة إلى أنهم رَبِّنَا يَغْيِرُون بانتسابهم إلى الله
سُبُحَانَاهُ وَتَعَالَ.
وقوله: "إِنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّنَا" الجملة من حيث المعنى تَعْلِيْلَيْة لمَّا قَبْلَها، بمعنى:
أما به، لا لأنه أعجبنا حسنُه وبيانه وبلاغته، ولكني أمنًا به لأنه "الحق من رَبِّنَا".
فإذا قال قائل: إذا كانت الجملة تعليلية، فلماذا لا تفتح الحمزة، فيقال: (الله)
الحق من رَبِّنَا؛ لأن الجملة التَعْلِيْلَيْة على تقدير (اللام)، و (اللام) إذا اتصلت بـ (إِن)،
وَجِبَّ فَتَح همزةها، قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَبْطَنُونَ مَا قَالَ اللهُ وَقَالُوهُمْ وَجِلَّهُ أَنْ تَوَلَّوُهمْ
رَجُوَّنَى" (المؤمنون: 109)، ولم يقال: (إِنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ)?
فلننا: الجملة التَعْلِيْلَيْة قد تكون تعليلية من حيث المعنى فقط، وقد تكون تعليلية من حيث اللَفْظ مع المعنى؛ فإن لوحظ مَعَهَا اللَفْظ مع المعنى، فإنها الحمزة
تُفتح؛ لأنها على تقدير اللام، وإن لوحظ المعنى فقط؛ فإنها تُكَسَّرُ الحمزة، وهنا لوحظ المعنى فقط.
وقوله: لكل مِقام مقال، فمُلاحظة المعنى فائدة أنها الجملة تكون من حيث
اللفظ منقطعة عما قبلها، فكأنها جملة خُرَّياً مستقلة، وكأنها منقطعة عن اللفظ.
لكن إفادة التعليل من السياق.

وأما التعليلية ألفية فإنها تكون مرتبطة بها قبلاً، قال ابن مالك (1): `فأكبر في الأبد وَفِي بْدِئ سَلَة` وَجِبَت إن لييمين مكَيِلَة. 
فهذا هو الفرق بين الجملة التعليلية التي قصد بها الفظ والمعنى، والتي قصد بها المعنى فقط.

قوله تعالى: `إِنَّا كَانَ مِنْ قَبْلِ مُسْلِمِينَ` أي من قبل القرآن.

قال الفاضل رحمه الله: [مُؤَرِّخين]، وَلَو أَنَّ فَسَر الإِسْلَام بِظَاهِرَه لَكَانَ أَوَّلٌ. لأن الإسلام معنا الاستسلام والانقياد، وأصله من عقد الممارسة والمحاربة، وهذا يقال: السلم والإسلام، معناه عدم الممارسة والمحاربة، فكلمة `من قبلي مسلمين` أي: مُنِقَّادين مُدْعَين للحق.

وقولهم: `إِنَّا كَانَ مِنْ قَبْلِ مُسْلِمِين` ليس المراد بذلك الفخور والإعجاب بالعمل قطعاً، لأن السياق سياق ثناء، ولكن المراد بذلك الثناء على الله بما كانوا عليه في الحالين: في الحال السابقة، وفي الحال الثانية، في الحالة الثانية `وَإِذَا يَنْزِلُ عَلَيْهِم نَارٌ`، والحال الأولي: كانوا `من قبلي مسلمين` مُنِقَّادين مُتَبَعِين للرسول ﷺ الذي جاء إليهم.

وقوله: `مسلمين` خبر `كنا`، ولا تقدّم عليه قوله `من قبلي`؛ لأن الخبر هو ما تخص به الفائدة، سواء تقدم أو تأخر.

(1) ألفية ابن مالك (ص 21).
من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: زيادة التثنية على هؤلاء بأنهم يؤمنون بكل ما يتلى عليهم، فهم قد آمنوا بالقرآن جملة وتفصيلاً، وأخذوا ذلك من قوله: "وَإِنَّا يَتَّلُونَ، وَ"فَاعِلُونَ" فَعَلُّوا مَضَارِعًا يُذَلِّلُونَ على الحدوت والاستمرار، ويذلُّون على التجهد والحدوث، وأن هذا شأنهم كلًا بلي عليهم.

الفائدة الثانية: أنهم آمنوا لا لمجرد الهوى، ولكن آمنوا إيمانًا ثابتًا على اقتناع يُؤخذ من قومهم: "عَامِلَةُ بَيْنَهُمَّ إِنَّهُ اللَّهُ مِنْ ذَٰلِكَ، فَمَا آمَنَوا هَكَذَا تَبَعَ لِلنَّاسِ، وَلَكِنَّ آمَنَوا عِنْدَ الْحَقِّ.

الفائدة الثالثة: أن القرآن من عند الله، لقوله: "مِن ذَٰلِكَ.

الفائدة الرابعة: كمال عقل هؤلاء الذين آمنوا، حيث عبروا هنا بالرُبوبية بقولهم: "فَلَمْ رَأَى" دون الألوهيّة، لأن المقام يقتضي ذلك، فإن الرّب لَهُ الحكم يحكم بما يشاء كونه وشرعًا.

الفائدة الخامسة: أن هؤلاء كانوا مؤمنين مسلمين متفقين للكتب السابقة، لقوله: "إِنِّي كَانُوا مِنْ قَبِيلَهُ مُسْلِمِينَ.

الفائدة السادسة: جواز ثناء المرء على نفسه بالصفات المحمودة، بشرط أن تكون في ذلك مصلحة، ولا يكون فيه افتخارًا، وعلو على غيره؛ لقوله: "إِنَّا كَانُوا مِنْ قَبِيلَهُ مُسْلِمِينَ، وَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ مِنَ الرُّسُولِ وَمِن الصَّحابَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ، أَنَا أَبِنُ عَبْدٍ المُطَلِّبِ"(1).

(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (٢٨٦٤)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٦).
لا علم الله إلا في كتابه، لا إله إلا الله، فلا يقربون عليه إلا من كان له إذاء مطلق.

وهذا شأنه على نفسه لكن لمصلحته، والعلاء كثيراً إذا كتبوا كتاباً ينشبون عليه به.

يقضي هذا الكتاب من أوصاف النداء، ومعلوم أن النداء على الكتاب ن слова على مصنفه، فلو أنك أبتنت على هذا النداء فأنت في الواقع قد أتيت على الباني، فهذه المسألة يجوز للإنسان أن يتنبئ على نفسه بصفات الحمد بشرطين:

الشرط الأول: لا يريد بذلك الاستغفار على غيره، ووجهه ظاهر، لأن إذا قصد بذلك الاستغفار والعلاء على النداء، فهذا قصد مشروط، وهذا قال رسول الله ﷺ:

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا مخرج." (1)

والشرط الثاني: أن تكون في ذلك مصلحة، لأن إذا لم تكون فيه مصلحة، كان لغو من القول؛ لأن الإنسان يستدح نفسه دون مصلحة، وإلا أنه لو لم يريد أن يثير صفاته ليمتنع بها على غيره، ما فعل ذلك، حتى لو قال: أنا لا أريد المنفر.

فالأصل أن هذا لغو من القول، إذ لا فائدة منه، والرسول ﷺ يقول: "من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليصمت." (2)

(1) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم (4716).
(2) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، ﷺ، رقم (2163).
(3) أخرجه البخاري: كتاب الفضل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلقين، رقم (2268).
(4) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذج جاره، رقم (4716).
(5) مسلم: كتاب الإيام، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (4718).
فطالما أنها ليس فيها خير، ثم إنها تؤدي إلى مفسدة؛ قلا داعي لها، لأننا إذا فرضنا أن هذا الرجل لا يقصد الافتيحار أبدًا، فإنّه يفعله هذا يفتح بابًا لآخرين ليفتخروا.
قال الله تعالى: {أولئك يؤثرون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرون بالحسنات}
{والسزية وما رفعتهم يرفعون} [القصص: 45].

قال المفسر رحمه الله: {أولئك يؤثرون أجرهم مرتين} بإيمانهم بالكتابين {وما صبروا} يصبرهم على العمل بها {ويدرون} يدقعون {بالحسنات السزية} منهم {وما رفعتهم يرفعون} يتصدقوون.

قوله تعالى: {أولئك} إشارة إلى الذين أوتوا الكتاب من قبل فآمنوا به، ثم آمنوا بالرسول.

قوله تعالى: {يؤثرون أجرهم} أي: يعطون أجرهم، والفعل مبني للمفعول، وهو الواو في قوله: {يؤثرون} وتعر نائب فاعل، والمفعول الثاني {أجرهم}.

وأما قوله تعالى: {مرتين} فإن مفعول مطلق، فهو دال على المصدر، لكنه بغير لفظه، وكثير ما دلل على المصدر بغير لفظه فهو مفعول مطلق، {مرتين} بإيمانهم بالكتابين، فهم {يؤثرون} أجرهم} مرتين: المرة الأولى: على الإيام بالكتاب السابق، والمرة الثانية: على الإيام بالقرآن.

وأما أهل الجاهلية الذي آمنوا بالقرآن فيعطون أجرهم مرة واحدة؛ لأنهم آمنوا به فقط، وقد ثبت بهذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كيا في حديث مرفق:
"أَسْلَمْ تَسْلَمٍ، يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَزْرَعٍ"(1).

إضافة لهذه الآية ذكر الذين "يُؤْتُونَ أَجْرًا عَلَى مَزْرَعٍ"، فقال: "كَلَّا، يُؤْتُونَ أَجْرًا عَلَى مَزْرَعٍ". و"

مرَتَبَة: الْرَجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمْوَةُ، فَيُعْلِمُهَا فِي خِلْقِهَا تَعْلِيمًا، وَيُؤُهِّلُهَا فِي خِلْقِهَا أَدْبَاءًا، ثُمَّ يُعْلِمُهَا فِي خِلْقِهَا وَجُهُورًا، فَلَهُ أَجْرًا، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مَوْعِدًا، ثُمَّ آمَنَ بِالْنَّبِيِّ(صَلَّى اللهُ بِسْلَمُهُ)

فَلَهُ أَجْرًا، وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤْدِيُّ حَرَّمٍ لَّهُ، وَيُصَدِّقُ بِنَبِيِّهِ(صَلَّى اللهُ بِسْلَمُهُ)

قَولُهُ تَعَالَ: "يَتَّبَعُونَ الْباء لِلسَّبِيلِ، وَ(مَا) مُصَدِّرَةٌ، وَعَلَامَةً مُصَدِّرَةٍ أَنَّا نَحْوُلُمَا بَعْدًا إِلَى مَصَدِّرٍ فَتَكُونُ كَمَا قَالُ الْمُسْرِرُ رَحمَ اللهِ لِصَارِبِهِمْ.

وَلَا يَقْبَلُ أَنْ نَكُونَ (مَا) هَذَا مُوَسِّكوًا، فَلَوْ كَانَتُ موْسِعَةً لَكَانَتْ عَلَى تَقْدِيرِ الصَّمِيرُ، الَّذِي صَبِرَوْهُ، وَهَذَا لَا يَسْتَقَيمُ.

فَإِذَا نَعْيَنِاهُ هَنَا كَوْنَا مُصَدِّرَةً، أَيْ: يَصَبِرُونَ، وَهُوَ أَحَدُ مَتَحِلِّلٍ (مَا) العَشَرَةُ،

نَذَكْرُوهَا هَنَا لِلفَائِدَةِ، جِعْنَا فِي بَيْنِ وَاحِدٍ مِنَ الْشُّرْعِ،

سَفُهُمْ مَرْطُ الْوَضْلَ فَأَعْجِبُ لَنَكُرُهَا يُكْفُوُونَ وَنَصْبُونَ زِيدًا تَعْظِيمٍ مُصَدِّرٍ

وَقَوْلُهُ: "يَتَّبَعُونَ الْباء لِلسَّبِيلِ، وَهَذَا الْصَّبِرُ، يَصَبِرُونَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا، وَهَذَا الْصَّبِرُ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا هُوَ مِنْ بَابِ الْصَّبِرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَمِنْ بَابِ الْصَّبِرِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمِنْ بَابِ الْصَّبِرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ، فَهُمْ صَبِرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ".

(1) أَخْرِجَهُ الْبَخَارِي: كُتْبُ بَعْدِ الْوُهُي، بَابُ بَعْدِ الْوُهُي، رَقْمُهُ (٧)، وَمَسْلِمُ: كُتْبُ سُلْطَانِ الْجَهَادِ وَالسِّلْطَانِ، بَابُ كُتْبُ الْمَلِكِ، بَابُ بَعْدِ الْوُهُي، رَقْمُهُ (٧٧٧٣)، رَقْمُهُ (٥٢٣)، رَقْمُهُ (٣١٠).

(2) أَخْرِجَهُ الْبَخَارِي: كُتْبُ الْجَهَادِ وَالسِّلْطَانِ، بَابُ فَضْلِ مِنْ أَسْلَمِ الْحَبَّةِ، بَابُ جَهَادِ الْحَبَّةِ، رَقْمُهُ (١١٣٠)، وَمَسْلِمُ: كُتْبُ الْمَلِكِ، بَابُ جَهَادِ الْحَبَّةِ، بَابُ جَهَادِ الْحَبَّةِ، رَقْمُهُ (١٥٤٨).
النَّفْس تُحِتَاج إِلَىِّ المعالجة، فهذَا صَبِر على طَاعَةِ اللَّهِ، وَفي الشَّرَائِع تَوَأَءْهُمْ عَنْهَا، فَيَشْقُكُّ الَّذِي يَشْقُكُهُ الَّذِي يَشْقُهُ، فَهُمْ صُبُرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

كَذَلِكَ أُيُوبًا فِي الشَّرَائِعِ إِذَا؛ فَإِنَّ المُجَرِّمِينَ يُؤْدِونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَبَّا يَضَرِّعُونَهُمْ.

وَرَبَّا يَقْتُلوُنَّهُمْ، وَهَذَا صَبِرٌ عَلَى أَقَدَارِ اللَّهِ الْمُؤْلَةِ.

فَعَلَ هَذَا يَكُونُ الصَّبِرُ عَلَى الشَّرَائِعِ يَتَضَمَّنُ الصَّبِرُ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ: الصَّبِرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى أَقَدَارِهِ الْمُؤْلَةِ.

وَأَصْلُ الصَّبِرِ فِي الْلُّغَةِ الْحُبْسِ، وَمِنْهُ قَوْمُهُمْ: قَيْلُ فِلَانْ صَبِيرًا عَلَى الْحُبْسِ، أَيْ: مُحِبَّسًا عَلَى الْحُبْسِ، وَهُمْ يَقْتُلُونَ، وَفَعْلَى الصَّبِرِ: حَبْسُ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ تُحِتَاج إِلَى الْحُبْسِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ سَيْحَةَةً وَتَغْلَّبَهُ لَآَنَّهُ كَمْ مِنْ إِسْمَّاءِ يَقُولُ لَهُ ضَمَرَهُ: افْعَلْ كَذَا مِنْ الطَّاعَةِ، وَرَبَّا يَرَفَعُ بَعْضَهَا، ثُمَّ يَعْجِرُهُ، فَلا يُصَبِّرُ نَفْسَهُ، وَكَذَلِكَ بِالمَعْصِيَةِ فِي الصَّبِرِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَذَلِكَ بِمَعْصِيَةِ النَّفْسِ.

فَإِنَّ النَّفْسِ المُطْمَهَةَ تُرَجُّعُ المَرَّةَ عَنِ المعَصِيَةِ، وَلَكِنْ تَأْتِيهَا النَّفْسُ الأَمْامَةُ بِالسَّوَءِ فَتَأْمُرُهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَحْيَ ظَنِّ تَتَصَارَعُ النَََّفْسُ، وَالْوَقْفُ يُبْدِي اللَّهُ عَرَجَهُ

كَذَلِكَ بِالْمَعْصِيَةِ لِلْأَقَدَارِ، فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُصَبِّرُ عَلَى الْأَقَدَارِ، فَلِإِذَا نَزَلَ بِهِ الْقَدَرُ مِنْ قَلْبِهَا، كَأَنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا نَتَّخِذُونَ مِنْ أَمْرٍ يَشْرِبُونَهُ عَلَى حُجَرِهَا مَا أَصَابَهُ، حَيْرَانًا الْأَمْامُ يَدُوْرُ مَنْ أَصَابَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ نَجَلَّةً عَلَى وَجْهِهَا حَيْرَانًا الْأَحْمَرُ وَالْأَحْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْخَسَرُ الْمُهْرَمُ» (الْحَجَّ: 11).

فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ لَا يُصَبِّرُ عَلَى الْأَقَدَارِ الْمُؤْلَةِ وَيَقْتُنُهُ، وَهُنَاكَ مِنْ النَّاسِ مَنْ إِذَا أَبْتَلَى بِمُصَلَّبِ أَنْتْهَى، فَهُؤُلَاءِ لَا يُصَبِّرُونَ عَلَى الْأَقَدَارِ، فَقَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ، لِيَعْذَبُوهُ بِمَا قَتَلُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمِ، وَيَقْتُلُونَ فِيهَا، كَأَنَّهُمْ فِي الحَدِيثِ: «مَنْ تَرْدَى مِنْ جَبَلٍ قَتَلَ تَفْسِيْهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمِ يُبَرَّدُ كَلِمَاتَهُ فِيهَا أَبَا، وَمَنْ تَحْسَى
سَمَا فَقُطَّلْ نَفْسًا، فَسُمِّيَ فِي بَيْتٍ يَحَسَّنًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُغَلِّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمِنْ قُتْلِ نَفْسُهُ بِحَدِيدِهَا، فَخُلِّدَتْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُغَلِّدًا فِيهَا أَبَدًا»(١).

لكن الصَّبِر عَلَى النَّقْدَادِ الْمَوْلَةَ أَمْرُ يُمَكِّن لِلْإِنْسَان أَن يَصَبِّرُ عَلَيْهِ، وَيُحِاسب

نَفْسَهُ حَتَّى يَسْتَقِيمُ.

وَالصَّبِر عَلَى طَعَاءِ اللَّهِ أَفْضِلُ وأَعْلَى وَأَكْمَلُ مِن الصَّبِر عَنِ المُعْصِيَةِ لَكَنْ فِيهِ
جِهَادٌ: جِهَادًا عَلَى الْعَمْلِ، وَجِهَادًا عَلَى تَحْمِيلِ الْعَمْلِ، ثُمَّ الصَّبِر عَنِ المُعْصِيَةِ لَكَنْ فِيهِ
جِهَادٌ وَاحِدُ عَلَى تَحْمِيلِ تَرْكِهِ، فَلَيسَ فِيهِ عَمْلٌ، يَقَالُ: لا تَرَنَّ، لا تَرَنَّ، ما أُمْرُ
وَكُلِّفَتْ بِفَعْلُ شَيْءٍ.

وَالصَّبِر عَلَى الْقَبْدَارِ الدُّوَّارِيَةِ، أو الْمُوْلَةَ هُوَ أَدْنَاءُ، لَكَنْ صَبِّرَ عَلَيْهَا مَا لَا أَخَيْرَ
لِلْمَرَّةِ فِي هَذَا كَأَمَّا بَعْضُ السَّلَفِ: «الْعَلَايْلُ يَفْعَلُ فِي أَوْلِيَاءِنَا مِنَ الْمُصِيبِيْنَ لَا يَفْعَلُهُ
الجَاهِلُ بَعْدَ أَيَامٍ، وَمَنْ لَا يَصِبُّ صَبْرٌ هَذَا الْكَرَامُ سِنَّةٌ سَلَوَ الْبَهَاءِمُ»(٢).

كَلْ إِنْسَانٌ إِذَا أُصِبَ بِمُصِيبَةٍ، وَطَالَ عَلَيْهَا الرَّمُّ، فَإِنْ يَنْسِى.

وَهَذَا كَانَ صَبِرٌ يُوسُفُ عَلَى تَرْكِ الصَّرْحَةِ بَامْرِآ أَرْعَيْهَا أَكْمَلُ مِنْ صَبِيرٍ عَلَى مَا
حَصَلَ مِنْ فَضْيَةٍ إِخْوَاهُ لِهَا لَبِيْبٍ، وَهَذَا كَأَمَّا الَّذِي أَتَلَى الْلَّهُ تَعَالَ: «مَعْنَى أَنْ يَصِبْرِهِ عَنْهُ
الْشَّوَا، وَالْفَتْحُ تَأَقَّلُهُ إِنْ تُعَبَّدَ أَنْ يُخَلِّصَهُ» (يُوسُف١٤:٢٤)، وَلَمْ يَقْلَ مِثْلُ هَذَا جَعَلَ
أَلْقُوهُ فِي غَيْبَةِ الْجَبَّٰلِ.

(١) أَخْرِجَهُ البَخْارِيُّ: كِتَابُ الْبَطِحَةِ، بَابُ شَرْبِ الْأَسْمَاءِ وَالدِّوَاءِ وَهُمْ يَجْعَلُونَ مِنْهُ وَالْحَبِيضَ، رَقْمُهُ (٥٧٨).
(٢) ومَسْلِمُ: كِتَابُ الْإِيَانِ، بَابُ غَلْطِ تَحْرِيمِ قُتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَأَنِّي مِنْ قُتْلِ نَفْسِهِ بَشَيْءٍ
غَدِّيَتْهُ بِهِ فِي النَّارِ، وَلَنَأَلْقَيْنَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسِ مَسْلِمَةٍ، رَقْمُهُ (١٠٩).
(٣) عَسَى لَنَأَلْقَيْنَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسِ مَسْلِمَةٍ، رَقْمُهُ (١٠٩).
(٤) تَسْلِيْةُ أَهْلِ الْمَصِيبَةِ، مَحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحَمَّدُ، شَهِيْسُ الْدُّينِ المَنْبِجِيِّ (ص٢٩).
فَالصَّبْرِ عَلَى الْأَقْدَارِ أَعْظَمُ، فَقَدْ يُصِيبُكِ ما يُولُكِ، لَكِنَّهُ شَيْءٌ بِغِيْرِ اخْتِيَارِكِ،
أما المعايَشِ فَقَدْ تَرَكْتُكِ بِاِخْتِيَارِكِ، تَعِتْبُعِ أَنْ تَفْعَّلِكِ، وَلَكِنَّكِ مَا فَعَلَتِ، أَمَا الْبَلَاءُ،
فَلا تَعِتْبُعِ أَنْ تَفْعَلِكِ، فَالصَّبْرُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلْشَّرْعِ أَفْضِلُ مَنْ الْإِسْتِسْلَامِ لِلْقُدْرِ،
الْإِسْتِسْلَامُ لِلْشَّرْعِ هُوَ الْذَّي يُمْدِحُ عَلَيْهِ الْإِسْتِسْلَامُ، وَيَنْتَهُ عَلَيْهِ، لِكَنَّ الْإِسْتِسْلَامَ
للْقُدْرِ يَتَسْأَوَى فِيْهُ كَلْ لِلْنَّاسِ، أَمَّا تَسْمَعُ قُوَّـِلُ الشَّاعِرُ الجَاهِلِيٌّ(١)؟
وَجَّلْنِي لِلْشَّاهِمِينَ أَرِيْهِمُ أَيَّ لَرَبِّ الْيَوْمِ الْخَيْرِ لا أَضْعَفُ
وَحَتَى الْكَفَّارِ، فَإِنْ أَفْعَالُهُمْ يُنْزِلُ بِهِمْ المَصَابِبِ، وَلَكِنَّ لا يَنْتَهُ بِهَا وَيَسِرُّ، وَهُوَ
كَافِرٌ، وَلا يُرِجُّو بِذلِكَ الْأَجْرَ وَالْثُّوُابِ.
وَقَدْ يُقُولُ قَايِلٌ: الْإِسْتِسْلَامُ قَدْ يُقُولُ تَرَزُّ عَلَى الطَّاْعَةِ، فَصَارتِ عَلِيَّهِ سِهلَةٌ،
وَلَكِنَّ المَصَابِبِ لَمْ يَتَمَرَّنُ عَلَيْهَا، فَيُجِزَ لَذَلِكَ.
فَنْقُولُ: لَا، قَدْ يُتَمَرْنُ عَلَيْهِ إِذَا أَصِبَ بِهِ اِبْنُ أُوَّلِ فِي غِيْرِهِ، حَتَى الْعَبَاْدَةِ، يَتَّلِ
الْحَجَّ، لَيَأْتِي إِلَّا مَرَأَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْعَمْرِ، وَمَعْ ذَلِكَ يُنْتَبِي صَبْرًا عَلَى الطَّاْعَةِ مَعَ مَشْقُّهُ
الْبَدِيَّةِ، وَالْمَالِيَةِ، وَالأَمْنِيَةِ.
أَمَّا مِسَاسَةُ الْوُقُوعِ، وَعَدْمُ الْوُقُوعِ، فهَذَا شَيْءٌ أَخْرُ.
وَهَذَا فَرُقْ بِنَيْنَ مِنْ يَكَابِدِ الطَّاْعَةِ، وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَشْقَّةٍ فِي مُعَالِجَتِهَا، وَأَخْرُ قد
تَمَرَّنَّ عَلَيْهَا، فَصَارتِ سَهْلَةٌ عَلَيْهِ، فَالْأَوَّلِ أَشْقُ عَمَّالٌ، وَالثَّانِي أَكْمَلُ حَالَةً؟ لَنَّ الْطَّاْعَةِ
صَارتِ غَيْرَةٌ مِنْ مَشْقِهِ لَهَا، وَسُهُوْلِيَّةُ عَلَيْهِ، لِكَنَّ الأَوَّلِ أَشْقُ عَمَّالٌ، فَيُعْطَى هَذَا أَجْرُ
الْكَنْمِلِ، وَذَلِكَ يُعْطَى أَجْرٌ الصَّابِرِينَ.
(١) الْبِيْتِ لَإِبِي ذُؤُبِبِ الْهَنْدِيِّ، كَاً فِي جَهَةَ أَشْعُرِ الْعَرَبٍ (صُ ٥٣٦).
والعياشياء مختلفون في هذه المسألة، أيهم أفضل؟ ولكن الصواب هذا التفصيل،
فقال: الذي يجعل الطاعة، وهي سهولة عليه، وينقادها دون مكابدة، هذا لا شك أنّه أكمل حالاً من الأول، والثاني أسرع عليه، فيعطي الأجر على قدّر المشقة النفسية.
قوله: "بِالْحَسَنَةِ بِالْحَسَنَةِ" أي: يدفعون "بِالْحَسَنَةِ الْبَيْعَةِ،
و"الْبَيْعَةِ" مفعول به، والماء في قوله تعالى: "بِالْبَيْعَةِ" باء الآلة، كقولك: ذبحت بالسّكين، وضربت بالعصا.
فهنا: داري، ومذروء، ومذروء به، والدار في الآية: العاملون، والذروء:
السّيدة، والمذروء به: الحسنّة، فالحسنّة لهم يمّزّجّة الآلة التي يتوصلون بها إلى
غرضهم.
يقول المفسّر رحمه الله: [بالسّيدة مهنهم]، فإذا فعلوا سهّة أثرا بعدها نحسّة،
فاندفعت السّيدة.
والحسنّة التي تذكر السّيدة تنقسم إلى قسمين: قسم يُزيل السّيدة من باب
المقابلة، وقسم آخر يُزيل السّيدة من باب الأحو والإزالة، فإن كانت الحسنّة المدروه
بها السّيدة من باب الثوبة، فهو من باب الأحو والإزالة، وإن كانت حسنّة أخرى,
كما لو دفع السّيّات بالصلاة، كا في قوله تعالى: "وَأَقِمُ الصَّلَاةَ طَرِيقًا لِّلْحَيَّاتِ وَرُزُقًا
مِنَ اللَّهِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْحَسَنَةِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" (هود: 114)، فهذا الدّرء من باب المقابلة، أي: إن ثواب الحسنّة يقابل بعقوبة السّيدة من باب الموازنة، فإذا رجح ثواب الحسنّة
انمتحن السّيدة، وإلا فلا.
والأول أكمل؛ لأنّه إذا حصل صارت الحسنّة الثانية زيادة رفعّ في الدرجات،
وليس بمقابلة بالسّيدة.
إذا كان الذرء من باب المقابلة، فقد تضُعف الحسنة الثانية عن مقابلة السيدة، فصار الذرء بالتوية أكمل من الذرء يفعل حسنة أخرى تقابل السيدة، وكلا الأمرين يفضل بعذار.

وقول المفسر رحمه الله: [منهم] كلهم هذَا حقيقة وحِية، لكن أبو قلنا: إنها أعم، وإنهم يَدْرُؤُون بالحسنة السيدة، منهم ومن غيرهم، أي: إذا أسبى إلينهم دفعوا الإساءة بالإحسان، فتكون هنا ثناً عليهم من حيث معاملتهم مع الحقلي، قال الله تعالى: (ولا صلى الله عليه ولا صلى عليه، أفقُ بينيَما هُنَّ أَنَّ آخِرَينْ إِذْ لَدَيْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ عَذَةٌ كَانَتُوا يَكْبِرُونَ ۖ وَمَا يَلْقَؤُهَا إِلَّا آخَرَينْ صِبْرًا وَمَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا دُوَّارُ عَظَيمٍ).

[فصلت 42-35]

وعلى هذا، فتخجل الآية على المعينين: (ويدَرَوْتُ إِلَى هَذِهِ الْعِبَادَةَ) بالنية لما يقع منهم في عبادة الله، (ويدَرَوْتُ إِلَى هَذِهِ الْعِبَادَةَ) بالنية لِما يقع من غيرهم في المعاملة.


فذلك فإن قُول المفسر رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (وَيَدَرُّوْنَ إِلَى هَذِهِ الْعِبَادَةَ) من الصواب أن تجعله أعم، أي: منهم في معاملتهم مع الله، ومن غيرهم في معاملتهم مع الحليل.

(1) أخرجه مسلم: كتاب الإيام، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد، رقم (140).
قوله تعالى: "وَمَا رَزَقْتُهُمْ بَعْضًا فُطَتْ; لَانَ اهْتِدَيْتُمْ قَدْ تُكَونُ مَحْمُودًا إِذَا كَانَ الْغَرْضُ\nمنهَا جَلْبَ الْمُوْكَدَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَهَادَوَا تَحَابَوْا"."

الشاهد أن قوله: "وَمَا رَزَقْتُهُمْ" بمعنى: أعطيناهما، فالرَّزق بمعنى العطاء،
ومنه قوله تعالى: "وَإِذَا حَصَرَ الفَقْهَةَ أُولُو الْفَرْقِ وَالْبَيِنَى وَالْمَسْكِينَ فَأَرْزَقُوهُمْ\nٌبيتًا" ([النساء: 8]), أي: أعطُوهُم، فالرَّزق بمعنى العطاء.

قوله تعالى: "وَمَا رَزَقْتُهُمْ" (من) هنا ليبيان الحسن؛ لأن إنفاق المال كله من
الأمور المحمودة، فقد حَثَّ الْبَنِي عَيْسَةَ السَّمَانَةَ وَالْأَلْبَاطَ قَالَ عُمْرُ بْنُ الْحُطَّابُ: "أَمِرًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَُوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَيْلَةَ. فَقَلَّتْ: الْيَوْمُ أَسْبَعُ أنْ تَرَكْنِ آبَا بْكَرٍ إِنْ سَقِيتَهُ يَوْمًا، فَجَنَّتْ يَدَّفَعُ مَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَبْقَيْتَ لَأَهْلِكَ؟" فَقَلَّتْ: مَلِئُهُ، قَالَ: وَأَنَى أَبَو بْكَرِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكْلَ مَا يَعْنِدُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَبْقَيْتَ لَأَهْلِكَ؟" قَالَ: أَبْقَيْتُ هُمَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَقَلَّتْ: لَا أَسْبَقِيْكَ إِلَى شَيْءٍ أَبْدَا؟".

إِذَا جَعَلْنَا (من) ليبيان الحسن، فَيُشْكِلُ بَذَّلِ المال كله، أو بَعْضَه، يعني: قد
يَكُونُ مِنَ الْخَيْرِ بَذَّلِهُ كَلِهِ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْحِيْرِ بَذَّلِ بَعْضِهُ حَسَبِ الحَالَّ الَّذِي أَنْفِقَ فِيهَا.

وقوله تعالى: "وَبَعْضَ" الإنفاق بمعنى البذل، لا لمعنى الصدقة، لكن

(1) أَخْرِجَهُ البُخَارِي فِي الْأَدَّمِ الْفَرْدِ (١٠٨، رَقْمٍ ٥٩٤، والبَيْهَقِيٌّ (١٠٦، رَقْمٍ ١٦٩)، رَقْمٍ ١٧٢٦ و١٧٢٧ و١٧٢٨ و١٧٢٩ و١٧٣٠ و١٧٣١).
(2) أَخْرِجَهُ أَبُو دَاوُدٍ كَتَابُ الزِّكَاة، بَابُ فِي الْرَّخَاةِ فِي ذَلِكَ، رَقْمٍ (١٧٨)، وَالْمَرْتِمِيُّ كَتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَعْدَ بَابَ مَنَاقِبِ أَبِي بْكَرِ الصَّدِيقِ (١٨٠)، وَاسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانِ وَلِهُ عَتِيقٌ، رَقْمٍ (٣٦٨٣)، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
الذي أوجب للمؤلف أن يُنصّحه بالصدقة أنّ المقام مقامَنِماه، ولكن الأوّل أنّ نُجِّله على عُمومه، ونُجِّله معنى قوله: "يُمكِنُّهُمُ يَكُونُ البُدُلُ وَيُعِطُونَ"؛ لأنّ البُدُل قد يكون تَصدَّقًا خيرًا، وَقَدْ يَكُونُ البُدُلُ تَوَدُّدًا خيرًا أيضًا، وَقَدْ يَكُونَ أَفْضِلٌ من الصدقة في بعض الأحيان.

ويجب أن نَفَرِّقَ بين الهبة، والهديّة، والصدقة:

الصدقة: هي ما أَرِدَ بِها وجه الله، ويتقرب بها إلى الله، ولا يُهِمه تقرَّب إليها بِمَعْطِيّةٍ أم لا.

والهديّة: ما قدّس به التوُدُّد لِلمُعْطَى، أي يريد أن يتّقرب إلى المُعْطَى، ويتقَرَّب منه المَعْطَى.

والهبة: ما قدّس به نفع الموهوب فقط، لا أن يتّقرب إلى الله بذلك، فهذه تُسْمَى هِبَة.

وكلها محمودة في الواقع، وَقَدْ يَكُونُ بعضها أَفْضِلٌ من بعض، هذا على حسب الحال.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أنّ المؤمنين من أهل الكتاب لهم أَجْرُان: الأَجْرُ الأول الإِيَان بكتابهم، والثاني: الإِيَان بالقرآن.

الفائدة الثانية: إِثبات عَدْل الله سُبُحَانَه وَتَعَالَ؛ حيث لم يُصِيب أُجْرَهم الأول بالأجر الثاني، ولا الأجر الثاني بالأجر الأول.

الفائدة الثالثة: أنّ الثواب على قَدْر العَمَل، قال تعالى: "فَمَن يَعْمَل مَنْفَكَان"
وَقَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ الْصَّبْرَ يَنْقَسُمُ إِلَىَّ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:
صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَبْرٌ عَن مَعَاصِيَةِ اللَّهِ، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ، وَأَنَّ أَفْضَلَهَا أَوْلَاهَا، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ التَّالِثَ.

الْقِانَوَنَةُ الْسَادِسَةُ: أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُهُمُ السَّيِّئَاتُ، لَقَالَهُ: "وَرَبِّزْنَاكُمْ بِالْحَسَنَةِ".

الْقِانَوَنَةُ الْسَابِعَةُ: أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُنْبِغي مُقَابِلَةُ المَسِيءِ بالإِحْصَانِ، فَالْحَسَنَاتُ يُدْهِبُهُمُ السَّيِّئَاتُ، فَالْآلِيَةُ كَأَنَّهَا عَايَةٌ لِذُرُّتِهِ سِيَانَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ، وَذَرُّتِهِمُ سِيَانَاتُهُمُ غَيْرِهِمُ بالِإِحْصَانِ إِلَيْهِمْ، وَأَتِيَّاً لِذَلِكَ بِشَاهِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَكَنَّ ذَرُّتِهِ سِيَانَاتُ الآخَرِينَ بالِإِحْصَانِ إِلَيْهِمْ ثُقِيلٌ عَلَى الْمَرْءِ جَدًّا، وَهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَمَا يَلِفُهَا إِلَّا أَلْلَهُنَّ صَبْرُ وَمَا يَلِفُهَا إِلَّا دُوَّرُ حَظَّٰلَةٍ عَظِيمٍ" [نْصُّل: ۵۳].

وَأَكْثَرُ الْعَالِمِ يَقُولُ: وَاللَّهُ لَا يَكْبِلُ لِهِ الصَّعَابَ بالصَّعَابِينَ، وَالصَّعَابَةَ الصَّعَابِينَ،
لَكَنَّ الْأَمْرِ لَيسَ كَذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: "أَدْعُوهُ بَلَّٰغَةً هِيَ أَحْسَنَ"، فَكَانَتِ النِتَّاجِ: "فَإِذَا أَلْدَى بَيْنَكُ وَيَدْخِلُ عَنْهُ كَأَنَّهُ عَلَيْهِ حَيْمٍ" [نْصُّل: ۳۴۲۴]، وَأَنَى بِإِذَا (إِذَا) الفِجِّيَّاتِ: لِلَّدَلَّةَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ يَتَحَوَّلُ بِسَرَعةٍ، فهَذَا الْعَذُورُ يَتَحَوَّلُ بِسَرَعةٍ "كَانَ وَلَوْلَا حَيْمٍ".
يعني: صديق قريب لك.
وهذا ينفيك ألا يكون مظاهر عجز في المرء؛ فإن كان مظاهر عجز في المرء فلا ينفيك؛ لأن الله تعالى يقول: «ولمَّا أنصر بعد طلبي، فأذلهك ما علِّمهم مين سبيلي» [الشورى: 41]، وَلَوْ كَانَ قَاسِمًا، هذَا بِالنَّسِبَةِ حْيَنَّكُ الحَاصِّ، أَنَّا بِالنَّسِبَةِ حَيْثَ اللَّهُ فَلا، بل يُعالَمُ بِهِ يَقْضِيْهِ الشِّرْعُ.

الفائدة الثامنة: فضيلة الإنفاق من رزق الله لقوله: "وما رزقتكم".
الفائدة السبعة: أن النبي لم ينفق ما صنعه، أو أكسبه بنفسه، ولكن ينفق من رزق الله، فاذكر الله من الذي زرفه، وهو الذي أدرك، فأنبئ في الحقيقة خادم عبّد، مصطفى حسب أمر سيّباك، قال لك: اكتسب. فأسحت، قال لك: أنيق، فأنفق.
الفائدة العاشرة: قوله: "وما رزقتهم ينفقون"، وقوله في وصف عبّاد الرحمن: "وأتَّمْيِزُوا إِذَا انقفا، لَمْ يُشْقِقو، وَلَمْ يَفْرَأوا وَسُكُّانٌ بَيْنَكَ ذَلِكُ قَوَامُهَا" [الفراء: 17]، وبيس قولٌ: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنفٍ ولا تبغطها كل البسط، فتنفّذ ملؤها نسقاً" [الأسراء: 29]، نجمع بينها بأن غالب أحوال الناس لانينفقون جميع أموالهم، لأن إنفاق جميع المال قد يكون مضرًا بهم، لكن في بعض الأحيان يكون إنفاق جميع المال محمودًا، فإذا قال: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنفٍ فلا تنيق، ولا تبغطها كل البسط، فتنقق كل ما عندهك.
لكن النصوص الأخرى تدل على أن المسألة مبنية على تغيير الحكم بتعظيم الأحوال، فقد يكون الأفضل إنفاق جميع المال، وقد يكون من الأفضل إنفاق بعضه.
الفائدة الحادية عشرة: أن الإنفاق من رزقي الله تعالى محدود، في قوله: "وما رزقتهم ينفقون".
والرزق - كما عرفنا في باب العقيدة - لا يتنفع من خلال وضيده.

يقول السفاحي: (1)
والرزق ما تنفع من خلال أو ضيده فحول عن المحال
وهذا الحلال هو الحرام، فلا يحتم الإنسان إذا أتفق على حرام؟ لأنه ما يثاب عليه، والواجب عليه أن يردة النبئ، ويتخلص منه، لكن المراد هنا بالرزق الذي يحتم على الإنفاق منه إذا كان رزقًا حلالًا، أمّا من اكتسب شيئا حراماً فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إني الله قسم بينكم أخلاقيكم، كما قسم بينكم أرضكم، وإن الله عطى الدينى من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الذين لا يحبون، فمن أعطا الله الدين، فقد أحب، والذي تمسك بيده، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بواقعة، قالوا: وما بواقعة يا بني الله؟ قال: "عُشْمـْهُ وَظُلْمَهُ، ولا يحبس عبد مالاً من حرام، فمنفوق منه كبيارك له فيه، ولا يتصدق عليه فيبل منه، ولا يترك حلفه إلا كان رداً إلى النار، إن الله عطى لا يمنح من السعي بالسيء، وفكيك يمنحه السعي بالحسين، إن الحيض لا يمنحه الحيض". (2)

وهذا يدل على أن الإنفاق من المحرم لا ينفع المراه، ولكن ينفعه إذا أتفقه يريد التخلص منه، بما يعني أنه لا يلحقه شيء من جرائه، وينفعه؛ لأن إنفاقه للتخلص منه توبة، والتوبة تنفع العبد.

---

(1) لوازم الأبواب الظاهرة في تأريخ الاستعارة في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاحي الحنفي (1/143).
(2) أخرجه أحمد (1/1387، رقم 387).
الآية (55)

قال الله عزّ وجلّ: «وإذا سُمعوا اللَّغُو أعْرَضُوا عَنَّهُ وقَالُوا لَنَا أُصْلَحًا وَلَكُمْ أَعْمَلُوا سَلَّمًّا عَلَيْكُمْ لَا بَشَّرُوا الْكُفَّارَ» [القصص: 55].

قال المفسّر رحمه الله: «وإذا سُمعوا اللَّغُو» الشَّشَمّ والآدَّى من الكَفَّارِ، أَعْرَضُوا عَنَّهُ وقَالُوا لَنَا أُصْلَحًا وَلَكُمْ أَعْمَلُوا سَلَّمًّا عَلَيْكُمْ سَلَّامٌ مَّكَارِكٌ، أي سَلَّمُ مَكَارِكَ مَنْ يَنْتَحِهِمْ وَغَيْرَهُمْ لا بَشَّرُوا الْكُفَّارَ».

قوله سبحانه وتعالى: «وإذا سُمعوا» يجب بداية أن نعرف الفرق بين (سمع) و (استمع)، فالسمع: هو الذي أدرك الصوت دون قصد. والمستمع: هو الذي أدركه بقصدة.

ولو هذا نقول: يَسْتَنْ سُجُودُ التَّلاوة لِلْمُسْتَمِعِ دَونَ السَّامِعِ.

فقوله تعالى: «وإذا سُمعوا اللَّغُو» ذُلِّل علَى أن هُؤُلاء لا يستمعون إلى القول. ولكن يسمعونه، كقوله تعالى: «وإذا مروى بالَّغُو مَرَوا صَيْراً» [القرآن: 72]، مَرَوا بِهِ، وَمَا جَلَسَوا عَنْهُ.

هُؤُلاء أيضًا «وإذا سُمعوا اللَّغُو» يقول المفسّر رحمه الله: «الشَّشَمّ والآدَّى من الكَفَّارِ». 
أيضًا هذا التخصص كما هو أعمٌ، فإن اللَّغُو يشمل ما قاله المفسّر ﷺ،
ويشمل أيضًا كل كلام لا خير فيه، سواء كان فيه شر أم لا يكن.
فهؤلاء في غاية ما يكونون من الجد، وحفظ الوقت، لا يستمعون إلى كلام لغو،
وَاللهُ تَبَارَكَ وَحَمِيدٌ مَّدَحُ الَّذين لا يستمعون اللَّغُو، والمَنِي عليه السُّلَّطانة والكلام يقول: «مَن كان
يُؤمِن بِاللهِ وَاليوم الآخر فليَقُل خيرًا، أو ليضمَّن» (١).
والقابل للمختر الصقر، وما لا خير فيه، ولا شر، وهو اللغو، فالأصح أنه يشمل
كل كلام لا خير فيه، سواء كان فيه أذى وشر، أم لم يكن، فإذا سمعوا اللَّغُو
أغرضوا عنه و悋 بآبائهم، أو بأبادهم وقبلوه، أو بقلوبهم فقط حسب الحال، ولكن
الأصل هو القلب، لَكن قد تشمل الأبدان أيضًا، بحيث إذا سمعوا كلامًا لا خير
فيه قاموا، وتركوا المكان، حتى لم يكن حرامًا.
أما إعراض البُدن مع إقبال القلب، فهذا لا ينفع، فالمقام عند اللَّغُو أربعة
أنواع: تارة يقبل عليه بجسمه وقلبه، فحينئذ يكون مشاركًا لأهله، وتارة يعرض
عنده بجسمه وقلبه، بحيث لا يستمع إليه، ولا يجلس، وتارة يُغرض بقلبه دون
جسمه، وتارة يُغرض بجسمه دون قلبه، والتركز هنا على الإعراض بالقلب.
قوله سبحانه وتعالى: «أغرضوا عنه ونقولوا لَنا أعتنأنا ونكلم أحنلكم»، كأنه يقول:
إذا قيل لهم: لماذا تقومون؟ لماذا لا تردون؟ لماذا لا تنضجون لأنفسكم، يقولون: لَنا
أعتنأنا ونكلم أحنلكم، فنحن لا نسأل عملا تعملون، وأنتم لا تسألون عملا تعملون،
(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (١٤٧٥)، ومسلم: كتاب الإيان،
باب الحديث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيان،
رقم (٤٧).
ولا نوافقكم على هذا العمل، وليس يعني ذلك أنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، لأن الكلام هنا عن اللغو، وهو الكلام المنافي للخير، أما المنكر، فإنهم لا شرك أنهم ينهرعون عنه، ويأمرون بالمعروف.


أنا إذا قلت بالمومم، فإنك تحقق أن يكون المراد بالسلام هنا سلام من الله، أي: سلام نعويه؛ لأن الله يشعر من قام من مجلس أن يسلم، ويتحقق أن يكون سلام مفارةً، وإن شئت جعلنا موجعة، فقلنا: إن قلت باللغو إنه الشمت والأذى، فالسلام هنا سلام مفارةً، بمعنى أنكم سالمون منا، ونحن سالمون منكم، وإذا قلت: إن المراد باللغو الكلام الذي لا خير فيه، فإن لمن سببه، ولا تسبه، فهو سلام حية؛ لأن هؤلاء لم يسيروا إلى المعرضين حتى يقولوا لهم: سلام عليكم منا.

قوله تعالى: «لا تبنيوا الجاهلين» قال المفسر رحمه الله: [لا صحبهم]، وهذا التفسير من المفسر رحمه الله أظن أن فيه قاصرة، فلو كان الأمر كذل ذلك لقال: لا صحبجاهيلين، ولكن لا تبنيوا الجاهلين، والابتعاد بمعنى الطلب، قال تعالى: «بناكم فضل من الله» [الفتح: 29]، أي: يطلبون، وإذا انتهى طلب الجاهلين، فانتفاه صححهم من باب أولى، لأنهم ما يطلبون الجاهلين، فضلًا عن كونهم إذا وجدوه صححهم، فظاهر الآية أولى، وأبلغ من تفسير المفسر رحمه الله، فالإنسان ذو العلم
والبصرة لا يطلب الجاهلين، فيكون معهم، بل لا يصبح إلا الأخيار ذوي العلم والمروة، والشرف والذين.
والجاهل هنا لازاد به السفه، حتى لو كان عالياً؛ لأنّه إذا أساء التصرف
-ولو كان عالياً- فهو بمنزلة الجاهل، بل أشدّ من الجاهل؛ لأنّ من خالف عن علم أشدّ من خالف عن حكّمه، وسمي من خالف عن علم سفيحه، وسمي جاهلًا مركبًا إذا ادعى أنه يعلم، بخلاف الإنسان الجاهل الذي لم يأت به العلم أصلاً؛ فإنّ هذا قد يستقيم إذا علم.
إذن: الجاهلون هنا ليسوا من لا يعلمون، بل هم السفهاء.
وإذا قال قائل: ما الذي يدل على أن الجاهل يأتي بمعنى السفه؟
قلنا: قوله تعالى: "إِنَّمَا الْوَحُودَ عَلَى اللَّهِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَلَا شَرِيعَةٌ مِّن قَريِّبٍ" (النساء: 17)، فإنّ قوله: "يُجَابِرُونَ"، بلا شك أنّ المجاز: يسفهُ؛ لأن من يعمر السوء جاهل يغيب علم هذا لا ذنب عليه حتی نقول: إنه يتوب، فجاهل هنا بمعنى السفه.
قولة تعالى: "لا يبنّى اللَّاهُ مَن يَعْمَلُ بِجِهَالَةٍ.
والجاهل غير عالم، ربا يتنفه المرء ليعلمّه ما دام جاهلًا، وهذا فإن الرسول
كان يعرض نفسه على القتال في موسم الحج، يأتي إلى قبیلة، وياخذ عليهم، ويدعوهم إلى الله، فهو يطلب هؤلاء الجاهل ليعملهم، لكنّ المراّد بالجاهل هنا هُو السفه؛ لأن السفه يفعله - في الحقيقة - كي يفجّع الجاهل تمامًا؛ إذ إنه يجافف الحق، ولا يعمل به، لكنه أشدّ من الجاهل؛ لأنّه غير معدور.
وَمِثلٌ هَذِهِ الصُّفَاتُ تُفيدَا نَا في الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ لَانَ ذَٰلِكَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.
فَعِنَّ أَبِي عُبَيْدُ الرَّجُمِيِّ السُّلَامِيِّ قَالَ: ءَايَةُ أَنْ أَخْذُوا الْقُرآنَ عَنْ فُؤَومٍ، فَأَخْبَرُوْنا أَنْ هُمْ كَانُوا إِذَا تَعْلَمُوا عُشْرًا أَيَّامٍ، لمْ يُواكِوُهُمْ إِلَى الْعُشْرِ الْأُخْرِ. كِتَابُهُمْ مَا فِيهِ مِنْ الْعِلْمِ، فَتَعْلَمُّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا.
(1)
وَأَكْرَمُ الْقَلِيسُ إِذَا قَرَأَ مِثْلُ هَذِهِ الآيَاتِ قَالَ: الَّذِينَ مَا أُحِسنَ صَفَاتُهُمْ! وَمَا أُجِرَّ
أَفَاعِلُهُمْ؟ وَهُذَا غَيْبٌ مَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ الآيَةِ، وَلَكِنْ هَذَا مَا يَكْفِي، الْقَصْصُوُدُ مِنْ ذِكرِ هَذِهِ
الأوْصَافِ الحَمِيْدَةِ، سُوَّاهُ كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ عَنِ الحَالِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْقَصْصِ،
فَالْعَرْضُ مِنْهَا هُوَ أَنَّ يَعْتَبِرَ الإِنْسانُ بِهِ حَصَلْ، فَالْتَعْلَى: ۚ أَلَمْ كَانَ فِي قَصْصِيُّهُمْ
عُبْرَةٌ لَّا أَلوَانٌ ۚ لَا أَنْبِيَةٌ ۚ [يَسُوَّفُ: ۱۱۱].

مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ:

الْقَائِدَةُ الأُولَىٰ: الشَّنَاءُ عَلَى مِنْ أَعْرَضٍ عَنِ اللَّغْوَ، فَقُولُهُ: ۖ إِذَا سَكَعُوا اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا عَنْهُ ۚ.

الْقَائِدَةُ الْثانيَّةُ: أَنَّ يَنْبِغِي الإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ، وَهُوَ الْكَلَّامُ الَّذِي لَا قَائِدَةَ فِيهِ،
وَلَا خُبُوَّةٌ مِنْهُ، وَالْفَعْلُ يُقَاسُ عَلَيْهِ، فَلَا يَنْبِغِي لِلِّإِنْسَانِ أَنْ يَضْعُفَ وَقتُهُ فِي أَعْفَالِهِ لَا خَيْرٍ
فِيهَا.
وَأَعْلَمَ أَنَّ الخَيْرِيَّةَ ذَاتِيَّةٌ وَعُرْضَيْةٌ، بِمَعْنَى أَنَّ الْهُدَى مَا خَيْرٌ فِيهَا، وَقَدْ
يَكُونَ خَيْرًا لِّإِنْسَانِ لِيَعْرَضُ لَهُ. فَمِثَالًا: الصَّلاةُ خَيْرُها ذَاتِيَّةً، وَالسُّعُوُيَّةُ إِلِيهَا خَيْرُهُ عُرْضُيَّةً; لَانَ مَجَرَّدُ المَشْيِ لَيْسَ
(1) أَخْرِجَهُ يَبِنُ وَضَاحٍ فِي الْبَيْدَعِ وَالْبَيْدَعِ يَنْهَى عَنْهَا، رَمْلٖ (۲۵۵).
بقرة: حتى يكون وسيلة إلى قرية أخرى، فعلم هذا أنه الإنسان تحدث بحديث ليس من الذكر، ولا من العلم، ولا من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لكنه حديث يقصد به إدخال السرور على مجاليسه، لهذا خير، لكنه ليس خيرًا ذاتيًا هذًا الكلام، بل هو خير عرضي، أي عرض له بسبب القصد الحسن فيه، وهذا في الحقيقة على هذا التقدير.

وألا يتساوي الخير العرضي، والخير الذاتي; لأن الخير العرضي يفقد خيره إذا

رأى السبب، والخير الذاتي خيره ثابت دائم.

الفائدة الثالثة: أنه ينبغي التبرؤ من أصحاب اللغو، وعدم مجازتهم; لقوله:

"أنا أسمعكما وَلَكُمْ أَعْصَمُكُمْ".

الفائدة الرابعة: مشروعية السلام عند الأنصارف; لقوله: "سَلَامُ عَلَيْكُمْ";

وألا يتووجه على تفسير المفسر رحمه الله; إذ إنه يرى أن السلام هنا سلام مقارنة، لا سلام نقياً.

وعلى هذا، فلا تتخذ هذه الفائدة، وهو إنها حمله على سلام المفارقة بناء على تفسيره اللغو بالشتم والسب.

والفائدة أت هذا التفسير نافص; لأن السب والشتم قد لا يقال: إنه لغو فقط، بل لغو وعذوان، فهو أخص من كونه لغوًا.

والحقيقة أن هذا التفسير نافص; لأن السب والشتم قد لا يقال: إنه لغو فقط.

الفائدة الخامسة: أنه لا ينبغي للعالقين طلب السفهاء، فضلا عن الجلوس معهم; لقوله: "لَآَ يَبْنِئُ آلُ جَبَالَةَ إِنَّهُمْ لَا طُلِبُونَ إِلَّا جَلُوسًا". وانطلبهم في الحقيقة يؤدي إلى الجلوس معهم، والجلوس مع الجاهلين إنم، كما قال الله تعالى: "إِذًا رَأَيْتَ آلَذِينَ يُحْضُوُونَ فِي مَجَالِئِ النَّارِ".
فأتّلّهُم عٌّمَّاأنْ حَرَّمَنّهمُّ في حِيَابِهِمْ عِينٍ. لَكِنِّ عِيَّنَهُمْ أَلْسَنَّهُمْ فَلَا لَّهُمْ بَعْدَ الْحَيَاةِ الْحُيْرَةِ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلْقَلَامِيِّينَ (الْإِنْفَرَامٍ:۲۰۸)، فَلَا بَيْنَ عِيْنٍ لِلإِنْساَنِ أَنْ يَتَنَزَّلَ أَهْلُ السَّفَهِ، وَيَجَلِّبُ إِلَيْهِمْ أَوْ عَلَى الأَفْقَ يَأْتِسُ بَهٍّ يَفْعَلُونَ; فَإِنَّ هَذَا مِنَ الصَّفَاتِ الَّتِي لَيْسَ عَلَيْهَا أَهْلُ الخَيْرِ والَإِيَّاَنِ.
قال الله عز وجل: «إِنَّكَ لَتُهْيَى مِنْ أَحْبَبِكَ وَلَكِنَّ اللَّهُ يُهْيِى مِنْ يَتَشَاءُ» وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّمِينَ {القصص: 96}.

قال المفسّر: [وَزِبَّلَ فِي جُرُوسَهِ عَلَى إِبَانَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبِ (إِنَّكَ لَتُهْيَى مِنْ أَحْبَبِكَ) وَلَكِنَّ اللَّهُ يُهْيِى مِنْ يَتَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّمِينَ {القصص: 96}].

أَبُو طَالِبٍ هُوَ أَبُو عَلِيْ بْنِ يَسَرَّةَ، وَهَذَا الْعَمُّ أَوَّلُ رَسُولِ اللَّهِ وَدَافع عَنْهُ، وَنَاصِرُهُ، وَلَكِنَّ جَيْلٌ بُنِيَّةٍ وَبُيُوتِ الإِبَانَ؛ بِسِبْبٍ مَا كَتَبَ اللَّهُ مِنْ الْشَّقَاوَةِ.

وَكَيْلَةٌ إِبَانَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لَّا أَنَّ اللَّهَ أُمِّي مَا مَثَّلَكَ مِنْ الدِّفَافُ الَّذِي حَصَلَ مِنَ الرَّسُولِ ﴿إِذْ لَوْ أَمَنَّ لَكُنْ حَصَلَ إِلَى أَيْدٍ مَّلْمِثِينَ، لَكِنَّا لَبِقَى عَلَى مَلْيَهُمْ كَانُوا بَحَرَمُونَهُ بَعْضُ الْاَحْتِرَامِ، فَكُنْ فِي بَقَائِهِ عَلَى الكِفَّارِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ، وَإِلَّا مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُحْيِي الرَّسُولِ عَلَى الْسَّلَامِ تَلَكَ الْحَيَّةِ.

وَهَذَا الرَّجُلُ لَفَضْلَ عَلَى الإِسْلَامِ؛ بِسِبْبٍ دِفَاعِهِ عَنْهُ، وَهَذَا أَوَّلُ اللَّهِ لَهُ بِهِ، أَنْ يَشْفَعَهُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكْنِي أَنْ يَشْفَعَ لَعْبًةً مِنَ الْكِفَّارِ، إِلَّا هَذَا الْرَّجُلُ، لَمْ لَهُ مِنْ الفَضْلِ عَلَى الإِسْلَامِ مِنْ حَمَّامِ الرَّسُولِ ﴿وَالْدِفَاعِ عَنْهُ.}

وَلَكِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعةُ مَا نَفَعَهُ نَفَعًا كَامِلاً، وَهُوَ عَيْبٌ مَوْمَعٌ، إِنَّا نَفَعَتِهُ أَنَّهُ كَانَ
في "ضحّي الحضّاض" (1) من نار علّي نَغَلَان يُقيّلي منْهَا دماغُهُ (2)، وهو يُرى أنه أشد أهل النار عذاباً، وهو أهونهم.

قال النبي ﷺ عليّة السلام: "ولَو لا أَنَا لَكَانُ فِي الدُّرَك الأَشْقَلِي مِن النَّارِ".

يعني: شفِّعَتْ له، أو أنه أيضًا عمل ما عمل في حَمَيّة الرسول ﷺ.

هذا المَعْامِلَة النَّبِيِّ ﷺ غَلِيظة الحَرَص على أن يُؤمن، حتى إنه في سياق الموت قال ﷺ: "أي عَمَّم، قُل لِللهِ إِلاَّ اللهِ، كَلِمَةُ أُحَجِّ لَكَ بِهَا عَنْتَ اللَّهِ" (3). كَانَ أنَّهُ أَجْرَمُ ما قَالَ:

إِنَّهُ عَلَى مِلَّةٍ عَبَدٍ المَتَّلَبٍ، وإن لَن يعِدَّ طريقة الأَشْيَاء الكبَار أهْلًا الجاهليّة.

وَكَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ يُلْقَئُهُ: أَنْ غَبَّ عَنْ مِلَّةٍ عَبَدٍ المَتَّلَبَ؟ فكان أنْ عُمَّم له بِخَاِصَائِهِ السِّقَاء، لَم تَنْفَعْهُ هَذِهِ الْمَحاوَلَة مِن الرَّسُول ﷺ، وَقَدْ أَكَلَّهُ.

عليّة السلام على هَذَا الأَمَر، وقال: "أَنَّا وَللهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَكَ ما لَمْ أَنْهَ عَنْكَ" (4).

فَنَفَتْهُ عنّهُ وَقَيْلَهُ لِلَّهِ: "فَمَاتَكُكَ للَّهِ وَذِلْكَ مَاتَكُنَّ أَنْ تَسْتَغْفِرَنَّ لِلْمُسَرِّعِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوَلِوْدُنِينَ مِنْ بَعْدٍ مَا بَيِّنَكَ هُمْ أَنْهُمْ أَصَحَّبُونَ الْجَيْبِ" (التوبة: 113).

أَمَا بِالنَّاسِ لْتَلْبِيَهُ عَلَى عَدْمٍ إِيّاهُ فَسَلَا اللَّهُ نَعَالِهِ هَذَا الأَمَر: "إِنَّهُ لَا عَبِيرٌ مِنْ أَحَبَّتِهِ" هَدِيَهُ.

(1) الضَّحِيضُ الحَضِيضَ في الأصل: ما رَكَّب مِنَ المَاء عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَا يَلْبِيُ الكُفَّرِينَ، فَاسْتَعَارَهُ إِلَّالَهُ. النهاية:

(2) أَخْرِجَ البَخَارِيُّ: كُتَاب مَنَاَقِبِ الأَنَصار، بَاب قَصَة أَبى طَالِبٍ، رَقْم (3833)، وَمُسْلِمُ كُتَابُ الإِيَامِ، بَاب شَفَاعَة النَّبِي ﷺ لأَبِي طَالِبٍ، رَقْم (209).

(3) أَخْرِجَ البَخَارِيُّ: كُتَاب المَنَاَقِب، بَاب قَصَة أَبى طَالِبٍ، رَقْم (3844)، وَمُسْلِمُ كُتَابُ الإِيَامِ، بَاب أولِ الإِيَامِ قُوْلَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَقْم (24).

(4) تَقَدِّمَ تَخْرِيجُهُ، وَهُوَ بَقِيَةُ الْحَدِيثِ السَّابِقِ.
قوله تعالى: «إِنَّكَ أَيُّهَا مُحَمَّدٌ، فَانْدُنِيُّهُ وَلَنَغْيِرُ الرَّسُولُ مِنْ بَابٍ أُوْلَئِكَ، فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَهَّدِيًا وَمَهَّدَى الْحَلَقِ عَنْدَ اللَّهِ، وَأَعْمَلُهُمْ جَاهِمًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَهْدِي أَحَدًا، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ غَيْرُهُ؟»

وقوله تعالى: «لَا تَهْدِئَ الْمُرَادُ بِالْهُدَايَةِ هَذَا هَدَايَةُ التَّوْفِيقِ، بِمَعنى: لَا تُضْعِفَا الْهُدَايَةُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَلِيَسَ بِهَا هَدَايَةُ الدُّلَّالَةِ، وَالإِرْشَادُ ثَابِتٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، لِقَوْلِهُ سَبِيلُهُ وَرَقَاهُ: "وَإِذَا لَمْ يَهْدِئِي إِلَى صَرْطِ مَثْلِيْمِيْرِيْ"» [الشورى: 52]، وَلَكِنْ هَدَايَةُ التَّوْفِيقِ -وَهِيْ إِلَاءُ المُدَّى فِي الْقُلُوبِ- إِنَّهَا يَوْمَ يَغْلِبُ.

وَقُولَهُ تَعَالَى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِئِي مِنْ أَحَبَّتِكَ الْمُقَسِّمُ رَجُمًا للَّهُ قَدِرُهُ بِقَوْلِهِ: [هَدَايَتَهُ].

والصَّوَابُ مِنْ أَحَبَّتِهِ.

وَقَدْ عَدَّ الْمُقَسِّمُ رَجُمًا للَّهُ تَقْدِيرًا: [أَحَبَّتُ هَدَايَتَهُ]؛ لِأَنَّ الرَّسُولِ ﷺ لَا يُمْكِن أَنْ يَجِبَ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ كَافِرٌ، فَإِنَّلْوَرَمَ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ.

وَلَكِنْ نَقُولُ: الحَبُّ الطَّبَيعِيُّ لَا يَنْتَبِى الإِيَانُ، فَالْإِنسَانُ يَجِبُ مِثْلًا: قَرْبَهُ، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا، لَكِنْهَا مُحَبَّةٌ طَبَيعِيَّةٌ، كَاَنَّهُ يَجِبُ الْأَمَّ وَلِدَهَا.

فَلَمْ حَبَّةُ الْدِّينِيَّةِ لَا تَجِبُ بَينَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَالْمُقَسِّمُ تَعَالَى: "لَا يَجِبُ قَوْمًا يَؤْمَرُونَ بِلِلَّهِ وَاللَّمَوْمَ الآخِرِ يَوْمَ الْآخِرِ مِنْ حَكَمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ سَكَانَا إِبَأَءًا هُمْ أَوْ أَنْسَكَهُمْ أَوْ إِخْوَانُهُمْ" [المجادلة: 22].

أِيْضًا الْمُقَسِّمُ رَجُمًا للَّهُ تَقْدِيرًا: [مِنْ أَحَبَّتِ هَدَايَتَهُ]، وَلَوْ أَنْنَا حَلَّلْنَا عَلَى مَا قَالَ الْمُقَسِّمُ رَجُمًا للَّهُ لِكَانَتْ هَذِهِ تَعْمُّهُ كُلُّ النَّاسِ، لِأَنَّ الرَّسُولِ ﷺ يَجِبُ أَنْ يُهْدِي كُلُّ
الناس، وليس أبا طالب فقط، لكن تقدير (من أحببتته) يختص بأبي طالب، أو غيره من أقاربه.

أيضًا لَّو أننا قلنا - كما قال المفسر رحمته الله - لكان في الآية إضاهاً، وهو إضاها الهدية؛ لأن الأصل في صميم الصلاة أن يعود إلى الصلاة نفسها، و(من) اسم موصول يعود على أبي طالب، وعادت الصلاة يعود على الصلاة نفسها، وهذا تبين أن الراجح (من أحببتته) من وجوه ثلاثة: وجه معنوي، وجهين لفظيين.

الوجه المعني: أن الآية تزلت في أبي طالب، ولو قلنا: (من أحببتته هدايتها).

لكانت عامة.

والموجهان اللغظيان: الأول: أننا إذا قلنا (هدايتها) لزم أن يكون في الآية شيء مذكور، والأصل عدم الحذف.

والثاني: أن عائد الصلاة يعود إلى الوصول، فإذا عاد إلى (من) في قوله: (من أحببتته).

صار المراد: من أحببتته هو.

وأما ما لاحظه المفسر رحمته الله من أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يحب أبا طالب، فالمؤلخ عليه أن المحبة نوعان: محبة طبيعية، ومحبة شرعية، فالمحبة الطبيعية لا تنافي المحبة الشرعية، فقد تجمع معها، وقد ت分手، فإذا كان المؤمن قريبًا لك اجتمع فيه المحبتان، وإذا كان بعيدًا منها، وحيد في محبة واحدة، وهي الشرعية، وإذا كان قريبًا وُهُو غير مؤمن، ففيه محبة واحدة، وهي المحبة الطبيعية.

قوله تعالى: {والهادي إنه يهدى من يشاء}، أي: يهدي هديته توفيق، وقوله تعالى: {من يشاء}، أي: من يشاء أن يهديه، وهنا نستطيع أن ننكر: من يشاء هديته؛ لقوله: {يهدي من يشاء}.
وقوله: "فَهَدّى مِنْ يَدَاهُ" عَلَى الْفِيْلَ الْمَشْيِيَّةِ، وَكُلٌّ فِي لِعْلُوهُ اللَّهِ الْمَشْيِيَّةِ.

مِنْ أَعْفَالِهِ، فَإِنَّهُ مُقْرُونٌ بِالْحَكْمَةِ؛ إِذْ إِنَّ أَعْفَالَ اللَّهِ كُلَّهَا مِبْنِيَّةٌ عَلَى الْحَكْمَةِ.

إِذْنَ: "فَهَدّى مِنْ يَدَاهُ" هِدَاهِيهِ، لَيسَ الْأَمْرُ اِسْتَعْتِبَاطِيًا، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ عَلَى حُكْمَةِ قُالَ.

تَبَارَكُو قَالَ: "فَإِنَّ رَبِّي عَلَى صَرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ" [مُحَدَّثُ: ٦٥]. لَا يَهْدِي مِنْ يَهْدِي إِلَّا وَهُوَ أُهْلُ الْهَدْيَةِ، قَالَ اللَّهُ ﷺ عَلَى: "اللَّهُ أَعْلَمُ مَّثَلُهُ حَيْثُ يُعْمَلُ وَسُكَانُهُ" [المَمْعَلَةُ: ١٢٤].

وَكَذَٰلِكَ هُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ تَقْوَى هَذِهِ الرِّسَالَةُ، فَمَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْرِّسَالَةِ أَرَزَّلَ،

وَمَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِ الرِّسَالَةِ، مُهْدِي لِذَلِكَ.

فَإِذْنَ الْإِطَالُ فِي قُوَّلِهِ: "فَهَدّى مِنْ يَدَاهُ" عَلَى وَجُهِ الْحُكْمَةِ.

قُوَّلُهُ تَعَالَ: "وَهُوَ أَعْلَمُ مَّثَلُهُ حَيْثُ يُعْمَلُ وَسُكَانُهُ" [أَيْ: عَالِمُ مَّثَلِ الْحُكْمَةِ]

وَهَذَا أَخَطَأُ المُفْسِرُ رَجُلُ اللَّهِ، فَنَحْنُ نَنْتَقَدُهُ مِنْ وَجَهَيْنِ.

الوجه الأول: أنَّ هَذَا تَحْرِيفٌ لِلْقُرْآنِ؛ حَيْثُ خَوَّلَ (أَعْلَمُ) الدَّالُ عَلَى الْكَلَّال

فِي الْعَلَمِ الْأَنْفَضِلِيَّةِ فِيهِ إِلَى (عَالِمٍ)، الَّذِي لَا يَمْثِلُ مَشَارِكَةً غَيْرَهُ لَهُ فِي هَذِهِ الصَّفَةِ،

فَأَنَا أَقْلِبُ: مُحَمَّدٌ عَالِمٌ وَزَرِيدٌ عَالِمٌ، وَيَكُرُّ عَالِمٌ إِلَى آخِرِهِ، لِكَنَّ لَوْ قَلِتُ مَثَلًا: زَرِيدٌ أَعْلَمُ.

فَمَعَانِيَّةُ أَنَّهُ مَا سَأَاوَاهُ أَحْدَهُ فِي عِلْمِهِ.

فَالْمُفْسِرُ رَجُلُ اللَّهِ الْمُخْرِفُ لِلْقُرْآنِ، حَيْثُ قَسَرَ (أَعْلَمُ) بَعْدُ (عَالِمٍ)، وَقَسَرَ مَا

يُدْلُ عَلَى الْكَلَّال بِيَوْدَدٍ عَلُى الْمُشَارِكَةِ.

الوجه الثاني: أَنَا نَقُولُ: إِنَّ وَقِفَ اللَّهُ بَيْنَهُ (أَكْمِلُ) أَكْمِلُ مِنْ وَصْفِهِ بَيْنَهُ (عَالِمٍ)،

أَكْمِلْ بِلا رَزِيبٍ، فَقَلَّ الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ نَقُولَ (أَكْمِلُ)، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يُقْوِلَ: لَا يَمْكِنُ أَنْ

نَقُولَ: إِنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَتَجْعَلِ اللَّهُ مُشَارِكًا فِي الْعَلَمِ، فَنَقُولُ: مَا جَعَلَ اللَّهُ مُشَارِكًا.
سورة الفصوص (الأية 56)

لا سيما، بل جعلت الله مشارقًا وغارقًا عن علم الله، فانهُ أعلم.

لكن إذا قلت: إن الله عالم، جعلت الله علماً قد يساويه غيره فيه.

فالصدوقي أنَّ "أعلم" اسم تفضيل، وأما علًا بائياً.

وقوله: "والله يهدٌء من يشتهى وهو أعلم بالله يجزى" أو يمن هُوَ قالٌ للهدية، لأنَّ الكلالم الآن على إنشاء الهدية في قلب الرؤوء.

وقوله: "وهو أعلم بالله يتجلى" ليس معناه: الَّذين اهتدوا، بل معناه: أعلم بِمَن يستحق أن يقبل الهدى، وهذا قُرْنُه بِعِضْعهم بالله يتجلى في علم الهمدين، أي مَن عِلم الله.

أُنهم سيكونون مهتمدين.

فعل كُل حَال: المهدي معناه: مَن كان قابلاً للهدي، ومعناه: مَن اهتدى بالفعل، والمُرَاد بالائة الأول، يعني: أعلم بن، يمَن يقبل الهدية، فيهده.

والجمع بين هذَه الآية وَبِين الآية التي أشارنا إليها قبل قليل، "وإنك تَهدي إِلَى سَرْطُر مَسْتَقِيمٍ" أنَّ الله مت فِي المنفي، فالمراد من قوله: "وإنك تَهدي إِلَى سَرْطُر مَسْتَقِيمٍ" هديَة الدلال، كقوله: "تِيازَكِينْ عَلَى" وَأَمَأَ كَمَرْفَع فِي هِدِينَهُمُ فَأَسْتَجِبُوا عَلَى الدلال على النص: 17، هديناه معناه: كِلَّناهنا على الهدى، ولكنهم استجبوا الهمي على نُجِي، فلَم ينبدوا، وأمَأَ الهديَة هنا، فهي هديَة التوفيق، وهذه ليست لأحد ما هي.

إِلَّا الله شَبَحَة وَتعالِ.
من فوائد الآية الكريمة:

أن الإنسان إذا جد واجتهد في دعوة الناس إلى الهدى، فلن يهتدوا، فإن عليه أن يُبصِرُ هذه الآية، وهي: "إنك لا تهدى من أهلك"، وإلا فكثير من الناس الآن عندهم أقارب، إنما معهم في البيت، أو خارج البيت، يدعوهم إلى الهدى فلا يهتدون، فقال: الحمد لله أن بني سبعين وعظام أن هذا الأمر ليس إلينا، وإنما هو إلينا، وإن اهتدوا، فلله ولنا ثواب دلاليتهم، وإن لم يهتدوا، فلنا ثواب الدلالاة والدعوة، وعليهم وزر الغي.
قال الله عزوجل: «وَقَالَ لَهُمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَعَكَ نَحْتَفَفْ مِنْ آَتِيْهِ وَلَكِنْ أَسْتَرْهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» [القصص: 47].

قال المفسرون وrimon: [وَقَالَوْا] قولهم إن تُتبع الهدى معاك نحتخف من آتيك أولم تَمْكِين لْهُمُ حَرْماً عَلِيّاً يُجِبْ إِلَيْهِ نَمَزَّة كَلِّ قَبْطٍ يَذْهَبُ عَنْ لَدَّنَا وَلَكِنْ أَسْتَرْهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ

قوله تعالى: «وَقَالَوْا» قال المفسرون وrimon: [قُوْمُهُ] أي: قوم الرسول ﷺ، وهم قُرْشَة، وَقَالَوْا إِنْ تُتبع الهدى معاك نحتخف من آتيك، وهذا القول كذب منهم، سواء قالوا ذلك عن عقيدة، أو عن غير عقيدة.

قوله تعالى: «وَقَالَوْا إِنْ تُتبع الهدى معاك معينا هنا للمصاحبة والتبعية، يعني: إن تتبع الهدى، ونكن معاك فيها تدعو إلإيه.

والمراد بهدهد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

وفي قوله تعالى: «إِنْ تُتبع الهدى معاك» إقرار بأن ما مع الرسول ﷺ هدى.
وفى هذا غريب منهم أن يقولوا: «إِنَّنَّا أَلَّذِينَا مَعَكَ»، فيعترفوا بأنه هذئى، ثم بعد ذلك يكفروا.

قوله تعالى: «مَثَّلَنَا مِنْ أَرْضَيْنَا» قَالَ الْمُسْرُورُ رَحْمَةَ اللَّهِ: [أَيْ نَتَّخِذُونَا بَسْرَعَةً]. واللحفظ: نَزَعُّ الْبَيْنَى بَسْرَعَةٍ: أي: نَتَّخِذُونَا الْبَيْنَى، ويكونون علينا؛ لأننا خالفنا ما كانوا عليه من الشرك والأوثان، فهم يقضون علينا بسرعة، وهذا كقوله تعالى: 

إِنْ أَذَّنَكُمُ الْشَّيْطَانُ بِحُجْرَةٍ أُوْلَىٰاَهُ» [ال عمران: 175].

فالشيطان يحول المؤمنين بالكفر، يقول: ترى إن أمتن حصل كذا وكداك، إن تمسكتم بديكم حصل كذا وكداك، وإن الزمر المنسج باتباع الإسلام ظاهر، وباطن، ثار الناس علىكم، فالناس ثلاثة أرباعهم يريدون الفسوق، وأنتم إذا أثرتموهم بال-definition، فإنهم يفرون علىكم.

وهذا لا زال يلبسها الشيطان في قلوب الناس، قال تعالى: «إِنَّا ذَلِكُمُ الْشَّيْطَانُ يَحْجُفُ أَوْلَيَّاهُمْ». 

ولكن الواجب علينا نحو هذا اللائم ألا نخف ما دمت نرى أنتا تسير على الحق، بل تعلم علم اليقين أننا لو سرنا على الحق خافنا الناس، ولم نخف منهم، قال سبحة والقال: [الذين هم أمة وظلوا ي.getSimpleNameهم بذكرى أهلهم] [الأنعام: 42]، الأمة من الخوف، لا من الله، ولأ من غيره، يعني: لا يخفون عقاب الله؛ لأنهم آمنوا إياها صريحا ما له سبب، وكذلك أيضا يؤمنهم الله ما يخفون، وهو أحد التفسرين في قوله تعالى: [المؤمنون المتهيمن] [الخضرة: 22]، وهو أن المؤمن هو الذي يؤمن عبادة الطائعين له ما يخفون.

لكن هذا يتطلب في الواقع إياها حقيقة؛ فإذا وجد الإيمان الحقيقي، ثم نفذت.
الشريعة: فأننا ضامنون أن يحصل الأمان العام.
والدليل قوله تعالى: "أولم نمكين لهم حرية عامًا لا ي يجعل إلينا نظرًا كليمين"،
أي: نجعل لهم مكانًا عامًا، ومتلك قوله تعالى: "إلا ما كتبهم في الأرض" [الحج: 41]، أي:
جعلنا لهم مكانًا يمكنون فيه.
وقوله: "أولم نمكين" المفسرون هنا معناها التقرير، أي: قد مكانًا، كما في قوله:
تعالى: "أولم تمرح لك صدرك" [الشرح: 1، أي: قد شرحنا لك.
وقوله: "أولم" لغلاء النحو في هذا الأسلوب مذهبان:
المذهب الأول: أن الهمزة داخلة على شيء مقدّر، والواو، أو الفاء حرف عطُلب
على ذلك المقدّر.
المذهب الثاني: أن الهمزة بعد الواو علّتها، لكن قدّمت للاستفهام،
وأصلها (وألم).
وقوله: "حيما" على وزن: بطل، فهو صفة مشبهة، أي: من الحمراء، يعني:
مكانًا حرامًا ذا حمراء، ولا زلت أن مكانة المكرمة لها حمراء عظيمة في نفس الناس،
حتى في الجاهلية.
وقوله: "أمانا" اسم فاعل، قال المفسر: رحم الله: "يا بأسون فيه من الإغارة
والقبل الوافقين من بعض العرب على بعض" فجعل معتنى "أيمنا" أي: أيمنًا أهله،
وقسّره بالقول: "يا بأسون"، ف يكون المعنى: أيمنًا أهله.
وعندى أن الوصف هنا للحرم، فإن المفسر: رحم الله يرى أنه وصف سببي، وأنا
أرى أنه وصف حقيقي.
النعتَ قد يكون نعِّمًا سبئيًا، أو نعِّمًا حقيقًا، فالنعتُ الحقيقي هو ما كان صفة
للمنحوع، والسبيب هو ما كان صفة لغيره ما يتصل به، فإذا قلت: عندي رجل صائم. فهذا نعت حقٌّي، وإذا قلت: عندي رجل صائم أبوه. فهذا النعتُ سبئيٌّ؛
لأن الوصف قائم، وهو يعود على من له صلة به.
ولذلك فإنا أرى أن الحرم هو الآمن، وإذا آمن المكان -بلا ريب- فسوف
يأمن من فيه، فلا يعتدي أحد عليه، حتى من أراده بسوء أنفه الله، قال تعالى:
«ومّن يُريد في شيء إلّهEMENTY الأهل فَنَسْقُه من عهّاب أَلِيمٍ» (الحج).  
فالعرب أنفسهم مع كُلِّهم، وهم فقط علَّفَ قُريش لا يمكن أن يَعرَّوا هذَا البيت.
أبداً.
ثم إن أهل هذا البيت هم سادة العرب، حتى في الجاهلية، فكيف يقولون:
«نُحْدَفُ من أَرَبِّيَّة؟» هذا غير ممكن، لأن الحرم آمن، فهم آمنون فيه، لا يمكن أن
يُحمَّلوه فيها.
ثم مع ذلك هذا البلد مع كونه آمنًا، هو أيضًا غريب رعْدٌ، ما يلحق أهله ضيقً.
قوله تعالى: «بِجهَيْنِ إِلاِّ نُحْدَفُ عِنْصَرَ كَفَىٰ شَيٰهُ» قال المفسر رحمه الله: [بالغواصية
والتجمانية]، فتكون «بِجهَيْنِ» و«لنُحْدَفُ»، وهما قراءتان سبعيتان، ومعنى «بِجهَيْنِ»
أي: يَجمع، ومعنى يَؤْتَى أيضًا، فالشمرات تجمع من كل أرض، ويتُؤَى بها إلى هذا
البلد، وهذه هو الواقع، قال إبراهيم عليه السلام: «ربًا إنذِّرتُ من ذَيْنِي بِيِّ نُوحٍ عيْر
ذِئْرَه عند بني إسرائيل يَنَبِيْنَ يَقِيمُوا الأَلاِيْهَةَ فَأَجَامَ أَفْيَدًا فَيَمَّنَ أَلاَّ يَنَبِيْنَ إِلَّهِمْ١(1)
(1) السبعة في القراءات، ابن مجاهد (ص 49).
سودة القصص (الآية : 57)

وأَرَزَقْهُمْ مِنْ آلِهَتِهِمْ١٠٣٧، فَكَانَتِ الشَّمَراتِ تأتي إِلَى هَذَا البَلدِ فِي كُلِّ أَوَّلٍ

من المكان القريب، كالطائف وغيره، ومن المكان البعيد.

قوله تعالى: ﴿زُرِّقَ مِنْ لَدَنَا قَالَ الْقَسْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [زُرِّقُوا هُمۡ]﴾

ومعنى الرزق: العطاء، وهو منصوب لأنَّه مفعولٌ من أجله، أو مصدر، أو مفعول مطلق؛ لقوله ﴿بُيِّنَ﴾، يجيء عطاء.

وقوله: ﴿مَنْ لَدَنَا﴾ أي: من بيننا، وليس لهم به حَوْلٍ، ولا قُدرة، بل الأمر

من الله عَزَّ وجل، هو الذي جعل هذه الشمَرات تجيء إليه.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَسْتَرْكَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قالَ الْقَسْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿أَنَّهُمْ مَأْتَاهُمْ﴾

المعلوم هنا محدود في الآية، فلم يُقَل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ كَذَاَّ وَكَذَاَّ، وَلِكَ الْقَسْرُ﴾

رضي الله عَنْهُ خصَصَه بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، عنيدي أنَّ الأَمر أَعمَّ وأَشمل،

فإنُّهُ حَذَّفُ المَفْعُول يُدِلُّ عَلَى العُمُوم.

فعليه نقول: ﴿لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ تَكُونُوا حَقّ، وَلَا يَعْلَمُونَ العَاَقِبة أَيْضًا; فَإِنَّ العَاَقِبة﴾

أَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا الحَرْمُ أَمَّامًا فِي حَالِ الكِفْر، وَتَجَّبِي إِلَى النُّمُورِ في حَالِ الكِفْر، فَيَا بَلْكِ

في حَالِ الإِبْتِيَانِ، كَفِي وَقَد قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَزُرِّقْ أَهْلُهُ﴾ ﻓِى مَشْرَكِينَ ﻓِى ﻗَأْمَانِ ﻓِى إِلَهِ وَالْيَوْمِ

الأخيرِ﴾ [البقرة: 126].

فإِذَا كَانَ أَهْلُ هَذَا البَلدِ مُؤْمِنِينْ، فَإِنَّ أَمَّةٍ ﻋَلِىْ شَدَىٰ مِنْ يَقِهًةٍ أَنَّ المَكانْ نُقْسُهُ

آيَنِ، وَمِن يَقِهًةٍ أَنَّ المَوْصِلَاءِ مَنْ يَقِهًةٍ أَنَّهُمْ آيَنِ، ﻓَإِذَا كَانَ هَذَا الأَمْرُ، مَعِ كُونِ هُؤُلَاءِ مِنَ المُشْرِكِينَ; فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينْ ﻋَلِىْ أَكْثَرْ، وَهَذَاءْ لَا ﻋَلِىْ هُمْ مِنْ إِبْتِنَاءٍ،

اللَّهُمَأْنِمْ ﻋَلِىْ هُمْ ﻋَلِىْ إِبْتِنَاءٍ، مَعِ كُونِ هُؤُلَاءِ مِنَ المُشْرِكِينَ; فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينْ ﻋَلِىْ أَكْثَرْ، وَهَذَاءْ لَا ﻋَلِىْ هُمْ مِنْ إِبْتِنَاءٍ،
مثل قضية القراءة، ومثل ما سيكون في آخر الزمان، حيث يُسلَّط على البيت رجل من الخبيشة، قال النبي ﷺ: "كأنه به أسود أفرح، يقلعها حجرًا حجرًا".(1)
فقوله تعالى: "لا يعلمون" ليس خاصًا بأن ما جاءه هو الحق، بل هو عام حتى في النهاية، وفي الغاية مما لو آمنوا.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب هدم الكعبة، رقم (1595).
قال الله تعالى: «وَمَا أَفْلَحَهُمُ الْأَلْبَابُ ۗ مِّنْ فَرِيقٍ بِبَطْرِ مَيِيعَتِهِ ۡنَا مَسْكِئُهُمَّ لَمِّنْ تَشْكِنُ مِّنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكَثِيرًا عَنْ الْأَرْضِ ۚ [القصص: 58].

قال الفضيل بن رشيد: [«وَمَا أَفْلَحَهُمُ الْأَلْبَابُ ۗ مِّنْ فَرِيقٍ بِبَطْرِ مَيِيعَتِهِ ۡنَا مَسْكِئُهُمَّ لَمِّنْ تَشْكِنُ مِّنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكَثِيرًا عَنْ الْأَرْضِ ۚ» عَنْهُمْ،]

وأريد بِالْقُرْءَةِ أَهْلَهُمْ (فَوْقُلُوا) مَسْكِئُهُمَّ لَمِّنْ تَشْكِنُ مِّنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا قَلِيلًا لِّلْمَدْخَلَةِ بُيُومَ أَيَّامِ أَوْ بِعَضْعَةٍ (وَكَثِيرًا عَنْ الْأَرْضِ ۚ) عَنْهُمْ.]

هذه فائدةٌ ذِكر إهلاك القرى السابقة لأجل أن يُقال لقريش: الكفر لا يمنع الحروف، ولا يمنع العقوبة، بل إنَّه سبب العقوبة، فأنتم تقولون: إننا إذا أهلكنا قريتنا الحقيق، وهذا قال: «وَمَا أَفْلَحَهُمُ الْأَلْبَابُ ۗ مِّنْ فَرِيقٍ بِبَطْرِ مَيِيعَتِهِ ۡنَا مَسْكِئُهُمَّ لَمِّنْ تَشْكِنُ مِّنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكَثِيرًا عَنْ الْأَرْضِ ۚ» فكان الله يُدْلِّل لتكرهيب هؤلاء، بأن الكفر أهلك الأمة السابقة التي بطرت معيشتها.

وقد أبطل الله كلام هؤلاء الكفار للرسول ﷺ، لما قالوا: «إِنَّمَا أَهْدَى مَعَكَ

بِخُطَّافٍ مِّنْ أَرْضِكَ» أبطله بالسلب والإيجاب.

أما الإيجاب: فقال: إننا مكانًا هم خربًا آمنًا لا يمكن أن يكون هذا البلد خائفاً، فإذا كان آمنًا في حائل الكفر ففي حال الإيذان من باب أولى.

وأما السلب: فقوله تعالى: «وَمَا أَفْلَحَهُمُ الْأَلْبَابُ ۗ مِّنْ فَرِيقٍ بِبَطْرِ مَيِيعَتِهِ ۡنَا مَسْكِئُهُمَّ لَمِّنْ تَشْكِنُ مِّنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكَثِيرًا عَنْ الْأَرْضِ ۚ».
فالكفر لا يؤمن صاحبه، بل هو السبب في إهلاكه، فباقواكم على الكفر ليس هو الّذي ينجيك مِن أن يتخطفكم الناس، بل هو سبب هلاكم، وهذا هو الواقع حيث خرج صناديد قريش وزعّاؤهم إلى بدر ليهلكوا، والحرم آمن، فما جاء شيء، لكنهم هم الذين خرجوا هلاكم، فقُتِلُوا في بّدر.
قال الله عز وجل: "وَإِذَا رَكَبُوكَ مُهَٰدٍ اللَّهٍ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِمَا رَسُولًا يَنَبِئُهُمَا عَلَيْهِمَا أَيْنَّا وَأَهْلُهَا طَلِيفَتَكُمْ إِلَّا وَأَهْلُهَا طَلِيفَتَكُمْ فَمَا أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ فَسَينَفَعُونَ الْحَيَوَاتِ الْآخِرَةِ وَرَبِّيْهَا وَمَا عَندَ اللَّهِ خَيرَ وَبَيْنَ أَفْلَى أَفْلَى نَعِيمٌ وَعَدْتُهُ "وَعَدْنَا آمَنَّا فَكُلُّ نَفْسٍ يَدُعُوْزُهُ مِنْ مَّنْ عَمِّيْهَا الْحَيَوَاتِ الْآخِرَةِ فَهُوَ الْقَيْمَةُ مِنَ الْمَهْدِينَ وَقَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقُولُ رَبّنا هُنَّاءَ الَّذِينَ أُنْطِقُونَ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ كَمْ عَنَّاهُ تَبَالَتْ إِلَى إِلَيْهِ كَمْ كَانُوا آيَاتا يَعْبَدُونَ "قَالُّوا مَنْ فِي الْنَّارِ يُدْخَلُونَ إِلَيْهِمْ نَزْلَاتٌ لَّهُمْ مَرَّاتَيْنِ إِلَّا أَفْلَى أَفْلَى نَعِيمٌ" [القصص: 9:26-27].
من فوائد الآيات الكريمة:

الفائدة الأولى: ببيان أن المشركين لا يستفيدون من شركائهم شيكاً هم أحوج ما يكونون إليه، وذلك يوم القيامة.

الفائدة الثانية: إظهار عذاب الله.

الفائدة الثالثة: التوبيخ في وراء الذين يدعون مع الله عزيز، فإن في هذا لا شك.

توبيخًا وتقررًا هم يوم القيامة.

الفائدة الرابعة: أمر الله للمشركين أن يدعوا شركاءهم في الآخرة ليس من باب التكليف، وإنما الغرض التحذي، وإظهار عجز هذه الأصنام، وهذا هو الظاهر.

الفائدة الخامسة: إناث العذاب في الآخرة، لقوله: {وأولى المكذبين}.

الفائدة السادسة: أن الادعاء هو السبب المذكور من العذاب، لقوله: {إن أولى أنهم كانوا يهديون}، فإذا أردت سبباً ينجيك من عذاب الله، فعليك بالاهتداء بهذي الله أو بهدى الله - فإن هؤلاء السبب الذي ينجحك من عذاب الله.
قال الله عزوجل: [وَيَوَمَّ يَنادِيهِمْ فِيَوْلُوْدٍ مَاذَا أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] (القصص: 65).

قال المفسر رحمه الله: [وَأَذْكُرْ] (عَنْ) يَوَمَّ يَنادِيهِمْ فِيَوْلُوْدٍ مَاذَا أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ

إِلَيْكُمْ.

قوله تعالى: [وَيَوَمَّ يَنادِيهِمْ فِيَوْلُوْدٍ مَاذَا أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] قوله: [مَاذَا أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] من ناحية الإعراب، (ما) استفهامية، (وذا) اسم موصول، أي: (ما الذي أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) وأجاب، (وأجاب) فعل ماض، والفاعل فاعل، والمفعول به، وجعل (أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) مفعولاً به، وجملة (أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) صلة الموصول، والموصول خبئ المبتدأ، وهو (ما) الاستفهامية.

والشاهد على هذا الإعراب من كلام ابن مالك(1):

وَمِثْلُ (مَاذا) بعَدَّ (ما) استفهامٍ أو (سِنَ) إِذَا لَمْ يَلْعَبْ فِي الْكَلَامِ

قول الناظم: (إِذَا لَمْ يَلْعَبْ) معناه يشير إلى وجه آخر، وهو إلغاؤه في الكلام.

وعليه (يَجَعَلُ (مَاذا) كَلِّها اسم استفهامٍ، وتكون هي المبتدأ.

 قوله تعالى: [وَيَوَمَّ يَنادِيهِمْ فِيَوْلُوْدٍ مَاذَا أَجَسَّدْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] ذكرنا أنه في السؤال الأول:

(1) ألفية ابن مالك (ص 5).
«إن شريكك» سأل عن التوحيد، وهذا سأل عن الرسالة، فيكون المسئول عنه الآله شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، أو عيسى أو موسى، حسب الأمم التي تسأل.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: قوله تعالى: «وَيَوْمَ يَنْادِيُهُمْ مَرَّ بَيْنَهُمْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ» عند قوله: ويوم يناديهِمُ فَقَلَوْاَ أَنَّ شَرِيكَكِ» إن بات كلام الله، وأنه بصوت، وأنه يسمع، وأنه يحرف.


الفائدة الثالثة: أن السوأ في الآخرة عام لجميع الخلق، فقوله: «الملائكة» يشمل: محمد وغيره، أما السوأ في القرآن، فإنه قد ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه خاص بهذه الأمة لقوله: «إِنْ هَذِهِ الأُمَّةُ لَتَبَنَّى فِي فُؤُورٍ»، وقوله: «وجَيِّهَ» إِلَى أَنْحَمَ فَتَفَطَّنَ فِي فُؤُورٍ كَمْ.

والمسألة خلافية، وسبق الكلام عليها في التوحيد، إنها يلزم القياسية السؤال عام

بنصر القرآن.

الفائدة الرابعة: إظهار فضل الرسول - عليهم الصلاة والسلام - حيث أثبت

(1) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد البيت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب الفقر والتعوذ منه، رقم (2867).
(2) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفتى بإشارة اليد والرأس، رقم (86)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف، رقم (905).
الله تعالى أحقَّي رسالتِه في هَذَا الموتِ العظيم.

الفائِدة الحَافِضة: أن غَير المؤمنين تعمَّى عليهم الأنباء في ذلك اليوم، وَلَوْ كَانُوا عَالَمين، وهَذَا كَمَا أنَّ الْيَتُوت إِذَا شَيَّلَ في قَبْرِه: مَن رَبُّك؟ وَمَا دِينُكُ؟ وَمَن نَبِيُّكُ؟ وَلَوْ كَانَ عَالِيًا، فإنَّهُ إِذَا كَانَ غَير موْمن لا يَجِب بالصَّواب.

الفائِدة السَّادِسَة: أنَّهُ لا يُغْنِي أَحَدَ عَنْ أَحَدِ يَوْمِ الْقيامة، لقوله تعالى: «فَهُمْ لا يَسَاءَ لَوْبَتْهُمْ»، فإنَّ أحدًا لا يُغْنِي عَنْ أحدٍ شَيْئًا في ذلك اليوم، ولا ينفده ما وَقَعَ فيه.

الفائِدة السَّابعَة: قوله تعالى: «وَوَيْلٌ يَنَادِيهِمْ فَيُقُولُونَ أَن شَرِّكْناِ» عَامَّ لِكُلِّ المشركين، وَقَالَ بَعْدَهَا: فَعَمِيتَ عَلَيْهِمْ الأَنْبَاءَ، أما المؤمنون، فإنهم مؤمنون لا يسألون، بل يَكِيني سؤالهم في قَبْرِهِم.
قال الله عزّ وجلّ: "فعَمَيت عَلَيْهِم الأَلْبَاةُ يُومَ بُيْمَيْذَ فَهُمْ لَا يَتَسَاءِلُونَ".[القصص: 66]

قال المفسِّرُ رحمه الله: "فعَمَيت عَلَيْهِم الأَلْبَاةُ الأَخْبَارُ المُنَجِّيَةُ في الجِنَوَابِ يُومَ بُيْمَيْذَ لَمْ يُحَذَّروهَا خَيْرًا فَهُمْ لَا يَتَسَاءِلُونَ". عنَّهُ فَيْسَكَتُونَ.

قوله تعالى: "فعَمَيت عَلَيْهِم الأَلْبَاةُ يُومَ بُيْمَيْذَ" أي: انطَمَسَّت عليهِم، فَلَمْ يَجِدُوا جِواَبًا، بَعْنِي: طِلَابًا شَيْئًا مَّا وَجَدُوهُ.

وقوله تعالى: "فَهُمْ لَا يَتَسَاءِلُونَ" أي: عَن هَذِهِ الَّذِيْنَ الأَخْبَارُ، عَنَّ جِنَوَابِهِم، إِنَّهُمْ لَمْ يُحَذَّروهَا خَيْرًا، وَلَا قَوْمُهُمْ لَوْ سَأَلُوهُمَا وَجَدُوا الخِبَرِ.

وقال بعضهم: إنّ مَعْنِي «لَا يَتَسَاءِلُونَ»: لا يَتَأَدَّوُنَّ في القرَاءَةِ، كَانَوا يَفْعَلُونَهُ في الْذِيْنِي، إِذَا ضَأَقَتْ عَلِىَ الْإِنسَانِ الْحُجَّةُ صَارَ يَنَادُونَ قَرَابِيَهُ وَاقْرَأَتَاهُ وَمَا أَشْبِهَ ذَلِكَ، وَهُنَّاكَ فِي الْآخِرَةِ مَا يَتَلَبَّبُ. وَإِنَّ مَعْنِي "يُومَ بُيْمَيْذَ": (يَوم) تَمْسِكُ عَلَى الْعَرْفِيَةِ، وَ(إِذِّ) مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَالْتَنْوِينُ فِيهَا عَرْضٌ عَن جُمُلَة.
قال الله تعالى: "فَأَمَّا مِنْ تَابٍ وَأَمَانَ وَحَلَّ صَلِبْكَا فَقَسَّمَ أَنْ يَكُونَ نَ اَلْمُفْلِجٌ (الْقَصْصَ:۳۷)."

قال المفسّر رحمه الله: "فَأَمَّا مِنْ تَابٍ وَأَمَانَ وَحَلَّ صَلِبْكَا صِدَاقٌ بِتَوْهِيدِ اللهِ وَأَطْبَقُ صَلِبْكَا" أَذِى الْفَرَائِضِ فَقَسَّمَ أَنْ يَكُونَ نَ اَلْمُفْلِجٌ النَّاجِينَ يَعْوَدُونَ اللهِ.


وقول المفسّر رحمه الله: "فَأَمَّا مِنْ تَابٍ وَأَمَانَ وَحَلَّ صَلِبْكَا صِدَاقٌ بِتَوْهِيدِ اللهِ" لعله أوجب له أن يقيّد النوبة هنا بالنوبة من الشرك في قوله: "وَأَمَانَ"، لأن الإيّان بعد الشرك، فإن الحاضر مؤمن، وله كان عاصيًا، فهذا هو الذي أوجب للمؤلف أن يقيّد النوبة من الشرك.

قال المفسّر رحمه الله: "وَأَمَانَ صِدَاقٌ بِتَوْهِيدِ اللهِ"، وهذا نقص في تفسيره للإيّان؛ لأن الإيّان ليس هو التصديق في الشرك فقط، صحيح أنّ الإيّان في اللّغة يُراد به التصديق، لكنه في الشرك هو: التصديق بشرط أن يتضمن القبول والإذعان،
قالاً بَدَّ من قولٍ وذعنانٍ، وإِلاَّ فليس بمؤمن لا يصدقُ، فأبو طالب -مثلاً- مصدّق برسالة الرسول ﷺ، ومع ذلك، فقد كفر، لأنه لم يقبل، ولم يُدعَن.
وَقَولهُ هذَهَا كَذَلِكُ مُصْطَفَّةٌ لَّا أُنَّ الإِيَّاَنَ لَيْسَ أَنْ تَصْدِقَ بِهِ أنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الإِيَّانَ (أَنْ يُؤُمِّنُ بِاللهِ وَمَلاكِيَهُ وَرُسُلُهُ وَاليوم الآخر، والقدر حيّ، وذكره) ﴿۱﴾، فلا بد من هذه الأركان السِّتة في الإيان.

وَقَولهُ: (وعْي سَلِيمًا) قال المفسِّر رحمه الله: [أَذَا الْفَرَايِّض، وَهُوَ هذَا أَيْضًا قَصَةً]، بل التعَمُّل الصالِح هُنا يشمل الفرائض والنواقل، والعمل الصالح هو الذي جمع بين أمرين: الإخلاص والتابعة؛ فقوله تعالى: (وَمَا أُوْرِيَ إِلَّا لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ مَّلْكُ بَلَدِنَا) ﴿۵﴾، فقوله: (مَحَلُّيَانِ) هذا الإخلاص، و(مَحَلْةٌ) هذه التابعة؛ لأن الحَيْقين هو الذي ليس بثائر، فمن خرج عن التابعة فهو مائل.

فَالعمل الصالح إذن هو كل عمل تضمن الإخلاص والتابعة، وضده الفاسد، وهو الذي اشتمل على الشرُك أو على البدعة، فهذا ليس بعمل صالح، فمن جمع هذه الأوصاف الثلاثة (فَعَلَّمَ أن يَكُونُ مِنَ المُفْلِحِينَ) (عِمَّى) من أفعال الترجُح، لكنها بِالنسبة لله عَرَبُ جَلَّ لَا كَنْوُنُ للتَرجُح، بل تكون للتعليل، وَهَذَا قَالُ ابن عباس (تَلَكَ) (۸)، لأن العَلِيَّة ملزمة للمعلول، فإذا وجبت العلة تبت المعلول، فعاللة الفلاح هي التوبة والإيان، والعمل الصالح، فإذا وجبت هذه وُجِّد الفلاح (فَعَلَّمَ أن يَكُونُ).
قوله تعالى: "لَاتَّقَآٰئُوا وَلَا يَهَرَبُوا، وَلَا تَخَسَّرُوا لَهُ مَا يَجِبُ".

وقوله تعالى: "فَمَلَّأْتُهُمْ مِنَ الْغَفْلَةِ، فَأُلْقِنَا إِلَيْهِمْ لِتَرْجَحَ" -مثلا-

فإن الإنسان، وإن عمل هذا العمل، فليكن راجياً للفلاح لا قاطعاً به؛ لأن الله لا يجري، قد تكون هناك مواضع، أو خلل لا يحصل معه الفلاح، قال الله تعالى: "وَاللَّهُ يَمْكُرُ مَا تُمْكِرُوا وَقَوْلُهُمْ وَجَلَّهُ أَنْ هُمْ إِلَى نَيْبَهُمْ رَجَعُونَ" (المؤمنون: 67) فهنا المقام ليس مقام جزم، بل هو مقام رجاء.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: في هذا فضيلة هذه الأوصاف الثلاثة: النوبة، والإياء، والعمل الصالح.

الفائدة الثانية: أن هذه الأوصاف الثلاثة سبب للفلاح؛ لقوله تعالى: "فَمَلَّأْتُهُمْ مِنَ الْغَفْلَةِ، فَأُلْقِنَا إِلَيْهِمْ لِتَرْجَحَ".

الفائدة الثالثة: أن الفلاح مركبة عالية لا ينالها إلا ذو الأوصاف الحميدة:

الثواب المؤمنون العاملون صالحين.

الفائدة الرابعة: أن العمل لا ينجح إلا إذا كان صالحاً، وهو ما جمع شرطين -كما سبق- الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ.
قال الله عز وجل: «وربكم حلق ما يشئ ويركع ما يكفر» [القصص: 88].

قال المفسر رحمه الله: «وربكم حلق ما يشئ ويركع» ما يشاء ما حكِّم لِلمُشْرِكِينَ [الحية] الإخبار في شيء سبَحن الله وتعالى عنا يشريكون عن إشراكهم.


وقوله: «خلقه الحلق»: هو الإبداع المبين على التقدير، فإن الله عز وجل يُقدر، ثم يخلق فخلق مبين على الحكمة.
قوله: "ما ينكث ما ينكث، وَمَّا يَقُولُ: مَن يَا للهّ، مَعَ أَنّ الْمَخْلُوقَاتُ فِيهَا مَا هوَ عَاقل،
ولكنه تغلب لغير العاقل؛ لأنه أكثر، ثم من أجل أن يشمل الأعيان والأوصاف،
ولأوصافاً ليس على من العقلاء، وإذا رويت الأوصاف أو في (ما).

وانظروا إلى قوله تعالى: "فأنكرت ما طاب لكم من النساء؟" (النساء: 2)، وَمَّا يَقُولُ: مَن طاب، مع أن المنكوح عاقل، لكيما لم كانت المرأة تُنكِّح لصفاتها قال: "فأنكرت ما طاب" يعني: راعوا الصفة.

فهنا قوله: "يُطِلِّقُ مَا يُنّكَثَ" عَبْرَ بـ "يَا" تعريفاً لغير العاقل؛ لكثرة، وليشمل الأعيان والأوصاف، فهذا تعالى خالص لكل شيء: الأعيان والأوصاف.

وإذا فإن من مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالص للعبد، وأفعاله، الذي هي أوصافه، قل الله تعالى "يُطِلِّقُ مَا يُنّكَثَ"، وقوله: "ما ينكث ما ينكث"، أي: ما ينشئ حقله، فلم يفعل إذن مخدوف، وهذه المشيئة كل ما ذكر الله تعالى عن فعل من أفعاله أنه تعالى للمشيطة، فإنه مقرون بالحكمة؛ لأن من أسماة الله تعالى الحكيم، فلَا يُنَّكِّحُ شَيْئاً عَنْ بَعْدِهِ، وَلا يَتَّجَّهُ بَيْنَ عَبْدِهِ، كَلّ ما شاء فهو مقرون بحكمة.

وقوله: "وَيَقُولُ" قال المفسِّر رحمه الله: "ما ينكث ما ينكث"، أي: يختار ما يشاء، والاختيار الأخذ بخير الأمرين، فهو سبحانه وتعالى أيضاً يأخذ بما يراه خيراً من أفعاله، وأحكامه، فتصور الحقل عائد لأصل التكوين، والاختيار عائد للتعيين المبني على الإرادة التامة، فهو لا مَعْقُوبَ حَكْمَة، ولا راية لقضائه، فيه خيار ما يريد عريض، يُنَّكِّح الآدمي على هذا الوجوه، واستناد أن يكون على هذا الوجوه، وكذلك أيضًا اختيار أن يكون شرعه كذا - وإن لم يكن معلومًا على هذا الوجوه.
فأذن: الاختيار أعمَّ من الخلقِ من وجه، حيث يشمل المخلوق، وغير المخلوق، فهو يختار سبحانه وتعالى ما يريده من شرع، أي: أعمَّ من هذا الوجه، وأما الخلق فإنه أعمَّ من حيث إنه يشمل الأعيان والأوراف.

قال المفسر رحمه الله: [«ما سَكَّطَ لَهُمْ»] للمشركين [القَيْرَة] الاختيار.

قوله: [«ما سَكَّطَ لَهُمْ»] : (ما) هذا قال بعضهم: إنها اسم موصل، أي: يختار ما كان لهم الخيرة، وما يكون فيه خير لهم، وعلي هذا قوله: [«ما سَكَّطَ لَهُمْ»] موصل بقوله: [«وَخَيَّارًا»]؛ لأنهم مفعول به، ولهذا القول ذهب إلى المتزلج الذي يَقولون: إنه يجيب على الله فيفعل الأفضل، أو الصلاح، فقالوا: إنه تعالى ما يختار إلا ما كانت فيه الخيرة، أما ما لم تكن فيه خيرة، فلا يختاره، وهذا معناه أن الله عزوجل يفعل ما هو أصلح، أو ما هو صلاح.

ولكن أكثر المفسرين - وعلى رأيهم ابن عماسة - يقولون: إن (ما) نافية، وكم قال المفسر رحمه الله: لا يكون الخيرة لهم إلا المشركين، ولا لأصنامهم أيضًا، فأصنامهم لا تختار ولا يختار، وكذلك هم ليس لهم حق الاختيار فيما أراد الله، وهذا القول هو الصواب، وعلي هذا فيكون الوقف على قوله: [«وَخَيَّارًا»]، ثم الاستئناف بقوله: [«ما سَكَّطَ لَهُمْ»]، وهذا هو القول الصحيح في هذه الآية، أن الله هو الذي له الاختيار المطلق، وليس لأحد الخيرة، وقد قال الله تعالى: [وَمَا كَانَ لَهُمْ وَلا مُؤَمِّنٌ إِلَّا قَضَى اللَّهُ وَسُوْيَاهُ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الَّذِيْرَةُ مِنْ أَمِّمِهِمْ] [الإحزاب: 26]، فلا يختارون من أموهم إلا ما اختار الله.

وهل يجيب على الله فيفعل الأصلح والصلاح أم لا يجيب؟

فقوله: أنَّه راجِبًا عليه بمقتضى الحكمة، وليس بمقتضى عقولنا؛ فإن الله
 تعالى بمقتضى كونه حكيمًا ما يفعل إلا ما هو صالح، أو أصلح، ولا يمكن أن يفعل
ما ليس صالح، ولا أصلح؛ لأنه حكيم، ولكن هل معنى ذلك أننا نحن نوجب على
الله ونقول: هذا أصلح من هذا، ونجيب أن يفعل كذا؟ لا، ولكنه سبحانه وتعالى يفعله.
وقد لا نعلم نحن بهذه الأصلحة، أو بوجه الصلاحية، فلا يلزم أن نتعلم.
وكم من أشياء نظن أن الحكمة في خالقها ما أمر الله به، أو ما يقع قدرًا، وتكون
الحكمة فيها جاءيه الشرع، وقصي به تعالى في قدره.
قوله تعالى: "ما حكماً له مِّن الْأَليْلَةِ" على قول المفسر رحمه الله بأنه: [الاختيار
في شيء]. ف{"الليلة" اسم مصدّر، لأن كل كلمة تضمنت معنى المصدر دون
حروفه فهي اسم مصدّر، ونظر الحيرة الطيرة؛ فإن الطيرة اسم مصدّر بمعنى:
التقطير، وهذا الحيرة اسم مصدّر بمعنى الاختيار.
قوله تعالى: "سبحان الله وتعالى عما يُشْيِقُون" قال المفسر رحمه الله: [عن
إِشْعَارِيكُهُم].
قوله تعالى: "سبحان الله" اسم مصدّر بمعنى： التسبيح، والنسبيح: تنزية الله
سبحانه و تعالى عنا لا يخلق يبه، وما لا يخلق يبه:
- أن يدخل عليه النقص: وهو منزة بها عن النقص، ولهذا قال الله عزّ وجل:
"ليس كمهم، شئٌءٌ" [الشورى: 11].
- ومتشابهة المخلوقين ممتنعة على الله، بالنقص ممتنع عليه سبحانه وتعالى، فعليه
يكون "سبحان الله" تنزيها لله عن كل ما لا يخلق يبه من نقص، أو متشابهة المخلوقين;
لأنه قد تكون صفة كمال، فإذا شاهبه الله بيا صار نقصاً، وقد تكون المسألة ليس فيها
مشابهة للمخلوقين إطلاقاً، ولا يوجع شبه، أي: من الصفات الخاصة بالله.

فنص على نفي المسائلة، وقال: (وما مستننا من نعوب ) [ق:38]، فنص على

نفي الفضي.

وقوله: (عن يشكو ) يقول المفسر رحمه الله: [عن إشراكهم]، استفدها من تفديرين
المفسر رحمه الله أن (ما) مصدرية، فيكون التنزئة عن فعليهم، ويجتنب أن تكون (ما)
اسيًا موصولًا، ويكون العائد محدوفًا، والتقدير: عنا يشركون به، فيكون مثيرًا عن
الشركاء، أئته هي الأصنام.

وقوله: (وفعكل ) مأخوذ من العلو، ولكنها تفيد معنى التنزئة عن العلو، فيكون
معناً: ترفع وتزنزه بعلوه، فهي أبلغ منها قولك: علا؛ لأن علا تفيد العلو، لكي
قوله: (وفعكل ) يفيد مع العلو التنزئة والتحاشي عنا يشركون به، أو عن إشراكهم به.

وأما بين الله سبحانه وتعالى عموم خلقه، وأنه هو الذي له الاختيار المطلق، وليست
لأحد من خلقه اختيار، فالاختيار له وحده، ذكر أنه تعالى بكل شيء.

من فوائد الآية الكريمة:

القائمة الأولى: إثبات أن الله وحده هو الذي يخلق، لقوله: (ما سكار فهم
الفيئة )؛ لأن من لا اختيار له طبعاً لا يخلق له.

القائمة الثانية: أن الله تعالى قادر على كل شيء؛ لأن من (خلق ما يشاء ) معناه
أنه قادر، فكيف يريد يخلقه.

القائمة الثالثة: إثبات الإراده الله سبحانه وتعالى، لقوله: (ويخافك )، والإراده
هنا إن نظرنا إلى قرونها بالخلق، قلنا: هي الكونية، وإن نظرنا إلى لفظها بقطع النظر.
عن اقترانها بالحلف، قلنا: إنها شاملة للكونية والشرعية، لأنها سببًا وطاعانًا يختار كونًا وشرعًا ما يشاء، ولهذا أولى العموم.

الفائدة الراجعة: أن الإنسان لا اختيار له، وقد تمثّل بهذا الجبرية، لقوله:

"ما سكنت لهم الإيجرة"، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الإنسان ما له اختيار، وأنه

يجبر على فعله.

والجواب على ذلك أن يقال: ما كان هم الخيار المطلق، يعني: النّهي تكون بدون الله، فالله يختار وهم يختارون، والدليل على هذا آيات كثيرة، وأحاديث تدل على أن الإنسان له إرادة، بمنه قوله تعالى: "منحكم من يريده الذينك ومنحكم من يريده" [الأحزاب] [العمران:125]، وقوله: "لمن شاء ما كن أن تسئّم" [التكوين:28].

لهو سببًا وطاعانًا أثبت للإنسان مشيئة، وأثبت له إرادة، والواقع يشهد بذلك، والإنسان يتفرّق بين الفعل اختياري، والفعل غير اختياري، فالإنسان إذا تزّل من السطح بالذرّة فنزوله اختياري، ولكن إذا دقّعى أحد من أعلى الذّرج فتدحرج فنزوله غير اختياري.

والنفّي في قوله: "ما سكنت لهم الإيجرة" مслаط هما على الخيار المطلق الذي لا تعارض، هذه ليست للإنسان، بل الإنسان مدد، ولله إرادة، وأما أن يكون نفياً لمطلق الجبر، فهذا لا يُمكن، لأن الآيات والواقع يشهدان بأن للإنسان خِبرة، والعلاء يقولون في كثير من الكفارات: يُجزى بين کذا وکذا.

الفائدة الخامسة: انفراد الله عزّ وجل بالإرادة المطلقة، فلا مُعَقب للحكمة، ولا رادًا لقضائه.
الفأيدة السادسة: تَنْزِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ لا يَبْلُغُهُ بِهِ لَوْ قُلْتُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ".
الفأيدة السابعة: تَعَالِيه وَتَنْزِيهُ عَنْ هُؤُلَاءِ المَشْرِكِينَ، سَوَاءْ قَدْرَنَا (ما) مَصْدِرٍ، أو قَدْ رَآهَا مَوْصُولًا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَتَاعِلٌ عَنِ المُشْرِكِينَ عَن أَصِنَامِهِمْ، وَعَن شِركِهِمْ.
قال الله عز وجل: "وَرَبِّكَ يَعْلَمُ ما نَكْنُ صَدْرُوهُمْ وَمَا بَعْلَتِهِمْ".

[القصص: 69].

قال المفسر رحمه الله: ""وَرَبِّكَ يَعْلَمُ ما نَكْنُ صَدْرُوهُمْ" تُبَيِّنُ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْبَهُ وَ""وَمَا بَعْلَتِهِمْ" بِالْأَسْبَاطِيْهُمْ مِنْ ذَلِكَ].

قوله تعالى: ""وَرَبِّكَ"" الخطاب فيها، وفي التي قبلها إما للرسول ﷺ، وإما لكُلٌّ من يِصْحُبُ تَوجِيهَ الْخِطَابِ إِلَيْهِ.

قوله تعالى: ""وَرَبِّكَ يَعْلَمُ ما نَكْنُ صَدْرُوهُمْ" قال المفسر رحمه الله: ""وَرَبِّكَ يَعْلَمُ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْبَهُ وَغَيْبَهُ".

قوله تعالى: ""مَا نَكْنُ صَدْرُوهُمْ" بمعنى: ""يَعْلَمُ وَجْهَنِي، وَقُولُهُ: ""صَدْرُوهُمْ" أي: قَلُوبُهُمْ، وإنما عَبِرَ بِالْمَعْنَى"؛ لأن القَلْبُ فيها، والقلب متصل بالصدر، وهذا فالصدر هو المُکْنَٰن لَلْقَلْبِ السَّارِثِ لَهُ، وَمَا في القَلْبِ أَيْضاً مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُشْتَرِكَةِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَيْ عَلَمَهُ.

وقول المفسر رحمه الله: "[مَنَّ الْكُفْرِ وَغَيْبِهِ] صحيح، فَلا يَقُلُ عَلَى هَيْبَةِ مَا ۗ أَيْ: ۗ أَيْ: ""وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّهَيْنِ" وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُوسُ يَدَنَّ يَدَنَّ، وَهُنَّ أَقْرَبُ إِلَى مِنْ حَيثْ آتَيْنَا" (١٩)، فَقُولُهُ: ""تُوسِسُ يَدَنَّ يَدَنَّ" أي: مُتَدَكَّرُ بِهِ، فَهُوَ سَبِيعَةُ وَعَايَا، لا يَقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، بَلْ ۗ هُوَ يَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُ أَنتُ أَيْضًا."
قوله تعالى: «وما يعقلون» قال المفسرون رحمه الله: [بأسلوبهم فمن ذلك].

قوله: «يعقلون» أي: يظهرون، وتخصيص المفسرون رحمه الله الإظهار بالألسنة في قصور لأن الإعلام قد يكون باللسان، وقد يكون يثيره من الجوارح، فقد يكون باللسان فيكلم، وقد يكون يثيره من الجوارح، فيفعل بديه أو قدمه أو عينه، أو غير ذلك، فهو أعم ما قال المفسرون رحمه الله.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: في هذا إثبات العلم لله، وأنه شامل لما يسكر، وما يعلمن.
الفائدة الثانية: التحذير والرغيب، تحذير الإنسان أن يصور، أو يعلن سوءًا، لأن الله يعلم به، وترغبه في أن يصور، أو يعلن خيراً؛ لأن الله يعلمه، والله أعلم بما أصم من خير أو شر، معناه أن الله لن يضع، فهو معلم كنما قال الله تعالى: إن في آيات كثيره أنه يعلم، ويحترم يوم القيامة عما عمل هؤلاء.

١٠٠٠٠٠٠
قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ لَكُمُ الْحَكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: 47).

قال المفسر رحمه الله: {الله ﷺ لا إذنِّ إلا هوّمُهُ الَّذِي أَحْكَمَ في الأَوْلِيَاءِ الذَّينِي ﴿وَالَّذِينَ أَخْرَجُوا﴾}.

الجُنُّو: ﴿وَلِلَّذِينَ أَحْكَمُوا الْقَضَاءَ النَّافِعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ﴾ (ورَبِّكَ نُرْجُعُونَ) بالنشر.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَصُدُّ عَنْ غَلِبَةِ الْكَذِبِ وَالَّذِي يَعْلَمُ مَثَلُ اللَّهِ﴾ (القصص: 47).

قُولهُ: ﴿وَأَيُّمُ مَثَلَ اللَّهِ الَّذِي أَنْصَرَّهُ عَلَى الْكَذِبِّي أَلْيَإِهِ﴾ (الستière 21).

أَنْاس، خُفَّفَت فِصَارَتُ (ناس).

ومعنى الالهِ: المَلْكُوَّة، وليست بمعنى آلية، يَشَّل غَرَاسَ، بمعنى: مَغْرَوس، والبناء بمعنى: مبني، وفراش بمعنى: مَفْرَوس، وأمثالها كثيرة.

ومَالِهِ أَي: مَعْبود، وسُمِّيَ المَعْبِد مَالِهِ أَي، لَكَنَّ الْحَلْبَ بِذَاتِهِ، أي: يَبْعِلُ إِلَيْهِ.

وَمَتَنَّوَدْ أَن (آلِهِ) مُوَافِقُ في الأَلْبِيَّةِ الأَمَّلِيَّةِ الأَكْبَرِ لأَلْهَ، إِذْ إِنَّ ثُمَّهَا فِيَّةُ الْمَهِمَّةِ، وَأَلْهَاءُ، وَلَامٌ، فَفِي الأُلْوِيَّةِ، وَهِيُ العبادة، وَنَوْعٌ مِنَ الْتَأْهِيلِ، وَالأَطْمَانِيَّةُ، لَأَنَّ الْأَلْهَةِ لَهُ مَطْمَئِنٌ إِلَيهِ.

قال المتكلمون: إنَّ الله بمعنى الآله، أي: القادر على الاحتراع، يعني: القادر على الحَقِّي، لكنهم يستخدمون تعبيرات فلسفية: القادر على الحقَّي، فلو فَسَنَا الْإِلَهَ.
بمعني: القادر على الخلق، لكان المشركون الذين قاتلهم النبي موحدين؛ لاتهم يقولون: لا خالق، ولا قادر على الخلق إلا الله، ولا ريب أن هذا يؤدي إلى إبطال الرسالة والتوحيد.

فنعم نعلم خطأ بعض المؤلفين الآن في التوحيد، حيث يركزون على توحيد الروبية، ويتناسون توحيد الألوهية، ولهذا حطأ عظيم؛ لأن التوحيد ليس الإقرار بالخلق، والاعتراف به فقط؛ إذ إن هذا حاصل من المشركين الذين استباح النبي دمائهم وأمواتهم، لكن الله بمعنى: المعبود، وهو أمر فوق القادر، أو الخالق.

وقوله تعالى: «لا إله إلا هو» لما قرّ ألوهيتنا بصيغة الجملة الاسمية «وهو الله»، وطرحنا معرفتان، والمعروف عند البلاغيين أن الجملة الاسمية إذا كان طرفاها معرفة، فإنها تفيد الخصار، وأكذب ذلك يقوله: «لا إله إلا هو»، فهذا حصر أيضًا للألوهية في الله وحده، فليس معه إله، قال الله تعالى: «ما أُعِتْحَدَ اللهُ مِن وُلُودٍ وَمَا سَكَتَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذَا قُتِلَ كُلُّ إِلَهٍ يَمْحُقُ [ال周恩ون: 91]»، فدل هذا على أن الإله هو المعبود الذي يجلب، ويدل قال: «كُلُّ إِلَهٍ يَمْحُقُ».

ولا تظن أن هذه الآية تؤيد تفسير المتكلمين لما قال: «كُلُّ إِلَهٍ يَمْحُقُ»، فهذا دليل على أن المراة بالإله الخالق، وإلا تقال: كُلُّ إِلَهٍ يَمْحُقُ. فلكن لا يمكن أن كن الله الخلق هو الإله الخالق، قال: «كُلُّ إِلَهٍ يَمْحُقُ».

سورة القصص (الآية : 106)

"اللهُ يُريِّدُونَ (الصادف : 86)"، وكذلك الكافرون، قالوا لِلرَّسُولِ ﷺ: "أجعلوا الألوهية إلى هِنا وَجِّهُوا إن هُنا لَتَنْتَ قَعْبَةً" (ص: 5). فَتَشِيَّنَّ الظَّانُ أَنَا لا يُمكِّن أن تَجِمعُ بين هَذِهِ الآية، وَيَنِينُ إِبْنَاتِ الأَلْوَهِيَّةِ لِلأَصْنَامِ إِلَّا إِذَا جَعَلَهَا الخَسْرَ إِضَافِيًا، فَشَتَتَتَ الأَلْوَهِيَّةَ لَكِنْ عَلَى وَجَهِ أَخْرَ، وَيَكُونُ النَّفَسُ هَذَا عَلَى وَجَهِ أَخْرَ حَيَالِفُ لا أَثَانِيَة.

فَتُقَالُ في ذلِك: أُصِلَ الإله حقاً هو الحاليُّ، إلا أنَّ الحَيَالِفَ هُوَ الحاليُّ، وأما هذِهِ الْآيَةُ التي عُبِّدَت من دون الله فَهِيُ الله باطلة كاذبة، وَهَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: "كمِّكَا يَلَّهُمْ يَلَّهُمْ"، فَجَعَلَ ذَلِكَ إِنَّكَ، وَلَيْسَ بَحَقٍ يَقَالُ، فَهُدَى -إِنَّ عَبِيدُ وَأَهْلُتُ لا يَسْتَنَبْتُمُ الله.

وَهَذَا يَجِدُونَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مَنْ يَتَّبِعُ وتَصِلُّل. إِنْ أَصَبَ النَّاسُ بَيْنَ أَصَنَمٍ مَنْ أَلَّهَ الْهَوْى، يَقُولُ: "لَوْ كَانَ كَنُوتاً عَلَى الْهَوْى مَا وَرَكَبَهَا وَسَكَّلَ فِيهَا قَلْبُونَ "[المؤمنون: 32]. أي: مَنْ يَعَبِّد ويستحِب أن يُعَبَّد يَحْقُ القَوْيِ الله عَزِّ الْغُرَابِ.

وَقَالَ تَعَالِي: "إِنَّمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصْبُ جَهَنُمْ أَنْتُمْ لَنْ يَتَّبِعُوا الاَلْوَهِيَّةَ [الأنبياء : 95]، وَأَلَّهَةُ أَي: مُعَمَّوْرَةُ بَحْقٍ، إِلَّا أَثَانِيَةُ اللهِ هَذَا العبادة.

وعْلَى هذَا النَّقُولُ: إِنَّ الْجَمَعَ بَيْنِ هَذِهِ الحَسْرَةِ، وَبَيْنِ مَا ذَكَرَ مِنْ إِبْنَاتِ الأَلْوَهِيَّةِ لِلأَصْنَامِ هُوَ أَنَّ الإله هو المعْبود بحَقٍ، وَهَذَا لا يَنْطِقُ إِلَّا عَلَى الله سَبْحَانَهُ وَبِعَالَةً، وَأَنَا مَا عَبِيدْ بِحَقِّ يَقُولُ: فَهُدَى وَإِنْ سَمَّى إِلَهاً، لَكِنْهُ لا يَسْتَحِبُّ أَن يَكُونُ إِلَهًا، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ: "لَوْ كَانَ كَنُوتاً عَلَى الْهَوْى مَا وَرَكَبَهَا وَسَكَّلَ فِيهَا قَلْبُونَ" [الأنبياء : 96].

وَقَولُهُ: "لَا إِلَهِ إِلَّا هُوَ، لَا بَدٌ لِلضَّمِيرِ مِنْ مِرْجَعٍ مُذْكُورِ، أَوْ مَلِفْوَةً يُعْتِدُ إِلَيْهِ: مَذْكُورَ مِثْلُ: الله لَا إِلَهِ إِلَّا هُوَ، أَوْ مَلِفْوَةُ مِثْلُ: أَنْ تَأْتِي شَيْئًا مِن أَفَعَالِ اللهٍ، فَتُقَولُ: لَا إِلَهِ إِلَّا هُوَ."
وأما قولك: لا إله إلا أنت فصيح؛ لأنك تَحاطب الله، فهو متعين، وإنًا فلنا لا بد لقوله: لا إله إلا هو من مرجع مخالفة الصوفية، الذين يقولون: لا إله إلا هو. فهم يعيدهون فيقولون: هو، هو، هو، هو، هو (إلى آخره)، فيُبدعون الله بلِفظ الله، ويذكرون الله بلِفظ الضمير فقط، ويُذكرون (لا إله إلا هو) فيقولون: هو، هو، هو، هو، فإذا وجدتهم في مجتمعهم، وهم يُوهرون الروؤس، ويضربون الطبول، ويُعبرون بالأصوات، ويقولون: هو، هو.

قوله تعالى: وَلَهُ الْحَمْدُ، قوله: اللهُ الجَائِرُ والمجرور خَبْرَ مَقْدَمٍ، وتقديم ما حقه

التأخير يُفيد الحصر، فقوله: أي: لَهُ وَحِدهُ.

قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَلِيمَ الْأَعْلَمَ الْحَيَّ الْقَيِّمَ، أما عرَفُوهُ، فليس له الحمد الذي يُستَحقُّه له، لا في الأولي، ولا في الآخر، قوله: الْحَمْدُ، (ال) هذه للاستغراب، أي: جميع أنواع الحمد، وما يتعلق به من خبر، أو سُر، فاصلي الله تعالى له الحمد كله، فهو الذي لا يُحمَد على سوء سواه، يُحمَد على كل حال، كما قال النبي عليه السلام: الحمَدُ لله على كل حال.}

وقوله: اللَّهُ الَّذِي لا إلَهَ إلَى هُوَ مَثْلُهُ، ولا استحقاق، فالحمد المطلق مختص بالله، والمستحق للحمد حقيقة هو الله، لأن غيره - وإن استحقاق أن يُحمَد فإنها آنى به من أسباب الحمد هو من الله سبحانه وتعالى، وغاية ما يكون أن يكون وسيلة، فالإنسان -مثلًا يُحمَد على ما له من الصفات الكاملة، والإحسان إلى الخالق، وما أشبه ذلك، لكون هذا من الله.

إذن: فالحمد حقيقة الله، فالمستحق للحمد هو الله، والذي يُختص بالحمد

(1) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (3803).
المطلبي على جميع الأحواض هو الله سبحانه وتعالى.

قوله: "في الأولى" أي: الدنيا، يُحمد في الدنيا على ما أجرها سبحانه وتعالى من أحكام كونية، وما شرعة من أحكام شرعية، يُحمد عليها حديثا كاملا.

قوله تعالى: "والأخرة" قال: المفسر رحمان الله: [الجنة، وليست كذلك، فالآخرة تشمل منذ أن يبعث الناس إلى أن يصلوا إلى منازلهم، فإنهم سبحة وعاقر يُحمد، بل إن الله عَبْرَيْنِ يَفْتَحُ عَلَى نَبِيِّهِ في ذلك اليوم من المحاميد ما لم يفتحه عليه من قبل(1)، وهو عَبْرَيْنِ يَفْتَحُ عَلَى نَبِيِّهِ في ذلك اليوم من المحاميد ما لم يفتحه عليه من قبل(2)، ولهما جزاء هما، يظهر عدله، ويظهر فضله وإحسانه، وتظهر حكمته، وتظهر قدرته، إلى غير ذلك من الصفات العظيمة التي تظهر في ذلك اليوم، ويستحق عليها الحمد.

فليس المعنى أنه لا يحمد إلا في الجنة، فهذا قصور جدًا من المفسر رحمان الله. سبحة وعاقر يُحمد، يقول: "له المجد في الأولى والآخرة".

وقد تثبت عين النبي ﷺ أنه يستنداً من الله عبَرِيْن في الشفاعة، ويستجد تحت العرش في فتح الله عليه من المحاميد ما لم يفتحه عليه من قبل(3)، وهذا فقيل دخول الجنة، بل فقيل أن يحاسب الحق.

قُوله تعالى: "ولة الحكم" اللام في قوله: "هل خبر مقدام، وتقدم الخبر يفيد الحصر، قال: المفسر رحمان الله: [القضاء الناسيف في كل شيء، والحكم يشملقضاء، فيهما، رقم(194)].

(1) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "ذريَّة من كُنَّا مَعَ نُوحٍ، إِنَّهُ كَانَ عِدَّاً شَكَرُوا" [الإسراء:32، رقم(4716)], ومسلم: كتاب الإيّاان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (194).

(2) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "غَلِيظَ عَادَمُ الآخِنَا نَسْكَلَّهَا"، رقم (476)، ومسلم كتاب: الإيّاان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (193).
وَهُوَ الْحُكْمُ الكُونِيُّ، كَأَلّا مَفَاسِدُ رَبِّهِ عَلَهُ، وَيَشْكِئُ الْحُكْمُ الشَّرِيعِيَّ.
فَالْحُكْمُ اللَّهُ قَضاَءَةً وَشَرَعًا، لا حَاكِمٌ إِلَّا اللَّهُ سَبِيلُهُ وَقَالَ، فَمَنْ أَتَبَعَ الْحُكْمَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ إِنَّهُ يُضِلُّ، وَلَا يَشْفَعِي.
وَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ يُفِيدُ الْحَقَّ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ اللَّهُ وَحُدُدُهُ، وَهُوَ كَذَٰلِكَ إِذَا كَانَ الْمَرَادُ
الْحُكْمِ المُثْلِيَّ، فَالْحُكْمُ المُثْلِيَّ اللَّهَ لا يُشَارَّكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، هُوَ الَّذِي يُوجِبُ الْشَّيْءِ وَيُحْرِمُهُو.
يُنَذِّبُ إِلَيْهِ وَيَبِيْحُهُ، وَكَذَٰلِكَ فِي الْأَحْمُرِ الكُونِيَّ، هُوَ الَّذِي يَنْوَلُ الْعِثْرَةَ، وَهُوَ الَّذِي
يَذْرِعُ الْقُحْطَةَ، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَرْزِقُ، كُلُّ هَذَا مِنْ الأَحْكَامِ الْكُونِيَّةَ.
ولكن الإنسان نارِعُ رُبُّهُ في الحُكْمِ الكُونِيِّ، وفي الحُكْمِ الشَّرِيعِيِّ، فهناك -مثلاً-
مِنْ أَنْبِتَ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا آخَرًا، وَهَذَا مِنْ زَكَّامِهِ رَبُّ يَتَصَرَّفُ كُمْ يَبْنِاءَ، وَالمَخَالِفَاتِ
فِي الحُكْمِ الشَّرِيعِيِّ أَكْثَرُ وأَبْلُغُ، فَإِنَّ الْمَيَّانَ يُشَرَّعُونَ، وَيَزِّنُونَ أَنْ تَشْرِيعَتِهِمْ نَافِذَةً
كَشْرَعَ اللَّهُ، أَوْ أَعْلَى، وَهَوْلاَنَّ إِسْبَقَ أَنْهُمْ كَفَّارٌ حَتَّى لَوْ صَلَّوْا وَزَكَّوْا وَصَامُوا وَحَجُّوا;
فَهُمْ كَفَّارُ.
وَكَذَٰلِكَ أَيْضًا مَا يُتَّعَالِقُ بالحُكْمِ مِثْلُ فَرْعَوْنَ؛ لأَنَّهُ نَارِعُهُ في الحُكْمِ الْقَدِيرِيِّ،
وَقَالَ: «أَنَا تَأْبَى مَا عَلِمَتْ الْحُكْمُ مِنْ إِلَى عَرِضٍ» [الْفَصْرِ: ۸۸]، وَقَالَ: «إِنَّا
رَبِّكُمُ الْأَكْرَمُ» [النَّازِعَةِ: ۲۴].
فَالْحُكْمُ الْمُثْلِيَّ اللَّهُ، وَلَكِنَّهُ نَارِعُهُ، كُلُّهُ يَأْمُرُ اللَّهُ، وَهَذَا نَحْنُ نَرِى فِي
كُتُبِ أُمَلِ الْعِلْمِ أَنْهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْحَاكِمِ، وَقَالَ: الْحَاكِمُ الشَّرِيعِيِّ، وَبِذِنْ الحَاكِمِ
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، هَذَا الْحُكْمُ الَّذِي يَسْتَفْيِدُهُ هذَا الإِنسَانُ مُقَدِّدٌ وَمَحْصُورٌ مَقَدِّدٌ بِأَنَّ
يَكُونُ تَحْتُ حُكْمِ اللَّهِ، وَمَحْصُورٌ فِي مَكَانٍ مُعْيَنٍ، وَفِي زَمَانِ مُعْيَنٍ.
فإذاً: الحكم المطلق لله عزيزٌ في الدنيا، وفي الآخرة.
وأما الحكم المفيد، فهذا يكون لعَيْلِ الله، مثل ما يقوله العلامة: الحاكم الشرعي،
ويعكم بينهم الحاكم، وما أشبه ذلك.
فهذا الحكم مفيد في زمانه، ومكانه، ونويعه، أما في الزمان، فلمعلوم أنه مفيد،
لكن الحاكم الشرعي لا يبقى أبد الآبدين، بل هو في مكانه، لا يحكم إلا في بضعه من
الأرض، ولا يحكم في الأرض، ولا في السما.
وفي نويعه، لأنه مفيد بأن يكون تحت حكم الله، فلا يملك أن يعبّر شيئا من
أحكام الله سبحانه وتعالى.
قوله تعالى: {والله نرجوهم كن宅ن}، قوله: {إِنَّهُ مَخَّصَصَ عَلَى: {نَرْجُوُهُم}},
وتقديم المعول يدلّ على الحصر، فالر جوع إلى الله مهما طالت الدنيا، ومهمها بعده
الإنسان، وما كأن الإنسان أيسى؛ فإن مر جعة إلى الله.
قال الفضل رحمت الله: {وَإِنَّهُ نَرْجُوُهُم كَنَّا}, والشروى يكون يوم
القيامة، فكل الخلق مر جعوا إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك يوم القيامة، حيث يجشر
كل شيء، حتى النمل، حتى يشهد أن الأمر كله مر جعة إلى الله عز وجل.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: إثبات الوعي لله.
الفائدة الثانية: انفراد الله بالوعي، لقوله: {هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}.
الفائدة الثالثة: اختصاص الله تعالى بالحمد المطلق، لقوله: {وَللهِ الحمد}}،
الحمد المطلق الشامل للدنيا والآخرة.
الفائدة الرابعة: ظهر كمال صفات الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، لأن الحمد وصف المحمود بالكامي.
الفائدة الخامسة: اختصاص الله تعالى بالحكم، وأنه وحده هو الحاكم، لقوله:
"وللَّهُ الْحَكْمُ، وَمَا ذَكَرَ مِنْ إِثْبَاتِ الْحَكْمِ لِعِيْرِهِ، فَهُوَ أَمَرُ مَفْتَدٌ.
الفائدة السادسة: إثبات البعث، لقوله: "وَإِلَيْهِ تُرِجُّونَ". 
قال الله ﷺ: «قل أَرْسَمُوٓا إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيْلًا سَرِّيًّا إِلَى بَيْتِ الْقِيمَةِ مِنْ إِلَّهِ غَيْرِ اللهِ وَاللَّهُ مُفْتَقِرُ إِلَى أَيْلٍ» [الآيتان: 2-7].

قال المفسر رحمه الله: [قل] لأهل مكة «أَرْسَمُوٓا» أي أحيروني فإنجعل الله عَلَيْكُمْ أَيْلًا سَرِّيًّا دائماً إن تَبَيَّن الأفكَّار والمقامات في المعيشة فأفعالا تسمعون ذلك سُبُحًا قَمْتُ فتَرْجَعُونَ عن الإشراف، [قل] هَكَّم ۖ أَرْسَمُوٓا إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيْلًا سَرِّيًّا إِلَى بَيْتِ الْقِيمَةِ مِنْ إِلَّهِ غَيْرِ اللهِ وَاللَّهُ مُفْتَقِرُ إِلَى أَيْلٍ ۗ قَمْ بَيْلًا فَتَرْجَعُونَ فِيهِ ۗ مَا تَعِدُّنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْحُظُّ؛ فِي الْإِشراف قَرْنُوْنَ عَنْهَآ.»

الخطاب هنا للنبي ﷺ، ولكن المفسر رحمه الله يقول: لا أهل مكة، والصواب آنَّهُ عَمَّام لِكُلٍّ أَحِيدٍ.

وقوله تعالى: «أَرْسَمُوٓا» فسَّرَهُ المفسر رحمه الله بقوله: [أَحِيرُونِي]، وهو تفسير بالمعنى لا باللفظ؛ لأن رأي من الرؤية البصرية، ومعنى: أَبْصَرُونَ ذلك فاحيروني عليه.
ولكن المفسّر رحمّة الله فسره وغيرة من آهله العلم باللازم؛ لأنّ من لازم الرؤية

إيّاكم من الإنسان عبنابری.

قوله: «أَرَأَيْتَهُمْ» (رآى) تنصب منفعولين هنا، مع العلم أنّها تكون بتقيرية;

المعنى الأول قد يكون موجوداً، وقد يكون محذوفاً، وأكثر ما يأتي محذوفاً، قد يكون
موجوداً، مثل قوله: «فَلَأَرَيْتُنَّ هَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ يَبْنِيّ شَزْرُفْ فَجَعَلَهُ مَنْهَا حَرَاماً
وَحَتَنَّاهُ فَلَأَذَلَّ اللَّهُ أَذَلَّكُمْ» (بُنُس: 59)، فقوله: «فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» هو المعنى الأول.

وقد يكون محذوفاً مثل قوله: «فَلَأَرَى مَا تَدَعُوْى بِنِّ ذِنَانِ اللَّهُ مَا ذَلَّكَ خَلَفْوَى
مِنِّ الْأَرْضِ» (الحجرات: 4)، هنا المعنى الأول محذوف، والتقدير: أرآيت وكبحكم، يعني:
أخبروني عن حاكم ماذا يكون لن أنه حصل كذا وكذا؟ فالمعنى الأول محذوف،
وجملة «فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرَ اِبْنِهِ» (القصص: 71)، في ملح نصب، وهي المعنى الثاني.

قوله تعالى: «أَرَأَيْتُهُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّيْلَ سِرُّ مَدًا»: قال المفسّر: زعمه الله:

[كافيٍّ].

قوله: «نَحْلَةً» بمعنى: صَبَر، فمعنى الأول، ومعناه الثاني

«سِرُّ مَدَا»: إن صَبَر الله عَلَيْهِمْ اللَّيْلَ سِرَّ مَدَا.

والليل من غروب الشمس إلى طلعها، هذا الليل يعني اختفاء الشمس في
الأفق، وظهورها هو النهار، والنور الذي يخلفها بعد الغروب، أو يتقادمها بعد
الفجر، هذَا مِنْ مُّقَدْمَات النهار، أو من مُّؤَخَّراته، وإلا فحقيقة الأمر أن الليل يكون
بغروب الشمس إلى طلعها.

وقوله: «سِرُّ مَدَا» قبل: إن أصلِّها سِرَّ مَدَا، والسُّرّد التتابع، يعني: متتابعًا،
سورة القصص (الإيتن: 22)

وَعِلَّى هَذَا التَّنْفِيرِ فَالْيَمِّم زَائِدَةٌ، وَيَكُونُ وَزْنُهُ الْسَّرْطَانُ فَعَمَلاً، لَّا يُمَكِّن المَيْم زَائِدَةٌ، وَقَيْلٌ: إِنَّ المَيْم أَصْلِيَّةٌ، وَإِنَّهَا يَمِين: سَرْطَانٌ إِذَا اسْتَمَرَّ، وَعِلَّيْهَا هَذَا فَيُكُونُ وَزْنُهُ الْسَّرْطَانُ فَعَمَلاً، لَّا يُمَكِّن المَيْم أَصْلِيَّةٌ.

وَالسَّرَّمْد مَعَاناه: الدَّائِمَ الرَّسُولُ ﷺ لِيُؤْمَن الْفِيَامَة، أَي: لَوْ كَانَ اللَّيْلُ سَرَّمْدًا إِلَى يَوْمِ الْفِيَمَة، فَلَا أَحَدٌ يَتَسْطِيعُ أَنْ يَتَأْتِي بِنَهَارٍ، بَلْ لَا أَحَدٌ يَتَسْطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ النَّهَارُ قَبْلَ وَقْيِهِ، وَلَا أَنْ يَخْرُجَهُ بَعْدَ وَقَتِهِ، فَالشَّمْسُ الْآتِيَ الْعِشْرَةُ فَيَخْرُجُ فِي النَّهَارِ عَشْرَةُ دَقْيَةٍ فَلَا يَجَاء مَعَاناهُ: عَلَيْهَا أَنْ يُخْرُجَ الْعَشْرَةُ إِلَى دَقْيَةٍ، فَمَا أَسْتَطَعُوا، أَوْ إِنْ تَتَأَخَّرْ إِلَى الْعَشْرَةِ دَقْيَةٍ، مَا أَسْتَطَعُوا.

إِذْنَ: الْذِّي لَا يَتَسْطِيعُ أَنْ يَعْيَهَا -لَا زِمَانًا، وَلَا مَكَانًا- لَا يَتَسْطِيعُ أَنْ يَجَلِّبَهَا، وَيَأْتِي بِنَهَارٍ أَبْدًا.

قَالَ الْمُسْرِرُ رَجُلُ اللَّهِ: "فَمَنْ إِلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ يُبَعْرِيكُمْ، يُبَيِّنُهُمْ بِضَيْاءٍ،" يَقْرَءُهُمْ فِي الْمِجْهَةِ.

قُولُهُ: "فَمَنْ مَبَنِئُ جَهَرُ، وَقَلَبُ إِلَّا يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ، بِقَالَهُ الْمُسْرِرُ رَجُلُ اللَّهِ: [عَلَى زَعْيِكُمْ، حَلَّلُ مِنْهُ إِنْ أَنَّهُ إِلَيْهِ أَتَيْتُم بِضِيَاءٍ، يَقُولُ الْمُسْرِرُ رَجُلُ اللَّهِ: [عَلَى زَعْيِكُمْ، هَذَا لَا يُؤْمَنُهُ إِلَّا إِنَّ اسْتِفْعَامُ يَفْهَمُ اللِّغْعَةَ الْعُرُبيَّةَ؛ لَنَأَنْ[فَمَنْ] يُسْفِهُمْ بِبَى عَن التَّعْمِينَ، فَتَقْبَلُ التَّعْمِينَ؛ لَكِنَّ اسْتِفْعَامَ يَفْهَمُ اللِّغْعَةَ الْعُرُبيَّةَ، إِنْ أَنْ أَتَيْتُ بِضِيَاءٍ، يَقْرَأُهُمْ فِي الْمِجْهَةِ، فَإِذَا قُلُتُ مَنْ قَامَ؟ كَانَ الْآخِرُ أَتَيْتُ بِضِيَاءٍ، إِنْ أَنْ أَتَيْتُ بِضِيَاءٍ، يَقْرَأُهُمْ فِي الْمِجْهَةِ، فَإِذَا قُلُتُ مَنْ إِلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ، فَهَلْ مَعَانَهُ: أَنَّ هَلْكَ اللَّهَ، وَالْمَلَائِكَةَ بِلَا يَأْتِيكُمُ، فَعَنْهَا إِلَّا الْأَلْلَهُ الَّذِي يَأْتِيكُمُ؟"
الجواب: أن هذا ليس حقيقيًا، وذلك قال المفسر رحمه الله: [يرغبكم]. يعني:
إذا كنتم تزعمون أن هناك آلهة فمن الإله الذي يأتيكم بضياء؟ وليكون هذا أبلغ في التحدي، لو قال: هل إله غريز الله؟ صار هذا الاستفهام عن وخرج إله، عن تعينه، ولكن الاستفهام عن تعينه أبلغ في التحدي، أي: حتى على زعمكم أن هم آلهة؛ فإننا نحن كأمم: أي الإله الذي يأتي بهذة الشيء؟ إذا قلتم: والله ما عيننا أحد من الآلهة يفعل هذا، تبين أن اللهاتها باطلة؛ لأن الإله لا بد أن يكون قادرًا، سميعًا، بصيرًا، إلى آخر الصفات الكاملة.
قلوه تعالى: [أَنِّي لَا تَسْمَعُونَ] قال المفسر رحمه الله: [ذلك سماع تفهم، فترجعون عن الإشراك].
قلوه تعالى: [أَنِّي لَا تَسْمَعُونَ] يعني: أسمت آذانكم، فلا تسمعون، والمراد بالاستفهام هنا سمع التفهم الذي يرتدع إليه المرء عن غيبه، أما المجرد - يعني سمع الإدراك - فهو الذي ليس فيه سمع.
هنا قد يقول قائل: لما لم يقل: أَنِّي لَا تَبْصِرُونَ؛ لأن الإبصار في النهار أظهر؟ بل قال: [أَنِّي لَا تَسْمَعُونَ]؟
نقول: لأنه تبين لقوله: [عَلَيْهِمُ النَّارُ سَمِيتُا] والليل محل سمع، وليذا قال: [أَنِّي لَا تَسْمَعُونَ]، وليس تبينا على آخر الآية من إثني عشر أنه يحيكم بضياءه.
فهو النبي عليه السلام، ومعنى: أنكم لا تسمعون سمعًا تستفيدون منه؛ لأن الليل هو مخلص السمع، وليس مخلص الرؤيا.

من فوائد الأنبياء الكريمتين:
الفائدة الأولى: تحدث هؤلاء النصارى أن تكون أصنامهم جلالة للخير، أو دافعة للشر.
الفائدة الثانية: بيان قدرة الله عظيمة؛ حيث لا يعجزه أن يجعل الليل سرًّمًا إلى يوم القيامة.
الفائدة الثالثة: تذكر العباد بنعمة الله، فإن الأشياء إنها تبين بضدًا.
الفائدة الرابعة: أنه لا يستطيع أحد أن يعيّر سنة الله في الكون، فلو جعله سرًّمًا، لما استطاع أحد أن يرثه.
الفائدة الخامسة: الحث على سمعات ما ينال من كتاب الله سمعتهم ومبولاً.
الفائدة السادسة: بيان نعمة الله على العباد بضياء النهار، فكم تستهلك الأمهات من طاقة في إضاءة الليل الذي لا يكون مثل إضاءة النهار، ولهذا نعرف قدر نعمة الله.
الفائدة السابعة: بيان نعمة الله سبحة وتعال.
الفائدة الثامنة: بيان نعمة الله تعالي في الليل، الذي جعله سكنًا، لقوله: "سكنث".

تستكمل فيه.
الفائدة التاسعة: أن نوم الليل أفخم للجسم من نوم النهار، حيث جعل الله الليل محل سكن ووقته، وهذا أمر مُشاهدة.
الفائدة العاشرة: الحث على التبصُّر في آيات الله عزّ وجلّ؛ لقوله: "إِفَّلَا تَبْصِرُونَ" ؛
إِلَّا أَنّ هُذَا يُقِيدُ حَثِ الإنسانٍ أن يتبصّر فيها جعله الله عزّ وجلّ في هذه الآيات؛ حتى يُبَدِّلُ بها على كمال قدرة الخالق.
الفائدة الحادية عشرة: الليل أنفع للبُدن من النهار، ففي نوم الليل سكون، بخلاف نوم النهار، فالإنسان يُحس بالراحة لكونه ليس كلاليل.
قال الله عزّ وجل: «ومن شُنمِّيه، جعل لُكَر الْيَلِّ والَّيْلَهار لَيُسْكَنُوهَا فيه وَلَيْبَنّوْهَا».

قيل الفضيل: وعلَّمْك لتَشْكُرون) ؛(القصص: 37.

قل المفسر رحمته اللَّه: «ومن رَحَمْهَ، يَتَعَالى، يَجْعَل لُكَر الْيَلِّ والَّيْلَهار لَيُسْكَنُوهَا فيه» في اللَّيْل، وَلِيُنَبَّأوْنَ فِي عَضْنِه، وَكَبِيرًا لِلْكَبْسِ، وَلَيَعْلَمْنَكُونَ النَّعْمَةَ فَيِهَا.

وقوله تعالى: «ومن رَحَمْهَ، يَتَعَالى، يَجْعَل»: أي: جعل الوقف متعلقًا بقوله: يَجْعَل،

يَعْنِي: يَجْعَل لُكَر الْيَلِّ والَّيْلَهار لَيُسْكَنُوهَا فيه مِنْ رَحَمته.

وقوله: (ومن رَحَمْهَ، يَتَعَالى)، وَمَا أَنْصَفَ بِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَ مِنْ الرَّحَمَةَ، وَالَّذِي صَفَهُ حَقِيقَة تَنَبِّئُهُ ثَابِثة لَهِ عَرْجَانَ، وَهُوَ غَيْرِ إِرَادَةٍ لِلإِنْعَامَ، وَغَيْرِ الإِنْعَامَ.

فَأَهَل السَّنَةَ وَالجِمْعَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّحَمَةَ صَفَهُ حَقِيقَة ثَابِثة لَهِ عَرْجَانَ، لَا تَبْثِبُ رَحَمَة المُخْلَقٌ.

وأَما الأَشْعَرَةُ فَيَفْتَرُونَ مَعْنَى الرَّحَمَةِ إِلَى أَنْ تَبْعَذَ الْإِنْعَامَ أَوْ إِرَادَةَ الْإِنْعَامِ، فيَفْسُرُونَهَا بِالْفَعْلِ، وَهَوَّ الْإِنْعَامَ أَوْ إِرَادَةَهُ؛ لَكُلٌّ يَسْتَبِطُونَ الإِرَادَةَ، وَهِيَ صَفَهُ مَعْنَوِيَةٌ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِمْ لَا يَسْتَبِطُونَ مِنْ الصَّفَاتِ إِلَّا سَبْعَ صَفَاتٍ، مِنْهَا: الإِرَادَةُ، فَيَفْسُرُونَ الرَّحَمَةَ بِإِرَادَةِ الْإِنْعَامَ؛ لَكُلٌّ إِرَادَةَ دَلَّ عَلَى السَّمِيعَ وَالعَقْلَ، وَهُمْ لَا يَسْتَبِطُونَ مِنْ الصَّفَاتِ لَهِ.
إلا ما ذل على العقل، فلما ما لم يدل علية العقل أولاً.

ولكننا نقول: هذا التأويل هو تحريف، لكن ابن دليل العقل على الإرادة؟ يقولون: إن العقل يدل على الإرادة بواسطة تخصص المخلوقات، فكل شيء من المخلوقات خصص بشيء، هذا أراد الله أن يكون قاسيًا، فصار قاسيًا، وهذا يكون لينًا فضله له، وهذا يكون طويلاً، فيكون طويلًا، وهذا قصير، يكون قصيرًا، إلى آخره، وهذا يدل على الإرادة، أي: إن الأمر لا يجلب من إرادة.

وبالنسبة للرحلة قالوا: نؤوهًا، لأن الرحلة عبارة عن رفعة تعتري القلب، وتوجب الحزن على المرحوم.

فقولهم: هذه الرحلة التي ذكرتم إليها هي رحمة المخلوقين، ونحن نثبت لله رحمة لا تنسب رحمة المخلوقين، ثم إننا نستدل على الرحمة بالعقل كما استدلتم على الإرادة بالعقل، فكم الله سبحانه وتعالى علٓياً من يوم لا تعد ولا تحصى، وكم الله تعالى من تفريج كربات لا تعد ولا تحصى.

والامر المقتضى بهذى الأشياء جلب النعم، ودفع النقم هو الرحمة؛ لأن القاسي

الذي لا يرحم لا يجلب النعمة، ولا يدفع النقم.

فإذاً: الاستدلال بالحوادث التي فيها جلب النعمة، ودفع النقم أظهر وأبين من الاستدلال بالتخصص على الإرادة؛ لأن دلالة التخصص على الإرادة لا يفهمها إلا أفراد من الناس، ولكن دلالة جلب المتاعب، ودفع النقم على الرحمة كل الناس يفهموها، حتى الغافل في سوءه إذا رأى رجلًا قاسيًا على أولاده -مثالًا- قال: هذا ليس في قلبه رحمة. وإذا رأى أنه -مثالًا- دائمًا يجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر، قال: هذا إنسان رحيم.
فاذن: دلالة العقل على الرحمة أقوى من دلاليه على الإرادة، وجمع ذلك هم يشينون الإرادة، ولا يشينون الرحمة، فهنا يقولون: من رحمته أي من إنعامه.
قوله تعالى: {ومن رحمته} من السببية، و{رحمته} هي صفته التي تتصف بها أزلاً وأندا، قال تعالى: {بِنِعْمَتِ اللَّهِ وَالرَّحْمَةِ} [الفاتحة: 1]، وقرون روبية بذيل ذلك.
فقال: {الحمد لله} بذيل الفاتحة [الفاتحة: 23]، {الحمد لله} [الفاتحة: 24]، {الحمد لله} [الفاتحة: 25]
بإشارة إلى أن هذه الرؤية كلها روبية رحمه، لا روبية انفعال وغلطة، فكيف ينكر هذه الصفة العظيمة من صفات الله، وثبت ما هو دونها! وهذا يدل على تناقض المعتقدين من الأشعرية والمعتزلة وغيرهم، لأنهم يتناقضون فيتبون الله من الصفات ما يدل العقل على إتباعها.
قوله تعالى: {جعل لكم كررًا} بمعنى خلق، ليست بمعنى صرير، وهذا لم ينصبه مفعولين.
قوله تعالى: {جعل لكل أنبى والنهار} أي ليل ونهار ينافيان بينكم على الناس.
قوله تعالى: {نستوى فيه} قال المفسر رحمه الله: [في الليل]، {وينبتون من فضله} في التهار من كسب.
قوله: {نستوى فيه} اللام للتعليل، أي لآجل أن تسكنوا فيه، ولا يلزم من وجود المعال ولا يوجد المعال إذا لم يكن الصلة مؤثرة، مثل قوله: {واما خففت ليكين} والإنس إلا يعممون [النورا: 62]، فهذى علة غايته، والعلة الغاية لا يلزم من وجود المعال وجودية، فلا يلزم من الخلق وجود العبادة.
فمنزلًا: قد يكون هناك بعض الناس لا يسكنون في الليل، فرجع معاشه بالليل.
كالحراس، وآخرُ هُمُّهُ بالليل، كأصحاب البطالة الذين ينامون النهار، ويسهرُون
الليل، ولكن وجود المعلول إذا كَانَت العيلة غائبة، فلا يُلَزَّمُ بِهِ وَجْوَدَ العيلة، كَمَا
لَوْ قُلْتُ: قدْ تَمَتَّ تِلكِ هَذِهِ البعِيرِ لِتركِبِ علَيهِ، فَقَدْ تَركِبِ، وَقَدْ لَا تَركِبِ، أو اعتيِّنُكِ
الْقُلمِ لِتَكتبِ بهِ، فرِبْ يَتَكتبِ، ورِبِّ يَلا تَكتبُ.
وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ قَدْ تَسْتَهْيَلُوا فِيهِ} أي: في الليل، يعني: يتسرَّبونْ، و{وَلَسْتَنْتُمْ}
مِنْ فَضْلِي،} تباغوا، أي: تطلبون، وقوله: {فِيمِنْ فَضْلِي} أي: من عطائه ورزقه.
وَفِي الْآيَةِ هَذِهِ تَرَبِيبِ وَلَفْ وَتَشْرُّ مَرَتَّبَ، فقد بدأ بالليل، وقَدْ مَنفعته السكون،
وَهَذَا فِي الْلِّيْلِ فِيهِ لَفْ وَتَشْرُّ مَرَتَّبَ.
وقوله تعالى: {وَلَمْ تُشْكِروَنَّ} (آلِّل) هَذِهِ لِتَعَلَّيْلِهِ، أو لَأَجْلِ أَنْ تَشْكِروا اللَّهِ
سِبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَّيْنَكُمْ، فَهُمَا ذَكَرُ اللَّهُ سِبْحَانَهُ وَتَعالَهُ العَظِيمَينَ: الْشَّرْعِيَةُ وَالْقُدْرَةُ، أمَّا
الْقُدْرَةُ، فَحَيْثُ فِي قُوَّلِهِ: {إِنَّهُمْ قَدْ تَسْتَهْيَلُوا فِيهِ وَلَسْتُنْتُمْ مِنْ فَضْلِي،}، والعَةُ الْشَّرْعِيَةُ فِي قُوَّلِهِ
{وَلَمْ تُشْكِروَنَّ}، أي: تَشْكِروا اللَّهُ سِبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَّيْنَكُمْ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نَعَابُ
الْلِّيْلِ وَالْبَيْتِ؛ لِأَنَّ الأَمْرٕا تَتَبَيَّنُ يُضْدَحُهَا، وَلَوْ كَانَ اللَّيْلُ سُرْمَدًا، وَالنهَارُ سُرْمَدًا،
ما استراح أَحَدٌ بَلَيْلٍ، ولا ابتغى الفضُّل بِالنهَارِ، ولكنَّ اللَّهُ سِبْحَانَهُ وَتَعَالَ مَعَ ذِكَّرِهَا فِي سُورةِ الْفَرْقَانِ، قَالَ
تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْيَلِدَ عَلَى الْنَّهَارِ} فِي الْهَيْدِبَ الصَّحِيحِ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّهُ لَيُبْتَغُي مَسَىُ اللَّيْلِ،
وُبَالْلَيْلِ لِيُتَّوبُ مُسِيءُ النَّهَارِ}.(1)

(1) أَخْرِجَهُ مَسْلِمُ: كِتَابُ التَّوْبَةِ، بِابِ قِبْلَةِ التَّوْبَةِ مِنْ الْذَّنُوبِ وَإِنْ تَكُرَّرَتْ الْذَّنُوبُ وَالَّتِيْنَا، رَقْم
(2759).
فالحاصل: أنَّ في تعاوَّب اللَّيْلِ والنهارِ فوائد عظيمة تُستوجب أن تَشْكُر الله تعالى عليها.

وأعلَّم أَنَّ الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح; أما الشكر بالقلب فهو أن يعترف الإنسان بَيْلَةً بِأنَّ هَذَا النَّعْم مِن الله عَزَّ وَجَلَّ، يعترف اعترافاً قاملاً، حتى لو أنَّ هَذَا النَّعْم جاءت عَن سِبَبٍ، فليعتقد أن السَّبِب مِن الله، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُ، فحَصَلَتْ به هَذَا النَّعْم.

وَأَما الشَّكْر باللسان، فإنه الشَّيْء عَلَى الله تعالى يُمْكِنُهُ مِثَالًا يُسَتَّجِقَ، سَوَاءً عَلَى هَذَا النَّعْمَة، أَوْ عِنْرَهَا، وَكُل ذَلِكْ دَاخِلِ في الشَّكْرِ.

وَعَلَى هَذَا، فقول الإنسان: سبحان الله، والحمد لله، والله أَكْبَر، يُعْتَبِرُ شكرًا، وقوله حيناً يَأْكُل طَعَامٌ أو يَشْرَب شَربًا: الحمد لله يَعْنِي: عَلَى هَذَا الطَّعَام أو الشَّرب، يُعْتَبِرُ أَيْضًا مِن الشَّكْرِ.

أما الثالث -وَهُوَ الجوارح- فَهُوَ أَن يُقْوم الإنسان بِطَاعَة الله، سواء تَعَلِق بِهِ النَّعْمَة أم لَا، فِي ضِعْفهُ، يَعْتَبِرُ الطَّاعَةُ عَلَى طَاعَتِهِ، أَو يَفْعَل الطَّاعَةُ الَّتي لا تَتَعَلَقَ بِهِ النَّعْمَة، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَفَاذْكُرُ النَّعْمَةِ مِنَّى ثَلَاثَةٍ
ِبِيْدِي وَلْسَاني وَالْمَصْمِرِ المَحْجُوبَا
فَالشَّكْر بالجوارح في قولِه: يَدِي، والشَّكْر باللسان في قولِه: وَلْسَاني، والشَّكْر بالقلب في قولِه: المصمر المحجب.

إِذَا قَالَ قَالِي: ذَكَرْتُم أَنَّ الشَّكْر باللسان هو الشَّيْء عَلَى الله سَبِيحَة وَعَالِمَ، سَوَاءً.

(1) البيت في الفائق في غريب الحديث، للملغشري (٣١ /٤) بلا نسبة.
كان يتعلق في هذه النعمة، أو يعذرنها، فهل يدخّل في هذا قولنا تعالى: {وتأمَّن ينعمَ رَبِّكَ فَحَبْتُ} (الضحى: 11)?

نقول له: نعم، هذه الآية تدُخّل في هذا.

فإذا قال قائل: هل يوجب هذا الافتخار؟
قلنا: لا، ليس هذا على سبيل الافتخار، بل هو على سبيل التواضع، والله وان هذه النعمة من الله، كذا قال الرسول ﷺ: {أنا سيد وقيد أدم يوم القيامة ولا فخر} (1).

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: الرحمة صفة حقيقية ثابتة لله على وجه الكمال، ولا تشبه رحمة المخلوقين.
فمثلاً: إذا قيل: إن الرحمة تقتضي الضعف والرقة، وما أشبه ذلك.
قلنا: هذا بالنسبة للمخلوق، أما في حق الله سبحانه فله رحمة حقيقية لا تشبه رحمة المخلوق.
الفائدة الثانية: بيان نعمة الله سبحانه وتعالى بتعاقب الليل والنهاير، في قوله: {ومن رحمته حمل لكبر الله والنهار}.
الفائدة الثالثة: أن الليل للسكن، والنهاير لطلب المعاض، فقوله: {لستكنوا فيه} في الليل، وقوله: {وينتغوا في صبيغي} في النهار.
وتتفرع على هذه المسألة فائدة: وهي ما ذكره الأصحاب رحمهم الله في الفسامة بين

(1) آخر جمه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلق، رقم (278).
الزوجتين، إذا كانت للإنسان زوجتان، وآرآخذ أن يقيسم بينهما، فإن مبدأ القسم
على الليل من معاشه في النهار، والنهار من معاشه في الليل، فإذا أشكل علينا الأمر،
فالجهاد هو الليل؛ لأنه محل السكن.
الفائدة الرابعة: أن الليل هو محل السكن، والسكن فيه بالنوم والراحة أفيد
لل뻐د من ذلك في النهار.
الفائدة الحاصلة: إثبات الأسباب؛ حيث قال: (ولثبتوا من فضله).
 لنطلبوا، فالزق لا يأتي من السماء وينزل، بل لا بد فيه من طلب، وإذا لم يفعل هذا
السبب الذي يحصل به على الزق، لم يحصل الزق؛ لأن الله تعالى وقعل حكيم ربات
الأسباب بسبباتها.
الفائدة السابعة: أن الزق من بناء الله عبجي وفضل وعناية، وهذا مأخوذ من
قوله تعالى: (ولثبتوا من فضله)، فليس حاصلا بمجدد الإنسان وكذبه، فكم
من الإنسان يكد ويكذح، ومع ذلك يكون رزقه ضيقا! وكذم من الإنسان يفعل أسبابا
قلًم مما فعله الأول، ثم يوسع له في الزق.
الفائدة السادسة: أهمية الشكر، لقوله: (ولذكر تشكورون).
الفائدة الثانية: أنه ينبغي للفرد أن يكون ذا بصيرة فيها سخاء الله، حتى يشكر
الله عليه؛ فإن الله سبحانه لنا الليل والنهار، و الشمال والقمر، فتأخذ من هذا عبارة
نتوصل بها إلى شكر الله سبحانه وتعالى على ذلك.
قال الله عزّ وجلّ: {وَبِمَّا يَنادِيهِمُ يَقُولُ أَنْ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كَسَّرَ نَزْعُومُهُ}. [القصص: 74].

قال المفسر رحمه الله: {وَذَا ذَكْرُ يَقُولُ أَنْ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كَسَّرَ نَزْعُومُهُ}. ذكر ثانية ليثبت عليه.

هنا المفسر رحمه الله قد أفادنا بتقدير [اذكر] قبل الظرف {وَبِمَّا}. وقوله {وَبِمَّا يَنادِيهِمُ} أي: الله، وذٌلٌك يَوْم القيامة، {وَبِمَّا يَنادِيهِمُ يَقُولُ أَنْ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كَسَّرَ}. وقد مرَ علينا مثلاً قريباً، وهذه تكراز للتحذير من الشراك، معناه: اذكر أيضاً يَوْم النداء مِرَأَة.

ومعنى {شَرَكَاءِ}: الذين جعلتموه شركاء لهم. في العبادة، فهم يُقررون بأن الله منفرد بالخلق والرزق، لكن من الناس ممن ينكر ذلك أيضاً ويقولون: لا رب، أو يقولون عن هذه الأشياء: أوجدها الطبيعة المخصوصة! وهذه أيضا نوع من الشراك، والأول تعطيل محس، فالمذي ينكر الله مطلقًا.

هذا معتطل محس، والثاني مشترك.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ وَرَعْمُونَ»، قَالَ الْمُفسّرُ رَحمَةٌ اللَّهَ: [ذُكِرَ كَانِيًا، لِيَسْتَبْلِئَ عَلَيْهِ].
الآية (25)

قال الله عزوجل: {وجَنَّا مِن سُلْطَانِ أَمْرِ شَهِيدًا فَقَالُوا هَانَا وَبَعْدَهُمْ فَصَلَّمُوا}

أنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَقَضَى عَنْهُمْ وَمَاتِ عِنْدَهُمْ وَأَصْحَابُهُمْ [القصص: 75].

قال المفسر رحمه الله: {وجَنَّا مِن سُلْطَانِ أَمْرِ شَهِيدًا} وهو نيهم

تَشَهَّد عَلَيْهِمُ وَمَا قَالُوا فَقَالُوا {فَقَالُوا هَانَا وَبَعْدَهُمْ} {فَصَلَّمُوا} وَعَلَى مَا قَلَّمُهُمْ مِن النَّاسِ {وَمَا قَلَّمُهُمْ مِن النَّاسِ} {فَكَبَرُوا} أنَّ الحَقَّ في الإلهيَّة {الله} لا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ {وَضَلُّ} عَابَ {عَنْهُمْ} مَا {حَانَا وَبَعْدَهُمْ} في الدنيا من أن معه شريكًا، تعالى عن ذلك.

قوله تعالى: {وجَنَّا مِن سُلْطَانِ أَمْرِ شَهِيدًا} أنَّ جَوَابًا {جَوَابًا} من السَّبِيلِ: أَحْجَرُ بُرَاءَةُ من السَّبِيلِ.

قوله تعالى: {مِن سُلْطَانِ أَمْرِ} المراد بالأمة هنا الطائفة، ولكنها ليست مجرد الطائفة، بل الطائفة التي كانت على مَنْهَاج واحد، فإذا كانت طائفة على مَنْهَاج واحد فإنها تُسَمي أَمَةً، وهذا جاءت فيها المَدَنَّة على الجماعة والاجتماع، فالدولية ذات الأحزاب لا تكونن أَمَةً في الواقع؛ لأنها مختلفة، لكن الأمة هي الطائفة التي اجتمعت على مَنْهَاج واحد.

فمثلا: أَمَةُ الإِسْلاَمِ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وأَمَةُ الْكُفُّرِ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ.

وقوله تعالى: {شَهِيدًا} بمعنى: شاهدًا، ولكنه أتى بصيغة المبالغة، أو بصيغة الصفة المشهورة باسم فاعل.
و قال بعض العلماء: المراد بالشهيد العريف، أي: الزعيم، نزعه من بنيهم،
ثم أسأله هذا السؤال الميتي على التحدي: «هانئاً بَرَكْتُم». و هَذَا ما ذهب إليه شيخنا عبد الرحمن في تفسيره، أن المراد بالشهيد هذا الكبير من الأمة، الذي يعتبر بمنزلة العريف، وذلك لأن الكبير من الأمم نائب عن الأمم، وهذا والله أعلم - أقرب إلى الصواب.
قوله تعالى: «سماؤًا بركنتم» القائل هنَا هو الله عظيم، والبركان: الدليل، أي:
هاتوا الدليل على ما قتمته به الإشراك، ولن يجعلوا دليلًا.
وقوله: «سماؤًا» فعل أمر، والمقصود به التحدي لأنهم طلبوا ما لا يمكِن،
والتلبيخ لأنهم سوف يُحققُهم من الجزء والعار أمام الناس في ذلك المجيء ما لا يستطيعون دفعه.
وقوله: «فسلمو أن الحق لله» علمنا ذلك ما لم يأتنا بدليل، ولا بهان على
إشراكهم، علموا أنه لا حق لهُم في هذا الإشراك، وأن الحق لله وحده، وأن هذه الأضداد ليس حق في العبادة، وأن الحق في العبادة الله وحده، وهذا العلم لا ينفعهم
في ذلك الوقت، لأنهم في مثل ذلك اليوم يوم المجازاة ينفعهم لآنهم عملوا به
في الدنيا، فلو علموا أن الحق لله في الدنيا، ثم عملوا؛ لكان ذلك نافعًا لهم، أما بعد أن
شاهدوا العذاب، فعلموا أن الحق لله، فإن ذلك لا ينفعهم.

(1) تفسير السعدٍي (ص 123).
ولكن فيه قاعدة عظيمة، وهي إقامة الحجارة عليهم، قال تعالى: "كلما ألقى فيها فوج سأتم حزمها الله يبتغى ندبه ۝ قالوا بل قد جاءنا بدير كذبتنا وفنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في صنعل كسرى ۝ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعيرة".[الملك: 8:10].
قال الفائدة من ذلك كونهم يتخذون حتى يتبين لهم أن الحق الله، وأنهم يعرفون أنهم لم يظلموا شيئا.
قوله تعالى: "وصل عنهم ما سكنوا الحج في الألوهة الله لا يشركه فيه أحد".
قال المفسر رحمه الله: "وصل غاب عنهم ما سكنوا يفتركونه" في الدنيا من أن معه شريك، تعالى الله عن ذلك.
يقول المفسر رحمه الله: "إن (وصل) بمعنى (غاب)، ولكن ضل أبلغ من (غاب)؛ لأن (وصل) يقتضي كأنه أمر مطلوب، ولكنهم عجزوا عنه كالصلاة، فالإنسان إذا ضل بغيره - مثلًا - أو شئه يطلبها فلا يجدها، ويكون ذلك أشد عليه خسارة، فهنا قوله: "وصل عنهم" كأنه هو شيء مفقود عزيز عليهم، ولنكنهم لم يتمكنوا منه.
وقوله: "ما سكنوا يفتركونه": "ما" اسم مؤصل فاعل "وصل"، والعائد الصمام المحدود في قوله: "يفتركونه"، أي ما كانوا يفترونه، وقال المفسر رحمه الله: في الدنيا؛ لأن "سكنوا" فعل مضارع، فما كانوا يفترون فيه الدنيا من أن مع الله شريكًا يضل عنهم هذا الشريك يوم القيامة، ولا يستطيعون أن يقوموا به ها عليه.
من فوائد الآية الكريمه:
الفائدة الأولى: فيها إثبات البعث والحساب؛ لقوله تعالى: "وَرَنَّمَا يَن ضِلْلًا ۝ أَمْرُهُ شَهِيدًا".
الفائدة الأولى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسألون يوم القيامة، لكنهم يسألون بكينكًا وتويبخًا لأقوامهم الذين كتبوه، هذًا على تفسير المصير للآخرة.

أما علی التفسير الثاني، ففيه كليل على أن الزعاء هم الذين يقلمون يوم القيامة للمناقشة، قال الله تعالى: "اللهم إنك عز وجل، إنك صدق عندك على الحقين عياً".[الصف: 79]

الفائدة الثالثة: تبكيت المشركين في ذلك اليوم العظيم، حيث يتحدون طلب الذليل على ما قالوا من الإشراك.
الفائدة الرابعة: إذ عان هؤلاء المشركين يوم القيامة بآن الحق لله، ولكن ذلك لا يصنعهم.
الفائدة الخامسة: أن هذه الأصنام لا تنفع عابديها في آخرها ما يكونون إليها;

لقوله: «وَضَعْ عَنْهُمْ مَا صَبَّاَوَأَ يُسَرُّوُنَّ» [الأعراف: 24].
الفائدة السادسة: أن اتخاذ الأصنام آلهة من الأفرار والكذب، ويشهد لذلوك.

فقول إبراهيم لقومه: "أَيْنَ كُلُّ الْبَيُوتِ دُونَ اللَّهِ تُرْبَىٰ؟" [الصافات: 82].

•••••
قال الله عزّ وجلّ: "إن قُدرُوا سِكَاتٍ من قُوَّةٍ مُوسَى فَبُعِيَّتُ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ نُوحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ما إنَّ مَأَيَّعَتَهُ. لَنَسْتَنْازِلَ الْعَصْبَةَ أَوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُمُ الْقُوَّةُ. لَا تَنفِرْنِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبِّئِثُ الْفَرِيقَينَ" (النَّزَاكِرِ). [الفصل: 61].

قال المفسّر رحمه الله: "إِن قُدرُوا سِكَاتٍ مَّن قُوَّةٍ مُوسَى" ابن عمه وابن خالته. وأمن به فبعث عليهم بالكبر والعلم، وكثره المال وحياةه من الكبيرة ما إن مقاومة، لنستن扎عل العصبة الجماعة الأولى أصحاب القوة أي تقفِّلهم فألباؤهم للطاعة، وعدتهم قبل سبعون، وقبل عشرة، وقبل أربعون، وقبل عشرة. وقبل غير ذلك إذكر "إِذْ قَالَ لَهُمُ الْقُوَّةُ. لَا تَنفِرْنِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبِّئِثُ الْفَرِيقَينَ" فرَح بطرى "إن الله لا يُبِّئِثُ الْفَرِيقَينَ" فذالك.


المهم هو أنه القصة وقعت فيهما رجل من قوم موسى، وقد آمن به.

قُوله تعالى: "فَبُعِيَّتُ عَلَيْهِمْ" قَالَ المفسر رحمه الله: [بالكبر، والعلم، وكثره المال].
الباء للسببية.

وقوله تعالى: "بَنِى عَلِیَّمَ" أي: اعتنئ واستطال عليهم، على قُوْم مُوسَى، وذَلِك بِإِيَّاء أَعْظَمِ الله تعالى من المال، فصار طاغياً، وَهَذَا هُوَ شَأْنُ الإِنْسَانِ مِن حَبْثِ هُوَ إِنْسَانُ، قَالَ الله تعالى: "لَيْفَأَ النَّاسَ يُبْعَثُونَ" (العلق: 6-7)، فهَذَا الإِنْسَانُ إِذَا كُنَّ مَالَهُ، وَرَأَى أَنَّهُ فِي غَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ؛ يُطْعِي.

قُولُه تعالى: "وَمَا آتَيْنَهُ مِن الْكُؤُورِ" أي: أعطيناه من كُنوز المال، وهو جَمِيع كُنُر، والكَنُر هو ما يُحْتَفظ به، ويُعَلَّق عليه، ويَشْتَمِل جَمِيع أَنْوَاع المَالِ مِن ذَهَبٍ، وفَضْيَة، ورُمْرِد، وِجَوَاهِر، ونُفُود، وعَيْرَ ذَلِك.

قُولُه تعالى: "مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ" أي: اسم مَوْصِول بِمَفْتَحِ اللَّذِي، وهي المفعول الثاني لِ(آتِيناه)، ومفعولها الأول المفعَّل في قوله: "وَمَا آتَيْنَهُ"، و(إنَّ) حرف تركيد وِنْصِب، ومَفَاتِح اسمُها، وجمعها "لَنَعْسَى حُبُّهَا، وِالجَمْلَة الَّاسْمِيَة صَلَةُ المَوْصِول، يعني: الذي إنَّ مَفَاتِحَهُ.

قُولُه تعالى: "مَفَاتِحُ لَنَعْسَى بِالْعُصْبَةَ" أي: تَنْقِل بِهِم، ومَفَاتِح جَمِيع مَفَاتِح، وَهُوَ اسم للميِفْتَح.

قَوْلُه تعالى: "بِالْعُصْبَةَ" الباء هنا لِتَعْدِيْدُ الْفِيْلِ إِلَى مَفْعُوْلَهُ بِحَرَفِ الجُرِّ، وَإِنَّا احْتَاجَ لِلْمَسْرَحِ وَجَلَالَةَ اللَّهِ إِلَيْهِ هَذَا؛ لَوْ (نَاءٍ يِنْطَوِهِ) يَتَعْدَى بِنَفْسِهِ، أو بِحَرَفِ الجُرِّ، وَهَذَا تَعْدُى بِحَرَفِ الجُرِّ، أي: تَتْقَلُّبُهُم، فالباء للعَدْية.

وَقِيلَ فِي عِدَّةِ الْعُصْبَةِ: سَبَعُونَ، وقِيلَ: أَرْبَعُونَ، وقِيلَ: عِشْرَةَ، وقِيلَ عَيْرَ ذَلِكَ، ولا رَبِّ أَنَّ الْعُصْبَةَ هِيَ الجَمِيعَةِ الَّتِي يَعْصُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، والعَصْبَ في اللَّغَةِ: الشَّدُّ،
وقمه سَمَّوا القرابة عَصْبَةً؛ لأنهم يَشْدُون أَزْر قَرَبِهم، وهم الجُمَاعَة ذُوو القُوَة.

وبعض العِلَّماء يقولون: من ثلاثة إلى سَبْعَة.

وبعضهم يزيدُهُم إلى عَشَرَة.

وبعضهم يقول - كَي قال المُفسّر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: سَبْعُون أو أَربِيعُون.

والسائلة فيها خلاف، ولكن الظاهر أنهم هم الجُمَاعَة الذي يُشْدُّ بعضاً.

بَعْضاً، فَلا بُدَّ أن يكونون ذوي كَثْرَة، ولا حاجة إلى حدُّهم.

لَكِن مَع كُرْمِهم جَماعة مَجتمِعين فَهُم أُقْوَاء، فاجتَبَعَ هُنا في حَقْهُم أَمْرَان: القُوَة

بالكِيفَا، والعَدَد بالكِيفَا، فصارت عندهم كِمْئَةٌ وكيِفَا، هَذِه الجُمَاعَة لَيَجتمِعُوا

على حُمْلِ الفَائِتِق فقَط لِكَانَت الفَائِتِق ثُقيِّلُهُم، نقول: مَفَاتِيحَه لا يَحْمَلُونَا العَشرًا.

أصْحَاب القُوَّة! إِذَا كَانَ هَكَذَا فَهَا بِاللَّهِ الخَزَائِن! يعْني: غَيْر جَدَا بِعَطَاء اللَّهِ تَعَالَى.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ لِهَذَا قَوْمِي: أي: النَّاصِحُونَ لَهُ، وَهَمْ كَي قَالُ المُفْسِرُ رَحْمَةُ اللَّهِ.

المؤمنون؛ لَكِن إِنَّهُ لَا يَنْصِحُ مِثْل هَذِه التَّصِيِحَة إِلَّا زَلْجٌ مَّؤُومٌ، والإضافة في قَولِه: إِذِ قَالَ لِهِذَا قَوْمِي، يَفْيِد بيان أن هُؤُلَاء على جانب كبير من التَّصِيِحْ، لَكِنَّ مَن كَانَ مِن قَوْمِي،

فإِنَّهُ يُنْظِرُ أن يَبَشَّرَهُمْ، وَلَا بُدًّا أن يَكُون نَاصِحاً لَك.

وقوله: لا تَنْتَحَرِ: لا تَنْتَحَرِ: لا تَنْتَحَرِ: فَرَحٌ يَكُون

سُرَورًا لَا يَحْمِلُ عَلَى الأَشْرِ البَطِر، بَلْ يَكُونُ حَاملاً لِلإِنسَان عَلَى رَضَاهُ بِنَعْمَة اللَّهِ

سُبَحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقِيامه بِهَا أَوْجَابَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي هَا.

والثاني: فَرَحُ البَطِر وَتَرْفُع، وعَدْوَان، وَبَعْيُ، وَهَذَا هُوَ الفَرَحُ الَّذِي نَهَى عَنْهُ هُؤُلَاء.

الْقُوَّمُ قَارُونَ.
قوله تعالى: "إن الله لا يُحب الفرحين" هذه الجملة الموارد منها أن الله لا يُحب، ولا يزعمها أن يكون، مع أن القسمة العقلية لا تقتضي ذلك، فإن النبي ﷺ لا يلزم إثبات الكره، فقد يكون لا يُحب، ولكنه لا يكره.

قال تعالى: "وَاللّهُ لَا يُحبُّ كُلّ مَهْتَالٍ فَخَوْرٍ" [الهود: 32]، وقال: "وَاللّهُ لَا يُحبُّ الْفِسَادَةِ" [البقرة: 5]، فهنا قد يشمل كل ما فلثناه، ولكن الطاهر - وَاللّهُ أَعْلَمُ - أن المراة إثبات ضده، وإن كانت القسمة العقلية لا تقتضي ذلك، ولكن السياق يقتضي؛ لأن كل شيء نفى الله عليه حب نجد أنه ما يكرهه الله، والله لا يُحب الفسادين، قال تعالى: "لا يُحب الْفِسَادَةِ" [البقرة: 5]، وقال تعالى: "لا يُحب كُلّ مَهْتَالٍ فَخَوْرٍ" [النور: 18]، وقال تعالى: "لا يُحبُّ الْمُشَرِّفَاتِ" [الأغفان: 141].

فالطاهر في السياقات أن المراة إثبات الكراهة، لكنه أتي بنفي المحبة؛ لأن المحبة محبوبة، فكان هذا الذي أحب الفساد أو أحب الفرح، وما أشبه ذلك، يقابل بقيضي قضيده.

وقوله: "الفَرِيقِينَ" قال المفسرون رحمه الله: [يذلك والمشار إليه هو كثرة المال، والمراد بالفرح الذي نفى الله سبحانه فرح الباطر والآخر.

فإذا قال قائل: كيف نجمع بين قوله تعالى هنا: "إن الله لا يُحب الفرحين"؟

وقوله: "قل يُفصِّلِ اللَّهُ وَيَضِيعِهِ، فَيَذَلِكَ لَفَيْسَرَْهَا هُوَ حَكْرُ مَانَى يَجْمعُونَ" [البقرة: 82]؟

قلنا: إن المراة بقوله: "يقضِّل الله ويعطيه، فذالك فيضمرها هو حكمر مانى يجمعون" هو الفرح يفصل الله الدیني: العلم والدين، وفأنا قال: "هو حكمر مانى يجمعون" من الدینا، فدل هذا على أن الفرح الذي أمر به أن يفرح الإنسان بما أنعم الله عليه من العلم والدين، وثبت على النبي عليه السلام أن قال: "عن سَرِّةَ حَسَنَتَه وسَاءَتَهَ"
سَبِّهَنَّ فَذَلِكَ الْمُوْلُوْنَ (١).

أما الفَرْحُ الَّذِي لَا يُحْدَد صَاحِبُهُ، فَهُوَ الفَرْحُ لِلذِّينَ آتَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَطْرِ وَالْأَشْرِ.
فَهَذَا لَا يَبَأِسُ يَا، قَالَ عَمْرُو بْنِ صَلْحٍ لَّمۡا كَسَاهُ قُوَّمُهُ ثوُابًا: فَآتَيْتُهُ بِيَادِي فَرْجٍ
بِذَلِكَ الْقِلْبِيِّ (٢).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: "لَنْ أَكْنَ أُستَأْذِنُ نَرْسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله ﷺ كَأَسْتَأْذِنَتُ سُوْدَةً، أُحْبَبُ
إِلَى مَثَوْرِيِّ يَا" (٣).

فَالْفَرْحُ الطَّبِيعِيُّ الَّذِي مَعْلُولٌ عَلَى الَّذِينَ آتَاهُ عَلَى البَطْرِ وَالْأَشْرِ، هِذَا أَمَّرُ لَهُ يُنْدِمُ
الإِنسانُ عَلَيْهِ، فَلِذا فَرْحٌ بِهِ لَّا وَسْبِيلٌ إِلَى مَقْصُودٍ شَرِيعٍ - كَانَ بِذَلِكَ مُحِمْدًا
مَأَجُورًا عَلَيْهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ يُفْرَحُ بِهِ جَاهِدٌ مِنْ الَّذِينَ، لِيَتَّبَعَ أَنَّهُ يُبْدِلُهُ فِي سَيْبِلِ اللَّهِ، أَوَّ فِي
طَلَبِ الْعَلَمِ، أَوَّ فِي بِيَاءِ الْمَسَاجِدِ، أَوْ فِي التَّصَدُّقِ عَلَى الْفَقِيْرِاء، يَكُونُ هَذَا الفَرْحُ مُحِمْدًا.

مَنْ فَوَائِدَ الْآيَةِ الْكَرِيَّةِ:

الفَائِدَةُ أُولَى: أنَّ الْغَنِي سَبِبٌ لِلطَّعْمِيِّانِ؛ لَانَ قَارَوُنَ إِنَّهُ بَغِي وَطَغِي بِسُبُبَ مَا
آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَالِهِ.

(١) أَخْرِجَهُ الرَّمَيْدَيْيُ: كِتَابُ الْفَتِنِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لَزْوِ الْجَاهِلِيَّةِ، رَقْمٌ (١٦٥)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجُهُ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ الْبَارِكِ عَنْ مُحْمَّدٍ بْنِ سُقَيْهِ، وَقَدْ رَوَى هَذَا
الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجُهٍ عَنْ عُمَّرِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ.
(٢) أَخْرِجَهُ البَخْرَيْيُ: كِتَابُ الْمَغَازِي، بَعْدَ بَابِ مَقَامِ الْنَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةِ زَمَنَ الْفَتِحِ، رَقْمٌ (٤٤٣).
(٣) أَخْرِجَهُ البَخْرَيْيُ: كِتَابُ الْحُجَّةِ، بَابُ مَنْ قَدَّمَ ضَعْفَةً أَحَلَّهُ بَيْلِ، فَيَقْفُونَ بِالْمَرْدَفَةِ، وَيَدْعُونَ
وَيَقْدِيمُ إِذَا غَابَ الْقُمْرِ، رَقْمٌ (١٨١)، وَمَسْلِمُ: كِتَابُ الْحُجَّةِ، بَابُ اسْتَحْبَابِ تَقْدِيمُ دِفْعَ الْضَّعْفَةِ
مِنَ النَّسَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَزَدَلَةٍ إِلَى مَنِّيَةٍ فِي أَوَّلِ الْيَلِيِّ قَبْلَ زَمَةِ النَّاسِ، وَاسْتَحْبَابُ الْمَكْتَبِ لِغَيْرِهِمْ
حَتِّى يَصِلُوا الصَّحِيحُ بِمَزَدَلَةٍ، رَقْمٌ (١٣٩٠).
الفائدة الثانية: أن القومية لا تنفع أصحابها، إنها النافع هو الإيمان بالله علّه.
فهذا الرجل من قوم موسى، ومع ذلك بغي عليهم.
الفائدة الثالثة: أن الله يبتلي بإعطاء المال العبد به، فكما أن الفقر ابتلاء، فكذلك الغنى ابتلاء.
الفائدة الرابعة: كثرة أموال هذا الرجل لقوله: «إِنَّ مَفَاتِيحَهُ لَسَّنَأْ بِالْعَصِبَةِ أَوْلِيَ الْفَوْقَةِ».
الفائدة الخامسة: أن هذا الرجل بغي عن علمه؛ لأنه نصح، وقال للقوم:
«لَا تُقِيمُوا»، فنصحوه، ولكنه استمر في طغايته.
الفائدة السادسة: أن من حسن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أنه إذا ذكر الحكم تذكر العلة؛ تحويقا، أو ترغيبا، إن كان منصوحًا بطِلْب تذكر العلة ترغيبا، وإن كان منصوحًا ببَيْنِها، فإنها تذكر تحويقا؛ لقوله: «لَا تَفَحِّحْ إِنَّ الله لَا يَجِبُ القَرِينِينَ».
الفائدة السابعة: إثبات المحبة لله، تَوْهُدٌ من قوله: «إِنَّ الله لَا يَجِبُ القَرِينِينَ»، مع أن الأعداء تناقض المحبة، ولكن ما نفائها عن هؤلاء إلا وهي ثابتة لصدده، وهذا استدلال العلماء بأن المؤمنين يروون رهم بقوله: «كَأَنَّهُمْ عَنِ سَرْهُمْ يُؤْمِنُونَ لَتَحْجَبُوهَا» [المطففين: 15].
قالوا: فلا يحجبوا عن رهم ذلك على أن غيرهم غير محجوبين، فلَو كان كل محجوبين، ما كان يتخصص هؤلاء فائدة.
قال الله عزوجل: "وَأَنْبِئْ فِي مَا أَتَّسِكْ أَنْطَعْقَةَ اللّهُ الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ وَلَا تَنَسَّى قَيْسُبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَخْصِسْ صَفَّاً أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَنَعَّمَ الفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لَا يُحْبِبُ الْمُفْسِدِينَ" [القصص: 77].

قال المفسر رحمه الله: "وَأَنْبِئْ أَطَلَّبْ فِي مَا أَتَّسِكْ أَنْطَعْقَةَ اللّهُ مِنْ المَالِ "الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ" بِأَنْ تَنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ (وَلَا تَنَسَّى) تَنْزَكَ قَيْسُبَكَ مِنْ الدُّنْيَا أَيْ أَنْ تَعْمَلُ فِيهَا لِلْآخَرَةِ "وَأَحْسِنَ" لِلنَّاسِ بِالصَّدَقَةِ "صَفَّاً أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَنَعَّمَ" تَنْطَبِقُ "الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ" بِعَمَلِ الْمَعَاشِ "إِنَّ اللّهَ لَا يُحْبِبُ الْمُفْسِدِينَ" يَعِينُ أَنَّهُ يَعَاقِبُهُمْ.


وَقَوْلُهُ: «الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ» الْمَرَادُ بِالْدُّنْيَا الْآخَرَةَ الْجَنَّةُ هُنَا، قَالَ تَعَالَى: «وَلِذَٰلِكَ الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ» بِعَجْلَاءِهَا لَيْلَهُمَا لَا يَرْيَدُونَ عَلَوًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِظْمَةِ لِلنَّفْقَةِ" [القصص: 62].

ولكن كيف يُطَلِّبُ يَدَ الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ؟

قال المفسر رحمه الله: "بِأَنْ تَنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ". وَحِينَذَا يُكُونُ ذَلِكَ ذُخُرًا لِكَ

وَقَولُهُ: "وَأَنْبِئْ فِي مَا أَتَّسِكْ أَنْطَعْقَةَ اللّهُ الْدُّنْيَا الْآخَرَةَ وَلَا تَنَسَّى قَيْسُبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَخْصِسْ صَفَّاً أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَنَعَّمَ الفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لَا يُحْبِبُ الْمُفْسِدِينَ" [القصص: 77].
سورة القصص (الآية: 77)

عند الله في الدار الآخرة، وإذا عَوَد الإنسان نُسْمَةٌ على ذلك، وَرُوِّضها على هَذَا الأمرَ الْقَرَّاءِ ضاغ هذا الأمر سَحَبَةً له، يفرح به ويسع، وتنميه ينسع، ولذلك فإن أحدهما ي隶属于 الكريبي هو العطاء.

وَقَدْ ذَكَر ابنُ القيم يُفْتِنَت الله في (زادة المعاد) (1) لأإنف الله سُبُحانَهُمْ وَتَعَالَى في الله

في حُجود الشرع، يكون سبباً لانشراح الصدر، قال: "ومّه: الإنسان إلى الحقّ، وعفّهم بيّ سنة من المال والجاه والتقّن بالبدن وأنواع الإنسان، فإنّ الكريبه المخين أشرح الناس صدرًا، وأطبهم نفسا، وأعفهم قلبًا، والخيل الذي ليس فيه إنسان أضيق الناس صدرًا، وأعفدهم عينًا، وأعجوبهم همًّا وعَظَمًا.

وَهَذَا أمر معلوم، فقد أدرك الناس إباحا في الصدور هم الكريام، وَأَنَّهُ إذا أعطى إنسانًا عظيمًا يجد بذلك سرورًا وانشراحًا، فهو لو أنه استعمل هذا، وابتعز به الدار الآخرة، فإن ذلك لا يضيع عليه عند الله، ثم مع ذلك يقول الناصرون له:

"وَلا تَنسَى." قُوله تعالى: "وَلا تَنسَى" أي: لا تترك، لأن الناس يُطْلِق على أمرْين:

أحدهما: الذُهول على الشيء المعلوم الذي علمته، ثم ذُهِلت عنه.

والثاني: الترك.

ومنه أيضًا قوله تعالى: "نَسَوا اللَّهُ رَقِّيَّتِهِمْ" [النبوة: 76]، نَسَوا الله: أي: تركوا عبادته، ولم يقوموا بحقهم.

قُوله: "رَقِّيَّتِهِمْ" أي: فتركهم سبحانه وتعالى، فلم يطبعهم.

(1) زاد المعاد، لابن القيم (٢/٢٤).
ومنها قوله تعالى: "ولن تكونوا كالأولين نسووا الله" (الحجر: 19)، أي: تركوه، وقوله:

فَأَنْسَمْهُمْ أنفسهم (الحجر: 19)، أي: جعلهم ينسوتهما ويغفلون عنها، ويتركونها دون رعاية.

وأيما قوله تعالى: "أحقصة الله وشئو" (المجادلة: 8)، فالمراد بالنسيان: الذهول.

فهنا إذن من هذين الشاهدين من القرآن الكريم يبين لنا أن النسيان يطلق على مغنيين: أحدهما: الترك، والثاني: الذهول عن شيء معلوم.

والذي يصبح أن يوصف الله بِهُ هو الترك، أما الذهول فقد يصف الله بِهِ من نفسه، فقال تعالى: "فَيُحِبُّ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ" (الله: 25)، هنا النسيان: متعين:

الذهول، وليس الترك، لأن الله يترك من يشاء من عباده من يستحقون الترك.

أيما قوله تعالى: "ولقد عهدنا إلَّى مَّعْلُومٍ من فُقَدْ فَتْنَيْهِ وَقُولُهُ " (الله: 115)، فهنا مسألة فيها قولان: لأهل العلم، منهم من قال: إن قوله: "فتني" أى: ترك عن عميد ترك، فيكون متعلقًا للعاقبة.

وعلى هذين الرأي لا إشكال في المسألة، فكونه يعاقب على أمر ترتكز من غير ذهول، حيث تركة وهو عالم به، ويكون ملؤهما، ولهذا قال: "ولم يعِدْ له عِرَمَهَا".

ومنهم من قال: إن المراد بالنسيان الذهول، وهؤلاء قد sezوا بذلك تجنب وصف آدم بتعتيم المعصية؛ لأنه إذا ترتكز عن ذهول لا يلمو، وهؤلاء ينتمون إلى الجواب عن سقوط الإنسان بالنسيان، ويقولون: إن من خصائص هذه الأمة: شقوق الإنسان بالنسيان، كقول النبي عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهُ نَجَّازَ عَنْ أَمْثِلِ الحَذَاةِ وَالنَّسِيَانِ".
وما استكرهوا عليه» (1).

فقوله: «عن أمتي» يدل على أن الأمم السابقة كانت مؤاخذة به، وكون الأمم السابقة مؤاخذة، أو غير مؤاخذة في الخطيئة هذا لا يرجح أحد القولين، لكن الذي يرجح أنه نسيان ترك، لا نسيان ذهول.


قوله تعالى: «وَلا تَنسَىَ» كأمه يقولون: اجعل انها ياك فينا تردد في الآخرة، حتى كأن ما ترده للدنيا يغيب عنك، ولكن لا تنسه.

وقوله تعالى: «يَصِيبُك مِنَ الدُّنْيَا» قال المفسر رحمه الله: [أي أن تعمل فيها للاخرة].

يشير المفسر رحمه الله إلى أن المراذ بنصبه من الدنيا أنه عائد على قوله: «وَأَيَّنَّىٰ». فيما أصلح الله دار الآخرة، يعني: لا تنسى تصيبك من الدنيا بإماهاك، فا دمت قد أعطيت مهلة فان تنسى هذه المهلة أن تنفيض المال في طاعة الله، ففيكون المراذ بالنصيب من الدنيا هنا العيش في الدنيا، يعني: لا تنسى أن تغتنم الفرصة في هذه الدنيا، فتنفق، فتكون الجملة هنا عائدة على الجملة الأولى في الدنيا، أي: اطلب الدار الآخرة فيها تنفيق حتى لا يضع عليك الوقت، فيضيع تصيبك من الدنيا.

(1) أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والنسائي، رقم (420).
وَهَذَا قَالَ: "وَلَا تَنْسِيْ نَصْبِيّكَ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ" كَانَهُ يَقُولُ: اغْتَنِمُ هِذَهُ الْمُدْرَةَ الَّتِي هِي نَصْبِيَّةٌ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ اعْتَبِنْهَا لِلآخِرَةِ، وَيَجْتَمَعُ وَهُوَ الْأَقْرَبُ - وَلَا تَنْسِ نَصْبِيّكَ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ - أَنَا لَا تَأْمُرُكُ بِأَنْ تَنْفِقَ جَمِيعَ مَا لَكَ طَلَبًا لِلآخِرَةِ، بِإِلَطَالَةَ الآخِرَةِ فِيهِ، وَخَذْ نَصْبِيَّةٌ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ لَكَ، فَخَنُّ لَا تُرِيدُ أَنْ تُخْلِعَ مِنْ مَا لَكَ، وَلَكِنْ تُرِيدُ أَنْ تَنْتَبِعَ بِالْدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَعْ ذَلِكَ فَخَذْ نَصْبِيّكَ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ مِنْ طَيْبِ المَأْكُولِ، وَنَظَفَةُ النَّزْلِ، وَالشَّيْبِ، وَالْزَوَاجِ، وَمَا أَنْبِهُ ذَلِكَ.

وَهَذَا الْمُعْتَقِلُ أَقْرَبُ وَأَصْحَبٌ، لَنَا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُفْسِرُ رَحمَّةُ اللَّهِ. تَكُونُ الأَلْيَةُ فِيهَا سِيَّةٌ مِنَ التَّكْرَارِ، فَقَدْ تَكُونُ سَبْبًا لِجَلِّهِ وَقِيَّوَلَهُ النَّصِيحةَ، وَقَدْ يَكُونُ قَوْمُهُ لِهِ بِطَلَبِ الآخِرَةِ، وَعَدْمُ نِسَانٍ حَظُّهُ مِنَ الْذَّنْبِيّنَ أَنْ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِهِ النَّصِيحةِ، وَالآخِرُ أَقْرَبُ لِهِ، لَمْ تَقُلْ: هَذَا الْمَالُ العظِيمُ الَّذِي مَفَاتِيحُهُ تَنوُءُ بِالْعَصْبَةَ إِبْتَغَهُ مَعَهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ. فَالجَبَّارُ أَنْ لَنْ يَقبَلَ لِكِنْ إِذَا قَبِلَ، إِبْتَغَهُ بِالآخِرَةِ، وَمَتَمَّعَ بِالْذَّنْبَيْنِ نَصْبِيّهِ، فَهَذَا يَكُونُ أَدْعَى لِالْقَبُولِ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْآسِلَيْبِ الحَسَنَةِ فِي الْدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ سَبَحَةً وَطَالِقًا.

وَالْمُبَاحِثُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِيَ: "إِنْ لَزُّكَ عَلِيْكَ حَقًا، وَلَتَمْسِكَ عَلِيْكَ حَقًا، فَأَعْطِكُ ۖ كِلَّ ذَٰلِكَ حَقٌّ حَقًا"(1).

فَلَا تُقِلُّ: إِنِّي أَقْوَمُ اللَّيْلِ، وَأُصْوَمُ النَّهَارَ مَا عَشِتْ، هَذَا حَطَّاً، فَإِنَّ لَزُّكَ عَلِيْكَ حَقًا بِعَبَادَتِهِ، وَلَكِنْ لَنَفْسِكَ عَلِيْكَ حَقًا بِإِعِطَائِهَا الْرَّاحَةَ، فَالصَّوَابُ هُوَ هَذَا، وَلَوْ تَسْتَحْلِفْ نَصْبِيّكَ مِنَ الْذَّنْبَيْنِ.

(1) أَخْرَجَهُ الْبَحَّارِيُّ: كَتَابُ الصَّوَامِ، بَابُ مِنْ أُقْسِمِ عَلَى أَحَيدٍ لِيَفْتَرِفُ فِي النَّطَوْعِ، وَلَمْ يَرْعِيْهِ قِسْمَةً إِذَا كانَ أَوْفِقً لَهُ، رَقْمٌ (١٨٦٧).
ولا تندرى هل عاصر قانون فرعون أتم كان هذا بعد هلاكه ولا يوجد ما يمنع أن هذا الرجل كفر واتصل بفرعون وصارت عنه الأموال العظيمة
قوله تعالى: "وهَّاجِنَ" قال الملك رحمته: [وهَّاجِنَ] للناس بالصدقة]
هذا المفسر خاص الإحسان قال: أي خاص للناس بالصدقة ولكن الصحيح أن المراد ما هو أعم بأي: أحسن في عبادة الله وفي معاملة عباد الله
قوله تعالى: "وهَّاجِنَ صَحِيحُ الْحُقّ إِنَّكَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِنَّكَ" الكاف هنا للتعليل، وليست للتشبيه: لأنه لا يمكن لابن آدم أن يحس في مثيل ما أحس الله إلهي، فإن إنسان الله إلهي أكمل وأعظم وقد جاءت الكاف للتعليل في عدة مواضع من القرآن، مثل قوله تعالى: [وَأَذَّنَ لَهُمْ كَمَا هَدَيْنَا هُدًى] (البقرة: 198)، أي: واذكره لهذا هديكم، ومثل قوله تعالى: "لِلَّهِ صَلْيَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آل مُحَمَّدٍ، كَأَصْلَحْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَيْدَرَ تَجِيدً" (1) فإن الكاف هنا للتعليل، وليست للتشبيه.
وهكذا المقى الذي ذكرناه تسلم به من الإيراد الذي أورده بعض الناس على هذا الحديث، وهو أنه من الغاية أن المشبه أقبل شاناه ورتبته من البشرية به ومحمده لا شك أنه ليس أقل من إبراهيم فكيف قبل: "صل على محمد كما صلى على إبراهيم".
من العلامة من أجاب فقال: إن التشبيه للصلاة على واحد في الصلاة على جماعة: إبراهيم وآله، وهذا يصح أن يعتنى محمد مثلي ما أعطني هؤلاء كلفهم، ولكن لا حاجة إلى هذا التأويل بل نقول: إن المقصى أنك يا ربي كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وإن هذا من شأنك ومن عادتك التكرر فامنع أيضا

(1) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: سمع، رقم (370)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد الشهاد، رقم (4).
على محمد فأكون جملة: «كما صلبت». للتعليم، وهي في الحقيقة للتوسل، يعني: إنا نتوسل إليك بها فعلت من قبل في إبراهيم وآله، أن تفعل ذلك في محمد وآله طهورًا.


ولهذا ما من شيء يكون في الأرض من فتن، وحروب، وقتل، وحذب، وغيره، إلا بسبب المعاصي، قال تعالى: «ولاتي نواهد الله ألقاكم بحمرة ما نزلت على ظهيرها كمن ذابت ولهن كسيا وهم كذلك إذا جاءهم» (فاقر: 45).

فهذا العصر الذي كبر في هذا العصر، كل ذلك بسبب المعاصي التي تفعل، فهي عقوبة للعساة الذين أصيبوا بهذه، وإنشاد للآخرين؛ فإنك قد ترى البلاد الآمنة المطمئنة التي تأتيها رغداً من كل مكان، وتجلب الناس إليها من كل مكان، ثم تتفاجأ بأنها دمرت مساكنها، وبيوتها، وأمنها، ورخاؤها بسسب المعاصي.

قوله تعالى: «ولله لا يجيب المفسدين»، قال المفسر رحمه الله: [يُعنى آله}
يُعَقِّبُونَهُمْ}. وَهَذَا يُسْمَونَهُ تَأْوِيلاً، وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ تَحْريفًا، لِأَنَّ الْآيَةَ لَيْسَ مَعْنَىَا أَنَّ اللَّهَ يُعَقِّبُ المُفسِّدِينَ، بِلْ مَعْنَى أَنَّهُ لَا يُعَقِّبُهُم، أَيَّ إِبْنِيِنَفْحِهِنَّ عِنْهَنَّ مَحِبَّةُ اللهِ سَبِيعَتَهَا وَيَعْلَمُ، وَهِيَ الْصُّفَةُ الْثَانِيَةُ لِلَّهِ حَقِيقَةً عَلَى وَجْهِ الْكَيْلَاءِ، لِكَيْنَ إِذَا كَانَ لَا يُعَقِّبُهُمْ، فَلَا يُبْلِيْهِمْ.
وَإِذَا قَالُوا: إِنَّ تَنْفِيَ الْمَحَبَّةَ إِثْبَاتٌ لِلْكَراَةِ أَلَمْ مِنْهِ الْمَعَاقَبَةُ، فَتَفَسِّيرُ الْمَفْسِرِ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْمُحْبِيِّنَ بِاللَّهِ، وَهُوَ الْمَعَاقَبَةُ، خَطَأً، هَذَا يُعْتَبِرُ تَحْرِيفًا لِلْكَلَامِ اللَّهِ عَزِيزٌ، فَهَذَا فَرْقٌ بَيْنِ نَفْسِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعَاقَبَةِ، كَأَنَّ هَذَا فَرْقُ بَيْنِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالْمَفْسِرِ رَحْمَةُ اللَّهِ يَحْمِلُ الْمَحَبَّةَ عَلَى الْإِثْبَاتِ، وَمَا هِيَ عَلَيْ الْإِثْبَاتِ.
فَالخَالِصُ: أَنْ هَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسِرِ رَحْمَةُ اللَّهِ هُوُ مَذْهَبُ أُهْلِ الْتَأْوِيلِ مِنَ الْاِشْتَعَارَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِذَا كَانَتَ الصُّفَةُ لَا تَدْخُلُ عَقُولَهُمْ، قَالُوا بِالْتَأْوِيلِ.
فَقَدْ ذَكَرَ شِبْحُ الْإِسْلاَمِ عِنْهِمْ الْقَاعَةُ فِي إِثْبَاتِ الصُّفَاتِ، حَيْثُ قَالَ: «وَكَانَ إِبْنُ كَلْبِابٍ وَأَنْبَاهُهُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعُلُوّ عَلَى المَخْلُوقَاتِ صَبْعٌ عَقْلِيَةٌ تُعْلَمُ بِالْعَقْلِ، وَأَما أَسْتَوَاهُ عَلَى الْعُرْشِ فَهُوَ مِنْ الصُّفَاتِ الْسِّمْعَةِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِالْحَبْرِ، وَكَذَّلِكْ الْأَشْعَرِيَ يُبْتِ الصُّفَاتِ بِالشَّرَعِ قَارِئًا، وَبِالْعَقْلِ أَخْرَجًا، وَهَذَا يُبْتِ العِلْوُ وَنَحْوَهُ مَتَّى نَتَّبِهُ الْمَعَقَلَةَ، وَتَبَّ الْأَسْتَوَاهُ عَلَى الْعُرْشِ، وَيَرِدُ عَلَى مَنْ تَأْوِلُهُ الْبَالِسَتَلَاءُ وَنَحْوَهُ مَا لَا يَخْتِصُ بِالْعُرْشِ، بِخَلَافِ أَتْبَاعِ صَاحِبِ الْإِرْشَادِ، فَإِنْ هُمْ سَلَكَوا طَرِيقَةَ المَعَقَلَةُ، فَلَمْ يُبْتِ الصُّفَاتِ إِلَّا بِالْعَقْلِ، وَكَانَ الْأَشْعَرِيَ وَأَثْمَهُ أُصْحَابُهُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُجَّزِّي الْعِلْوُ مَعَ الْعَقْلُ، فَالشَّرَعُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي أَصْوَلِ الْأَرْضِ، وَالْعَقْلُ عَاضِدُهُ لَمْ يُعَمَّرَ.
فَصَارَ هَؤُلَاءِ يَسَلُّكُونَ مَا يَسَلُّكُهُمْ مَا سَلَكَهُ مِنْ أُهْلِ الْكَلَامِ المَعَقَلَةَ وَنَحْوُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْشَّرَعَ لَا يُعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِيهِ وَصِفَ اللَّهِ بَهُوَءً، وَمَا لَا يُوْصِفُ، وَإِنَا يَعْتَمَدُ فِ
ذلك عندهم على عقلهم، ثم ما لم يثبت إما أن ينفوه، وإما أن يقفوا فيه
(1).
هذه هي القاعدة في إثبات الصفات أو تفيها عند المتكلمين من المعزلة والأشاعرة وغيرها.
وأهل السنة جميعًا يقولون: ما أنبئه الكتاب والسنة أثبتناه، وما نفاه الكتاب والسنة نفيه، وما لم يكن في الكتاب ولا في السنة توقفنا فيه.
أما هم فعل العكس، يقولون: ما أنبئه العقل أثبتناه، وما نفاه نفيه، وما لا يقتضي إثباته، ولا نفيه أكثرهم يقولون: نفيه، ولا نثبت له؛ لأننا نشترط لقبول الصفة إثبات العقل لها، فإذا لم يثبتها وجب نفيها.
وبعضهم يقول: أثنا الله، وأعلموا إذا كان العقل لا يقتضي إثباتها، ولا نفيها، فالواجب التوقف؛ لأنه ليس هناك ترجيح بالإثبات، ولا ترجيح بالنفي، فيجب على أن نتوقف.
فهولاء هم الوُرْعُون منهم، لكن الوُرعيون في هذه النقطة غير الوُرعيين في النقطة الأولى، وهي ما أنبئه العقل أثبتناه، وإن لم يكن مذكورًا في الكتاب والسنة، وما نفاه العقل نفيه، وإن كان مذكورًا في الكتاب والسنة.
من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: فيها دليل على أن قارون كان ينفي المال يغير روتي في المعاصي وفساد، وغيير ذلك، لقولهم: "وَبَنَىَ فِي مَآءٍ آتَيْنَاهُ اهْدَىَ الْدَاءَ الأَخَرِ"، ولو كان ينفيها من أجل الداء الآخرة ما قالوا له هذا.
(1) درء تعارض العقل والنقلي، لابن تيمية (2/12).
القاعدة الثانية: أن يبتغى من آبائه الله ما لا تجري به السعادة، واقصد في بدله، أي:

كل إنسان عند الله يبتغى بدله، ولكن يبتغى أن يجري السعادة، واقصد في بدله، يقول تعالى:

وأنت في مناسك الله الدار الآخرة، فقد أشار إلى ذلك النبي، كان يدل على أن الله يحب الدار الآخرة، حتى ما تجعل في قوم أمرت بئرك (1)، فقد قطعتها يقول: يبتغى بها وجه الله، أما لو أنفق الإنسان لعمر هذا الغرض، فإنها لا يكتب، وإن أنفق لغرض سبي، فإنه يعاقب.

القاعدة الثالثة: في قوله: وانتين في مناسك الله يوحد منه أنت يجب أن يقصد الدار الآخرة، بأن يكون في الخير.

القاعدة الرابعة: أن الله وإن اكتسب العبد يفعله، فهو من فضل الله، يقول:

فسمى أنساك الله فهو وإن كان الإنسان يكتب ويتجير ويحصل، لكنه من الله.

القاعدة الخامسة: إثبات اليوم الآخر، وليقول: الدار الآخرة.

القاعدة السادسة: جزاء تنتمي الإنسان بيا آت الله تعالى في الدنيا، ولكن يبترط لا يكون على سبيل المعصية، يقول في جملة النصيحة: ولا تنسى تطيع الله.

أما على رأي المفسر محمد: فإن هذا عائد على قوله: وانتين في مناسك الله الدار الآخرة، ويبري أن يكون تعبه من الدنيا الفسحة والمثلة التي أعطى بها، لا يضيفيها.

(1) أخريج البيخري: كتاب الإيضاح، باب ما جاء أن الأعيال بالنية والحسنية لكل أمر إذا نوى، رقم (65)، ومسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثالث، رقم (56).
الفائدة السابعة: حسن دعوة هؤلاء، حيث ذكره بنعمة الله عليه، لقوله: "وأحسن سمى الرحمن، علَّمك، فكأنهم يقولون: أحسن! لأن الله أحسن إليك، فأتت حينها تحسن تكون شاكرًا لِنعمة الله.
الفائدة الثامنة: أنه يتبني للذّائعي أن يذكر الدعو بنعمة الله سنجذله وطرق؛ لأن الإنسان إذا ذكر بالنعم، فقد يخجل من الله. فلا يغيبه.
أما إذا ذكر الله الأمر والتنهي مجردة عن الأسباب والوسائل التي تعيش عليه الفعل، أو الترك؛ فإن هذه الدعوة تكون قاصرة، فلذي يتبني للذّائعي أن يذكر المرء الدعو بها يقضي إقباله وقبوله; لقولهم: "وأحسن سمى الرحمن، علَّمك.
الفائدة التاسعة: تحريم يِه الفساد في الأرض، لقوله: "ولا تبيع الفساد"، وإذا جزمت يِه الفساد، فالفساد تمس منه باب أولى، ويجزم على المرء أن يمسد، أو أن ينوي الفساد.
الفائدة العاشرة: التحذير من الفساد، لقوله: "إِنَّ الله لا يحب المفسدين.
الفائدة الحادية عشرة: إثبات صحة الله؛ لأن نفيها عن المفسدين دليل على نبوتها للمصلحين.
الفائدة الثانية عشرة: من حسن الدعوة أن لا يؤسس الإنسان، فقال: لا بد أن تكون كل أفعالك للآخرة. لأن الإنسان إذا طلب منه أن تكون كل أفعاله للآخرة، فقد ينحيه، ولا يقبل، لكن إذا قيل له: هذا وَهذَا، فهو أدعى للقبول، وهو من حسن الدعوة التي سلكها هؤلاء الدعاء.
قال الله عزوجل: "قال إنما أوبينته على علم عيني أن لم يعلم أن الله قد أهلك مرك القدر من هو أشد منه قوة وأحكم جمعاً ولما يسأل عن ذويهم الُجُرُورُوت* (القصص:8)."

قال المفسر زيد رضي الله عنه: "قال إنما أوبينته على علم عيني أي في مقابلته وكان أعلم بنبي إسرائيل بالتوراة بعد موسى وكهانون، قال تعالى: (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله، مرك القدر من هو أشد منه قوة وأحكم جمعاً) لبلاگ أي هو عالم بذلك وجعله المفسر البُلاغ في قولهم الله: (ولا يسأل عن ذويهم الُجُرُورُوت* لعلمك تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب).

انظر جواب قارون هؤلاء الناصحين "قال إنما أوبينته« أي: المال. (علِيّ عيني).»

وكانوا قد قالوا له قيلها: "وأني يقين فيما أتساءل الله الدار الآخرة" فقلت يعترف، بلى قال: "أوبينته على علم عيني«.

واختلف المفسرون في معنى قوله: (علِيّ عيني) فقيل -كما قال المفسر- أي: في مقابلته: أي: إنه ليس فضلًا من الله، ولكن لأني كنت عالماً بالتوراة وفاهماً أوبنته هذا النبي. فجعل فضل الله عليه من باب المكافأة، وليس من باب الفضل.
إذن: هو رَّبِّ نصيحتهم، ولم يعرف بأن الفضل الله، هذا قولٌ.

والمقول الثاني: إنما آتاني الله ذلك! لأن أهل له، فيصير المعنى: على علمٍ من الله.

أني له أهل.

ومعنى آخر: لأن العالم بأسباب الرزق، فاكتسبته بما في مي من العلم، وليس هذا من فضل الله، بل أنا رجل حاذق أعرف كيف أصرف، وأعرف الأسباب التي فيها نمو المال، فحصل لي ذلك بي عندي. كأنه يقول: إنما أتبت به يقول وقوتي، وليس بفضل الله ومثنيه.

فصار على المعنى الأول تسبب هذا الإيمان على أنه مكافأة من الله عز وجل له.

وعلى المقول الثاني تسبب هذا الفضل إلى حوله وقوته، وليس إلى فضل الله تعالى.

قال المفسر زمخشاه: [وكان أعلم ببني إسرائيل بالتوراة بعد موسى ويهودون،]

وهذا الذي ذكره -من زعم أنه أعلم ببني إسرائيل بالتوراة بعد موسى ويهودون- غير مسلم به؛ بل إن الظاهر أنه قال: على علم من الله أي أنه أهل له أهل، وأني أهل لهذا الشيء، أو على علم عندي، أي: على معرفة مني بالأمور، وأما أنه أعلم ببني إسرائيل بالتوراة، فليس في الأيات ما يدخل على ذلك.

قوله تعالى: [أو أعلم بكم ما جاءكم من نعمة:inski-bei إسرايل بالتوراة بعد موسى ويهودون] 

وقوله: [وإن الذي قد علم هو الله، وهو عالم بأعمال قارون عالم]، فالقول الرمزي هنا من الله، هو الذي أخبرنا بأن قارون قد علم بهذا الأمر.

وقوله: [أولاً الله قد أهلكه هذا بيعتي الإفتياء، وقوله: من الآتى] 

جمع قرأ، والقرآن تارة يرادي به الأمه، وتارة يرادي به الزمن، فيقال مثلًا: تابعت الأمه، قرنا بعد قرن، أي: زمانًا بعد زمان.
قال المفسر رحمه الله: [قد أهلَك من قَبِيلَةٍ، من الفُرقَانِ: الأمم، فمن هو أشد من قُوة وأصْحَبَ جَمَاعَةٍ للملأ أي هو عالمٌ بذلك].

قوله: {مَن يَعْلَمُ عَلَىٰ أَيْدِيهِ} أي الذي هو أشد من مَعْنَى، وأي من قارون، قوله: {فَوَمَا وَلَدَتْهُ جَمَاعَةٌ} للملأ {أَيُّهَا بَنُو عَمَّانَيْنَ} في بدْنِهِ، وأما الملأ فقال: {وَأَصْحَبَ جَمَاعَةٍ}.

أي: أكثر مجموعاً للملأ، أو: أكثر تحصيلاً له، وهذا هو ظاهر كلام المفسر رحمه الله.

قوله: {حَجَّاهُ} أي: تحصيلاً، ولكن إذا فلنا: أكثر جمعاً، أو مجموعاً، كان أولى.

لأن المجموع نتيجة للقوة التي يحصل بها الملأ.

قال المفسر رحمه الله: {أَي هو عالم بذلك} فأفادنا بأن الاستفهام هنا للتمييز.

أي: إن قارون قد علم، ولكنه تجاهاَل الأمر، قال المفسر رحمه الله: {فيها كلههم الله}.

قوله تعالى: {وَلَيْسَلُّ عَن ذَوْبِهِمْ المُجَمَّوْنِ} أي: ولا يسألهم عن ذؤبهم، لا يسألهم سؤال استخار، وإنما يسألهم يوم القيامة سؤال تبكية، فإن الله تعالى يسأل الناس يوم القيامة عن ذؤبهم، قال الله تعالى {فَلْسَتْنَا أَلْبَسَتْهُمْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ وَلَسْتُمَّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: 6]، وقال تعالى: {فَرُوَّرُوا لِتَسْتَغْلِيَ عَمَّا كَانُوا يُصِلُونَ} [الحجر: 92-93].

إذن نقول: النفي لحالٍ، والإثبات لحالٍ يعني: لو قال قائل: كيف تجمعون بين هذه الآية: {وَلَا يُبْتَغُونَ عَن ذُو بَيْتِهِمْ الْمُجَمَّوْنِ}، وأمثالها مثل: {قَوْيٌ مِّنَ الْأَمْوَةِ} لاتستحسن عن ذُو بَيْتِهِمْ {كَلا جَانَ} [الرحمن: 31)، وبين الآيات التي تثبت السؤال مثل قوله تعالى: {فَلْسَتْنَا أَلْبَسَتْهُمْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ وَلَسْتُمَّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: 6]، وقاله تعالى: {فَرُوَّرُوا لِتَسْتَغْلِيَ عَمَّا كَانُوا يُصِلُونَ}.
فاجواب على ذلك أن يقال: إن السؤال الملفي هو سؤال الاستفسار، الذي يسأل: هل أذنبت؟ وما ذنبت؟ والسؤال المثبت سؤال التوضيح والتبكيت والتقييع، أي يسألون ليقرروا، فهذا ثابت كما ذكر الله هـ.

سؤال النفي أخبارهم لا يسألون لأسأل أن يخبروا عن ذنوبهم، وإذا أخبروا -متى- تريكون، أو يعاقبون على حسب إخبارهم، لأنهم سيصاحبون، سواء أخبروا أو لم يخبروا، لكنهم ينكرون، فقولون: {وَلَنَصَرُّكُمَا مَا كَانَ مُشْرِكِينَ} (الأنعام: 32)، ولكنهم لا يقتضون من هذا النفي شيئًا.

فسؤال الاستفسار مغاية أنك تسأل الإنسان عن شيء تجهله ليخبرك به، هذا لا يمكن أن يرد بالنسبة للمجرمين، وهذا هو المنفي.

أما سؤال التوضيح فسألته عن شيء ليقره به، لا يخبرك، ولا أجل أن يخبر بين الناس.

فإذا سئلوا قالوا: {وَلَهُ رَبُّ رَبِّي مَا كَانَ مُشْرِكِينَ}، وشهدت جواهرهم، فإنهم لا يكتمون الله حديثًا، أو إنهم يسألون فيجدون في مكان، أو في وقت، ويسألون في يقرون في وقت آخر.

فتبين الآن بذلك أن السؤال الملفي غير السؤال المثبت، وهذا هو الصحيح.

وبعضهم يقول: إن السؤال المثبت يكون في وقت، والسؤال الملفي في وقت آخر؛ لأن يوم القيامة مقداره خسون ألف سنة، فالمدة طويلة، فيمكن أن يسألوا في موضوع، ولا يسألوا في موضوع آخر.

وقوله تعالى: {الْمَجَرِّمُونَ} المجرم هو فاعل الإجرام، والإجرام: المعاصي.
المعنى: أن العصاة لا يسألون، وأكثر ما يطلَّق الإجرام على الكافر، قال الله تعالى: "إِنَّ الْذَّينَ كَفَرُواْ كَأَنانِي مِنَ الْذِّينَ مَاتُواْ ضَحَكُوْنَ" [العنفون: 29]، فلماذا لا يسألون؟ يقول المفسِّرون رحمته: [يعلَّمه تعالى بها فيدخلون النار بلا جَسَار]، أي: إنهم لا يسألون، وإنيا يدخلون النار بذوى حساب، ولكن الصَّحيح أنَّه لا بُد من الحساب؛ لأن من يؤتى كتابه فسوف يحاسبُ، قال تعالى: "وَأَنَا مَنْ أَوْفِي مَكْتُوبٍ إِبْنَاهُ مَيْلَاءٍ، فَيَقُولُ يَلْتَنِى لَأَوْلِي الْأَمْرِۖ وَلَدَآ أَوْرَى مَا حَسَبْتُ” [الخاتمة: 25-26].

فهم يحسوسون، لكنَّهم لا يحاسبون محاسبة من ثورَن حسناتِه وسبيله؛ لأنهم ليس لهُ حسنات، وإنَّه يحاسبون محاسبة تقريع وتوبيخ.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: بيان بُغي قارون، حيث لم يعترَف بِفَضْل الله عَلَيه.
الفائدة الثانية: أنَّ مَن اعترَفَ أنَّ مَا رَزَقَهُ الله من كُفُوْنَهُ، فهوُ مُشاَبِه لقَارَونٍ في عَمَّد اعتِرافِه بِبَعْمَة الله، فإنَّ الإنسان الذي يقول: حصلت هذا بيدِي، وبِمعرفي بالأمور والمحاسبة. نقول له: أنت مُشاَبِه لقَارَون.
الفائدة الثالثة: تقريع أولِئك الذي يفخرون بِسيِهمِ، بِأَنَّ الله تعالى قد أهْلَكَ من كان قَبِلْهُم من الْقُروْنِ مَنْ هُوَ أَشْدُ منهم قوةً، وأَكْثَر جَعَالًا.
الفائدة الرابعة: أنَّ المجرمين عند إهلاكم لا يسألون فَرحون، وإنَّا لَيكونون بِذَوَن سائِل، لِقَوْله تعالى: "وَلَا يَسْتَسْلِى عَن ذُوْبِهِمُ الْمُجَبْرِينَ".
قال الله عز وجل: "فخرج عل قومه في زينته، قال النبي يبردوت الحياة، الذي يبنيته لنا مثل ما أوقت قذرون إنسه، لذو حظوظ عظيمه" (القصص: 29).

قال المفسر رحمه الله: [فخرج] قارون [على قومه في زينته] بأتباعه الكثيرون، وركبنا متحللين بملاميس الذهب والخمر على حيول ويعال متحللة (قال النبي) يبردوت الحياة الذي يبنيته ياما لستيبته لنا مثل ما أوقت قذرون في الدنيا. لذو حظوظ نصيب عظيم والاف فيها.]

قوله تعالى: "فخرج" أي قارون، (على قومه) المراد بقومه بنو إسرائيل، وقد خرج من زينته (في زينته)، والجملة حلال من فاعل (خرج). يعني: حال كونه متلبسًا في زينته.

قال المفسر رحمه الله: [بأتباعه الكثيرون]؛ لأن الأتباع من الحدود ونحوهم زينة الحياة الدنيا، قال الله سبحانه وتعالى: "والملسمون زينة الحياة الدنيا" (الكهف: 6).

ويجعل خلافًا ما قال المفسر رحمه الله، وهو أن المراذ زينته أي: بإله العظيم الذي ينتزين بهم من الحدود والمركبات والأمتاع، وغيرها.

ثم قال المفسر رحمه الله: [بأتباعه الكثيرون] زكبانا متحللين بملاميس الذهب.
والحُريَّر على خُيْوَل وَيغَال مَتَحَلَّلَةٍ.
قد يكون الأمر كما قال المفسر رَحمَةُ اللهُ، وقد يكون أقل، وقد يكون أعظم مِثْلًا.
قال، فَالأوْلِيَاءُ أن يَبْقَى الآية على ظاهِرَهَا.
قوله شِيَحَاهُ وَتَمَالَكَ: في زِينَتِهِ، أي: فيها يستطيع من الزينة، سواء باللباس، أو بالمركوب، أو بالأنباع، أو بالمال، أو يتغيّر ذلٌك، أي في زينته التي يفخر بها على قُومِهِ.
قوله: يَبْتَلَى لَنَا يَمْلَى مَا أُوْفِيَ قَدْ كُنَّا إِنْعَمًا يَقُولُ المَفْسِرُ رَحمَةُ اللهُ: [بِأَدِنَاءٍ لِلْبَشَرِينَ]، يعني: ليست للهدوء، لَكِنْهَا لم تَدْخُلَ على منادِئ، فقوله: (آيت) حَرْفُ مَنْ، والمنادِئ لا بد أن يكون آثًٌا يصح نداءه، وعليه فتكون للنبيه.
وقيل: إنها للهدوء، والمنادِئ مَحْدُوظ تقديره: يا قُوَّمِنَا لَيْتَ لَنَا يَمْلَى مَا أُوْفِيَ قَارُونُ، وهذا التركيب متكرر في القرآن الكريم، والتحويلاً اختلفوا فيه على هذِين الوجهين، منهم من يقول: هو لمجرد النبيه، وليس هناك نداء ولا مناد، ومنهم من يقول: هو للهدوء، وأن المنادِئ مَحْدُوظ فالتقدير -مثلًا- هنا: يا قُوَّمِنَا آيَتُ لَنَا.
قوله: يَبْتَلَى لَنَا يَمْلَى مَا أُوْفِيَ قَدْ كُنَّا إِنْعَمًا: اسم (آيت) هو (مَلَّ)، وهو منصوب، وخبرها مُقَدَّم، وهو قوله: (أَنَا)، وهو في مَجْحَل رفع، لأن التقدير: لِتُمِلَّ مَا أُوْفِيَ قَارُونُ لَنَا.
قوله تعالى: (مَثَلًا مَا أُوْفِيَ قَدْ كُنَّا): (آيت)، بمعنى: أعطي قارون من المال؟
وهذا قال المفسر رحمته الله: [في الدنيا]، من المال والكتب والزينة.

ونرى أتى النبي ﷺ يقول: يا لّبّا لّبّا ما أُوْيِي فاَّراَنَّ، بل قالوا: مثله؛ لَمْ يَقْعُدُوا:

ليّبّا لّبّا ما أُوْيِي فاَّراَنَّ، كان ذلك حسداً؛ لأنهم ينتمون بذلك رُؤُووْا النّعْمَّة عنه،

لكنهم قالوا: مثله، وهذا الأمر لا يجوز، إذا أعطوا مثله، ولكن لهم مثله.


قيل: «إِنَّهُ» أي: فاَّراَنَّ، [لَدُوْخُقُ] أي: نصيبه، عظيمه، واقتيل في المَجْهَّل: وافر، فالعظيم هو: الوايزة الكبيرة، فهُوَ دُوْخُ عَظِيمٌ، وَلَهذا إِنّا يقوله مِن كَان نَظْرَهُ قَاطِرًا، وَلَا يَرِيدُ إِلَّا الدَّنِينَا.

والحقيقة أن الدنيا ليست هي الحظ، وإنها الحظ نصيب الإنسان من الآخرة، أما نصيبه من الدنيا، فإنه ليس يشيء؛ لأنه نصيب بيول هو، أو يزول من أعطته وَلَا يَقْعُدُ؛ ولأنه نصيب في الغالب يحول على الخسارة والفساد، ويحول على الأمر والبطر، فبحصر الإنسان دينه ودنياه، فليس في الحقيقة حظ، لكن يقول ذلك من كان نظرة قاصرًا.

وإلى وقتنا هذا الناس إذا رأوا شخصًا تاجرًا كبيرًا قد أنعم الله عليه بالمال، قالوا: ما شاء الله، إنه صاحب حظ. ولكن هؤلاء قصار النظر؛ إذ إن الحظ الحقيقي هو حظ الآخرة، قال الله تعالى: «وَمَا يَقْعُدُهُ إِلَّا أَلِينَ صَبْرًا وَمَا يَتَّخِذُهُ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (نصب: 33)، هذى هو الحظ العظيم.

وهم في قولهم لم يقيروا ذلك أيضًا في الدنيا، كأنهم ناسوا الآخرة، ورأوا أنّ
الله هو خَلْقُ الدُّنْيَا، ولكن قَابِلَهُمُ أهلُ العِلْمِ والإِيمَانِ بِقَوْمِهِمْ: "وَقَالُ الَّذِيْنَ أُوْتَى الْعِلْمَ".

من فوائد الآية الكريمة:
الفَقْيَةُ الْأُولَىُ: أنَّ قَارِونَ كَانَ يُظْهِرُ الأُبَيَّةَ والْعَظْمَةَ، حيْثُ يُخْرُجُ فِي زِينَتِهِ مِنَ المَالِ وَالرِّجَالِ.
الفَقْيَةُ الْثَانِيَةُ: أنَّ دَرَى النَّظْرِ القَاسِرِ يَتَمَنَّوْنَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: "قَالَ الَّذِيْنَ أُوْتَى الْعِلْمَ".

• • •
قال الله عز وجل: "وفقًا للنبيّ أوّلًا العلم ويلصقُ نُوابُ الله خيرًا لمن سامك وسُمي صلحاً ولا بلغها إلا الصَّرِيفُوت" (الفصل: 80).

قال المفسّر رحمه الله: [وكان] هم [النبيّ أوّلًا العلم] بما وعد الله في الآخرة ويلصق نُواب الله في الآخرة بالجنة مثمر لمن سامك وسُمي صلحاً مما أوّتي قارون في الدنيا ولا بلغها أي الجنة المِناح بِها إلا الصَّرِيفُوت على الطاعة وعَنَّ المُعْصِيّة.

قوله تعالى: [النبيّ أوّلًا العلم] ندل على أن الأولىين جهائل ليس عندهم علمًا ولا معرفة بالأمور وحقائقها.


وإعراب [ويل] مفعول لا يفعل مladen ملود تقديره: آل زمك ويلكم أي جعل الويل لازماً لكم إن أتمتم عنتم ما أوتي قارون أو مثله لأن هناك ما هو أفضل منه.

قوله تعالى: [نواب الله] قال المفسّر رحمه الله: [في الآخرة في الجنة].
قوله: «نوطِ أنَّهُ، الثوابُ هُوُ الْجَرَاءَ، كَانَ العَمَلُ طَابٍ، أَيِّ رَجَعَ إِلَى صَاحِبِهِ بِجَزَاءٍ عَلَيْهِ، فَثَوَابُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ خِيرٌ، لَكِنْ لَنَ أَمْنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَلَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْلُ الْأَمْرِ أَمَانَ، وَعَمَلُ صَالِحًا نَّوَابُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ خِيرٌ مِّنَ الذِّنَبِ وَمَا فِيهَا، بِلَّلَّهِ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: مَوْضُوعُ سُوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِّنَ الذِّنَبِ وَمَا فِيهَا»(1).

قوله: «لَنَ أَمْنَ عَمَلٌ وَعَمِلَ صَالِحًا» الإيام: التصديق مع الغياب والاذعان.

وقوله: «وصِلَ صَلَائِحًا» العَمَل الصالح هو الذي جمع بين أمرين: الإخلاص في سبيله، والتابعة لرسوله ﷺ، وكذل ذاك خير ما أُولى قارون في الدنيا.

قوله تعالى: «ولَا يَبْتَغِنَّهَا» قال المفسر رجح بن الله: [أَيُّ الْجَنَّةِ المُتَّبَعُ ﷺ]، إِلاّ الصَّبْرُ在于 الطَّاعَةِ، وَعَنِ المَعْصِيَةِ]،

قوله تعالى: «ولَا يَبْتَغِنَّهَا» أي: ما وَفَقَ لَهَا، إِلاّ الصَّبْرُ在于 الطَّاعَةِ، وَعَنِ المَعْصِيَةِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَتَى بِالْأَمَرِ الثَّانِي، وَهوُ الأَقْدَارِ، أي لَوْ قَالَ: وعلى الأُقْدَارِ. لَمْ تُهْزِمْهُ الْأَمَرُ، فَالْتَّفَصِّلُ نَاقُضٌ، فَهُمُ الصَّباَرُ在于 طَاعَةِ اللَّهِ، لا يَمْلُونَ، وَلَا يَفْتَرُونَ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ لا يَبَيْسُونَهَا، وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُوَلِّيَةُ لَا يَتَّخَذُونَ منْهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن أَهْلُ الْعَلَمِ الَّذين يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ الأُمُورِ يَدْرُونَ أنَّ هَذِهِ الدَّنْيَا ليُسَّئُ بشيء، وَأَنَّ نَوَابَ الآخِرَةِ أعْظَمُ وأَجْلُ.

الفائدة الثانية: أنَّهُ لا يَنالُ نَوَابَ الآخِرَةِ إِلَّا مِنْ آمَنٍ وَعَمِلَ صالِحًا; لقوله:

(1) أُخْرِجَهُ البَحَارِي: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم (1892).
كُلْ آمِنَ مَعَهُ وَعَمِّيْلٌ صِدِّيقٌ﴾

الفَائِدَةُ ثَالِثَةٌ: أَنَّهُ لَيْوَفِقِ لِذَلِكَ نُوَابٍ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى طَاعَةِ اللهٍ وَعِنْ مُعْصِيَتِهِ وَعَلَى أَفْقَادِهِ؛ لَقَوْلِهُ تَسْلِيمٌ: ﴿وَلَا يَلِفْنَهَا إِلَّا الْكَرِيمُونَ﴾.
قول الله عز وجل: "فسننا بيني وبيارو الأرض فما حاكم الله من فتحين ينصرنه من دون الله وما كا كان من المستصرين" [القصص: 81].

قال المفسر: "فسننا بيني وبيارو الأرض فما حاكم الله من فتحين ينصرنه من دون الله" أي دعيتكم بأن يصنعوا عنة الهلالا (وما كا كان من المستصرين) يصيره.

قوله تعالى: "فسننا بيني وبيارو الأرض" أي بقارون، فهؤلاء في الأرض هم وداروه، ولم يغني عن الأموال، ولا الرجال، ولا غيرها، وإنما كانت عقوبته بالحشر، لأنها كان باغيًا عادة، واتخذت بها عقوله. فالعالي أشد عقوبة له أن ينزل من مكانه العالية، ولهذا كانت العقوبة مناسبة للعمال، قال الله تعالى: "فكن أجردًا بيدهم بينهم من أرسلنا عليه حاصبا وينههم من أخطئة الصيحة وينههم من حسننا بين الأرض وينههم من أغرقنًا" [التكبير: 40]، ومن خسف الله به الأرض قارون وداروه.

قوله تعالى: "فما حاكم الله من فتحين ينصرنه من دون الله" قال المفسر زكريا الله.

قوله: "فما حاكم الله من فتحين" ما نافية، و "فيما" من حرف جر زائد إعرابا، و "فكن" اسم كان مرفوع بها، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخرها، منع عن
ظهرها اشتعال الملح بحركة المناسبة، أي مناسبة خروج الجر الرائد.
والإتيان بهم، هنا له فائدة من حيث المعنى، وهي التنصيص على العُموم، أي: ما كان لِلهِ أن يَنْصِرَ بِنَصْرِهِ.
والفئة: الطائفة التي يرجع إليها المرء، هذه الفئة مأخوذة من فاء يفيض، إذا رجع؛ لأن الفئة التي يرجع إليها المرء لتنصره هي محل فئته، أي: محل رجوعه.
والمعنى: أنه ما كان لِلهِ أن يَنْصِرَ، حتى ما جرَّبَ العبادة بأنه ينصبر بهم.
وقوله: "نصرُونِي النصر: المنع مما يُصَرُّ، وقوله: "من دون أنبه" "دون" هذا يُعَمِّنُ غير، فإنَّهَا نزل به بآس الله، ما فعِّلته زيته، ولا منعه جنوده، لأن الله عَبِرَ لِهُ القوة الكاملة، والقدرة العظيمة.
قوله تعالى: "وما كاَتَ مِن الْمُنتَصِرِينِ" (من) أي: ما كان أَحَدُ يَنصَرُهُ، ولا هو أيضًا ينصَر بنفسه، فصار ضعيفًا بنفسه وبغييره، قوله: "وما كاَتَ مِن الْمُنتَصِرِينِ" (من) أي: من الله عَيْبَتْهُ وُمِنْ عَذَابِهِ، بل أصبه عاجزًا وهو في بِئْسِه، خسَفًا به.
من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: بيان قُدرة الله عَيْبَتْهُ.
الفائدة الثانية: التحذير من التعالي والبغي على الخلق.
الفائدة الثالثة: أن الله تعالى إذا أُنْزلَ العقوبة بأحد، فليس له ناصر دون الله.
ولو عظِمَتْ فُوْقه، وَكَثِرَ جَنُّدهُ؛ لقوله: "فَمَا حَكَانَ لَهُ مِن فَتْحِ تَصْرُّيْنِ" من دون الله، وما كاَتَ مِن الْمُنتَصِرِينِ".
قال الله عز وجل: «وَأَصْبِحْ الْأَمْثَالَ تَمْنَى مَكَانَكَهُ إِلَّا أَيْمَسَ يَقُولُونَ وَيَكْفُرُ الْمُؤَثَّرُ قَدْ يُوْسِعُ الرِّزْقَ لِمِنْ يَبَعَدُونَ وَيَقْرَئُ اللَّهُ أَنَّ أَيْمَسَ عَلَيْهِ لِحَسَبِ يَتَأَحَّسُ وَيَكْفُرُ الْكِتَابُ» (القصص: 82).

قال المفسر رحمه الله: «وَأَصْبِحْ الْأَمْثَالَ تَمْنَى مَكَانَكَهُ إِلَّا أَيْمَسَ» أي يَمَشَّ يَلْتَمِسُ الْأَمْثَالَ يَبْعَدُونَ وَيَقْرَئُ الْمُؤَثَّرُ قَدْ يُوْسِعُ الرِّزْقَ لِمِنْ يَبَعَدُونَ وَيَقْرَئُ الْمُؤَثَّرُ قَدْ يُوْسِعُ الرِّزْقَ لِمِنْ يَبَعَدُونَ. 

وَيَقْرَئُ اللَّهُ أَنَّ أَيْمَسَ عَلَيْهِ لِحَسَبِ يَتَأَحَّسُ وَيَكْفُرُ الْكِتَابُ» (القصص: 82).
بل لأن الله هو الذُّي يعْطِي وينْعِم.

إعراب قوله: «الله» لفظ الجلالة هنا يُعَرِّب اسم (إن) على أحد الوجوهين، واسم (كان) على الوجه الثاني.

قال المفسر رحمه الله: [«هُمُ السُّبُعَاءُ»، وقوله: «الزَّقَّةٌ» أي: العطاء، وقوله: 

فَلِسْ يَتَّقِى مَنْ يَضْعَفُ عَلَى الَّذِي، أي: للذِّي يشاء.

وهذه المشيئة هي مشيئة مقرورة بحكمه، وقد بُتِبَّ قُبْلَ ذلك أن كل شيء علَّقه الله تعالى بمشيته؛ فإنه مقرور بحكمته، فله تعالى بَيْسُطُ الرُّزْقِ ِيَنْ يَسَاءُ مَنْ اقتضَت حكَمَتهُ أَن يَبْسُطُ هُمَّ الرُّزْقِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحُدُثِ الْقَدْسِيِّ: "إِنْ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُضْلِبْ إِيَّاهُ إِلَّا الْغَنِّيِّ، وَلَوْ أَفْتَرَقَتْ لَأَفْسَدْهُ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُضْلِبْ إِيَّاهُ إِلَّا الْفَقِيرِ، وَلَوْ افْتَرَقَتْ لَأَفْسَدْهُ ذَلِكَ")

فَالله تعالى حكيم، يَبْسُطُ الرُّزْقِ لفِلَان؛ لَكِنَّ الحكَمَة تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَيَضْيِيغُه علَّه

فَلْانٍ؛ لَكِنَّ الحكَمَة تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَلِيسْ لَانَّالْمَسَأَةَ مُسْأَتَهَا اعْتِبَاطِيَّةُ دون أي رُوْيَةَ، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَ الحُكْمَةُ فِيَّا أَعْطَى، وَفِيَا مَنَعْ.

وقوله: "قَرِينَ عَبَّادِي، عَبَّادٍ" جَمِيعُ عَبْدٍ، وَالمرَاد بِالعُبْوُدِيَّة هَذَا العُبْوُدِيَّة العَالِمَة، الَّتِي هي التَّذَلِّلٌ لِلأَمَر الكُونِي، وَلِيَسَ لِلْعُبْوُدِيَّة الخَاصَّةَ الَّتِي هي التَّذَلِّلُ لِلأَمَر الشرعِي، وَقَدْ مرّ عَلَى أَنَّالْعُبْوُدِيَّة تنْقِيْسُ إِلَى اثْنَيْنِ.

عَبْوُدِيَّة عَالِمَةٌ وهي الخَضْوُع لِلأَمَر الكُونِي، وَهي شَامِلَة لِجَمِيعِ الحَلْقِ، قَالَ اللَّهُ تعالى: "إِنْ سَكَّنَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ذَي الْرَّحْمَةِ عَبَّادٌ" [مِرْيَمٍ: 95].

(1) أَخْرِجهُ البَغْوِي فِي شَرِيحِ السَّنَةِ (22)، وَأَبُو نُعَيم فِي الْحَلْقِ (318)، وَأَبُو عَسُاِكَرُ (7/95).
فالعبودية المرادة في الآية هي العبودية العامّة، لأن بسط الرزق وتضييقه يكون للمؤمن، ولغبر المؤمن.
و في قوله: «مِنْ عِيدَوْرِ» ذليل على أن جميع الخلق في قياسه سبحانه وتعالى، وأفهم لا يعجّرونه.
وعليه: فإننا إذا كنا بِالله، ومع الله، فلا نهاب أي قرو في العالم، لأننا نعلم أن كُل ما في الكون خاضع لله تعالى.
إيّا، قال الله تعالى له الحكيم في بسط الرزق وتضييقه.
فَقَمَ النَّاسُ مِن أَفْسَدُهُ الْغَنِي، مثل قارون، ودمبهم من يفسده الفقر، قال الله تعالى: «فَقَمَ النَّاسُ مِن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حُرُفٍ إِنَّ أَصَابَهُ سَحْرُ أَتَمَّرَ النَّاسَ يَنْفَقُ مَنْ أَصَابَهُ فِيْنَّهُ أَنْفِقَ عَلَى وَجْهِهِ» [الحج:11]. فَقَمَ النَّاسُ مِن أيما اقتصر بعد الغني أيّ أن يتحمل ما نزل به، فيكفّر بالله، ومنهم من يتحجر.
قال المفسر رضي الله عنه: (وي) اسم فعل مفعول أَعْجِبُ، أي: أنا، و(الكاف) مفعول (اللَّهِ).
إذن: هو اسم فعل مضارع، بمعنى: أعجب.
وقوله: [أي: آنآ، يعني أن فاعلله ضمير مستتر وجواب، تقديره: أنا.
وقوله: [و(الكاف) بمعنى (اللام)], أي: لأن اللام هنأ بمعنى التعليل، أي:
أعجب فقدا الأمر؛ لأنة لا يُضَلُّ، أي: أعجب لعدم صلاح الكافرين.
فقوله: [ويكانت] مرَكَب من أربع كلمات، لا أربعة خروف، وهي: (وَي) اسم
فعل، والكاف) بمعنى اللام للتعليل، و(آن) حرف توكيده، وإلهاء) اسمها.
وَعَلَى هذَا التَقْدِير يجوز الوقوف علَى (وَي)، فقوله مثلا: [وَأَصْحَبَ الْأَبْيَةَ تَسْمَأَ] مسكانه: (الأَلَّامين يَقولُونَ وَيَ)، ثم تقرأ: [كَانَ اللَّهُ يُبْشَرُ الْإِرْبَاقَ].
وقال بعضهم: إن (وَي) اسم فعل مضارع، والكاف) حرف خطاب، وليست
حرف جر، ولا مخلل ما من الأعراب؛ لأن هذا الفعل فالله مستتر تقديره: أنا.
وعلى هذا، يكون أن حرف توكيده، والجملة التعليلية على تقييد اللام، فقوله:
تعالى: [وَأَلْوَانٍ يُؤْتُونَ مَا عَمِّيَّةٍ وَقُولُونَهُمْ وَقَلْبَهُمْ يَأْنُونَ] [المومنون: 160)، فهنا فتح
الهمزة؛ لأنها تعليلية، هذان إعرابان.
والإعراب الثالث: (وَي) اسم فعل مضارع بمعنى: أعجب، و(كأن) حرف
تشبيه، والرائد بهذا التَّشبيه التحقيق،، كما تقول للإنسان: كأنك فاهم، أي: إنه فاهم،
كذلك: كأنه لا يفَلْح، أي: أعجب، كأنه لا يفلح الكافرون، أي: إن الأمر حق لا يفلح
الكافرون.
ف كأن للتشبيه إذا دخلت على اسم جامد، وللضم، أو للتحقيق إذا دخلت
على مُضْمِنٍ.
وقوله تعالى: [لَا يَقْصُرُ الْكَفِّيرُونَ] الفلاح هو الفوز بالمطلب، والنجاح من
المرفوع، وهي كلمة من أجمع الكلمات.

وقوله: أن الكافرون أي: الكافرين بالله عزوجل، وقل ما أطلق الكفر فالمراد به الكفر بالله، أما إذا قيل فهو بحساب ما قيل به، قوله تعالى: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله [البقرة: 256]، هنا قيل الكفر بالطاغوت، لكن عند الإطلاق يكون الكفر بالله، فكلا من كفر بالله بأي نوع من أنواع الكفر، سواء كان كفر تكذيب أو كفر استكبر، فإنه لا يملح.

إذا قال قائل: ألا يشكي على هذا ما كان عليه أهل الكفر من النيع، والترف في الدنيا؟

نقول: لا يشكي؛ لأنهم لم يملحوا، حتى وإن تعموا في الدنيا، فلا يفدهم النيع، وهم إذا ماتوا انقلوا إلى الجحيم، فذا النيع في الحقيقة يكون وبالا عليهم، لأنه يتحول بعد ذلك إلى عذاب.

وهذا إذا عذب أحد في الدنيا فإن ينتحر، ويتخلص من التزامه إلى راحة.

على كل حال: هم لا يفرح، بل يزداد شقاء، لكن المصود أن هذا إذا انقل من هذا النعيم إلى عذاب الجحيم، سار هذا أشد وتلكي، وأعظم عليه، وأبلغ حسرة، فهم في الحقيقة لم يملحوا.


فقوله تعالى: فلعل من الله علينا لحصف بينا قال المفسر رحمه الله: بالbitcoin.
للفاعل والفعلول.

قوله: «لولا أمن من الله، لولا شرطية، وهي خوف امتيناع لوجود، فقد امتنع الحسن لوجود الله، وما بعده يكون مبتدأ، وخبره مخفون غالبًا، قال ابن مالك».

وإذن لولا غالبًا خذف الخبر.

قوله: «أن من الله»: (أنا) مصدرية، وقوله: (أنا) فعل ماضي، و(أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ، أي: لولا مئة الله علنيا، والخبر مخفون تقديره: لولا مئة الله علنيا موجودة، أو واقعة.

وغني الله ينبغي أن يقال: إن البndl هنا لا ينتاج إلى خبر أصلا، فلا تقول كما قال النحويون: إنه مخفون، بل تقول: إنه لا حاجة إليه، لدلاك الجواب عليه، ونقول: هو مبتدأ، ولا ينتاج إلى خبر، كما في الفصل في قوله: «رَأَىَتِمَا» (وَبَيَاءٌ)، وَسَجَرَتْ (وَالْحَضََّرُ) وَنَفَعَتْ (وَأَلْفَ)، وفَدَرَ إِذَا يُسْأَرُ (وَهُلَ في ذاك قسم إلى جمع) [النجم: 1-5].

فإنže لا ينتاج إلى جواب، فابن العيينة رفع الله في كتابه مختصر الصفحاك المرسلة قال: (وأما نحن قوـه: (فأولى) إلى موضى أن أضر رمصاص البصر فلا تفق) [الشعراء 132].

فليس هناك تقدير أصلا، إذ الكلام مسْتغنى بنفسه غير محتاج إلى تقدير، فإن الذي يدعي تقدير قد دل اللَّفظ عليه باللزم، فكانت مذكور، لأن اللَّفظ يدل بلزمته كذا يدل بحروفه، ولا يقال إلا دل عليه دلالة الزيام إن به مذكور».

ونقول: استغنى عنه في الجمعية؟ لأن دلالة اللَّفظ على مساعة ليست دلالة ذاتية،

(1) السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص 495).
(2) ألفية ابن مالك (ص 18).
(3) مختصر الصفحاك المرسلة، لابن القيم (ص 353).
بَلْ إِذَا كَانَ السِّياقُ لَا يُجَابُ إِلَى نَذِيرٍ، فَلا نُنْقِدُ.
وَقَولُهُ: «مَرَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا»: الْمُنَّا: هِوَ الْعَطَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ بِهِ المَقَايِضَةُ، أَوِ المُفَاقَةُ،
وَلَا زَيْبٌ أَنَّ اللَّهَ سَبِيحَةُ وَقَنَالُ لَا يُرِيدُ مِن عِبَادِهِ أَنْ يَكَفَّوْهُ، إِلَّا أَنْ يَأْتِهِمْ لُو حَاولُوا المُفَاقَةَ
مَا أَسْتَطَاعُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَضْتَرَكُوا بِصَمْطَةٍ لَا يُصْلُوْهَا﴾ [الإِسْرَّ: ٢٤]، وَقَولُهُ:
«مَحْسَفٌ يَنَا» كَا مَحْسَفُ بَقَارُونَ، وَلَكِنْ مَنْهَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْعَتُ ذَلِكَ، فَرَجَعُوا إِلَى
الْصِّلَفَةِ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَمْوَالَ بَقَارُونَ لَمْ يُنْفِقُ عَنْهَا شَيْئًا.
يَقُولُ الْمُسْتَفْرِجُ رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿مَحْسَفٌ يَنَا﴾ [بِالْمُتَنَبِّئِ لِلْمُفْعَلِ وَالْمُفْعُولِ] أَيْ: قَرَاءَتِنَّ
سَبِيعَانَ: ﴿مَحْسَفٌ يَنَا﴾ وَ«مَحْسَفٌ يَنَا»، وَعَلِىْ قَرَاءَةٍ ﴿مَحْسَفٌ يَنَا﴾ أَيْ: مَحْسَفُ بَنَاءً
كَا مَحْسَفُ بَقَارُونَ، وَعَلِىْ قَرَاءَةٍ ﴿مَحْسَفٌ يَنَا﴾، فَإِنَّ الْمُرْأَدَ مَحْسَفٌ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَكُونُ،
لَكِنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ تَأْدِيًا، فَلَمْ يَنْتِسِبُوا الْمَحْسَفِ إِلَى اللَّهِ، بِلْ يَنْتِسِبُونَ إِلَى الْمُفْعَلِ; كَرَاهِيَةَ أَنْ
يَنْتِسِبُوا الْمَحْسَفِ إِلَى اللَّهِ، كَقَولُ الْجَنْحِ: ﴿وَأَلَا لَا تَخَافُوا أَشْرَ الأَرْضِ أَيْضَّ، فِي الأَرْضِ أَمْ أَشْرَ يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﰇ﴾ [الجَنْحَ: ١٠٠٠]: فَهُمْ يَعْرُفُونَ أَنَّ اللَّهِ يُرِيدُ ذَلِكَ كَلِمَةً هَوَّهُ الْأَلْلَهُ، لَكِنْ لَا يَكُلُّمُوا
عَنِ السَّرُّ لِيَنْتِسِبُوْهُ إِلَى اللَّهِ، وَهُذَا مِنَ الْأَدْبِيْنِ فِي الْلَّغْظَةِ.
فَاللَّهُ سَبِيحَةُ وَقَنَالُ يَرَكُّ الأَمْرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، إِظْهَارًا لِعَظْمَتِهِ، لَكِنَّ العَبَّادِ يَنْتَدَبُونَ
بِالْأَدْبِ، فَلا يَنْتِسِبُونَ إِلَى اللَّهِ عَلَى الشَّرِّ، وَلا الْمَحْسَفِ، وَلا الأَخْذِ.
أَمَّا كَونَ اللَّهُ يَنْتِسِبُ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ، فَهَذَا إِظْهَارٌ لِعَظْمَةَهُ، وَلِضَعْفِهِ مَعْذِبٌ.
قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَعِبَنَ الْكَفَّارُ﴾، قَالَ الْمُسْتَفْرِجُ رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿لِيَعْمَسْهُ اللَّهُ
كَفَّارُونَ﴾.
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلاَمُ عَلَى إِعْرَابٍ: ﴿وَنَعْبَنَ﴾.
من فوائد الآية الكريمة:

القاعدة الأولى: أن الذين تتمنى مثل ما أوتر قارون عرفوا أن ما أوتره ليس لكونه
أهلاً له، بل لأن الله ينسط الزرق لينشاء من عباده ويقدر، لأنه قال هم في الجواب:
"إنما أوتره علٌّ على عينين"، وهذا كتب هم أنه ليس هذا السبب، ولكين لأن الله تعالى
بِبِهِ الدَّوَرُ فَقَالَ: "يَنَبِعُ اللَّهُ مِنْي بَشَأْنَهُ مَنْ يَبْخَوَدُ وَيَقْدُرُ".

القاعدة الثانية: بيان أن تعمي ملك الدنيا لا بد أن يتبين للمرء أنه من لا حقيقة له;
وذدها لأنه يزول، فهؤلاء الذين تتمنوا مثل ما أوتر قارون لما زال، وخُيِّف به عرفوا
أن هذا التمثيلي في غير حقله، وأن حقيقة الأمر أن يتنمي الإنسان ما فيه ثواب الآخرة.

القاعدة الثالثة: إثبات مشيئة الله، لقوله: "إِنَّمَا يَبْشَأُ اللهُ".

القاعدة الرابعة: إثبات جدّته في بنسط الزرق وتطبيقه: ينسط ويقدر، وهذا
تابع لجذّمته سبحانه وتعالى.

القاعدة الخامسة: اعتراف هؤلاء المتنين بعينة الله عليهم في قولهم: "إنونا أن
من الله علَّيهم لحَفْصِي يَوْمَ جَمِيعِهَا"، فهنا عرفوا بعينة الله عليهم، حيث لم يعطهم مثلما أعطى
قارون، فيكون مأمون كماله، فتمنى هم بذلك نعمة الله عليهم.

القاعدة السادسة: أنه لا فلاح للكافر، ويوضح هذا من قوله: "فَإِنَّهُ لَا يَفْلِحُ
الكافرون"، وتأخذ من ذلك إثبات عكسه للمؤمنين، فإنهم الفلاح في الدنيا
والآخرة.
قال الله تعالى: 

"يُجِّبُ الْدَّارُ الْآخَرَةُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ لَا يُرِيدُونَ عُنْوًا في الأرْضِ" [القصص: 83].

والْفَسَادُ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْتَقِينَ [القصص: 83].

قال المفسر زعم الله: [يُجِّبُ الْدَّارُ الْآخَرَةُ] أي الجنة: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ لَا يُرِيدُونَ عُنْوًا في الأرْضِ" بالمعنى [والْفَسَادُ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْتَقِينَ].

فيما يعتني بعُمْلاَّ مَعَاهُ: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ لَا يُرِيدُونَ عُنْوًا في الأرْضِ" بالمعنى [والْفَسَادُ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْتَقِينَ].

قله: "يُجِّبُ" بمعنى "يجب" وهو اسم إشارة، وقوله: "يُجِّبُ الْدَّارُ الْآخَرَةُ" يحتمل أن تكون صفة لـ"يُجِّبُ"، ويختمل أن تكون خبرًا، وقوله: "يُجِّبُ الْدَّارُ الْآخَرَةُ" يعني: بذلك الجنة؛ لأنها هي الدار الآخرة.

فالإنسان له دُور أربع: الدار الأول بُطِن أَمْهِ، والثانية الدنيا، والثالثة البرزخ، والرابعة الآخرة، وهي التي ليست بعدها دارًا، وهذا وصفت بأنها آخره، ليس بعدها شيء.

قله تعالى: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ" بالنسبة لإعراب كلمة: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ"، إن أُعِرِبُنا: "الْدَّارُ" صفة، فجعلته: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ"، وإن أُعِرِبُنا: "الْدَّارُ" خبرًا، فجعلته: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ".}:"قال في قوله في قولهم: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ"، والضمير في قوله: "يُجِّبُ مَتَاعَهَا لِلْيَتِيمَ" يعود إلى الله سبحانه وتعالى، وأتى بضمير الجمع تعظيماً له.
قوله: «لأَلَّهِنَّ لَا يُرِيدُونَ عَلَوًا فِي الْأَرْضِ» قال المفسر رحمه الله: [باللغوي، «ولا فساداً يعمَّل العاصي»].

وهذا الكلام خلافاً لقارون وأمثاله، فالدأر الآخرة لِلذين لا يريدون علواً في الأرض، والعلو هنا سوءاً كان علواً عن أوامر الله، أو علواً على عباد الله، فالذين لا يريدون العلوا إنما يريدون الذل لله، والذل للعباد على الوجه الذي يرضاه الله، هم الذين فساد الداء الآخرة، فمن أراد العلوا على الخلق، كان ذلك يسالم، أو يعبرته، أو يعهوه البدينه، أو يعديه، أو يسلطان، فإنه لا حظ له في الآخرة على حسب ما عنده من إزادة العلوا.

قوله: «وَلَا فَسَادًا] الفساد -كما يقول المفسر رحمه الله-: [يعمل العاصي].
فإن عمل العاصي فساد في الأرض، قال الله تعالى: "ظهر الفساد في البئر والبحر وما كسبت أيدي الناس" [الروم: 41].

والفرق بين الصفتين: أن الأول مستكبر معتز في نفسه، والثاني ليس كذلك، بل على العكس، ولكن يريده المعادي، يريد مثل الفجور، يريد السرقة، يريد قطع الطريق، وما أشبه ذلك، ويكلت النتيجة باطلة: إزادة العلوا، وإزادة الفساد في الأرض، فمن لم يرده العلوا، ولا الفساد هو الذي يكون له الداء الآخرة.

العاقبة هي النهاية، التي تعقب ما سببها، وهذه للمتقنين، فمن كان متقينا لله عينين فالعاقبة له في كل حال، ولكنها تكون له باعتبار شخصه وعمله أحياناً، وتكون له باعتبار عمله دون شخصه.
ولنفرض - مثلًا - أن هذا الإنسان النحيل، قام بإجتهاد عليه من تقوّي الله عزّ وجلّ، وَدعا إلى الله على بصيرة، لكنه لم تُوفي في قبل أن يَتم له المهمة، فهل نقول إنه لم يتحقق له العاقبة، فقد مات.

ولكن العاقبة لعمله الذي دعا إليه، فلا بد أن ينجح، وَلَو بعَدَ وفاة العامل.
فالإنسان النحيل لله عزّ وجلّ لا بد أن تكون العاقبة له، حتّى لو اعتَدى عليه من يعتدي، فإن العاقبة له، قال تعالى: «وَلَقدْ سَمِيتَا فِي الزَّوْرِ مِنْ بعْدِ الذِّي كَانَ الأَرْضَ يَرِثُهَا» {الأنبياء: 101}. فالعاقبة للمنتقين بكل حال.

من فوائد الآية الكريمة:
الفائدة الأولى: إثبات الجزاء يوم القيامة، لقوله: {يَلُكَ الدَّارُ الأَخْرَجُ}.
الفائدة الثانية: مَدْح من لا يُريد العُول في الأرض، ولا الفساد، وهو أعظم من مَدْح من لا يَعلمون ولا يُفسِدُون.

ووجبة ذلك أن انتفاء الإرادة يلزمُ منه انتفاء الفعل، أما انتفاء الفعل، فلا يلزم منه انتفاء الإرادة، فقد يُريد الإنسان العُول والفاسد، وَلَكِن لا يَعلمون ولا يُفسِدُون.
لعدم تمكنهم، أو سبب من الأسباب، أمَّا الذي لا يُريد، فهو أكمل.
الفائدة الثالثة: أن النبىَّة لَا أُشرُّ، لقوله: {لا يُريدون عَلُوًا في الأرض ولا فِنادا}.
والإرادة بمعنى النبىَّة.
الفائدة الرابعة: ذَم من يُريد العُول والفَساد، سواء علا وأفسد، أو لم يَعلم ويُفسد، لِأَنَّه إذا كان في الجِنَّة هؤلاء الذين لا يريدون عُلوا ولا فِنادًا، وَهُذَى مَدْحُ لهم بلا ريب، فإن من أراد فهو مذموم، سواء تمكن من تنفيذ إرادة أم لم يَتمَّ.

سورة القصص (الأية: 82)
الفائدة السبعة: أن الآية تكون للمتنقين، وهي ليست كأ قال المفسر زكريا: [(والعاقبة) المحمدية]، بل هي أعظم من هذا، فالعاقبة في الدنيا بأن يكون النصر لَهُ في آخر الأمر، والعاقبة في الآخرة بأن تكون الدار الآخرة هي الجنة لَهُ دون عيره، فالعاقبة أعظم مما قال المفسر زكياً، حتى في الدنيا، إذا تقابل المتقون والفجاه، فالنهاية للمتنقين.
قال الله عز وجل: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].

قال المفسر رحمه الله: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].

قله: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].

الباء للمساحبة، ويجمل أن تكون للتعني، والمعنى: أن الإنسان إذا أتى بالحسنة مصطحبًا لها يوم القيامة، فإن له خيرًا منها، ولكن كيف ذلك؟

قال المفسر رحمه الله: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].

قله: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].

فيما يُستمتع الله به، فمن هم بحسنية؟ فَمَن يُعْمِلُ لَهُ خَيْرًا٢١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَـا" [القصص: 44].

قله: "فَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَى فَلَا خَيْرُ لَهُ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْشَّهَيْبَةِ فَلَا بُخْرَاءٌ مَّتَنَّى١٥٤ كَانَ تَعْمَلُونَ" [القصص: 44].
قال المفسر رحمه الله: [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يَجِرِّي الْذِّيْنَ عَمِلُوا الْسَيِّئَاتِ إِلَّا جَرَاءَهُ مَا كَانُوا يَعْمِلُونَ ۚ أَيَّ مِثْلَةٍ]، أي: مِنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ فإنَّهُ لا يَجِرِّي إِلَّا مِثْلَهُ، وَفَهَذَا قَالَ: [فَلَمْ يَجِرِّي الْذِّيْنَ عَمِلُوا الْسَيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمِلُونَ]، أي: إِلَّا جَرَاءَهُ مَا كَانُوا يَعْمِلُونَ، لا يُزَادُّ عليهم.

وَفِي قُوَّالِهِ: [وَمَنْ جَاءَ] فِي الْمُوْضِعِينَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُدَارَ عَلَى جَهَيْلِ الْإِنسَانِ، وَلَكِنْ، لَا عَلَى عَمْلِهِ، فَقَدْ يَعْمِلُ الْخَسَسَةَ، ثُمَّ يَرْدُ عَلَيْهَا مَا يُبْطَلْهَا، فَمثَلًا: هَذَا إِنْسَانٌ عَمِلَ صَدَقَةً ثُمَّ مَنْ يَدَأْ إِلَى أَذِي مِنْ تَصَدَّقٍ عَلَيْهِ، فَلَا تَنْكُونُ هَذَا صَدَقَةٌ، وَيُبْطَلُ، وَلَا يُتَبَعْ عَلَيْهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَإِنْسَانٌ أَخْرَ عَمِلَ سَيِّئَةً، لَكِنَّهُ نَابِثٌ مِنْ هَذَا، فَذَهَبَتْ السَيِّئَةُ، فَلا يَأْيُوْهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَقَارَوْنَ طَغِيَّ في الْأَرْضِ وَعَالَ، وَلَا يُنْبِئُ فَعَاقَبَةُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، حَتَّى صَارَ نَازِلًا.

بعد أن كان عالِيًا.

من فوائد الآية الكريمة:
القائدة الأولى: جَرَاءُ الْحَسَسَةِ خَيْرُ مِنْ هَٰذَا بِالَّذِيْنَ وَالكِيْفِيَة، أَما الْكِيْفِيَة فَالْحَسَسَةِ يُعْقِبُ عَلَى أَمْثَالَهُ، وَأَما الْكِيْفِيَةُ، فَإِنَّ جَرَاءَ الْحَسَسَةِ دَائِمٌ، وَفَعَلُ الْحَسَسَةِ لَيْسَ بَدَائِمٌ، فَالْمَعْلُومُ يَنْتَهِي بِمُوْتِ الْإِنسَانِ، وَفَيْضًا قَالَ الَّذِيْنَ تَعلَّمُونَ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ ۖ فَأَلْبَقُوهُ "خَيْرًا وَأَبَقُوهُ" [الْأُلْوَى: 16-17].

(1) أُخْرِجَهُ الْبِخَارِيُّ: كِتَابُ الرَّقَاقِ، بَابُ مِنْ هَٰذَا بِحَسَسَةِ أوْ بِسَيِّئَةِ، رَقَمٌ (۴۷۹۱) وَمُسْلِمُ: كِتَابُ الإِيَّانِ، بَابُ إِذَا هَٰذَا عَلِبَ بِحَسَسَةٍ، رَقَمٌ (۱۳۱).
الفائدة الثالثة: أن الله ليس المدار على عمل الحسنة، بل المدار على أن يأتي بالحسنة.

لقوله: "من جهه، فقد يعمل الإنسان الحسنة، ولكن يأتيها ما يبطلها، فالمدار على أن يأتي الإنسان يوم القيامة بالحسنة، لا على أن يفعلها.

الفائدة الثالثة: إثبات الجزاء لقوله: "فَلَهَ حِيْرَتُ يَتَهَا".

الفائدة الرابعة: أن السنة لا تضاءف، نأخذه من قوله تعالى: "إلا ما كانوا يعمرو".

الفائدة الخامسة: أن عدم ماضعة السنة عام في مكة، وفي غيابها، وجهه أن الآية العامة، ليس فيها استثناء، ثم إن سورة القصص مكية تزالت بمكة، والآية تزالت بِمَكَّة، ولم يُستنِث شيء.

وأم أ ما روي عن ابن عباس أنه قال: "لا أقيم في بلد حسناتكم كسيئاتكم". فهذا باطل، لا يصح عن ابن عباس، لأن ابن عباس أخبر من أن يقول مثل هذا القول.

لكن السنة في مكة تضاءف، لا من جهة المكية، ولكن من جهة الكيفية، فتكون عقوبتها أشد وأبلغ إبطالاً.

فالسيدة لا تكون عشر سيات، لكن جزاؤها يكون أشد، وهذا قال الله تعالى: "وَمَن يُرِد فِيهِ إِلَيْهِمْ مُكَارَمًا نَذِيَّةً مِنْ عَذَابِ أَلِيِّمٍ" [الحج: 25].

الفائدة السادسة: التنديد بعمل السيات، أي الذين يعمولون السيات، فإن الله قال: "ومن جاء بمتى، فلا يجري اللهيب عويلوا السيات، لم يقبل" (قلما يجري إلا ملتهما)، كما قال في آية أخرى، ولكن قال: "قلما يجري اللهيب عويلوا"، فهذا تنديد بهم، وبيان لا استحقاقهم ما يسوؤهم من العذاب، كما قاله قال: "لا يهيب عويلوا السيات".
يُجِّرون سَيَتَةٌ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ تَبْكيَتُ، وَتَنَبِّئْنَهُ بِهِمْ؛ لَعَمْلُهُمُ السيَّات.
الفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّ نَزَابَ اللَّهِ سَبَحَالَهُ وَتَعَالَ دَايِرُ بَينِ العَدْلِ وَالفَضُّلِ، وَهَذِهِ قَيْسَانُ، ثَالِثُهُمُ: الْجَوْرُ.
الفَضُّلُ بِالنَّاسِ لِلْمُحْسِنِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَبَةِ فَلَيْتَ غَيْرُ مَنْ تَنَبَّأَهَا﴾، وَالْعَدْلُ بِالنَّاسِ لِلْمُسَيِّبِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْعَصْبَةِ فَلَا يُجَزَّى أَلْبَسْتُكَ عِلُوبًا أَلْبَسَتُكَ إِلَّا مَا كَانَ بِهِ عَمِلُهُ﴾.
أَمَّا الْجَوْرُ، فَهَذَا مُتَنَّى فِي حَقِّ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْنِسٌ فَلَا يَجَافُ ظَلَمًا وَلَا هُضَامًا﴾ (طَلِيمَةٍ: 11)، فِجْزِهِ اللَّهُ تَعاَلَ دَايِرُ بَينِ الفَضُّلِ وَالْعَدْلِ.
إِذْنَ: فَهُوَ مَحْمُودُ عَلَى كُلِّ كَالِدٍ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا عَدْلٌ، وَإِمَّا فَضُّلٌ.
قال الله عز وجل: "إِنَّ اللَّهُ فَرَّضَ عَلَيْكُمْ مُّرَبَّةً لَّهُ رَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ قَلَبًا، أُعْلِمْ مِنْ جَاهِرٍ إِلَى مُخْتَلِفٍ وَمَنْ هُوَ فِي صُدُّ اللَّهِ مُهْتَدًى."

قال المفسر رضي الله عنه: [إِنَّ اللَّهُ فَرَّضَ عَلَيْكُمْ مُّرَبَّةً لَّهُ رَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ] إلى مكة وكان قد أشاقها فَلْتَرَى أُعْلِمْ مِنْ جَاهِرٍ إِلَى مُخْتَلِفٍ وَمَنْ هُوَ فِي صُدُّ اللَّهِ مُهْتَدًى، نُزِلَ جَوَابًا لِّقَوْلِكُمُ مَكَّةُ لَهُ إِنَّكُ فِي ضَلَالٍ أَيُّ فَهُوَ الجَانِبُ بِالضَّلَالِ، وَهُمُ فِي ضَلَالٍ، وأُعْلِمْ مِثْعَبَ عَالِمٍ، قُولُهُ تعالى: "إِنَّ اللَّهُ فَرَّضَ عَلَيْكُمْ مُّرَبَّةً وَهُوَ اللَّهُ وَهَذَا وَعْدُ مَهْلَكَ بِبَيْانِ الشَّاهِدِ لِيَقَاسَ عَلَى الْغَابِبِ، فَإِنَّ فَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مَثَّبَ مَحْقَقٍ، وَرَدُّهُ إِلَى مَعَادٍ مَجْرِى، وَلَا يَبْقَى مَهْلَكَ بِبَيْانِ الشَّاهِدِ. قُولُهُ تعالى: "لِرَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ هَذَا أَمَّنْ يَقَلُ بَيْنَ عَطْبٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْقِقَ الْمَجْرِى بِبَيْانِ الشَّاهِدِ، قُولُهُ تعالى: "لِرَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ"، فَسَلَّمَ بِحَسَبِ الْعَاجِلِ، لَانَ فَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مَثَّبَ مَحْقَقٍ، فَأَرَادَ سَبِيلَةً وَقَالَ أَنْ يَبْقَى الْمَجْرِى بِبَيْانِ الشَّاهِدِ، فَإِنَّ فَرْضِ الْقُرْآنِ مَثَّبَ مَحْقَقٍ، وَرَدُّهُ إِلَى مَعَادٍ مَا قُلُوْبُ مَهْلَكَ بِبَيْانِ الشَّاهِدِ، لَكِنْ هَذَا حَقَّ فَقْرُ الْمَجْرِى بِبَيْانِ الشَّاهِدِ. قال المفسر رضي الله عنه في قوله: "فَرَّضَ عَلَيْكُمْ مُّرَبَّةً لَّهُ رَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ"، وَهَذَا أَحْدُ
التفسيرين في الآية، وقيل: (فرض) بمعنى: أوجب عليك القرآن، أي: أوجب عليك بلالته وبثبئك وعمله.

أي: إن الله فرض على النبي في القرآن ثلاثه أمور: أن ينثؤه، وأن يبلغه إلى الناس، وأن يعمل به.

وحينئذ يكون قوله: (فرض عليك القرآن) أي: فرض عليك بلالته، وتبلغه، والعمل به.

وهذا التفسير أقرب إلى ظاهر اللسان لأنه فرض بمعنى الإلزام نادر ووجوده في اللغة العربية، لكن الفرض بمعنى الإلزام كبير في اللغة العربية، قال تعالى: وإن الصلاة كانت على التمرينين كنبة موقوتة [النساء: 103]، وقال رسول الله ﷺ: وأعلمنهم أن الله فرض عليهم خمس صلاوات في كل يوم وليلة.)، فهنا فرض بمعنى: أن ينثؤ وأن يعجل.

وقوله: (لذاانك) اللام هنا للتوكيد، و(دل) خبر (إن)، والمعنى أي: لم ترجع.

وقوله: (وإن معاد) قال المفسر رحمته: إلى مكان، وكان قد أشار إليها، فعلى قول المفسر رحمته: إن الذي أنزل عليك القرآن لا بد أن يعيدك إلى مكان، ففتحها، كما أن القرآن نزل عليك فيها.

وو هذا معنى كلام المفسر رحمته، فيكون المعاذ مكة، أي: مكان العود، أي: مكان الرجوع، وأنك سوف تراجع إلى المكان الذي أخرجت منه، فيكون في هذه

"(1) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرامات أموال الناس في الصدقة، رقم (148)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (19)."
الآية: "وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَّكَةً، فَأَنَّهُ يَعْقُوبَ إِلَيَّها، قَالَ ابْنُ عُبَيْسٍ.«

ومعنى قوله تعالى: "ولا يَحْيُونَ مَّكَةً إِلَّا مَّكَةً" (الإعراف: 2-7).

وهذا المعنى أُحرِّبُ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُبَيْسٍ، وَهُوَ مُزوِّرٌ عَنْهُ أَيْضًا؛ فَإِلَّا ذِئْبٌ قِدْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْمَعْنَى، وَيُبَرِّرُهُ أَنَّ السُّوْرَةِ مَكْتُوبَةً، فَإِذَا كَانَتْ مُكْتَبَةً، فَكَفَّرَ يُقَالُ يَنْيَنَ فِي مَكْتَبَةً: "لا يَحْيُونَ مَّكَةً إِلَّا مَّكَةً"، أَيْ: إِلَى مَكْتَبَةً! وَأَيْضًا هُوَ أَنْسُبُ بِالنَّسْبِ لْإِلَّى مَكْتَبَةً، فَقَوْلُهُ: "إِنَّ اللَّهِ نَفَسَ عَلَى الْقُرْآنِ" هَذَا الْفُرْضُ لَمْ يَكُنَّ عَبَّاً، بَلْ لَهُ يَوْمٌ يَعَادِ فِيهَ النَّاسِ، وَيَسَلُّونَ عَنْهُ، وَيُجَازُونَ فِيهِ.

وَهَذَا الْقُولُ هُوَ الصَّوَابُ، وَمَا قَالَهُ ابْنُ عُبَيْسٍ لَهُ وَجَهٌ، لَكِنَّهُ بَعِيدٌ.

فَيَكُونَ مَعْنَى قُوْلُهُ: "إِلَى مَكْتَبَةً" أَيْ: إِلَى مَكْتَبَةً، فَيَكُونُ إِشْرَاءٌ إِلَى فِتْحِ مَكْتَبَةٍ، وَعَلَامَةً عَلَى قُرْبِ أَجْلِ النَّبِيِّ، وَقُربُ الأَجْلِ مَعَاهُ الْمُوْتُ، ثُمَّ الْبَعْثُ.

قُوْلُهُ تَعَالَى: "ذَٰلِكَ الرَّبِيعَةُ هِنَا خَاصَّةٌ، أَيْ: رَبِّي الَّذِي أَرْسَلْنَا أَعْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ بَلْ هُدِيَ وَمِنْ هَوَى فِي صَلَالِهِ"، أَيْ: يَعْلَمُ مِنْ هُوَ أَيْ بَلْ هُدِيَ، وَمِنْهُ هُوَ فِي صَلَالِهِ.

(1) أَخْرِجَهُ الْبَخَارِيُّ كَتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قُوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّ اللَّهِ نَفَسَ عَلَى الْقُرْآنِ" لَرَأَى ذُکَّرَ إلى مَعَارَ، رَمَضَانُ (4777).
مَيْسِيْنِ، هَلْ هُوَ الرَّسُولُ، أُوْلَٰىٰ، وَهَذَا كَفْوُّ الْعَلَامِ: "فَأَي* أَوْ يِبَّأَسْكَمْ لَعْنَ هُدَى أَوْ إِنَّهُ مِيْسِيْنِ "(يُسَاءةٌ: 23)، فَاللهُ أَعْلِمُ.
قال المفسر رحمته الله: إنَّ {أَعْلَمُ} بمعنى: (عالم).
 قوله: {أَعْلَمُ} اسم تفضيل، قوله: {مَنَ} اسم موصول، وإعرابها فيه ثلاثنة.
أوِجِّهَ:
الإعراب الأول: هو مآل كلام المفسر رحمته الله، وهو أنَّ {أَعْلَمُ} بمعنى: عالم، و {مَنَ} مفعول به.
الإعراب الثاني: أنَّ {أَعْلَمُ} اسم تفضيل على بابه، و {مَنَ} مفعول به لاسم التفضيل، وهذا رأي الكوفيين.
الإعراب الثالث: أنَّ {مَنَ} مفعول به لفعل مُعْنَى حَدُّوف دَلَّ عَلَيْهِ السياق، والتقدير.
عِنْدَ مَنْ قَالَ بَيْدَاء الراي: قال ربي أَعْلَمُ يَعْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ بِالْحَدَى، فيجعلون {مَنَ} مفعولاً.
لِفَعْل مُحْذَف تَقْدِيَرِهِ: يَعْلَمُ، وَهَذَا تَقْدِيَر مُتَّلَقِّي.
فالآراء إذن ثالثة، والقاعدة عندنا أنَّهُ إذا اختلف التَّحْوُيْنُ في مَيْسِيْنِ أخذنا
بالأسهل، وأَسَهْلُ هذه الآراء رأي الكوفيين؛ لأنَّ الكوفيين لا يُقَتَّلُونَ إلى تقدير
وَلَا غَيْرُهُ، لا تقدير (يَعْلَمُ)، ولا تأويل (أَعْلَمُ) بمعنى: عالم، يقول: {أَعْلَمُ} اسم تفضيل، و {مَنَ} مفعول به، فهو مفعول به ل {أَعْلَمُ} مباشرة.
 وَقَوْلُهُ: {مَنْ جَاهِلٍ بِالْحَدَى}، الهدى المَرَادِّ يَعْلَمُ النَّافع، والذي جاء بالهدى
هو البَيْسِيّ.
وقوله: {رَمَيْنَ هُوَ فِي صَلَالِ مَيْسِيْنِ} أي: وأَعْلَمُ مِنْ هَوَى فِي صَلَالِ مَيْسِيْنِ، وَمَيْسِيْنِ.
سورة الفتح (الآية : 86)

يَمِنَ لَا يَبْتَهُ، وَأَنَى بِهِ (فِي) الْدَّالِئَةِ عَلَى الْظَّرِيفَةِ، كَانَ هَذَا مُنَغَّسٌ فِي الْضَّلَالِ،
والضَّلَالُ مَحِيطُ بِهِ مِنْ كُلٍّ جَانِبٍ إِحَاطَةٌ الْظَّرِيفُ بِالْمَظَرُوفِ، كَمَا تَقُولُ: (الَّذِي فِي
الأَئِنَّاءِ)، وَ(الْإِنَاءِ مَحِيطٌ بِالْمَهَاءِ مِنْ كُلٍّ جَانِبٍ)، كَمَا قَالَ الْلَّهُ ﴿عَلَى﴾: أَوَمَّنْ كَانَ مِنْكُمُ
فَأَحْيَا نَفْسَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ ثُمَّ نَزَّلْنَا ثُمَّ نَزَّلْنَا يَدَيْهِ، فِي النَّاسِ كَمْ مَتَّعُوهُ في الْقُلُوبِ لَا يَبْتَغُونَ
نَفْسَهُ﴾ [الأنعام: 122]. فهذا الضَّلَالُ مَحِيطُ بِهِ حَوْلَاءِ مِنْ كُلٍّ جَانِبٍ.

وَقُولُهُ: (مَيَيِّنَ) بِمَعْنَى: بَيْنٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَ الْفَجْرِ وَأَبَانَ الْفَجْرِ،
بِمَعْنَى: ظَهْرٍ، كَانَ الْرَّبَاعِيُّ مِثْلُ الثَّلَاثِي، فَقَلِلَ هَذَا يَكُونُ (مَيَيِّنَ) مِنْ الْرَّبَاعِيِّ، لَكِنَّهُ
بِمَعْنَى الثَّلَاثِيَّ، أَيْ: بَيْنٍ.

وَلَمْ يَقُلْ: (أَعْلَمُ مِنْ جَاهٍ بِالْهَدِى، وَمَنْ لَا يَبْتَهُ) لَكِنْ لَاتَ وَاسِطَةَ بَيْنَ الْهَدِى
والضَّلَالِ، فَالْأَمَرُ إِلَّا هُدَىٰ، وَإِلَّا ضَلَالٍ، وَيَبْدِلُ عَلَى ذَلِكَ قُولُهُ ﴿تَرَى﴾: فَمَا أَتَتَ
الْأَلْحَيِّ إِلَّا الْأَسْلَنَّ، [يونس: 23]. وَقُولُهُ: (وَإِنَّا أَوْ يَكَّسَبُونَ مَعْلُوْهُ أَوْ فِي صَنُّلٍ) [سَبِيْل: 24].

فَلَيَسَّتْ هُناكَ وَسْطٌ بَيْنَ الْهَدِىَّ وَالضَّلَالِ، فَلا يَكُونُ الْإِنسَانُ لَا مُهْتَدِيًا
ولا ضَلِّيًا، ثُلُثُ النَّاسِ كُلُّهُمْ إِيَّاهُ مُهْتَدِيًا، وَإِيَّاهُ ضَلِّيًا، فَقَالَ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي حَفْقَرَ كَفَّارَ
سَكَابَ وَمِنْكُمْ مَوْمِئِيَّةٌ وَاللَّهُ يُصِبُّنَّ بِصِيَادٍ) [النَّاسِب: 28]. فَفَاسِرُ دَائِرُ بَيْنَ شَبَتبَينَ كِلَالَهَا
قَوْلُهُ لِلآخِرِ، وَهَمَا الْهَدِىَّ وَالضَّلَالِ؛ لَا يَكُونُ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُا.

يَقُولُ الْمُقْسِرُ رَحْمَتُ اللَّهِ: (تَرَى جَوَّابًا لَّيْوَكُلُ كَفَّارٌ مُكَافَرٌ لَّهُ: إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ، أُيُّوقُ
الجَافِي بِالْمَهَاءِ، وَهُمْ فِي ضَلَالٍ، وَ(أَعْلَمُ) بِمَعْنَى عَالِمٍ[.]

واحْتَمَالُ مَا قَالَهُ الْمُقْسِرُ رَحْمَتُ اللَّهِ صَحِيحُ، بِأَنْهُمْ قَالُوا هَكَذَا، فَقَرْنُتَ الآيَةَ،
وَيَقُولُ أَنَّهُ عَيْنُ صَحِيحٌ؛ لَكِنَّ سَبَبَ النَّزُولِ لَا بِدَ أَنْ يُقَدِّرَ بِدِيْلٌ صَحِيحٍ، أَنَا مُجَرَّدُ
أن تفهم من السياق أن أنهم قالوا، وقيل هم، فهذا لا يجوز؛ لأن سبب النزول أمر منقول، والأمر المنقول لا يمكن أن يستنجه الإنسان بعقله.

من فوائد الآية الكريمة:

القرآن الأولي: ووجب تلاوته القرآن، والعمل به، وتبليغه على النبي لقوله: 
(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْنَا آيَاتٍ لَّن نَّفَرِّقَنَّ فِيهَا عَلَيْنَا أَيَّامٍ).

الفائدة الثانية: إثبات البث في قوله: (نَزَّلَهُ إِلَى مَعَارِض).

الفائدة الثالثة: الحكمة من إنزال القرآن، وهو المجازاة على العمل به؛ لأن قوله: 
(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْنَا آيَاتٍ لَّن نَّفَرِّقَنَّ فِيهَا عَلَيْنَا أَيَّامٍ) كأنه علامة وملحوظة، كأنه إنما فرض القرآن من أجل المجازاة عليه.

الفائدة الرابعة: دوام قُدرة الله عزِّ جلَّه على البث، في قوله: (نَزَّلَهُ إِلَى مَيِّت).

الفائدة الخامسة: إثبات علم الله، وأنه أكمل العلوم، في قوله: (قُلُّ تَزْييدَ أُمُّ الْعَلَمِ)

الفائدة السادسة: أننا ما عدا الهدى فهو ضلال، لقوله: (أَلَمْ نَجَابَّ أَمْلِكَ).

ويمن هُوَ فِي صَلَّتِي بِسْيَنِيم، وأنه ليس نمًا واسطة بين الهدى والضلال، وذكرنا آيات شواهد هذا الأمر. مثل قوله تعالى: (فَمَّا ذَيَّدَنَّكُمْ إِلَّا الْبَيِّنَاتُ، إِلَّا أَلِفَةً) [يونس: 22]، ومثل قوله تعالى: (وَلَا أَيْقَانُكُمْ لَمَّا هَدَى أَرِيَتُمْ فِي صَلَّتِي بِسْيَنِيم) [ساب: 24]، وهذا المثال.

وفي الحقيقة تبين به أشياء كثيرة التنبؤ على بعض الناس، فمثلها ما نشأ في الصحف هذه الأيام من أن الأشعرية هم من أهل السنة والجماعة!
ونحن نسأل: هل قول الأشعرية هو قول السلف؟
والجواب: لا؛ لأن الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا، على أن إثباتهم
له ليس على الوجه الذي يرده الله ورسوله؛ لأنهم يثبتون -مثلاً- الكلام، ويقولون:
إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وليس هو الحروف والأصوات، وهكذا، فهم
غير موافقين للسلف.
فإذا كان كذلك، فإنهما أن يكونوا هما على الحق، والسلف على الصلاة، وإذا
أن يكون السلف على الحق، وهؤلاء على الصلاة، وليس هناك مربحة متوسطة بينه.
هذا وذالك؛ لأن الله يقول: "فماذا بعد الحق إلا الصلاة" [يونس: 23].
ومبنيين يكونون ضالين، وإذا تبت ضلالهم، فإنه لا يمكن أبداً أن يقال:
إنه من أهل السنة والجماعة؛ لأنه يلزم من ذلك أن تكون السنة صلالة، وهذا أمر
غير ممكن.
ولكن يجب أن نعرف -وإن فلتنا: إنهما ضالون في العقيدة- أنه لا يلزم أن
نصللهم في كل شيء، وتخرجهم من السنة والجماعة في جميع الأشياء؛ لأن هؤلاء
منهم أئمة، أو منهم علماء كبار لا شك أنهم يتحرون السنة في أمور كثيرة، وأنهم
موفقون لها أيضًا.
فإن الإنسان يجب أن يكون كلامه في الناس بالعدل، والقسطاس المستقيم.
فلا يهضم أحدًا حقه، ولا يعطي آخر أكثر من حقه.
فالحاصل: أن هناك ميزانًا ذكره الله هناء، وفي آيات أخرى، وهو ميزان واضح
جددًا، وأن الأمر ليس إلا حقًا، أو ضلالة.
الفائدة السابعة: إثبات أن الرسول ﷺ على الهدي، من قوله: "أعلم من جاء بهدئ"، ومعلوم أن الذي جاء وورث على الناس هو الرسول ﷺ؛ لأن أهل الجاهلية بقفاً على ما هم عليه، ما جاءوا بهدئ، والذي جاء بجديد هو الرسول ﷺ.

فقوله تعالى: "أعلم من جاء بهدئ" يشير إلى أن الرسول ﷺ جاء بالهدئ، وأن أولئك في صلال مبين.
قال الله علیه السلام: "وما كنت ترجعوا أن بلغت إليك الصحبة إلا رحمة من ربك فلا تكون ظهيرة للكفرنين" (القصص: 86).

قال المفسر رحمه الله: "وما كنت ترجعوا أن بلغت إليك الصحبة القرآن إلا أن ألقى إليك رحمة من ربك فلا تكون ظهيرة ئل الكفرنين" علی دينهم الذي دعاوك إلیه].

قوله: "وما كنت ترجعوا" في رسم المصحف هناك ألف وصل بعد وواو المضارع "رحيماً"، وهي هنا رائدة في الرسم، ولیست على قواعد الكتابة في عصرنا الحالي، فحسب قواعد الإملاء لا تكتب إلا إذا كانت الواو للمجاعة، مثل: (قالوا)، فتقطع الالف بعدها، أمّا إذا كانت الواو الفعل فإنا لا نكتب، لكن هذه الكتابة في القرآن كانت على الرسم العثماني، فيُسْمِّونه، سواء كان موافقاً للقواعد الحاضرة أم لم يكن موافقاً.

قال المفسر رحمه الله: "وما كنت ترجعوا أن بلغت إليك الصحبة القرآن].

قوله: "بلغت إليك" أي: ينبأ علیك، فما كان الرسول يرجو هذا، ولا يُحْتَرَب بالله أنه يلقي إليه القرآن، فإنّ إذا كان لم يُحْتَرَب بالله أن يلقي إليه القرآن، فلا يمكِّن أن يقال: إنه تعلّمه من غبّر، لأن المعتمل للشيء من غبر لا بد أن يكون.
عندِهُ أمَلٌ في الحصول عليه، حتى يقع في أسابيع ويجلَّله، أما شخص لم يكن يرجو ذلك إطلاقًا، ولم ينظر إليها أن يلقي إليه الكتاب، فهُوًا دليل على أنه ليس من عنده، بل هو من عند الله سبحانه وتعالى.

وقوله: {أَلَيْكُمْذُبِّرُتُمْ} نائب فاعل، وهو القرآن، وكتاب بمعنى مكتوب:

ووصف القرآن به، لأن مكتوب في الله المحفوظ، مكتوب بأيدي الملائكة، ومكتوب بأيدي الناس، فهو مكتوب، وهو في أيدي الملائكة، ومكتوب أيضًا، وهو في أيدي الناس، ودلته في سورة عيسى: {فِي مَثْعَابِ تَكَبِّرٍ} (سورة عيسى: 15.}

قوله تعالى: {إِلَّا رَحْمَةٌ} قال المفسر رحمه الله: {لكن أَلْقِي إِلَيْكُ} إشارة منه إلى أن الاستثناء هنا منقطع، وليس متصلًا؛ لأن المنصل أن يكون المستنى من جنس المستنى منه، وعلوم أن الرحمة ليست هي الرجاء، وليست منه، فالرسول ﷺ ما كان يرجو ذلك، ولكن الآمر حصل لمجرد الرحمة.

وأنا أقول: إن {إِلَّا رَحْمَةٌ} آداء استثناء، والاستثناء هنا منقطع، {رحمة} منصوب على الاستثناء، ويجب أن يكون مصوبًا على أنه مفعول له يعني: مفعول من أجله، أي: ولكن أنزل لأجل الرحمة، والرحمة هنا للرسول ﷺ ولغيره، قال الله تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رَحْمَةٍ لِّلنَّاسِ} (الأنبياء: 71).

قوله تعالى: {فَلَا تَكُونُ طُهْرًا} هذا ذكر الزووية الخالصة؛ لأن رحمة الله للنبي عليه السلام بالرسالة رحمة خاصّة، وأنه ألقى إليك الكتاب: {رحمة من رُبُوك}.

قوله تعالى: {فَلَا تَكُونُ} لا ناهية، والفعل بعدها مبني على الفتح؛ لأنصالة.
بنون التوكيذ، وَهُوَ في مَحِيل جَزِم.
والخطاب هنا للرسول ﷺ، ولكن كيف يُنْهِي الرَّسُول ﷺ أن يكون ظَهِيرًا لِلْكَفِيْرِينَ؟
بِعَضُ الْمَنْسِرِينَ يقول: إن هَذَا الحِجَاب لِلِّرَسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُرَادِ بِهِ
الأُمَةِ، ولِكِنْهُ عَلَى حَدٍّ قولَ الشَّاعِرِ:(١)
إِنَّا أَخْيِي وَأَسْمَعُي بَيْنَ جَارَةٍ
وَقَالَ بَنْصُهُمْ: بِلِّالخطاب لِلِّرَسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالُوا: النَّهَيُ عَنِ الشَّيْءِ
لَا يُلْزَمُ مِنْهُ الْوَقُوعَ.
فَإِذَا قَالَ قَالُوا: لَا يُلْزَمُ مِنْهُ الْوَقُوعَ، لَكِنْ هَلْ يُلْزَمُ مِنْهُ جَوْاز الْوَقُوعَ، بِمَعْنَى:
أَنَّ يُكْونُ الرَّسُولُ ظَهِيرًا لِلْكَفِيْرِينَ؟
نَقُولُ لَهُ: لَا يُصْحِبُ; لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَسْتَحِيلًا، فَالنَّهَيِّ عِنْ المَسْتَحِيلِ هُوَ.
وَالجَوْابَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِينِ:
الوجه الأول: إِنَّمَا تَقُولُ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَوْلَا نَبِيَّتَهُ لَزَكَّى الرَّسُولَ ﷺ لَرَكَّزَ إِلَيْهِمْ.
كَأْنَاءُ في قُوَّتِهِ تَعَالَ: ﴿وَفَوْلاَ أَنْ تُنْسِنَاكَ ﻟِلَّذِي كَدَّرْتُ ﻟَكَ ﻣِنْ بَيْنِي إِلَيْهِمْ مَدْيَنَ ﴾ إِذَا
لَا يَقْبَلُونَ عَلَى الْحُجُّوْةَ وَصِفَّ عَلَى الصُّمَّامِانَ مَثُّ لا تَجُدُّهُ إِلَّا عَلَيْهِ نَصْبًا ﴿[الإِسْرَاءٍ:٤٧-٥٨]﴾.
الوجه الثاني: أَنَّ قَالُوا: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُرَادُ لِلْكَافِرِينَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُظَاهِرَةٌ، فَنَهَاهُ اللهُ تَعَالَ عَنْهُ; لَأَجِلَّ أَنَّ يُكْونَ
مَظَاهِرَةٌ لِلْكَافِرِينَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُظَاهِرَةٌ، فَنَهَاهُ اللهُ تَعَالَ عَنْهُ; لَأَجِلَّ أَنَّ يُكْونَ
(١) هذَا عَجْرُ بِتْ قَالَهُ سَهْلَ بْنُ مَالِكِ الْفَزْوارِي، كَأْيَنِّ مِنْ مَجْمَعِ الأمِثَالِ لِلْمِيدَانِ (١٧٩٤) ﷺ، وَصَدَّرَهُ:
أَصِبْ بِهِ بُقْوَى حُرَّةٍ مَعَطَارَةٌ
مِنْهَا عَلَيْهِ حَذَرٌ، وَعَلَى بُعْدِ يَنْهِي عَلَى هُؤُلَاءِ الكَافِرِينَ.

أَمْرٌ قَدْ تَجَزَّوْرَ لِلرُسُولِ ﷺ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ الْحَادِي، وَفَعَّلَهُ، فَفَرَضَ أَنْ هَذَا

مِنْ التحليلاً الْمَهْمَا، لَا يَمْكُونُ، فَيَكُونُ عَاطِداً إِلَى الرُّسُولِ ﷺ، بِتَعَلَّمَهُ الْحَادِي،

الطبيعية، أَمْرًا بَشِرِّيًّا فَلا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ.

قَالَ الْمَفْسِرُ رَحمَّهُمَا [رَبِّ يَا لِلْكُفَّارِ] عَلَى دِينِهِمْ.

الرُّسُولِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا كَانَ مَعْتِمًا لِلْكَافِرِينَ، لَكِنَّهُ يَنْهَى عَنْ أَمْرٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

وَإِيَّاَهُ، وَلَا تَمْثَرَّرَ أَنْ يَقُولَ، كَمَا قَالَ نُوحٌ ﷺ أَيُّهَا النَّاسُ بَشَرُّكُمْ [المَدْخِل: 187]،

دِيَارَتُهُ ﷺ، مِنْهَا لَا يَمْكُنُ أَنْ يُشِّكَّكُ، وَلَكِنَّهُ يَهْيَى عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِنَّ النَّهْيِ هُوَ

وَقَيلَ: بَلْ إِنَّ النَّهْيِ نَهْيٌ حَقِيقِي لَهُ، وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَاقِعًا مِنْهُ، وَالْفَائِدةُ مِنْ

ذَلِكَ يُنْيِي أَنِ هَذَا الأَمْرَ لَا يَنْبِغي أَنْ يَكُونَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

الْفَائِدةُ الْأُوْلِيَّةُ: أَنَّ الرُّسُولِ ﷺ مَا كَانَ يَتَطَاوِلُ الْرُّسُالَةُ، وَلَا حَطَّرَتْ لَهُ عَلَى

بَالِهِ، تَأْخُذُهُ مِنْ قَوْلِهِ عَالِيَ: «وَمَا كَتَبَ نَزِحُوا أَنْ يُلْقِيِ إِلَيْكُمْ الْعَسَّابَتُ بمِنْ هَلْكَ.

الْفَائِدةُ الْثانيةُ: بِيَانِ تَكْذِيبِ اللَّدِينِ قَالُوا: "إِنَّمَا يُمِينَهُ بَشَرُّهُ" [النَّحل: 103]،

فَالْكَفَارُ يَقُولُونَ: إِنَّا يَعْلَمُ مُحَمَّدَا، وَعَلَمَهُ مُحَمَّدًا، كَانَ الرُّسُولُ ﷺ يَعْلَمُ مِنْ هَلْكَ،

لَكَانَ مُتَطَلِّعًا لِهَذَا الْقُرْآنِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: "وَمَا كَتَبَ نَزِحُوا أَنْ يُلْقِيِ إِلَيْكُمْ الْعَسَّابَتُ.

الْفَائِدةُ الطَّالِبَةُ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مَحَمَّدٌ ﷺ اضْرَمُّهُ لِلْمَلْحَقِ، رَحِمَةً فِي
الذَّيْنَا وَالآخَرَةُ؛ فِي الْذَّيْنَا تَسْتَقِرُ الأمُورُ، وَتَصَلُّحُ أحَوَالَهُم، وَيُعْلَوْنَ أَمَرُهُمْ، وَفِي
الآخَرَةِ يَكُونُونَ في جَنَّاتِ النَّعْمَٰٰمٍ.

فَهَذَا الْقُرآنُ رحْمَةٌ أَوْلَى وَآخِرًا، وَهُوَ أَعْظَمُ نُعْمَةً مِّنَ اللَّهِ صَبْرًا وَتَكَالُ، وَأَعْظَم
مِنْ نُزْوُلِ المَطْرِ الَّذِي نَحْيَا يِبِ الأَرْضِ؛ لَكَنَّ الْقُرآنَ نَحْيَا يِبِ الْقُلُوب، وَتَصَلُّحُ بِهِ الْأَعْرَافِ،
وِحِيَا القُلُوبِ وَالْأَعْرَافِ نَحْيَا الأَرْضِ، قَالَ تَعالَى: فَولَّوْا أَنْ أُهِلَّ الْقُلُوبُ مَاتًا وَأَنْفَقُوا
لَفْنَحَا عَلَيْهِمْ بَرْكَتًا مِّنِّ النَّعْمَةِ وَالْأَرْضِ [الأَعْرَافٍ: 96].

الْفَائِدَةُ الْرَّابِعَةُ: إِثْبَاتُ رُبُوبَیَّةَ اللَّهِ الْخَاصَّةَ لِلْقُرآنِ ؛ بَعْقَةُ: فَمِنْ رَبِّكُ 
فَهَذَا يَقْطَسُ رُبُوبَیَّةَ خَاصَّةً، كَمَا أَنَّ الْمُذَّبِّرَ نَجْيُودَةٌ خَاصَّةً؛ فَعَبْدَوْنَهُ خَاصَّهُ
وُرْبُوبَیَّةُ اللَّهِ لَهُ خَاصَّةً أَيْضًا.

وَإِذَا شَتَتَ أن تَعِرَفُ أنَّ الرُّبُوبَیَّةَ نُوعٌ، فَأَقْرَأْ قَوْلُ اللَّهِ تَعالَى عَنْ سَحْرَةِ الْآلِ
فِرْعَوْنِ الْذِّلِينَ آمَنُوا: قَالُوا مَائَةٌ يَپْرَبُّ الْمُلْتَئِيْنِ ۖ لَيْبُ مُسْتَوِيَ وَهُدُورًا [السَّجَدَةِ: 47–48]
فَأَلْوَٰلِ عَامَّةً، وَالثَّانِیَةَ خَاصَّةً.

الْفَائِدَةُ الْخَاتِمَةُ: مِّنْ قَوْلِهِ: فَلا تَكُونُمُ ظَهِيرًا لِلنَّكْفِرِينَ، فَفيهُ تَحْرِيمُ مُظَاهَرَة
الْكَفَارَةِ، أَيْ: مَعَاوِنَتُهُمْ؛ لَكِنَّ النَّهَّيَ لِلْتَحْرِيمِ، لَا سَيْجَمَا وَقَدْ أَكْلَ يُنُونُ التَّوْكِيدِ؛ لَكِن
النُّونُ هُنَا لِلْتَوْكِيدِ، وَالْبَلَاغُ عَلَى التَّوْكِيدِ أَنَّ الْفِعْلَ بُيِّنَ عَلَى الْفَتْحِ
وَالْمَعَاوِنَةُ لِلْكَفَارَةِ تَكُونُ مَعاوِنَةَ عَسْكِرِیَةٍ، وَمَعَاوِنَةَ فَکَرْیَةٍ، وَمَعَاوِنَةَ مَالِیَةٍ
وِمَعَانِیَة، فَكَلَّمًا مَا فِي مَعاوِنَةِ الْکَفَارَةِ وَمَسَاعِدَهُمْ وَتَقْوُیَهُمْ؛ فَإِنَّهُ مُحَرَّمً، لَكِنَّ الْوَفِیَّ
عَلَیْهَا - نِحْنَ الْمُسْلِمِينَ - الْمَعَسِیَ مِنْ ذَلِکَ، الْوَفِیَّ عَلَیْنَا إِذْهَلَالِهِمْ، وَخَذْهُمْ بِكُلِّ
مَا نَسْتَطِيعُ، بَلْ قَدْ قَالَ اللَّهُ الْعَلیمُ الْعَلِیمُ: يَبْنَیَّنَا الْمُذَّبِّرَ جَهَیْدًا الْحَسُنَاءِ وَالْمُسْنِفِینَ
وَأَعْلَمُ عَلَیْهِمُ [التَّوْبَةِ: 72]، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِینَ: يِبْنَیَّنَا الْذِّلِینَ مَا أَسْتَعَلَیْنَا الْدِّیَبَّ بَلْوَکُمْ
نَرْبُ البيتُ الصُّفَرَ وَلَا يَجِدُوا فِي كُلِّ عَلَقُةٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ السَّنَيْنَ [النَّبِيَّة: 123]، وَأَنَّ هَذَا مِن تَفْقُوَةِ اللَّهِ؛ إِذَا قَاتَلُوْا هُمْ فَلِيَجِدُوا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَمَعْنَى هُذَا: أَنَا إِذَا لَمْ نُقَاتِلْهُمْ، وَوَجَدْنَا مَنًا الْلَّهِيِّ، فَإِن هَذَا مَحَافَلٌ لِلْمَلَائِكَةِ.

وَالحَامِلُ: أَنَّهُ لَا يَجِرُّ مُعاوِنَةَ الْكُفَّارِ بِأَيِّ وَجْهٍ مِنْ وَجْهِ الْمُؤَاوِينَةِ، وَهُوَ مِنْ أَخْطَرِ الأُمُورِ؛ لَكَمَا اللَّهُ يَقُولُ: «وَمَن يَتْوَجَّهُ فِي نَدَايْنِ يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَيُهْدَى الْقُوَّمُ». [المُلْقَادِينَ: 51].
قال الله عزّ وجلّ: "ولا يصدونك عما بيّن الله بعد إذ أزلك إلينا، وأذن إلينا. ولنا كل تニュース من الشياطين" (القصص: 87).

قال المفسرون رحمهم الله: ["ولا يصدونك"] أصله يصدونك، حذفت نون الرفع للفاتح، والواو للفاعل لالتقائها مع النون الساكنة، عن نبين الله بعد إذ أزلك إلينا. أي لا ترجع إلينهم في ذلك وأذن إلينا. الناس إلى ربيك لتوجيهه وعبادته، ولا تكون من الشياطين بإعلانهم، ولم يُؤثر الجزاء في الفعل لبئسه.

قوله: "تصدونك" أصله يصدونك قبل دخوله (لا) الناهية، وما دخلت (لا) الناهية وجب حذف النون الأول للجزاء، فصارت: يصدونك، فلا حذفنا النون الأول أصبح لدينا واأساح، لأنه نون مشددة، والنون المشددة عبارة عن نون الأول ساكنة والثانية متحركة، فيلتقينا ساكنة، وإذا التقينا ساكنة وجب حذف الأول وينهها، قال ابن مالك في الكافية: فإن ساكناً التقينا أكبر ما سبق، وإن يذكر ليّنا فحدثه استححب.

أما قوله تعالى: [ولستم مكركون] (ال عمران: 187)، فليس في هذا الباب، لأن الفعل ممشوق جازم، وأصله: لسمعون، فحدثت النون الأول ليتوالي الأمثال، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، أي النون المشددة والواو الساكنة.
فَأَلْوَى أَنْ تَحْيِلْ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَكْرِ الصَّدٍّ عَلَى النَّهيَّة المَتَعْدِي، لا عَلَى الْلازم.
وَهَنَا فِي قُوْلِهِ: "وَلَا يَصِدَّنَا" الفَعْل مَتَعَدَ، بَدْلِيل الكافِر، فهي مَفْعُولٌ بِهِ، أي: لا يَضِرُّ فَنَّكُ هُؤُلاء عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وِالمَرَاد هُم الآيَاتُ الشرعِيَّة.
قُولُه تعالى: "وَلَا يَصِدَّنَا عَنْ مَآيِتِ اللَّهِ" أي: عَنْ التَّرَايْنِ الْآيَاتُ اللَّهِ أَعْرَضْتُ، قَالَ تَعَالَ: "مَآيِتُ اللَّهِ تَكُونُ عَلَيْكَ يَلْحَقُهُ يَقِيَّةً حَيْثُ تَقُلُّ اللَّهُ وَمَا يُقَانُهُ يَوْمَئِنَّ" [الجاثية: 6]، وَكُونَ الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَ؛ لَانَّهُ كَلَامُهُ، وَمَا يَضْمَنُهُ مِنَ الأَحْيَاءِ، والْقَصَصِ النَّافِعَةِ، وَالْاِحْكَامِ العَادِلَةِ؛ وَلَابْنَةُ لَا يُمْكِنْ لَأَحْدٌ أَنْ يَبْتَغَ يَمِّيَّزَهُ، كَأَقَالَ: "إِنْ يَقُولُونَ لَفَلْ لَا يُؤْمِنُونَ" [الطُّور: 33-42]، فَهُنَا تَحْدَّ هُؤُلاءَ الأَعْدَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَقْوَى النَّاسِ فَسَحَّة، وَمَعَ ذَلِكَ عَجَرُوا، وَمَا عَسَطُوا، وَهَذَا كَانَ الْقُرْآنُ آيَةً مِنَ آيَاتِ اللَّهِ.
قُولُهُ: "بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ"؛ إِذَا قُلْنَا: مَا الْقَائِيَةُ مِنْ قُوْلِهِ: "بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِلَا إِذْ كَانَتْ نَازِلَةً؟"، وَأَصُولُ النَّهَايَةِ لَا يَقْعُ: "وَلا يَصِدَّنَا عَنْ مَآيِتِ اللَّهِ" إِلَاءَ إِذْ كَانَتْ نَازِلَةً؟
فهل هذا الكلام؟ هو لا فائدة منه؟

الجواب: لا، ليس لهو لا فائدة منه، بل فيه فائدة، وهو تذكير للرسولостью.

هذه الخاتمة والمستند، وهو أنها أثرت من عند الله، فإذا كان يذكر هذا المستند، فإنه لا يمكن لأحد أن يصدك عنه، وإن كان مفعوماً أن الصد عن الشيء لا يكون إلا يوجوه، لكنه لأجل أن يذكر الرسول عليه السلام بحال الإحرام حتى يكون ذلك أثبت له.

وقوله: «فقد إذا أدرت إليك» قال المفسر أحمد: [أي: لا ترجع إليهم في ذلك]، وهذا التفسير ليس صحيح لأن صدهم للرسول عليه السلام عميد أثر لإليه لا يستلزم أن ترجع إليهم، فقد يرضون منه أن يخرج من دينه، وإن لم يوافقهم على دينهم؛ لأن أعداء المسلمين يقولون: نحن لا نريد أن يكون المسلمون نصارى أو يوهوا، بل نريد أن يخرجوا من دينهم فقط.

وقوله تعالى: [واعذ إلى ربك الدعاء: الطلب، يعني: اطلب من الناس أن يدخلوا في دين الله، وادع الناس.

وقد أفاد المفسر أحمد: أنه المفعول محذوف، فقال: [واعذ الناس، إلى ربك]; لتوجيهه وعبادته، هذا التفسير للدعاء، وأن يدعوهم إلى التوحيد والعبادة، والتوحيد له أنواع ثلاثة، وهي:

توحيد الألهية، وتوحيد الروبية، وتوحيد الأشياء والصفات، فيكون المؤذ.

اذع إلى كل هذه الأنواع، بالإضافة إلى دعوتهما إلى العبادة.

وهذا هو المهم، أن تكون دعوة الإنسان إلى الله عزّ وجلّ، لا إلى أيّ قصد آخر.
فَمَنْ دَعا النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ لِيُقْوَى جِبَاثَهُمْ، وَيُكْثِرُ عَدَدهُم، فَلِيسَ بِدَعَاءٍ إِلَى اللَّهِ
وَمَنْ دَعا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُ لَهُ وَجْهٌ بَيْنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ لمْ يَدْعُ إِلَى
اللَّهِ، بَلْ لِنَبِدْ أَنْ يَدْعُو الإِنْسَانُ إِلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ لَهُ عَرْضٌ، اللَّهُمَّ إِلاَّ رَجُلٌ يَقُولُ: أَنَا
أُجْبِرُ أَنْ تُقِىَ الزِّبَاحَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَمْكَنُ مِنْ الدِّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ. فَهَذَا
لَا حَرِيقٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مَعِ ذَلِكَ أَوْلَى أَنْ يَقِسَدَ الْقَضَاءَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَلاَ حَرِيقٌ عَلَى
الإِنْسَانِ إِنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَجَالَدَ: "فَهُوَ الَّذِي أَذَّكَرَ يَتَّقُو، وَيُؤْمِنُ بِالْقُوَّةِ".[النَّافِع: 22-23]
وَأَلْفَ بِيَبْتِ قُلُوبَهُمْ.

قُوَّلَهُ تَحْكَمُ: "وَأَذَّكَرُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونُنَّ مِنَ الشَّرِّكِينَ" قَالَ الْمُفسَّرُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

هَذَا فَصَلَ المُفسَّرُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْآيَةَ فِي تَفْسِيرِهِ قَدْ يَكُونُ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، فقَالَ: إِنَّ
قُوَّلَهُ: "وَلاَ تَكُونُنَّ مِنَ الشَّرِّكِينَ" لَمْ يُكْنَى مَعْنَىَ: لَا تَشَرَّكُ، فَالْرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَسِبَاءُ
أَنْ يَشَرَّكُ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى بِإِعَانَتِهِمْ، فَإِنَّ مِنْ أَعْنَاقَ قَوْمَهُ، فَهُوَ مِنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَحْكَمُ:
"وَمَنْ يَنْتَهِي مِنْهُ إِلَى اللَّهُ وَيَنْتَهِي إِلَى اللَّهِ وَيَنْتَهِي إِلَى الْكُتَبِ إِنْ أَنتُ لَيْسَ مِنَ الشَّرِّكِينَ" [السَّبِيْل: 10]، فَكَانَ الْمُفسَّرُ رَحْمَةُ اللَّهِ
يَقُولُ: إِنَّ اللَّهُ إِنْ لَمْ يُهْيَهُ رَسُولًا فَلَا يَكُونُ مِنَ الشَّرِّكِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُكْنَى أَنْ يَقُعُّ، بَلْ
تَهَيَّأَ أَنْ يَكُونَ مُعيِنًا لَهُمْ عَلَى شَرْكِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُهُ مِنْهُمْ.

وَيَتَحَمَّلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ، أَنْ تَمُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّرِّكِينَ، وَالْمَهِيَّ عَنِ
الشَّيْءِ لَا يُلَبَّمْ مِنْهُ وَقَوْعُهُ، وَلَا يُلَبَّمْ مِنْهُ جَوَازَ الْوَقْعَةِ شَرَعًا، فَإِنَّهُ لَوْ فَرْضَ أَنْ تُجَابِرَ
أَنْ يَقُعَ عَادَةً، فَإِنَّ شَرَعًا لَا يُكْنَى.
وَعَلَى هَذَا، فَقُوَّلَهُ تَحْكَمُ: "إِنَّ أَشَرَكَتَ لَيْحَظَّلُ عَمَلَكُ" [الرِّمْر: 25]، لَا يُذَلُّ عَلَى
جَوَازَهُ شَرَعًا، وَلَكِنْ إِنْ جَازَ أَنْ يَقُعَ ذَلِكَ مِنْهُ، أَوْ وَقَعَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُجَبَّرُ عَمَلَهُ، كَمَا في
قوله تعالى: "قل إن كان للحمن بُلُوط فَأَنَّا أُولُوا الكُفْرِينَ" (النخفر: 81)، فَهَذَا الشَّرْطُ لا يُمكِن أن يكون، فلا يَلْزِم مِن تَعْذِير، أو استحالة الشِّيء أَلَا يَفْعَل شِرْطًا، حَتَّىٰ فِي الأُمُور العادِية، لَو قَال إِنسانٌ لزوجته: إِنْ طَرِيِّتْ فَأْنَثِي طَالِبٌ. يِصْعُب الكِلام، وَلِكِن تَعْلِيق الشَّيْء عَلَى المستحِيل يجعله مستحيلا، هُو جَانِبٌ، لِكِن يجعله مستحيلا، مثل قول الشاعر (1):

إِذَا شَجَابُ الظَّرَاب أَتَّبَعَهُ أَهْلِي
وُصِّرَ القَار رَكَابُهِ الخَلِيبِ
وَالظَّرَاب لا يُمكِن أن يَسِيبُ أَبْدًا، وَالقَار لَا يُمكِن أن يَصْيرُ مثل اللَّبن أَبْدًا,
وَلَكِنْهُ ما دَام عَلَى الأَمْر عَلَى شيء مستحيلا، فَالعلِق على المستحيل مستحيلاً.
 قال المفسر رحمه الله: [وَلَمْ يَؤْثَرُ الجَازِم فِي الفِعْل لِبَنَائِهِ]، يَقْصُد بِالجَازِم وَالْفِعْل،
 وهو قوله: [فَلا تَكُونَ] (ليئة) [لأَنَّهُ لَا لُؤُهُ الْبَنَائِهِ أَلَّا يَكُونَ، فَعُدّْفَت لَامَ
الْفَعْل]، كما في قوله تعالى: [وَلَا يَحْرِنَّ عَلَيْهِمْ] وَلَا تَكُونَ في ضِبْطٍ [النحل: 127]
فَالجَازِم هذَا -وَهُو لَا النَّاهِية- قَد أُثَرُ في الفِعْل.
 فَأَصِلُ الفَعْل: [تَكُونَ]، وَ(لا) النُهَايَة تَؤْثِر بِتَبْسِيْك آخِرِ الفَعْل، فَالنَّقِي:
سَاكِنَانُ، الْوَاو وَالْنَون السَّاكِنَة، فَحُذِفَتُ الْوَاو، وَتَبَيَّنَتُ الْنَون السَّاكِنَة، فَأَصْبَحَت:
[تَكُونَ] تَمَّ حُذَفُ النَّون تَخفِيقًا.
أَمَّا في قوله تعالى: [وَلا تَكُونَ] فَالجَازِم لَم يَؤْثَر فِي الفِعْل بِحَذْف الْوَاو
وَلا الْنَوْن لِبَنَاء الْفِعْل كَما قَال المُفَسِّر رَحْمَاهُ لَهُ.
وقَوْله: [وَرَبِّ اسْتَرْحِيْسَيْكَ] الشرك يُقَسِّمَ إِلَى: شَرْك أَكْبَر مَحْرُج عَن الْمَلِكَة،

(1) البيت في حياة الحيوان، للدميري (2/44) بلا نسبة.
وشرك أصغر لا يخرج من الملة.

فالأكبر: أن تشرك مع الله أحداً في عبادته، أو روبيته، فمن فعل فهو مشرك، وما دون ذلك - مما أطلق عليه الشرك - فهو شريك أصغر، والغالب أن الشرك الأصغر يكون إما لأنه وسيلة للأكبر، كما في مسألة الرياء؛ لأن الرياء شريك، لأن الإنسان يؤدي العبادة، ويعينها للناس، وقد يؤدي به الأمر إلى أن يعمَّل أصل العبادة للناس، ويكون بذلك مشرك كا شريك أكبر، وقل يكون الشرك الأصغر ليس وسيلة إلى الشرك الأكبر، وإنما يتعلق بأمور أخرى، لا يتعلق بها الشرك الأكبر.

ولكن على كل حال: الشرك الأكبر هو أن يعتقد الإنسان أن الله شريكًا في ألوهيته، أو روبيته.
قال الله ﷺ: "ولا تدع مع الله إلها آخر إلا إنه إلها ملؤ كل شيء ما كله هايك إلا وجهه، له الحكمة وزكاه ترجعون" [القصص:88].

قال المفسر رحمه الله: ["ولا تدع تعبد مع الله إلها آخر إلا إنه إلها ملؤ كل شيء ما كله هايك إلا وجهه، إلا إياه الله الحكمة القضااء النافذ وئيلته ترجعون بالتشاور من فقهكم].

قله تعالى: "ولا تدع أي: لا تعبد ولا ناهيه وفعل بعدها مجزوم.

يحذف حرف الفعل، وهو الواو ودلال عليه الضمة على العين. قله تعالى: "مع الله إلها: إلها مفعول تدعو والإله بمعنى المثول، أي المعبود.

قله تعالى: "إلها آخر: وهذا غير ممكن؛ أن يكون مع الله إلها آخر بحق.

ذلقي لأن الآلهة التي سواء الله كلها بطلة، كما قال تعالى: "ألا أن الله هو الحق وإن ما يدرون من دوبي البطل" [العنان:31].

والله تعالى في قوله: "ولا تدع مع الله إلها آخر" سمعي ما يعبد إضافة وذلقي لأن الله فعال بمعنى مفعول، أي معبود.
قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾، هذه الجملة كالتعبير للنفي السابق، أي: فإنه لا إله إلا هو.

إذن: هذا النفي نفي للحق، لأنه هو المعبود الحق، فإنه لا إله إلا الله، وحينئذ لا يكون بينهما، وبين ما سبقها متناقضة، إذ إن ما سبقها يثبت إياها مع الله، لكن نرى أن تدعو هذا الإله والثاني يقول لا إله إلا هو، في ينبغي أن يكون هناك الإله، والجمع بينهما أن يقال: الإله الحق الذي عبد، وهو يستحسن أن يعبد هو الله وحده.

وأما الإله الباطل الذي عبد، وهو لا يستحسن أن يعبد، فهذا ثابت لعبير الله، وهذا هو الصحيح في النفي، مع أنه يحتمل أن يكون نفيًا يمنع النهي، أي: لا يعبد إلا الله.

والنفي يمنع النهي وارد في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ذلك الصدٍّ لربِّ تَفْعَلَهُ﴾، [التوبة: 2].

قال بعض المفسرين: لا ريب فيه، أي: لا تردابوا فيه. فيجعلون النفي مكان النهي، ولكن الأول أن يبقى النفي على ظاهره، وأن يجعل نفيًا حقيقًا، ويكون النفي أبلغ مِن النهي، لأن النفي إثبات صفة، وأما النهي فقد يحصِّل الإمتثال لله، وقصد لا يحصل.

وعليه تقول: إن هذا النفي لا يتعارض مع ما قبله، لأن ما قبله باعتبار أنَّه إله باطل، والثاني باعتبار أنَّه إله حق، قال: إله حق إلا الله.

قوله تعالى: ﴿لا هو﴾ هو ضمير يعود إلى الله، وليس هو اسمًا مسؤولًا، يُمعَنِّي أنه ليس من أسماء الله، خلافًا للصوفية المبتدعة الضالة، فإنهم يجعلون (هو) من
أسمااء الله، ويقولون: (لا إله إلا هو) مثل (لا إله إلا الله)، ويقولون في أذكارهم الباطلة: (هو هو هو)، يكررونها، ويقولون هذا هو التوحيد.

ولكن نقول لهم: الضمير (هو) ليس علية الله، وإنما هو صميم يعود على الله، في قوله: (مع الله).

قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَٰلَكَ إِلاَّ وَجْهَهُ). هالك بمعنى زائل ومضميّل.

ومعدهم بعد الوجود.


وتفسير المفسر رحمه الله فيه ردًا على قول أهل الباطل، الذين قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه. فلم يجعلوا الوجه معبّرًا عن الذات، بل جعلوه دالًا على لفظه فقط، وهو الوجه نفسه.

وهكذا -لا شك- كلام باطل، فالمراد بالوجه هنا الذات كلها، كل الذات العليّة، لكنه عبر بالوجه كسائر التعبيرات اللغوية؛ حيث يعبر بالوجه عن الشيء كله.

ولكن قد يفهم كلام المفسر رحمه الله بباطلًا بأن معناه إنكار الوجه، لكن المفسر رحمه الله لا أظن أنه يرد بذلك، والمعروف أن الأشاعرة ينكرون الوجه حقيقة.

ولكننا نقول إن الله سبحانه وتعالى له وجه، ونستند على ذلك بهذه الآية، ولكنه عبر بالوجه عن الذات كسائر أساليب اللغة العربيّة.
وقيل: إن المعنى أن كل شيء هالك إلّا ما أريد به وجهه، ويكون هذـا عابِداً على الأعيال، يعني جميع الأعيال مقدودة، وغير مقدودة إلّا ما أريد به وجهه الله، ويتبتَّل هؤلاء بقوله: "ولَتَنَعَّم مَعَ اللَّهِ إِلَّا هُمَا إِخْرَاجُ" وأن هذا من عمل الإنسان.

ثم قال: "كل شيء هالك إلّا وجهه"، كأنه قال: إن الشريك هالك وقائٍ في غير فعل المرء، إلّا ما أريد به وجه الله الخالص له، فإنه يبقى للمرء.

وقلنا في بيد الإنسان هالك لا يفيده، مثل قول الرسول ﷺ: "فمن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد". (1)


قوله تعالى: "أَلْقِ الْكُرُورَ" هذـى الجملة مكوِّنة من مبتدأ وخبر، الخبر "الله" ممدود، والكُرُور مبتدأ مؤخر، وتقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر، والمعنى: لِه وحده الحكم.

يقول المفسر رحمه الله: "أَلْقِ الْكُرُورَ" القصائد النافذة، وفسـره بالحكم الكوني، والصحيح أنه يشمل الحكم الكوني والشرعي، وله القصائد النافذة على كل أحيد، وله أيضًا الفضل بين الحلفي بالأحكام الشرعية.

(1) أخرجه البخاري: كتاب البيع، باب النجش ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد حداثات الأمور، رقم (1718).
فاحكم شامَّل للأمرَين: الكوني والشرعِي.
وقد مر علَّينا أنَّ مين أَمثلة الحكَم الْشَرعي قوُلَه تعالى في سورة المُمنتَحة: "هذِكمَ حكَمُ الله تعالى يحكم بحكمه وإنما يحكم بحكمٍ كحيثٍ؟ [المُمنتَحة: 1].
وحكَم الكوني قوَلُه تعالى عن إخوة يوسف: "فَلَنَ أَبيِّن الأَرض حَتى ياَذَن ليَ أَيُّهَا أَيُّهَا الْكُفَارِ" [بَسَط: 80].
وقَولُه: "اللهُ ملَكُوتٍ" ذِكَرْنا أنَّ الجملة فيها اختصاص أنَّ الحكَم الله وحده معةً أنَّ غيره للحكَم، لكنه حكَم مُقَدَّمًا.
وهذا يقال: الحكَم الشرعي، حاكم البلد، وَما أَشيء ذلَك. ولكن حكَمْ هؤلاء تابع حكَم الله، والنظام الشامل إنها هو الله وحده، فأحكام هؤلاء الحكَم هي من باب التبسيبة؛ إذ إن هذا الحاكم لا يحكم بغير ما أُنزل الله، وإذا حكَم لم ينفَد حكَمُه.
قَولُه تعالى: "وإِلَيْهِ تُرْجَعُون حَتَّى يَحْكَمَنَّكُم بِحَكَمِي وَأَنتُونَ إِلَيْهِ" [بَسَط: 80].
قوله: "وإِلَيْهِ أَيُّهَا أَيُّهَا الْكُفَارِ"، وذلك باللهِ، وذلك بالله بناء تكرَّم من القصور، فعلاً مرجعًا إلَّا إلى الله، ويدعو أن يكون الرجوع هنا أعمَّما ذكر المفسِّر رحمت الله، حيِّيث يُكون المعنى: وإِلَيْهِ تُرْجَعُون حَتَّى يَحْكَمَنَّكُم بِحَكَمِي وَأَنتُونَ إِلَيْهِ، ولذا يُردُّ الحكَمُ بين النَاس إلى الله عزّ وجل.
كلما جاءنا رجلٌ أجمل من رجلي أرادنا أن نرَّدَ ما جاء به جبريل إلى رسول الله  

16

«أجلت في المغامه، ولم تجل لأحدٍ قبل».

19


21

الرؤوس الصائحة جزء من سبعة وأربعين جزءًا من النبوة، 100

4

من علم عملًا ليس عليه أمورًا فهو رد.

48

من سيحٍ بلالجني فليتنا عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أن مؤمن.

48

فيما تبعه يه من الشبهات.

48

لا ينبغي للمؤمن أن يُبدِّل نفسه.

48

يترعرع من البلاء لايستطيع.

49

كامل من الرجال كبير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم نبت عمران.

50

ما رآيت من نافعٍ عقل ودين أذهب للرب الرجال الحنام من إحداكم.

57

ليس الحُبُر كالمُعايبه.»
"مَثُلُ الَّذِينَ يَغْزِرُونَ عَلَى مَأْمُوتٍ، يُؤْخَذُونَ شَيْئَهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُنفِقُونَهُ عَلَى عَدْوَاهُمْ مِنْهُمْ أُمَّمٌ" 61

"أُخْرَىٰ عِنْ الدَّارِ فَقَالَ: أَنَّ تَعَبِّدَ اللَّهُ كَانَلَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنَّمَا تَكُونُ تَرَاهُ إِلَّا يَوْمَ يُوقَدُ" 66

"أَنْبِأْ بِهِ الْمَلَأِ بَلَدَةٍ يَا اللهُ يَهَى" 70

"قَلْ: اللَّهِمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي لَنَفْسِي كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الْعُرفُ إِلَّآ أَنتَ، فَأَغْفِرْ لِنَفْسِي" 75

"مَعْفُورَةٌ مِنْ عِنْدِكُ، وَأَرْحَمْيُ، إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" 76

"مَا يَنْكُمُ مِنْ أَيْدٍ إِلَّا وَقَدْ كَبَّ مَقْدُوعًا إِنَّمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ فِي النَّارِ" 79

"أَنْصِرْ أَحَدَ الحَزَمِ، أَوْ مَظْلُومًا" 98

"مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الدُّنْيَا، وَأَنْتَ غَيْرُ مَسْتَفْرِفٍ وَلَا سَائِلٌ فَخُذْهُ" 102

"إِنَّ فِيَّ خَصْصُتِنِي بِجَاهِلِيَّةِ اللَّهُ الجَهَلُ، وَالآُنَّةُ" 109

"يَا أَبَا ذَرَّةَ إِبَأَ زَيْنَبَةِ صَبِيَّةَ وَإِيَّاَيْ أَحْبَبْ لَكَ مَا أَحْبَبْ لَنَفْسِي، لَا تَأْمَرْنَ عَلَى الْإِثْنَيْنِ" 109

"وَلَا تَوَلَّوْنَ مَا يَيْتِمُ" 117

"وَمَا فَاتَكُمْ فَأَخْضُوْا" 119

"لَوْ يَعْطَى النَّاسُ بِدِعَاءَهُمْ لَدَعَى رِجَالٌ دِمَاهُ قَوْمٍ وَأَمْوَاهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيْتَةَ عَلَى" 119

"المَّدْحِي" 124

"آَنْتَ وَمَا لَكَ لَا يَكُ" 125

"أَذْهَبْ فَقُدْ مُكَلَّفُتُكَا بِيَا مَعْكَ مِنْ الْقُرْآنِ" 125

"أَلَا وَأَسْتَوْصُوا بِالْغَيْبَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ هِيَ عَوَانُ عَنْدَكُمْ" 125

"لَوْ قَالَ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ وَكَانَ دَرَكًا لِجَالِبِهِ" 127

"وَإِنَا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمَّا لَا حَقُونَ" 128

"إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَى صَفَاتِهِ وَجَعَلَ عَنْفَهَا سَدَاهَا" 129
134 - «قصى أو فاغيهما»
138 - «ما بعث الله بنيا إلا رعى الغنم»
139 - «خيركم خيركم لأهلك، وآنا خيركم لأهلك»

«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات سبنا، فإذا فرع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق وقادوا ما قال ربككم قالوا الحق» [سبي: 23]

143 - «إن الله يجعلون لأثري عاما وسوسنا، أو حدثت به النفسها، ما لم تعمل به أو تكلم»

147 - «نصبر بالزعبي مسيرة شهر»

148 - «إن من الديبان ليسحر»

167 - «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الأركان ما مثله آمن عليه البشر»

178 - «أي عبادي إلى حرمت الظلم على نفس، وجعلته بينكم محمرة فلا تطلموا»

198 - «ما لي لا آلون من لغة رسول الله، وهو في كتاب الله»

202 - «وإنا إن شاء الله بكم لاجعون»

241 - «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هومنا تبعنا مما جئت به»

248 - «أقرأ أين إن أسلم عبد الله»

254 - «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»

«والطبي الذي لا إليه غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم من أنزلت، ولا أنزلت أية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيها أعلم، ون أعلم أحدا أعلم »

255 - «بكتاب الله، تبلغنا الإبل كرمت إله»

264 - «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»

270 - «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليعمل حببا أو ليصمت»
268
«أسلمين تسليماً، يؤمناً فإنك أخرجك من النار أخرجك، وأنك أخرجتك من النار للدُّنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يطيع الله الدين إلا ينج,” فمن أعطيه الله الدُّنيا فقعد أحببه، والذي تعنيه بيد له، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولينسائه، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوفاته»

267
«ضحك ساح من نار عليه تعلان يغلي منها دماغه»

267
«أي عم، قول لا إله إلا الله، كلمة أُحج ل ك بَيْنَكَ عِنْدَ اللَّهِ»

288
«كأنى به أَسْوَى أَفْحَجَّ، يقَلُّهَا حَجْرًا حَجْرًا»

294
«إن هذه الأمة نبلى في قبورها»

294
«أوحي إلى أنكم تمتون في قبوركم»
«آن نؤمن بالله وملاككيه وكتبيه ورسليه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره» 298

«الحمد لله على كل حال» 312

«إن الله يسُبّحُ بِنُهُورٍ لِيُؤبِب مُصِيبٌ اللَّيلي، واللَّيلي لِيُؤبِب مُصِيبٌ النهار» 326

«من سَرَنَتْ حَسَنَتْهُ وسَاءَتْهُ سِيِّبَتْهُ فَذَلِكَ المؤمن» 339

«فلا أَكتَن الْبُسَاطَةَ رَحْلُ النَّارِ كَأَنَّهَا أَسْتَأذَنَت سُوءَهُ أَحْبَبَ إِلَيْهِ مِن مُفَروِّحِهِ» 340

«كَأَنَّ الْحَيَاةَ بَعْضٌ غَيْرَ الْحَيَاةِ، وَاشْتَكِرُوهَا عَلَيْهَا» 344

«كَأَنَّ لَرَبَّك عَلَيْكَ حَقًا، وَلَفْتَ كَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا، فَأَعْطُهُ كُلّ ذِي حَقٍّ حَقًا» 346

«إِذَا كَرَّسَ اللَّه مَعْلُومًا وعَلَى آل مُحْمَّد، كَأَسْلَبَتْ عَلَى إِبْرَاهِيم» 347

«إِذَا كَرَّسَ اللَّه مَعْلُومًا وعَلَى آل مُحْمَّد، كَأَسْلَبَتْ عَلَى إِبْرَاهِيم» 347

«واعلم أنك لن تنفق نفقة تبذغيه بها وجه الله إلا أجزت عليها، حتى ما تجعل في قم أمرتُك» 351

«فَوَضَعُ نِسِيَاطِي في الجَنَّةِ خِيْرَتِي من النَّارِ وَما فِيها» 363

«فَإِنَّ اللَّه كَتَبَ الْحَسَنَاتَ والسَّيِّبَاتَ فَمَن بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَن هُمْ بِحَسَنَتِهِ فَلَمْ يَعْمَلُهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةُ عَشَرِ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبِيعِ مائِتَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافِ كِثِيرَةٍ وَمَن هُمْ بِسَيِّبَتِهِ فَلَمْ يَعْمَلُهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ سَيِّبَةً وَاحِدَةٌ» 379

«فَأَلْبَسْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» 384

«فَرَأَى ذُبَيْلٌ إِلَى مَعَارٍ قَالَ إِلَى مَكَّة» 385
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الفائدة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>7</td>
<td>الحكمة من القصص</td>
</tr>
<tr>
<td>7</td>
<td>بيان عظم القرآن وعلوته</td>
</tr>
<tr>
<td>8</td>
<td>القرآن مكتوب</td>
</tr>
<tr>
<td>9</td>
<td>من الناس من يريد اتباع الهوى</td>
</tr>
<tr>
<td>9</td>
<td>القرآن مبين لكل الأمور</td>
</tr>
<tr>
<td>10</td>
<td>الرجوع إلى الكتاب والسنة يفيد الإنسان</td>
</tr>
<tr>
<td>10</td>
<td>أن الحق دائم بين طروفي متطرفين</td>
</tr>
<tr>
<td>11</td>
<td>أهمية قصة موسى مع فرعون</td>
</tr>
<tr>
<td>11</td>
<td>القصص سبب حدوث الأعيان</td>
</tr>
<tr>
<td>12</td>
<td>تفريق الأمة سبب لمقبلها وذلهما</td>
</tr>
<tr>
<td>12</td>
<td>أن بني إسرائيل من أهل مصر</td>
</tr>
<tr>
<td>14</td>
<td>الإرادة الشرعية</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>إثبات إرادة الله</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>المعتزلة لم يثبتوا الإرادة لله عزوجل</td>
</tr>
<tr>
<td>16</td>
<td>صفة الرحمة</td>
</tr>
<tr>
<td>17</td>
<td>تمام قدرة الله عزوجل</td>
</tr>
</tbody>
</table>

---
القياس الصحيح
الإنسان المجاهد لله هو لا يريد أن يتأثر لنفسه
بيان فضائل بني إسرائيل
بالصبر والصبر يتطلعون للإمام في الدنيا
أن المسلمين إذا استولوا على بلاد الكفار ملكوها
الأراضي ليست من الغزائم المحضة
الحكم من إحرام الغنائم
تمكن الإنسان في الأرض من نعمة الله عليه
جعله معاني متعددة
الوحي في اللغة
الوحي الشرعي
الأمم من الرساعة
التابوت
الرضاع
بيان قوة إبنا موسى
الانتقاط يكون بقصد
اللام الذي تدخل على الفعل المضارع تنقيس إلى قسمين
اللام الزائدة
اللام غير الزائدة
الحنون سعور بالنفس
العداد عند الفقهاء
فرق بين الخاطئ والمخطئ
أن المؤمنين أعداء للكافر
أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا على باطل
فرة العين
امرأة فرعون
ليس لفرعون من أمرائها ولد
فصلة امرأة فرعون
قصور علم الإنسان
لا دليل على جواز النبي
في اللغة العاملية
الربط على القلب
أن الإنسان له قبول البلاء حال، وبعد البلاء يتغير حاله
الطبيعة البشرية لا تؤخذ بها المرء
أن المرأة مقتصرة إلى الله سبحانه وتعالى
دليل على إيثاب العلل والأسباب
أن الإيثاب في الرجال أكثر وأثبت وأزيد
إيثاب القضاء والقدر
لا يصح أن نستقن لله أسبا من الفعل المُستند إليه
الكفل
الكافالة

الوعيد حق، والوعيد حق

أن وعد الله ووعيده كلاهما حق

مال الحرب

الاستواء في اللغة العربية

أن العلم هو علم الأحكام

الإحسان

تعيين المدينة بأنها مدينة فرعون في تفسير من هذا شيء

ال ليبيا

كل من ينصرف فهو شيعة لك

أن الله سبحانه وتعالى يجري الأمور بسبيبة

الاستغاثة بالمخلوق جائزة بشرط

إثبات العداوة والولاء

جوار دفع الصائل بما يصل إلى القتيل

عداوة الشيطان ليبني آدم

العفو والرحيم

جوار التوسُّل إلى الله سبحانه وتعالى بحال الداعي

أن الدعاء سبب

كما موسى عليه السلام

ظاهرة المجرم تنافى الشكر
80 .......................................................... الخوف نويعان
81 .......................................................... الاستغاثة
81 .......................................................... القبط
82 .......................................................... الرشد هو إحسان التصرف
85 .......................................................... اتّهام موسى
87 .......................................................... من أخبار آل فرعون بأن موسى هو من قتل القبطي
يقول الله تعالى: {وجها ربل من أقسا المدينة}، ويقول في سورة بس في قصة
أخرى: {وجها من أقسا المدينة رجل يستغب قال ينقلوا الذين أتلمعوا المرسلين}
87 .......................................................... [يس: 20]
91 .......................................................... لا ينبغي أن يحكم على الأمور إلا بعد معرفة الأسباب
94 .......................................................... رأفة بني الله موسى
94 .......................................................... جواز الإقتصر في الدعاء على ذكر حال الداعي بدون طلب
94 .......................................................... ينبغي تقديم الدعاء يذكر الرب
94 .......................................................... علوي الله
94 .......................................................... لا يلزم من إثبات علوي الذات التنجسي
97 .......................................................... الدروع
97 .......................................................... من شروط نصب كلمة (اب) بالآلف
98 .......................................................... إن الإنسان يأخذ أجرًا مقدّماً على ما يفعله الله
100 .......................................................... من عجب صنع الله
101 .......................................................... مدين
لا يُمكن الاستغْنَاء عن الشهود حين كتابة العقود
الإسرائيليات
هجور أن يشتق المهر من الأب
تقديم المعمول يدّل على الحصر
لا ينبغي للإنسان أن ينادي والده باسمه
جواز خطبة الزوج
جواز العقد على المهمة
جواز اشتراط الأب شنّيًا من الصداق لِهُ
لِو اشترطت عليه أن يخدمها
هجور أن يجعل الإنسان العمل عمليين: عملا واجبا، وعملأ تبرعا
حسن معاملة صاحب مدين من وجوهين
لا ينبغي للمرء أن يعرَّم على فعل الشيء إلا مفرونا بالمشيئة
أن الصلاح في كل موضع بحسبه.
أن العقود ليست حُكرٌ صِنّ مُعيّنة
جواز إشهاد الله على العقد.
أن الْبَـِـيْـيْـنَ العُمّوس تَـْــدَّعُ الدُـيْـاَـرَ بِلا فَـٰـقَ.
أَـثُرُ مَـرْوَى عن عطاء بن السائب
قوله تعالى: {كَانَ ۖ هَذِهِ النَّارُ لِيَسْتَنَارَ حَقِيقَةٍ}
مَنْ تَعَهِدَ بِشَيْءٍ قَانِتٍ لا يشتمِل يَعْمَرُهُ حُتَّى انتِهَائهِ مِنْهِ
أن الله تعالى إذا أراد أمرًا هُمًا أسبابهُ
138 يَنْجِي لِلْإِنسان أن يَنْقِي فِي الْمَكَان الَّذى فَارَقَهُ فيه صاحبَه
139 قِصَة عَائِشَةَ في الأفْك
139 اتخاذ الأسباب لا يُبَارَي التوكل
141 الْوَادَي: تَجْرَى الماء
143 المعزلة والجَهْمِيَّة
143 إِنَّ كَلَامِ اللَّهِ يُسْمِعُ مِنْ اللَّهِ
146 مَدِّهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ والجماعة أن الله يتكلم يَخَرَف وصوْتٍ
146 الرَّدُّ عَلَى الأشاعِرَة
147 الرَّدُّ عَلَى الجهيمة والعتَِّة
147 إِبَاتٌ رُبوبية الله سَبْحَانَهُ وتعالَ
147 الرَّبوبية تنقسام إلى قسمين: عامة وحَاصِّة
150 تشبيه العصا بِجَانَّ لِشرعة حركتها
151 دَلِيلٌ عَلَى قُدرة الله سَبْحَانَهُ وتعالَ
151 دَلِيلٌ عَلَى حَكَمَة الله سَبْحَانَهُ وتعالَ
158 البرَّهَانُ هو الدَّلِيلُ القاطع
158 لا بَدٌ لِلْجَارِ من التَّعَلُّق
159 فَرُوعٌ هُو حَاكِمُ مُصْر
159 الفِسَاق يَنَقدَ إِلَى قَسْمِينَ
160 أَنَّ الآيَات الَّتى تَأْيِي لِلِّأَيِّاء حَجَّج عَلَى فُؤَمِهِم
161 أَنَّ اللَّه سَبْحَانَهُ وتعالَ يُجِدُّ فَتَحَتَهُ هَذِهِ الأُمَّةِ دِينَهَا كَلَّمَا خَرجوا عَنْهَا
أن النّابل أن أتباَع رؤساء الكُفرهم الأُشراف
161
جِواز الأخذ بالعذر عند الأَمْرِيه
162
أن الحُرُوف الطبيعي لا يُبَقث في مِقَام الرُّسْالَة
162
آن الأَصَاص موجود فيما سبق في الأَمم السَّابِقَة
162
هارون أبو موسى من أُمَّة وأبيه
164
قيل في الإِسْرائِيليَّاتِ: إن موسى عليه الصلاة والسلام كانت في لسانه لُغةً من جُزء
164
أخرجه ووضعها في قِيِه
166
المُنَة الكُبرى من موسى لأخيه
166
انتحال الأُعوا من أسباب النَجَّاة
167
فصاحة اللسان لتُؤثِّر قريَّة
167
يُنفع للذَّاعي أن يُذكَر مَرَّات دعوته
171
آن الإنسان يُنصر ويغلب بِتَباع الرُسُل
173
آن الله أَغْطى موسى أكثر ما سأل
175
إضافة العطية إلى مَعطِها
176
السُحْر المَفْرُى
176
السُحْر لا يَقلب الأَشياء حقيقة
177
الكَذْب
177
البَاطِل
178
القول الراجع في مِسَأَلة الجَدُد والأخوة أن الجَد يَحْجُب الإخوة
178
الآيات التي يرسل الله بها الأَبْنِياء تكون بَينَة وراضحة
دقوى المكذبين للرسول لا تكون إلا من نوع المكابرة
أعداء الرسول يلقون الرسول بألقاب السوء والعيب
أعداء الرسول سوف يلقون من يدعوون بدعوة الرسول يمثل هذه الألقاب
لا ينبغي للمؤمن أن يثبتين بنقل الحق رده وأوصفه هو بالعيوب
هو أعلم بما جاء به من عينيه
المؤمن المجازي
أنا المسلمون يكونون في الجنة وارثًا لمكان الكافر منه
القلاع هو حصول المطلوب
أن عدم فلاح الطالبين بحسب طلبهم
أن العاقبة لن تأتي هدى الله
أن الطالم لا يفلح
توهونه فزعون عل قومه
إثبات علوه الله
إسناد الفعل إلى الامر به إذا كان له سلطان
الفخور أقوى من الطين
أن الاستياء كله مخالف للحق
الحق في الأصل هو الشيء الثابت
قد يكون المراد بالظن هنا الرجحان أو اليقين
حال فزعون وجوده
إثبات البهت
<table>
<thead>
<tr>
<th>صفحة</th>
<th>محتوى</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>194</td>
<td>البتُّ هو الطرح</td>
</tr>
<tr>
<td>195</td>
<td>الظلَّم في الأصل النقص</td>
</tr>
<tr>
<td>196</td>
<td>ظلم المعصية</td>
</tr>
<tr>
<td>196</td>
<td>ظلم الكفر</td>
</tr>
<tr>
<td>197</td>
<td>بيان عظمة الله سبحانه وتعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>197</td>
<td>يطلب من المرء إما وجهيًا، أو استحبابًا، أن يتأمل في عاقبة الظالمين</td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td>أن الظلم محرم</td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td>أن الإمام هو القائد الذي يُبع</td>
</tr>
<tr>
<td>200</td>
<td>حكمة الله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>201</td>
<td>أن آله فروعون لا نصير لهم في الآخرة</td>
</tr>
<tr>
<td>202</td>
<td>من لعنه الله لعنة المؤمنون بالله</td>
</tr>
<tr>
<td>204</td>
<td>تخير الدنيا</td>
</tr>
<tr>
<td>205</td>
<td>أن إبان النزوة كان بعد إهلاك الأمام السابقة</td>
</tr>
<tr>
<td>206</td>
<td>أن إتِباع الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين</td>
</tr>
<tr>
<td>209</td>
<td>الأولى إبقاء الآية على ظاهرها</td>
</tr>
<tr>
<td>212</td>
<td>القضاء ينقسم إلى قسمين</td>
</tr>
<tr>
<td>213</td>
<td>الوحي يُسمى قضاء</td>
</tr>
<tr>
<td>220</td>
<td>الإنذار هو الإعلام بما يخف، والإعلام بما يرغب يسمى بِشارة، أو تبشيرًا</td>
</tr>
<tr>
<td>223</td>
<td>أنّ هناك قرارًا بين إضافة الفعل إلى اليد، وإضافة الفعل إلى النفس بواسطة اليد</td>
</tr>
<tr>
<td>223</td>
<td>أن المصائب ما تكون إلا بالمعاصي</td>
</tr>
</tbody>
</table>
جواب (َلَوْلَا) ........................................... ٢٢٤
ما جاء به النبي ﷺ هو الحق ........................................ ٢٣٠
عَنْوَى المكذبين للرسول عليه السلام وآلهة السماوات ........................................ ٢٣٠
أن قريشًا كان عندهم بعض المعلومات عن الرسل السبعين ........................................ ٢٣٠
موسى عليه السلام وآلهة السماوات أعطاه الله تعال آيات يؤمن على مثلها البشرين ........................................ ٢٣١
مقام المناطرة والمجادلة ........................................ ٢٣١
طبيعة البشرين واحدة ........................................ ٢٣١
أن أهل الباطل يُفْضِمون أهل الحق بألقاب السوء ........................................ ٢٣٢
أتباع الرسل التعاون ........................................ ٢٣٢
قصة طائفتين ........................................ ٢٣٢
قصة نقض الصحيفة التي كتبها قريش التعاون أساس النجاح ........................................ ٢٣٣
تقديم المعمولِ ........................................ ٢٣٤
من العدل التنزل مع الحصم إلى حالٍ يَقُرْ بها ........................................ ٢٣٥
أن التوراة والقرآن من عند الله ........................................ ٢٣٦
التحدي يكون بالوصف، كما يكون بالفعل ........................................ ٢٣٧
القُدْرَةُ يَرَوْنَ أن الإنسان يمكن أن يهدي بنفسه ........................................ ٢٣٩
جواز التعليق بالشرط فيها هو مَحْقَ الوقوع ........................................ ٢٣٩
عدم مَجَادَة المُتَّبع هواء المُكَابِر ........................................ ٢٤٠
اختلاف الناس في الصلاة
أن الهوى قد يكون مواقفا للهدى
أن الظلم قد عرض نفسه خرمانه من الهدى
رد على الفتنية الذين ينكرون قدر الله
الفعل (وصلى) يتعدى (إلى)
أن الوحي متمثل على غاية البيان
أن الحكمة من الوحي التذكير والاعتزاز
تحليل أفعال الله
الفائدة من تكرار المبتدأ
تأنيب الجاهلية على الكفر بمحمد
الحبشة
أن اليهود والنصارى فيهم من آمن بالقرآن
حكم الفرد قد يتناول جنشه
أن صفة النبي موجودة في التوراة والإنجيل
الجملة التعليمية قد تكون تعليمة من حيث المعنى فقط
الفرق بين الجملة التعليمية التي قد صد بها اللفظ والمعنى، والتي قد صد بها المعنى فقط
الإسلام معناه الاستسلام والانقياد
أن القرآن من عند الله
جوائز ثناء المرء على نفسه بالصفات المحمدية
يجوز للإنسان أن يُشيِّي علّى نفسه بصفات الحمد بصرتين
أهل الجاهلية الذي آمنوا بالقرآن يُعطون أجهرهم مرة واحدة
الصبر على السُّرَائِع يتضمن الصبر بأنواعه الثلاثة
أصل الصبر في اللحن الحبس
إن بعض الناس قد لا يصبر على الأقدار المؤلمة ويبحث
الصبر على طاعة الله أفضل وأعلى وأكمل من الصبر عن المصيبة.
الصبر على الأقدار المؤلمة
فرق بين من يكابد الطاعة، ويجد في نفسه مشقة في مواجهتها، وآخر قد مرن عليها
الحسنة التي تدرا السهية تنقسم إلى قسمين
أن إنفاق المال كله من الأمور المحمودة
الصدقة
الصدقة
الهبة
إيثابا علّى الله سبحة وتعال
أن الثواب على قدر العمل
أن الصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام
يُنغي مقابلة المالي بالإحسان
أن الإنفاق لم يُنفق ماأ صنعه، أو اكتسبه بنفسه، ولكن ينفق من رزق الله
ضد الحلال هو الحرام
أن الإنفاق من المحرّم لا ينفق المرء.
٢٦٩ يُسْرُ سجود التلاوته للمستمع دون السامع
٢٧٠ المقابِل للحَبِّ السَّرْع
٢٧٠ إعراض البَدْن مع إقبال القَلْب
٢٧٢ يُسمى من خُلاَف عن علم مُتقَنَّه
٢٧٣ يُبيِّنُ الإعراض عن النَّطْف
٢٧٣ الصلاة خُشْيَة ذاتي، والسعي إليها خُشْيَة عرْضي
٢٧٤ لا يتساوي الخير العراري، والخير الذاتي
٢٧٤ مشروعيَّة السلام عند الانصراف
٢٧٤ لا يُبِينُ للمعاقِل طلبٌ السَّفهاء
٢٧٨ هدایة التَوْفِق
٢٧٨ الحُب الطَّبِيعي لا يُتَأَيِّي الإيَان
٢٧٨ المحبة الدينية لا يَدَرَّس بين المؤمن والكافر
٢٨٣ المراد بهيدى مَجَاهِد به الرَّسول عليه الصلاة والسلام
٢٨٤ الشَّيْطَان يخُفَ المُؤمنين بالكَفَّار
٢٨٥ قوله: «أَوَلِمْ تُمِكِّنَ»
٢٨٦ النَّعْلُ قد يكون نعاناً سبيلاً، أو نعاناً حقيقاً
٢٨٨ قضية القرامة
٢٨٩ فائدة ذُكر إهلاك القَرْء السَّابِق
٢٩٠ الكَفْر لا يُؤَمِّن صاحب
٢٩٢ الاهتداء هو السبب المانع من العذاب
أنَّ السِّوَالَ في الآخرة عامَّ جَمِيع الحَلَق rampant against the suffix of the verb}

أنَّ عَيْنَ المُؤمِنينَ في المعنى عَلَيهم الأَنْباء في ذِلِكَ الْيَوْم rampant against the suffix of the verb}

أنَّ الْإِيَانَ لَيْسَ هُوَ التَّصِدِيقُ في الشِّرْعُ فقط rampant against the suffix of the verb}

الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ بَيْنَ أَمْرِيْنِ الإِخْلاصِ والمَتَابَة rampant against the suffix of the verb}

تعلِّبَ لِبُطُولَانِ آلهة المَرَكِين rampant against the suffix of the verb}

مِن مَّذْهَبٍ أَهْلِ السَّنَةِ والْجَمَاعَةَ أنَّ الله تعالى خالِق للْمَعْدَ، ولَأَفَعَالِ العبَد rampant against the suffix of the verb}

الَّذِي أَخْتَارَ أُمَمٌ مِّنْ الحَلَق rampant against the suffix of the verb}

هَلْ يَجِبُ عَلَى الله يُعَلَّم الأَصْلَ والصِّلَاح أَمْ لَا يَجِبُ؟ rampant against the suffix of the verb}

كَمْ مِنْ أَشْيَاءِ نَظَرْ أَنَّ الحِكْمَةُ في مَخَالِفَةِ مَا أَمَرَ الله به، أو مَا يَقْتَرُ قَدْرًا، وَتَكُون rampant against the suffix of the verb}

الْحِكْمَةُ فِيْهَا جَاءَهُ الشِّرْعُ، وَقَضَى يَهُوَ تَعَالِي في قَدْرِه rampant against the suffix of the verb}

مَشَابِهَةُ المَخْلُوقِينَ مَنْتَعِهَ عَلَى الله rampant against the suffix of the verb}

إِبْتِينَ أَنَّ الله وَجَهَةُ هُوَ الَّذِي يُتْعَلِّم rampant against the suffix of the verb}

إِبْتِينَ الْإِرَادَةُ للهِ سَبِيلًا وَتَعَالَا rampant against the suffix of the verb}

أَنَّ الإِنْسَانَ لَا أَخْبَارَ له rampant against the suffix of the verb}

سَبِيلًا وَتَعَالَا أَثَّرَ لِلْإِنْسَان مِشْيَة rampant against the suffix of the verb}

الْقَلْبِ مَتَصِلِّ بالصِّدَار rampant against the suffix of the verb}

الْتَحْذِيرِ والْتَرْغِيب rampant against the suffix of the verb}

سَمِيَ المَعْبُودِ مَالُوْهُ؛ لَأَنَّ الْقَلْبِ يَأْتِهُ rampant against the suffix of the verb}

قَالَ الْمَتَكْلِمُونَ إِنَّ الْإِلَهِ بِمَعْنَى الْآَلِهَ rampant against the suffix of the verb}

خَطَا بَعْضِهِ المَؤلِفِينُ الْآنِ فِي التَّوَحِيد rampant against the suffix of the verb}
<table>
<thead>
<tr>
<th>ص</th>
<th>محتوى</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>311</td>
<td>أصل الله حقًا هو الحالُ</td>
</tr>
<tr>
<td>311</td>
<td>لا بد للضمير من مرجع مذكور</td>
</tr>
<tr>
<td>314</td>
<td>الحكم الله قضاء وشرعًا</td>
</tr>
<tr>
<td>314</td>
<td>الحكم المطلق لله</td>
</tr>
<tr>
<td>316</td>
<td>كمال صفات الله سبحانه وتعالَ ﷺ</td>
</tr>
<tr>
<td>317</td>
<td>قوله: {أرىشع}</td>
</tr>
<tr>
<td>319</td>
<td>السردم معناه: الدائم المستمر إلى يوم القيامة</td>
</tr>
<tr>
<td>321</td>
<td>الحَت على سِهٍم ما يَتّلُ من كِتَابِ الله سَمَعَ فَهمل وقُبَٰل</td>
</tr>
<tr>
<td>321</td>
<td>بيان نعمة الله على العباد بضياء النهار</td>
</tr>
<tr>
<td>322</td>
<td>الليل أفتح للبدن من النهار</td>
</tr>
<tr>
<td>325</td>
<td>تناقض المعطلين من الأشعرية والمعتزلة وغيرهم</td>
</tr>
<tr>
<td>327</td>
<td>أنَّ في تعاقب الليل والنهار فوائد عظيمة</td>
</tr>
<tr>
<td>328</td>
<td>الليل هو مخل السكن</td>
</tr>
<tr>
<td>329</td>
<td>أنَّ الزِرَقِ بَيْنَ مَن نَّهَرَ عَيْنَيْهِ وفَضُلٌ وعَطاء</td>
</tr>
<tr>
<td>333</td>
<td>أن الحق في العبادة لله وحده</td>
</tr>
<tr>
<td>335</td>
<td>أنَّ الرُسُل يسألون يوم القيامة</td>
</tr>
<tr>
<td>335</td>
<td>اتخاذ الأصنام آلهةً من الإفراز والكذب</td>
</tr>
<tr>
<td>336</td>
<td>العصبة هي الجماعة</td>
</tr>
<tr>
<td>340</td>
<td>الفرح الذي لا يحمد صاحبه</td>
</tr>
<tr>
<td>340</td>
<td>الفرح الطبيعي</td>
</tr>
</tbody>
</table>
أن القومية لا تتبع أصحابها

إثبات المحبة لله

أن المسلمين يطلبون على مغتنم: أحدهما: الترُك، والثاني: الذُهول عن شيء معلوم...

المُحرج الذي كثر في هذا العصر

إن نفي المحبة إثبات للكراهية لْمِن منه المعاقبة...

الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة، وبالعقل أخرى

دليل على أن قانون كان ينفي المال يعترف بزيتة في المُعاصر والفساد

يتبنيه في آنِة لله مالاً أن يُفيض النبتة

جوز تمتلك الإنسان بِيا آنِة لله تعالى في الدنيا

جريم نية الفساد في الأرض

المجرم هو قاعل الإجرام...

من اعتقده أن ما رفقة لله من كسبه، فهو مُشابه لقارون في عدم اعترافه بعَمْه الرب...

أن المجرمين عند إهل الك 받아 لا يسألون

الحظ نصيب الإنسان من الآخرة

رَجُل الإنسان عاً يميتة من الأمور التي ينفِي الرَجُل عنها

الثواب هو الجَزاء

العبدوية

الحكم في بـسْط الرزق وتضييقه

من أنواع الكِتْم

لْوَلا سرطبة
373
الذين تتموا مثل ما أوتي قارون عرفوا أن ما أوتيه ليس لكونه أهلا لله
374
أن تتمي مثاق الدنين لا بد أن يجيب للمرء أنه تمن لا حقيقة لله
375
الإنسان له دور أربع
376
العاقبة هي النهاية
377
آن انتهاء الإدارة يلزم سنة انتهاء الفعل
378
دم من يريد العفو والسماح
379
آن العاقبة تكون للمتقين
380
جزاء الحسنة خير منها بالكم الكيفية
381
التنديد بعباد البيت
382
إذا اختلف التحويون في شيء أخذنا بالسهل
383
ليست هناك وسط بين الهدى والضلالة
384
وجوب تلاوة القرآن وعمل يه
385
الحزمة من إنزال القرآن
386
ما عدا الهدى فهو ضلال
387
هل قول الأشعرية هو قول السلف؟
388
إثبات أن الرسول عليه السلام على الهدى
389
الاستناء
390
كيف ينفي الرسول عليه السلام أن يكون ظهيرا للقريبين؟
391
نكتذب الذين قالوا (إنما يعزم، يسمر)
إثبات رُبوبية الله الخصية لِلرَّسُولِ ۢ ﷺ .................................................. ۳۹۵
المعاونة لِلكَفَّار ................................................................. ۳۹۵
توحيد الأَلوُهِيَّة، وتوحيد الرُّبوبِية، وتوحيد الأَسْهَاء والصَّفَات ........................................ ۳۹۹
النفي بِمَعْنَى النَّهِي .......................................................... ۴۰۴
هذه الصفحة غير قابلة للقراءة بشكل طبيعي.
قال الله ﷺ: "والآية الثانية. فقسم الله ﷺ بين جنّ وهم لا يشعرون" (11)

قال الله ﷺ: "وحرمنا عليه المراعي من قبل فقالت: هل أذكرو على أهل بني يعقوب نصحكم وهم لم تصحوا." (12)

قال الله ﷺ: "فرداً إلى أهله، كفرت عينيهما ولا تحترم وتفسر أمها" (13)

وقال الله ﷺ: "والآية الثالثة: وجعلت أن يهتم والمتعة والعلم.

وكلما بلغ أهله، وانتسبت إلّا عينهما أمعنا وكذالك يجيءن المخيبين" (14)

قال الله ﷺ: "ودخل المدينة على جمّا فقلاً بين أهلها فوجد فيها رجلاً يقتيلها هندي من شبعيه، وهذا من عرفه قاسعتهما اللذي من شبعيه على الأشياء. عندئذ رضى على قاتلى هذا من عمي الشيطان إلهي. عبدو مسلماً ميين" (15)

قال الله ﷺ: "والآية الرابعة: قال ريبي إلى يغتسل تفسير في عفر الله إكمه هو المفهور" (16)

قال الله ﷺ: "والآية الخامسة: قال ريبي يَا أنتسم على فلأن أكرهكم عبادك للتخليصين" (17)

قال الله ﷺ: "فأصبح في المدينة خليفة يترقب إذا الذي استنصره بالأمس" (18)

قال الله ﷺ: "قال الله موسى إلهي لقومي مبين" (19)

قال الله ﷺ: "قلت آن أرد أن يبعث رجلاً يعذب لهما قال ينمزج أطريد أن تكون حلماً في الأرض وما تريده أن تكون من النفيليين" (20)

قال الله ﷺ: "ولا يدريت زعبل من أيضاً يعزي في الله من التصحيحين" (21)

أتتهم بله ينصب بالله قلبه إلى الله من التصحيحين" (22)
قال الله عزوجل: فَهُجِّوْنَا عَلَيْهِمْ لِيُمْعِنَّ قَالُوا بِلَّيْسَ مُعْنِيَ لِيُحَرِّرُونَنَا فَقَالُوا لَنَشْنَهُمْ عَلَىٰ رَبِّنَا رَبِّنَا رَبِّنَا لَا تَفْسِدْ عَلَىٰ رَبِّنَا سَّرِيعًا...

قال الله عزوجل: وَلَا تَوَارَى مَن تُحْدِثُ مَشَيُّها وَيَدْعُو عَلَىٰ نَفْسِهِ فُسْقًا فَتَكُونَ مَيْسِرًا...

قال الله عزوجل: فَمَتَّى نَفْسَنَا نَزِعُوْفَ إلى النَّارِ فَقَالُوا لَنَا إِنَّا نَزَلْتُمْ إِلَى مِنْ...
قال الله تعالى: "وَأَنَّ اللَّهُ عَزِيزٌ قَبِيلًا، كَانَتِي هُمُّ كَانَ تَجَلَّى جَانِبَةً، وَلَدَى مُدْنِي، وَلَمْ يَكُونَ قَبْيَ إِلَّا نَفْسِهِ مِنَ الْأَمْيَرِ (32) ."

149

"قال الله تعالى: "أَسْلَخَ لَيْكَ فِي جَيْلِكَ نُفُوحَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءِ وَأَضْحَمَ إِلى بَيْتِكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَى وُجُودِهِ وَمَلَائِكَةٍ إِنَّهُمُ كَانُوا أَقْرَمًا فِي نَفْسِهِ (33) ."

150

"قال الله تعالى: "فَأَلْتَ إِلَى فَتَلَّتِ فِي نَفْسِنَا فَاحْفَظْ أَنْ تَصْفُحَونَ (34) ."

151

"قال الله تعالى: "وَأَيُّهَا كَثِيرُ عَطُورُ هَذَا أَقْصُحُ مِنْ يَسَارِيْلَ مُفْرِدًا رَكْبًا يُصِدِّقُونَ إِلَى أَنْ يُكْفُرُونَ (35) ."

152

"قال الله تعالى: "فَأَجْعَلْ عَسَدَكَ إِلَيْكَ وَتَحْتَلَّ لِحَسَا سُلَطَانًا فَلَا يُصِلُّونَ إِلَّا كُثُرًا يُقَابِلُنا أَنَّهَا وَمَنْ أَعْمَلَ مَا كَانَ الْمُلْلُوْنَ (36) ."

153

"قال الله تعالى: "فَلَمْ تَجَاءَ مُوسَى بِنِتَابِيْنِ مِنْيَنْيَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِبْرٌ مُّفْتَرِيٌّ وَمَا سَيِفُنَا يِهِيْنَا فِي مَآءِ قَرْبَانِهَا الأُولُ (37) ."

154

"قال الله تعالى: "فَوَرَأَيْنَى رَقَبَ أَنْتَ مِنْ جَهَّةِ يَأْهَدَى مِنْ عَبْدِكَ، وَمَنْ تَكُونُ لِعِبَادَةِ الْلَّهِ إِنَّهُ لا يُجْعَلُ الْقَلْبَيْنِ (38) ."

155

"قال الله تعالى: "فَوَأَعُونَ يَتَأَثِّرَهَا أَمْلاً مَا عَلَمْتُ لَتَصْحِبَنِ مِنْ إِنَّهُ عِزْرَى فَأَفْلَحَ لَيْكَ حَسَنَةً عَلَى النَّطِينِ فَأَحْمَلُكَ في صُرْحَا لَكَمْ أَطْلُحُ إِلَى إِلَهِكَ (39) ."

156

"قال الله تعالى: "وَلَسْتَ عَلِيمُ الْأَرْضِ وَهُوَ الْحَقِّي وَلَسْتَ عَلِيمُهُمْ (40) ."

157

"إِلَّيْهِ يَرْجُوُونَ (41) .

"قال الله تعالى: "فَأَحْذِكْهُمُ وَجَنُودُهُ فَتُسْدِدُّوهُمْ فِي الْبَيْتِ فَأَنْظَرُ كَيْفَ (42) .

158

"ستَعْفِيَ الْظَّلِيمَيْنِ (43) ."
قال الله عزوجل: "وجعلتهم آيةً يذكرون إلى الناس يوم القيامة.
لا بصري.." 199
قال الله عزوجل: "وأرسلناهم في هندو الدنيا لِنَكث وِيَوم القيامة هم وَت.
المُمَشِّرون** ٢٠٠
قال الله عزوجل: "وقد أرسلنا موسى الصالح بن بعد ما أهلكنا
القرُوب الأولى بِصُغُرٍ للناس وهَذَا رَحْمَةً لِلْمُتَّقِينِ" ٢٠٥
قال الله عزوجل: "وَمَا كَانَ يَجْبِلُ الصَّفْرُونَ إِذْ فَضَّلْتُمَا إِلَى مَوْعِدِ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مَعَنَّا بِالْأُولِياءِ" ٢١١
التَّشَهْدَةِ** ٢١٥
قال الله عزوجل: "وَلَنَكُنَا أَنْشَأْنَا فِرْعَوْنَ مَرْتِبَةً عَلَىٰ الْحَمْرَاءِ وَمَا حَكَيْتُ الطَّوْرَ" ٢١٥
فتَّحَ مَيْتَهُ طَأَرَ عَلَيْهِمْ دَينِيَةً وَلَكِنَّا حَكِيْتُمَا مِثْلَ مِثْلِهِ" ٢١٥
قال الله عزوجل: "وَمَا كَانَ يَجْبِلُ الصَّفْرُونَ إِذْ فَضَّلْتُمَا إِلَى مَوْعِدِ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مَعَنَّا بِالْأُولِياءِ" ٢١٥
يُنْصُرُ فِرْعَوْنَ مَنْ نَذَرَ مِنْهُمْ بِمَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مِثْلِهِ" ٢١٨
قال الله عزوجل: "وَلَا أَعْلِمُ أَنِّي صَبِّرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُونَ فَمَا كَانَتْ آيَاتِهمُ فَغَفَّرُوا لَهُمَا" ٢٢٢
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِنَّ رَسُولًا فَنَبِيَّ مَنْ مُّبَيِّنٌ وَالَّذِينَ مِنَ النَّفَّاضِينِ" ٢٢٢
قال الله عزوجل: "فَلَمَّا جَاهَرَهُمْ النَّقِيرُ مِنَ اللَّهِ قَالَوا لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلُ مَا أُوفِيَ مَوْعِدَ أَوْلِمْ يُصَدِّقُوا يَا أَوْلُو مَوْسِئٍ مِنْ بَيْنِكُمْ بِعِبَارَتِ نَظُهْرِهِمْ وَقَالُوا إِنَّكُمَا كَفْرُونَ" ٢٢٧
قال الله عزوجل: "فَقَالُوا يَا بَكْرُب بِنَذِيرٌ يَكُونُ مِنْ أَهْلِلِ الْاَلِيْمَةِ إِن
سَكَّنَ مَثَّاً مُبِينًا ** ٢٣٥
قال الله عزوجل: "فَإِن لَّمْ يَصَدِّقُوا لِلَّهِ فَأَقْتُلُوهُمْ أَيْتَمِّ بَعْضٌ أَيْتَمِّ بَعْضٌ وَمِنْ أَصِلٍ
مَّنْ يُقُولُ هُوَ أَعْلَى مِنَ اللهِ إِنَّهُ الْلَّهُ لَا يَهْدِي الْقُوَّمَ الظَّالِمِينَ" ٢٣٨
قال الله عزوجل: "ولقد وصنا لهمقولاً لعلهم يذكرون (6)

قال الله عزوجل: "أولئك مؤتون أجرهم مروبين وما صبروا وبدؤوا بالنفسه" (7)

قال الله عزوجل: "وصلى على أهل البيت وأصحابه إلا إنه الحين من يذكرون إلا إذا كان من قلبي (8)

سورة البقرة (9)

قال الله عزوجل: "أولئك مؤتون أجرهم مروبين وما صبروا وبدؤوا بالنفسه (6)

السيدة همما دفعتهم ينقضون (10)

قال الله عزوجل: "وإذا سمعوا الله وأعلموا عنه وقالوا لنا أعلمنا ولكلم (11)

أعلمنا سلم عليهم الله لا بنين البلدين (12)

قال الله عزوجل: "إنك لا تعبد من أحيبتك ولكن الله يهدى من يضيا وصو(13)

علم بالمذهب (14)

قال الله عزوجل: "وقالوا إن ليت المهد معك تخفف من أرضنا أولم نمكنا لهوم حرماً ماماً يتجن إلى ميرث كلي شيء ورضا عن الله ولكل من أسلمهم لا بعلامه (15)

قال الله عزوجل: "وكم أهلستنا من قريتك ببطش معيشتها فإنلا (16)

ستيقظهم لنا شكرهم إلا قليلاً وصو(17) عن الوزير (18)

قال الله عزوجل: "وما كان ربك مهلك القدم حتى بعثته في أنها راشروا يقولوا عليهم طالبنا وما حسبنا مهلك الضرر إلا وأهله طالبته (19)

وما أرسلنا من شيء فسمع الحيوة الدنيا ورستها ومأ من عند الله حري وقررنا ألا تفقولون أفن وعددها وعدداً حسنها فهو لقيه كم منعمنة منف الحيوة الدنيا ثم هو ثم الينفعه من المكرين (20)

ويوم يلذهمهم فيقول نشراك الذين كثر زعمهم (21)

قال الله تعالى: "فلنعلهم القول ربنا هدئوا الذين أعويثهم كما (22)
۳۹۱

"كُنِّوا مِنْ فَضْلِ رَبِّكُمْ مَآ أَنْزَلْنَا عَلَى مَرْجِعَنَا وَأَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ نَعْمَةً كَثِيرَةً"

۳۹۲

"فَقَالَ رَبُّهُ لَكُمْ: "مَا كَانَ أَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدًا فَتُلْكَ شُيُورُكُمْ تُؤْمِنُونَ، فَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَهْجٍ وَيَتَابِعُونَ منَ الْخَبَرِ الْحَقِيقٍ، فَأَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ""

۳۹۳

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ نَعْمَةً بَعْدَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، فَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَهْجٍ وَيَتَابِعُونَ منَ الْخَبَرِ الْحَقِيقٍ، فَأَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ""

۳۹۴

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَعَمِيتَ عَلَيْهِمْ الأَنْبَاءَ بِمَا يَبْدِئُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَعْبِدُونَ لِأُولِي الْأَمْرِ الْمُسْتَقِيمِ، فَأَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ""

۳۹۵

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۳۹۶

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۳۹۷

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۳۹۸

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۳۹۹

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۰

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۱

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۲

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۳

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۴

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۵

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۶

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۷

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۸

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۰۹

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۰

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۱

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۲

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۳

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۴

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۵

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۶

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۷

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۸

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۱۹

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۰

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۱

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۲

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۳

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۴

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۵

"فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَأَنَا مِنْ تَابِعٍ وَمَائِنَ وَيَتَابِعُونَ ""

۴۲۶
قال الله عز وبحمان: "إِنَّ قُوْمِ مُوسَى مِنْ قُوْمِ مُوسَى فَبَلَّى عَلَيْهِمْ وَبَلَّى عَلَيْنَا مِنْ الْكُنُوْنِ ما إِذَا مُفْتَحَتُ. نَسْتَعِينُ بِالْعَفْضَةِ أَوْلِي الْفَوْقَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ. لَنَفْتَحَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ".

342

"بُعِيْبُ الْمُفْتَحِينَ (6).

قال الله عز وبدآن: "وَبَلَّى فَيْنَا عَالِمُ كَيْفَ لِلَّهِ أَنَّ الدَّارَ الأَخْرَجَةَ وَلَنَسْتَعِينَ بِالْعَفْضَةِ أَوْلِي الْفَوْقَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ. لَنَفْتَحَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ".

343

"بُعِيْبُ الْمُفْتَحِينَ (7).

قال الله عز وبدآن: "قَالَ إِنِّي أُوَيْيِهُ عَلَى يَوْمٍ نَيَّبٍ أَنَّكَ لَنْ تَأْكُلْهُ دَمَ الأَفْلَامِ. لَا تَطْهِرُهُ بِقِلَّبَيْكَ أَنْ بَلَّى مِنْ مَعْلُوم. كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ. لَنَفْتَحَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ".

353

"أَمْسِكَتْ وَتَعْلِمُ صَنْدُخْصَهَا وَلَا يَلْفَسْهَا إِلَّا الْمُفْتَحِينَ (8).

قال الله عز وبدآن: "قُالَ الَّذِي إِنَّيْنِي أَوَثِّيْتُهُ عَلَى يَوْمٍ نَيَّبٍ أَنَّكَ لَنْ تَأْكُلْهُ دَمَ الأَفْلَامِ. لَا تَطْهِرُهُ بِقِلَّبَيْكَ أَنْ بَلَّى مِنْ مَعْلُوم. كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ. لَنَفْتَحَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ".

348

"فَفِضَّلْنَا يَدَّ وَبَدَّرَهُ الْأَرْضَ وَفِرْقَةً مِنَ الْأَمْرِفِ وَفِي قُدْرَةِ عِلْمٍ مُّفْتَحٍ مِنْ فَتْحَةٍ يَنْصُرُهَا. مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُفْتَحِينَ (9).

قال الله عز وبدآن: "وَأَصْبَحَ الَّذِي إِنَّيْنِي أَوَثِّيْتُهُ عَلَى يَوْمٍ نَيَّبٍ أَنَّكَ لَنْ تَأْكُلْهُ دَمَ الأَفْلَامِ. لَا تَطْهِرُهُ بِقِلَّبَيْكَ أَنْ بَلَّى مِنْ مَعْلُوم. كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ. لَنَفْتَحَ. إِنَّ كَيْفَ لِلَّهِ مُفْتَحَتُ".

367

"وَكَانَ لَهُمَا لَا يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ (10)

قال الله عز وبدآن: "فَبَلَّى الدَّارَ الأَخْرَجَةَ وَجَعَلَهَا لِذَٰلِكَ لَنْ يُبَدِّلُونَهَا عِلْهَا وَفِي الْأَرْضِ وَلَا

370

"فَسَأَدٌ وَالْمُفْتَحٌ لِلدُّنْيَا (11)

قال الله عز وبدآن: "فَمِنْ جَاهِلٍ إِلَى مُهَٰمَتِهِ، وَفِي جَاهِلٍ إِلَى جَاهِلٍ، فَلَا يَتَجَلَّى".

379

"اللَّهُمَّ عِلْهَا الْبَيِّنَاتُ إِنَّا كُانَناً يَعْمِلوْتُ" (12).
قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لَرَأَذَّكَ إِلَى مَعَاهُ قُلْ رَبِّ أَعِنْكَ ۛ مِنْ جَهَّالِى الَّذِينَ فَوْقَ عَلَى عِلْمِهِ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالِ عَزِيزٍ مَجِيدٍ».

383

قال الله عز وجل: «وَمَا كَتَبْنَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ يُلْقَى مَعَكُمْ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْنِّي وَأَحْبَاطَةً فِي الْكَافِرِينَ».

391

قال الله عز وجل: «وَلَا يُمسِكُ إِلَيْنَا الْمُؤْمِنُ بَعْضٌ أَنْ يُضافَ عَلَى مَا كَانَ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ بِالْكَفَّارِ».

397

قال الله عز وجل: «وَلَا تَذَهَّبَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهِ مَآخِرُ الْحَيَاةِ عَلَى مَا جِبَّ أَقْرَضَهُمْ وَلَا يَعْجَبُنَّ لَهُمْ عَلَى مَا كَانَ شَيْئَهُمْ كَلاًّ إِلَّا يَوْمَ يَقُومُ الْمَوْمِعَةُ وَيَلْوَى لَهُمْ ۛ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُ هُمْ ۛ فَلَنَّى سَيِّئَةُ رُكَابٍ».

403

فهرس الأحاديث والآثار

409

فهرس الفوائد

415

فهرس آيات السورة

435

...